وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس

الجزء الخامس

محفوظة
جميع الحقوق

لدار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة

BP133.7 .A44 .M88 2026
ISBN: 9789922778365

مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي المنعقد بعنوان: أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين السادس (٦-٥/ ٢/ ٢٠٢٥ : كربلاء، العراق).
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس المنعقد بعنوان: أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين : قراءة في المنهج والادوات / أقامه قسم دار القرآن الكريم التابع للعتبة الحسينية المقدسة بالتعاون مع كلية العلوم الإسلامية – جامعة كربلاء ورابطة التدريسيين التربويين بتاريخ (٥-٦/ ٢/ ٢٠٢٥) – الطبعة الأولى – كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، قسم دار القرآن الكريم، ٢٠٢٦م / ١٤٤٧ هـ.
٥ مجلد ؛ ٢٤ سم. – (العتبة الحسينية المقدسة؛ ١٧٦٣)، (قسم دار القرآن الكريم؛ ٤٧).
يتضمن ارجاعات ببليوجرافية.
١. علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة – في القرآن – مؤتمرات.
٢. علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة – أثره في تفسير القرآن وعلومه- مؤتمرات.
٣. حديث (علي مع القرآن) – دراسة.
٤. الإسلام والسياسة – مؤتمرات.
٥. السياسة الاقتصادية (الإسلام) – مؤتمرات.
٦. الإسلام وعلم الاجتماع – مؤتمرات.
٧. الإسلام والطب. أ. العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). دار القرآن الكريم. ب. العنوان.
تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة.

239،3063

م ٣٥٩ مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي (٦: ٢٠٢٦: كربلاء)
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس المنعقد بعنوان أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين : قراءة في المنهج والأدوات/ مؤتمر . ط١- كربلاء: دار القرآن الكريم، ٢٠٢٦، الجزء الخامس، (٥٨٠ صفحة)، ٢٤ سم.
١ .الإمام الحسين بن علي عليه السلام – الإمام الثالث- مؤتمرات .
م. العنوان.
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد: (٢٠٤٥) – لسنة ٢٠٢٦م

الإخراج الفني: أمجد حامد الفتلاوي

وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس

المنعقد بعنوان

أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين

قراءة في المنهج والأدوات

وتحت شعار لن يفترقا

علي مع القرآن والقرآن مع علي

أقامه قسم دار القرآن الكريم التابع للعتبة الحسينية المقدسة

بالتعاون مع كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء ورابطة التدريسيين التربويين

وذلك بتاريخ (٥-٦/٢/٢٠٢٥)

Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Directorate

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير
قسم التنسيق والتعاون العلمي

العدد: ب ت/ ٥٣٥٩/٢
التاريخ: ٢٠٢٥/١/٢٩

جامعة كربلاء/ السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية المحترم

م/ مؤتمر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إشارةً الى كتابكم ذي العدد (ع/ش.ع/ ٣٠٩) في (٢٠٢٥/١/٢١) ومرفقه الاولويات الخاصة بمؤتمر جامعتكم الموسوم (**أثر امير المؤمنين علي (عليه السلام) القرآني في مدونات المسلمين – قراءة في المنهج والادوات**) والمزمع انعقاده للمدة (٥-٦/ ٢/ ٢٠٢٥) ، وبالنظر لاستيفائكم المتطلبات المشار اليها ضمن الضوابط الخاصة بإقامة المؤتمرات التي تم اعمامها بموجب كتابنا المرقم بالعدد (ب ت٥٣٥٩/٢) في (٢٠٢٣/٦/٢١) ، بشأنه حصلت الموافقة على إقامة المؤتمر أعلاه.

... مع التقدير

أ.د. لبنى خميس مهدي
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠٢٥/ ١ /٢٨

نسخة منه الى//

- مكتب الوزير/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- مكتب وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- دائرة البحث والتطوير/ مكتب المدير العام/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- دائرة البحث والتطوير / قسم التنسيق والتعاون العلمي /شعبة المؤتمرات / مع الاولويات.

م.م. مروه ١/٢٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدِّمة:

الْحَمْدُ للهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ، نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَإِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعاً، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقاً، فَأَدَّى أَمِيناً، وَمَضَى رَشِيداً، وَخَلَّفَ فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ، وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ، آلَه الطاهرين، صلوات الله عليهم أجمعين...

خلق الله تعالى أمثلةً للإنسان الكامل على مختلف العصور؛ فكان حجَّته في أرضه التي لا تخلو من مثالٍ لذلك الكمال، الذي هو بنفسه درجات مثَّل أعلاها نبيُّنا محمَّدﷺ، فكان المثال الأعلى في الكمال على مستوى المخلوق، ولو أردنا البحث عمَّن يليه في هذه المرتبة فلا بدَّ من الاستعانةِ بخطٍّ شروعٍ متَّفقٍ عليه يكشف الكمال، ولا يوجد مثل القرآن الكريم من يكشف ذلك بوصفه كلام الله تعالى الكامل، وعلى أساس ذلك يكون مقياس الكمال على شدَّة المصاحبة والانطباق مع كلام الله تعالى، ويكون ذلك ميزانًا للتفاضل، ومن هنا فقد اتَّفقت مصادر المسلمين على رواية قول النبيِّ محمَّدﷺ لأمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالبٍعليه السلام: ((عَلِيٌّ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ، لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ))، وهذا الحديث رواه الحاكم النيسابوريّ (ت: ٤٠٥ هـ) في المستدرك وصحَّحه، ووافقه الذَّهبيُّ (ت: ٧٤٨ هـ) - على ما فيه من تشدُّدٍ - في التصحيح، وروي أيضًا في غير ذلك من المصادر الأخر، أمَّا في مصادر أهل البيتعليهم السلام فلا خلاف في هذا الحديث ودلالته، وبذلك فهو متَّفقٌ على صحَّته ونسبته إلى رسول اللهﷺ، وهو لا ينطق عن الهوى فيكون مصداق هذا الحديث حقيقة لا مرية فيها، وعلى أساس ما تقدَّم أُقيم هذا المؤتمر العلميّ الدَّوليّ لدراسة حقيقة هذا الحديث وواقعه العمليّ عبر البحث في مدوَّنات المسلمين عن الأثر القرآني لأمير المؤمنينعليه السلام، وبيان ما له من علومٍ قرآنيَّة تفرَّد بها؛ وصولًا إلى الإثبات العمليّ لدلالة الحديث المذكور آنفًا.

وقد حدَّد المؤتمر مساره البحثي في بيان الحقائق القرآنيَّة على وفق منهج أمير المؤمنين عليه السلام، والبرهنة العمليَّة على كماليَّة القرآن الكريم بشموله لكلِّ نواحي الحياة، ومقاربة ذلك بحياتنا المعاصرة، ومعالجة أهمِّ مشكلاتها في ضوء ما قدَّمه أمير المؤمنين عليه السلام من أثرٍ قرآنيٍّ امتدَّ ليشمل الحاجات الإنسانيَّة على مختلف العصور، مركِّزًا في ذلك على حاجات الإنسان الكبرى التي لا تختلف باختلاف صور معيشته، ومن هنا فإنَّ المؤتمر يركِّز على الأثر القرآنيّ لأمير المؤمنين عليه السلام تفسيرًا وعلومًا، ومقاربته على وفق المناهج الحديثة في البحث العلميّ ومساراته المعرفيَّة في التخصصات الإنسانيَّة والعلميَّة؛ لتكون النتيجة تقديم أمير المؤمنين عليه السلام بوصفه حلًّا لكلِّ التقاطعات، والمرجعيَّة الأصيلة التي يمكن أن ننتهي إليها بمعيَّة القرآن الكريم.

وكان حاصل هذا المؤتمر مائة وخمسة وستِّين بحثًا في شتَّى التخصُّصات المعرفيَّة، عملت على استنطاق أهداف المؤتمر ومعالجة أهمِّ المسارات التي حُدِّدت بشأنِ أقامته، وما هذه الوقائع إلَّا واحدة من مخرجات المؤتمر نأمل من الله تعالى أن تكون مرضيَّةً من لدن الباحثين والمتخصِّصين والمتابعين بشكلٍ عام.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على محمَّد وآله الطاهرين.

لجنة التدقيق والمراجعة العلمية

الشيخ د. خير الدين علي الهادي سلمان/ رئيس قسم دار القرآن الكريم

السيد د. مرتضى عبد الأمير جمال الدين/ معاون رئيس قسم دار القرآن الكريم

م.د. عماد طالب موسى/ مدير مركز البحوث والدراسات القرآنية

أ.م.د. عمار حسن عبد الزهرة/ مدير تحرير مجلة هدي التقلين

م.د. بهاء مهدي مظلوم دويج/ مدقق لغوي

م.د. عمار عبد العباس عزيز/ مدقق لغوي

أمجد حامد شاكر/ مدقق فني

الفهرس

التوظيفُ القرآنيُّ لأميرِ المؤمنينَ عليه السلام في الجوانبِ التربويّةِ والتعليميّةِ ١١

م.م علي حسين عجّة

الأثرُ القرآني لفلسفةِ الإمامِ عليٍّ عليه السلام في التربيةِ -تربية المراهقِ أنموذجًا..... ٢٧

م.م صبيحة حمد عودة

أثرُ تجسيدِ المبادئ العلويّة في التشريعاتِ المعاصرةِ-دراسة قانونيّة وواقعيّة ٥٩

م.م. عزيزة خميس التميمي/ د. آمال علي الموسوي

قراءةٌ في الأثر القرآنيِّ للإمامِ عليّ بن أبي طالب عليه السلام في المدوّناتِ الإسلاميّةِ - دراسةٌ تاريخيّةٌ تفسيريّةٌ..... ٨٧

م .م محمّد عاجل عطية

الدلالةُ القرآنيّة في قصيدة (والموت يطويها) للإمام علي عليه السلام ١١٣

م.م سارة علي العبوديّ

دورُ الزكاةِ في تحقيقِ التكافلِ الاجتماعيِّ في مرويَّاتِ الإمامِ عليّ عليه السلام ١٣٥

م.م. ضحى فليح عبد الموسوي

أثرُ توظيفِ النصِّ القرآنيِّ في حلِّ النزاعاتِ الاجتماعيّةِ عندَ الإمامِ عليّ بن أبي طالب عليه السلام ١٥٧

م.م. ناجح جادر خلف

ردُّ الإمامِ عليّ عليه السلام على دعوى الزنادقةِ بتناقضِ القرآنِ الكريمِ واختلافِه دراسةٌ حجاجيّةٌ ١٨٩

م. م. كوثر فليّح عبد الموسويّ

المرويّاتُ التفسيريّة لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في حكم الطلاق..... ٢١٣

م.م. هدى محمّد رضا

معاملة الآخر في حكومة الإمام علي عليه السلام بحسب المنظور القرآنيّ..... ٢٣٧

م. أحمد راضي جبر

السلوكُ التهذيبيُّ في الأثرِ القرآنيِّ (نهج البلاغة أنموذجًا) دراسةٌ تطبيقيّةٌ على موظّفي دائرةِ صحّةِ بابل للعام ٢٠٢٤..... ٢٧١

أ.حسنين صادق عبكه/ ضي عبد الحسين مكي بقلي

عَليّ عليه السلام.. قَيِّمُ القرآن..... ٣٠٩

الشيخ محمد مصطفى مصري العاملي

المتطلباتُ الوظيفيّة والرقابة عليها بين عهد الإمام عليّ عليه السلام لمالك الأشتر والتنظيم القانونيّ العراقيّ..... ٣٤٩

الباحث: قيصر حمد مؤنس

أثر أمير المؤمنين عليه السلام القرآني في التخصصات العلميّة والطبيّة..... ٣٨٧

الباحثة: هدى صدام ثجيل الجيزاني

عِلمُ الوراثةِ التغذويّة وتغيرُ الجيناتِ في كلامِ الإمامِ عليّ عليه السلام..... ٤٢١

الباحثة طيبة فليّح عبد الموسويّ

Contents

Quranic Eloquence in the Sermons of Imam Ali (Peace be upon him): A Study in Linguistic and Rhetorical Artistry..... 2

Pro .Dr.Fatima Raheem Abdul Hussein

Imam Ali, peace be upon him, the Gate to the city of knowledge of God's Messenger peace and blessings be upon him and his family..... 32

MR. SYED MOHAMMED BOKRETA

The Power of the Discourse of the Imam Ali Ibn Abi Talib in Human Sciences: A Critical Study 60

By: Assist Professor Dr. Nagham Ja'far Hussein

The Quranic Impact on Imam Ali's Words Regarding Piety with Special Reference to his Commandment to Malik al Ashtar: An Intertextual Approach 94

Ammar Shamil Kadhim Al-Khafaji, PhD

Interpretation of the Reality of Death in the Quran from the Perspective of Imam Ali (A) in Nahj al-Balaghah 116

By Dr. Sayid Morteza Farizani

التوظيفُ القرآنيُّ لأميرِ المؤمنينَ عليه السلام في الجوانبِ التربويّةِ والتعليميّةِ

م.م علي حسين عجّة

الملخّص

يهدف هذا البحث إلى استجلاء التوظيف القرآنيّ في بعض خطب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ووصاياه في الجوانب التربويّة والتعليميّة، إذ إنّ التوظيف القرآنيّ يعدّ علامة مميّزة في خطبه ووصاياه، فينعكس حسّ فنيّ مرهف ذو أبعاد أدبيّة وتربويّة وتعليميّة، وقد قيل في كلام عليّ بن أبي طالب عليه السلام إنّه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق، فهو أفصح الناس بعد رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله، وهذا الأمر يشدّنا لاستجلاء التوظيف القرآنيّ عنده، ولتحقيق هدف البحث سيتمّ بناؤه على ثلاثة مباحث، **أوّلاً**: لمحات من مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، **ثانيًا**: مفهوم التربية والتعليم في فكر الإمام عليّ عليه السلام، **ثالثًا**: التوظيف القرآنيّ في خطب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ووصاياه، التي تناولت الجانب التربويّ والتعليميّ، مثل وصيّة الإمام لابنه الحسن عليهما السلام، ويمكن أن نستنتج من هذا البحث التوظيف القرآنيّ لأمير المؤمنين عليه السلام في الجوانب التربويّة والتعليميّة، وإمكانيّة تضمينها في المناهج الدراسية .

الكلمات المفتاحيّة: التوظيف القرآنيّ، أمير المؤمنين، الجوانب التربويّة والتعليميّة.

Abstract:

This research aims to elucidate the Quranic employment in selected speeches and commandments of Imam Ali bin Abi Talib (PBUH) regarding educational and instructional aspects. Quranic employment serves as a distinctive hallmark in his rhetoric، reflecting a delicate artistic sense with literary and pedagogical dimensions. It has been said of his speech that it is "below the word of the Creator and above the word of the created،" as he is the most eloquent of people after the Prophet Muhammad (PBUH). This eloquence motivates the exploration of his Quranic citations. To achieve its objectives، the research is structured into three sections: first، glimpses into the virtues of Imam Ali bin Abi Talib (PBUH); second، the concept of education and instruction in his thought; and third، the Quranic employment in his speeches and commandments that address educational themes، such as his commandment to his son، Imam Al-Hassan (PBUH). The research concludes by highlighting his Quranic methodology in educational contexts and the possibility of integrating these insights into modern school curricula.

Keywords: Quranic Employment، Commander of the Faithful، Educational and Instructional Aspects.

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبيّنا محمّد الأمين، وعلى آله الطيّبين الطاهرين، وبعدُ:

فنحن نلتمس نمطًا آخر من التوظيف في الآداب التربويّة، فالإمام عليه السلام يلتمس وينقل معنى النصّ القرآنيّ إلى نصّه الخطابيّ في جوانب الحياة الأخرى، وهي ضرورة وحاجة إنسانيّة؛ يهدف من ورائها إلى بناء شخصيّة الإنسان، وكيف به بناء أن يؤخذ من أمير المؤمنين، وهو رجلٌ عزَّ على الأمّة أن يهبه الله لها، فالإمام عليه السلام والقرآن صنوان لا يفترقان، وهو أمير القول وسيّد البلغاء الذي يستسقي كلامه من القرآن، فخطبه عليه السلام هي آثار لا تملّها الأسماع، ومتطلّعات في بلّورة منظومات الحياة الإنسانيّة التي تؤثّر في واقع الحال ونفس المتلقّي. إنّ أقوال الإمام عليه السلام قيمة عالية المراتب والمستويات تستسقي جوانبها من أثر القرآن الكريم، ما يجعل المرء يقف أمامها إجلالًا وانبهارًا، فهي تعطي كلّ الجوانب الأساسيّة لبني البشر في الدرس البليغ وشدّة الأثر، وتُفصِح لنا توجيهاته ودروسه العميقة التي تُهذِّب النفس وتؤدّي إلى بناء أركان الشخصيّة الفذّة.

هدف البحث: يهدف البحث إلى التعرُّف على التوظيف القرآنيّ في بعض خطب أمير المؤمنين عليه السلام في العلوم التربوية والنفسيّة، والاستفادة منها في مجال التربية والتعليم، وتضمينها في المناهج التربويّة العراقيّة؛ لبناء جيل متخلِّق بأخلاق أهل البيت عليهم السلام وتأصيل الفكر التربويّ الإسلاميّ .

أهميّة البحث: إنّ مفهوم التربية والتعليم من أكثر المفاهيم التي ركّز عليها الإمام عليّ عليه السلام في خطبه ووصاياه، ولها أهميّة كبيرة، إذ طبّقها وأعطاها مكانتها في حياته وسيرته الشريفة، وما أحوجنا في هذا العصر إلى تربية الإمام عليه السلام وأخلاقه

وتعامله مع المجتمع، وتتلخّص أهميّة البحث في الحاجة إلى تسليط الضوء على الجانب التربويّ والتعليميّ من منظور الإمام عليه السلام ؛ للأهميّة التي يتحلّى بها هذا الجانب في بناء شخصيّة الفرد والمجتمع، وإمكانية الكشف عن مبادئ التربية وأهدافها عند الإمام عليّ عليه السلام .

منهج البحث: اعتمد الباحث في هذا البحث على منهج البحث التاريخيّ والتحليليّ؛ لكونه المنهج المناسب لتحليل معطيات العصر عبر التاريخ، ودراسة التوظيف القرآني للإمام عليّ عليه السلام وآرائه التربوية والنفسيّة، وحاول تسليط الضوء على المبادئ المهمّة التربويّة والتعليميّة من طريق كلمات وصيّ الرسول الأكرم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وسلوكه الحياتيّ والعمليّ، والإشارة إلى تعاليمه ووصاياه، وأثرها وتأثيرها في المجتمع .

المبحث الأوّل: لمحات من مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام

لم تعرف الإنسانيّة في تاريخها الطويل رجلًا بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أفضل من الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ولم يُسجَّل لأحد من الخلق بعد الرسول محمّد صلى الله عليه وآله من المناقب والفضائل ما سُجِّل لأمير المؤمنين عليه السلام ، كيف تُحصى فضائل من كانت ضربته لعمر بن ودّ العامريّ يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين؟ وكما قال الرسول الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله لو أجمع الناس على حبّ عليّ لما خلق الله النار، والحديث عن أمير المؤمنين لا تسعه المجلّدات ولا تحصيه الأرقام، إذ قال ابن عبّاس: ((لو أنّ الشجر أقلام والبحر مداد والأنس والجن كُتّاب وحُسّاب ما أحصوا فضائل أمير المؤمنين))[1]. وُلِد الإمام عليّ عليه السلام في الكعبة المكرَّمة يوم الجمعة في الثالث عشر من رجب بعد مولد الرسول محمّد صلى الله عليه وآله بثلاثين سنة، ولم يزل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله منذ

(١) أئمتنا: ٢٧ .

بعثته وحتّى وفاته يشيد بأمير المؤمنين عليه السلام في كلّ نادٍ ومحفل، وليس من كتاب يتعرّض للحديث أو السيرة إلّا وبين دفّتيه أحاديث أمير المؤمنين عليه السلام وفضائله[١] .

دوّن جمع كبير من العلماء ما ورد من سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله في حقّ الأمام عليّ عليه السلام منها قول الرسول الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله : ((عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ))[٢]، ويدلّ هذا الحديث على فضائل الإمام عليّ عليه السلام في جميع الجوانب، وهناك العديد من الأحاديث الشريفة التي لا يمكن حصرها في هذا البحث، ويكفي له من الفضل أنّه عليه السلام أجّر نفسه ليلة إلى الصباح وقبض الشعير، طحن ثلثه وجعلوا منه شيئًا يأكلونه يُسمّى الحريرة، فلمّا تمّ إنضاجه أتى مسكين فأخرجوا إليه الطعام، ثم عمل الثلث الثاني، فلمّا تمّ إنضاجه أتى يتيم فسأل فأطعموه، ثمّ عمل الثلث الباقي، فلمّا تمّ إنضاجه أتى أسير من المشركين فسأل فأطعموه، فأطْلَع الله تعالى عليهم نبيّه، وأخبره أنّ القصد في ذلك الفعل وجه الله تعالى، وطلبًا لنيل ثوابه، ونجاة من عقابه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكيناً وَيَتيماً وَأَسيرا﴾[الإنسان:٨]، فكفى بهذه عبادة، وبإطعامهم هذا الطعام مع شدّة حاجتهم إليه منقبة[٣]. إنّه أوّل من صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله، قال عليه السلام : ((أسلمت قبل إسلام الناس، وصلّيتُ قبل صلاتهم، أمّا زهده فقال عليه السلام : رقعتُ مدرعتي حتّى استحييت من راقعها، فأيّ عبادة وأيّ سخاء وأيّ زهد وأيّ علم أعظم من هذا))[٤] .

---

(١) ينظر: الإمام علي بن أبي طالب: ١١ .
(٢) أئمتنا: ٢٩٣ .
(٣) ينظر: الإمام علي بن أبي طالب: ١٢ .
(٤) ينظر: ١٠٠ وصية للإمام علي عليه السلام: ١٧ .

المبحث الثاني: مفهوم التربية في فكر الإمام عليّ عليه السلام

ذكر علماء اللغة معاني لمفهوم التربية، منها ما ذكره ابن منظور، قال: ((رَبا الشيء يَربو ربوًا ورِباءً زاد ونما، وأربَيته: نَمّيته))[١]، وذهب بعضهم إلى المعنى اللغوي بالقول رَبَّ، الولد، بمعنى تعهده وربّاهُ وادبهُ[٢]، وبذلك تكون معاني التربية في اللغة: الزيادة والنمو والنشوء والإصلاح والرعاية وتولي الأمر. وهناك تعريفات كثيرة للتربية لجهة الاصطلاح وهي متشابهة تقريبًا في أكثرها ومستفادة من المعنى اللغوي، ومنه ما ذكره الغزاليّ في معنى التربية إذ يقول: ((التربية تشبه فعل الفلّاح الذي يقلع الشّوك، ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع، ليحسن نباته ويكمل ريعه))[٣]، فالإمام عليّ عليه السلام يرى أنّ الإنسان هو غاية الوجود، والهدف من خلقته هو الوصول إلى الكمال النهائيّ الذي أراده الله تعالى له، وجعله خليفته في الأرض، لذا يجب عليه الالتزام بأقواله وأفعاله ومقاصده، على وفق أحكام الله وهداه، وإنْ ضعف الإنسان أمام الإغراءات المادّية الدنيويّة تحتّم عليه السلوك في طريق التربية والتعليم على وفق الصراط المستقيم الذي رسمه الله تعالى[٤]، ويقوى الإنسان على مقاومة الضلالة والفساد، ورفع الموانع التي تمنعه من وصوله إلى الكمال، وهذه التربية لا تستند إلى مبادئ نظريّة لا صلة لها بالواقع، بل تتّخذ منها طريقًا ومنهجًا وسلوكًا عمليًّا تترك آثارها على نفس الإنسان، وكذلك تتجلّى ثمراتها في المجتمع[٥].

إنّ مفهوم التربية من وجهة نظر الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّهُ يرفض

---

(١) ينظر: لسان العرب: ١٤/ ٣٠٤ .
(٢) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: ٢٦١ .
(٣) رسالة ايها الولد: ٣٧ .
(٤) ينظر: منهج التربية عند الإمام: ٣٢ .
(٥) منهج التربية عند الإمام علي: ٣٢ .

نظريّات الأقدمين من المربّين فيما ذهبوا إليه من معنًى للتربية وأهدافها، فهو يعتقد بأنّ كثرة العلوم لا تُغني ولا تعوّض عن العمل وحسن الاتّجاه والسيرة الخيّرة، والإمام عليّ عليه السلام لا يريد العلم من أجل العلم، إنّما يريده من أجل التغيير والتبديل؛ لذلك لم يؤمن بالكميّة من دون النوعيّة[١] .

وفي ضوء هذا المفهوم التربويّ يرى أمير المؤمنين عليه السلام أنّ الإنسان هو الغاية لهذه الموجودات، ومن أجل ذاته خلق الله ما خلق من طبيعة، وعبّر الإمام عن غاية التربيّة بقوله: ((**فاللّه سبحانه قبل أن يخلق الإنسان خلق الكون ورتّبه أحسن ترتيب، ونظّمه أجمل تنظيم، ومهّد الأرض وأتمّ مرافقها على أكمل وجه، فخلق فيها الهواء الطلق، وأجرى فيها العيون والأنهار، وأعدّ أنواع الأطعمة والأشربة**))[٢] .

إنّ الإمام عليّ عليه السلام يخاطب الأجيال بما يوقظهم على أنّ الحياة الحرّة لا تُطبق من القيود إلّا ما كان سببًا في مجراها وواسطة لبقائها وقبسًا من ضيائها وناموسًا من نواميسها، وأنّها لا يطيب لها البقاء في مهد الأمس، فعليهم أن يحاولوا تقديمها وإلّا انقلبت إلى فناء[٣] .

والتربية بناء وإصلاح للفرد والمجتمع، وتنظيم لعلاقة المخلوق بالخالق وعلاقة الإنسان بنفسه ومجتمعه، ولهذا نجد أنّ القرآن الكريم حينما تحدّث عن هدف بعثة النّبي محمّد صلى الله عليه وآله أعطى للتربية المكانة الأولى، ومن ثَمّ التعليم، فقال تعالى : ﴿هُوَ الَّذي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفي ضَلالٍ مُبينٍ﴾ [الجمعة: ٢] .

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد : ١٦ .
(٢) منهج التربية عند الامام علي: ٣٣ .
(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٩ .

ومن خصوصيّات المنهج التربويّ المهمّة في فكر الإمام عليّ عليه السلام ضرورة تقوية قوّة العقل والتوازن مع العواطف والغرائز، وإعطاء كلٍّ منهما حقّه في الكمال، وقد أشار أمير المؤمنين إلى هذه الميزة التربويّة، فقال: ((لقد علّق بنياط هذا الإنسان بضعة هي أعجب ما فيه، وهو القلب، وذلك أنّ له موادّ من الحكمة وأضدادًا من خلافها))[١].

فالتربية لها خصوصيّة فريدة، وهي قدرتها على التزكية وتحويل الإنسان إلى عالم الملائكة أو أفضل، وذلك إذا انتهجنا منهجًا تربويًّا صحيحًا ينطبق مع أصول تربويّة وقواعد في فطرة الإنسان، والمفلح هو الذي يستطيع أن يُزكّي نفسه كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها* وَ قَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها﴾[الشمس: ٩-١٠].

وأشار أمير المؤمنين إلى المنهج التربويّ العمليّ كأحد الخصائص بالغة الأهميّة في التربية، فالتربية والتعليم القائمان على التصوّرات فقط لا قيمة لها، بل قد تؤدّيان إلى مهلكة الإنسان تصيبه بالأوصاف الرذيلة كالكبر والغرور والترفّع عن الآخرين وغيرها من الصفات الرذيلة التي نهى عنها الإسلام، وكثيرة هي الخطب والكلمات في نهج البلاغة التي ضمّنها أمير المؤمنين هذه المعاني، فليس المهّم من وجهة نظر الإمام عليّ عليه السلام كثرة العلوم النظريّة، لأنّها لا تغني عن السلوك الحسن والسيرة الخيّرة، فالمعيار هو الأحسن لا الأكثر، فالتربية التي تعتمد الكميّة في أساليبها لا تُجدي نفعًا ما دامت لا تستند إلى الكيفيّة والنوعيّة، وهذه النوعيّة يجب أن تقترن بالعلم، التغيير والنمو في شخصيّة الفرد وهي تحثّ على العلم والعمل، ولهذا قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ((**العلم مقرون بالعمل، فمن عَلِم عَمِل**))[٢].

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١١ .
(٢) م.ن: ٢٤٥ .

المبحث الثالث: التوظيف القرآنيّ في خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ووصاياه التي تناولت الجانب التربويّ والتعليميّ

تناول الإمام عليّ عليه السلام مختلف الجوانب التربويّة والتعليميّة في خطبه، وكانت هذه الجوانب مرتبطة بالمدلول القرآنيّ ارتباطًا مباشرًا، وحسبنا ما نذكره شهادة وبرهانًا في أثر القرآن الكريم وعلومه في ميادين التربية والتعليم وفي مختلف الآداب الإنسانيّة، ومن هذه الجوانب:

١- حسن الخلق: أذ يقول الإمام عليّ عليه السلام : ((من حَسُن خلقُه كَثُر مُحبُّوه وأنِسَتِ النفوسُ له))[١]، وهذا القول مقبس من قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِك﴾[آل عمران:١٥٩].

٢- الصدق في القول والفعل: قال الإمام عليّ عليه السلام : ((ولسان الصدق يجعله اللهُ للمرء في الناس خيرًا له من المال يرثه غيره))[٢]، وهذا القول مقتبس من قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقين﴾[التوبة: ١١٩] .

٣- الحثّ على فعل الخير والتعاون: إذ يقول عليه السلام : ((وأطيعوا الله فيما فرض عليكم وأمركم به))[٣]، وهذا التأدّب والحثّ عليه مقتبس من قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[المائدة: ٢].

٤- التحيّة وآدابها: إذ يقول عليه السلام : ((وردّوا التحيّة على أهلها بأحسن منها))[٤]، وهذا التعبير والتوجيه في مجال الآداب مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَإِذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْها أَوْ رُدُّوها﴾[النساء: ٨٦] .

---

(١) ينظر: أسس التربية والتعليم في القرآن والأحاديث: ٦٧ .
(٢) ميزان الحكمة: ١٤٢٢ ، ٢٢
(٣) ينظر: المنهج التربوي في فكر الإمام علي عليه السلام: ٨ .
(٤) أسس التربية والتعليم في القرآن والأحاديث: ١٦٥ .

٥- اجتناب الآثام والأخطاء: والعمل على أساس التقوى، بدلالة الفرض والرقابة والرصد، إذ يقول عليه السلام في هذا الجانب: ((إنّ عليكم رصدًا من أنفسكم وعيونًا من جوارحكم))[١]، إنّ هذا التوظيف مرتبط بالمدلول القرآنّي بشكل مباشر لقوله تعالى:﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُون﴾ [النور:٢٤].

٦- الاهتمام بالمظهر وبالملبس الخارجيّ: قال الإمام عليّ عليه السلام في هذا الجانب: ((ليزيّن أحدكم لأخيه الملم إذا أتاه كما يتزيّن للغريب الذي يحبّ أن يراه في أحسن الهيئة))[٢]، إنّ هذا التوظيف مقتبس من قوله تعالى : ﴿وَثِيابَكَ فَطَهِّر﴾[المدّثر: ٤].

٧ - **تقوى الله**: تعدُّ التقوى في الكلمات والمنهج التربويّ للإمام عليه السلام هدفًا جوهريًّا تتمحور حوله أكثر كلماته وخطبه، فهي من أكثر الكلمات استعمالًا في نهج البلاغة، فليس هناك كتاب يركّز فيه على التّقوى كما ركّز نهج البلاغة، وليس هناك في نهج البلاغة مفهوم أو معنى اعتنى به أكثر من التّقوى، والتّقوى من الوقاية، والوقاية تعني الحذر والاحتراز والبعد والاجتناب، ولاسيما عن الحدود المحرَّمة التي أمرنا الله تعالى بعدم تجاوزها، ولا شكّ أنّ الحذر والاجتناب هو من أصول الحياة للإنسان العاقل[٣]. وإنّ من لوازم التقوى قوّة الإرادة وامتلاك الشّخصيّة المختارة، إذ يقول عليه السلام : ((ذمّتي بما أقول رهينة، وأنا به زعيم إنّ من صرحت له العبر عمّا بين يديه من المثلات حجزه التقوى عن التقحّم في الشبهات، ألا وإنّ

(١) أسس التربية والتعليم في القرآن والأحاديث: ١٨٨ .
(٢) م. ن: ١٨٩ .
(٣) المنهج التربوي في فكر الإمام علي عليه السلام: ٩ .

الخطايا خيل شُمس حمل عليها راكبها وخلعت لجمها فتقحّمت بهم في النار، ألا وإنّ التقوى مطايا ذُلُل حمل عليها راكبها وأعطوا أزمّتها فأوردتهم الجنة))[١]، ويقول أيضًا: ((**إنّ تقوى الله حمت أولياء الله محارمه، وألزمت قلوبهم مخافته، حتّى أسهرت لياليهم، وظمأت هواجرهم**))[٢] .

لقد كانت النظرة الموضوعيّة في أساليب التربية عند الإمام عليّ عليه السلام مميّزة، اتّسمت بالعمق والشمول والتطبيق العلميّ، وارتكزت على أهداف التفكير والتدبّر والدعوة إلى العدل وتقوى الله ومقارنة العمل بالعلم ونقل التراث الإسلاميّ والتغيير والتحذير من الوقوع في الفتن .

جدول يبين مواضع التوظيف القرآنيّ في بعض خطب الإمام عليّ عليه السلام

الآية القرآنيّة	النص	المصدر أو المرجع
المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً، الكهف : ٤٦	إنّ المال والبنون حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الأخرة	١٠٠ وصية للإمام علي عليه السلام، أحمد علي دخيل
وأوفوا بالعهد إنّ العهد كان مسؤولا، الإسراء : ٣٤	إنّ الوفاء توأم الصدق	نفسه
وتزوّدوا فإنّ خير الزاد التقوى، سورة البقرة : ١٩٧	فتزوّدوا في الدنيا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم غداً	نفسه

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد : ١٨ .
(٢) المنهج التربوي في فكر الإمام علي عليه السلام: ١١ .

أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقًا كذّبتم وفريقًا تقتلون، البقرة : ٨٧	عباد الله لا تركنوا إلى جهالتكم ولا تنقادوا لأهوائكم	نفسه
الله نزل أحسن الحديث كتاباً، الزمر: ٢٣	تعلموا القرآن فإنّه أحسن الحديث	نفسه
يا بني لا تشرك بالله إنّ الشرك لظلم عظيم، لقمان:١٣	فالله لا تشركوا به شيئاً	نفسه
إنّ المتقين في جنات ونعيم، الطور:١٧	إنّ التقوى دار حصن عزيز	نفسه
اتقوا الله حقّ تقاته، آل عمران : ١٠٢	أوصيكما بتقوى الله	نفسه
ويمح الله الباطل ويحقّ الحقّ بكلماته، الشورى : ٢٤	وقولا بالحقّ	نفسه
يتيماً ذا مقربة، البلد:١٥ فأما اليتيم فلا تقهر،الضحى٩	الله الله في الأيتام تُغبوا أفواههم ولا يضيعوا بحضرتكم	نفسه
والجار ذي القربى والجار الجنب، النساء: ٣٦	الله الله في جيرانكم فإنّهم وصية نبيكم ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنّه سيورثهم	نفسه
يا بُني أقم الصلاة، لقمان:١٧ وأمر أهلك بالصلاة، طه:١٣٢	الله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم	نفسه
إنّ أوّل بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين ، آل عمران : ٩٦	الله الله في بيت ربّكم لا تخلوه ما بقيتم فإنّه إن ترك لا تناظروا	نفسه

انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، التوبة : ٤١	الله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله	نفسه
ادع إلى ربّك بالحكمة وبالموعظة الحسنة، النحل:١٢٥	احي قلبك بالموعظة ونوره بالحكمة	نفسه
وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها، إبراهيم :٣٤	الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون	شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد
والجبال أوتادا ،النبأ :٧	ووتد بالصخور ميدان أرضه	نفسه
ومن شر غاسق إذا وقب، الفلق :٣	الحمد لله كلما وقب ليل وغسق	نفسه
ولقد جئتمونا فرادى، الأنعام :٩٤	ومبعوثون أفرادا	نفسه
فاصدع بما تؤمر، الحجر : ٩٤	أرسله بأمره صادعا	نفسه
وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين،الإسراء:٨٢	فإنّه شفاء الصدور	نفسه
هو الأول والآخر، الحديد : ٣	الحمد لله الأول فلا شيء قبله والآخر فلا شيء بعده	نفسه

خاتمة البحث ونتائجه

إنّ أثر القرآن الكريم يتفاعل مع سيرة أمير المؤمنين عليه السلام من تربيته ومنهجه الحياتيّة وعلمه وتعليمه، إذ أخذ الكثير من القرآن الكريم وتعاليمه، فعليّ والقرآن لا يفترقان كما أخبر عنه أخوه ومربّيه الرسول الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله في أكثر من مرّة وفي أكثر من موقف، فبعد أن خلص البحث خرج الباحث بالنتائج الآتية:

١ – إنّ الإمام عليّ عليه السلام القدوة الحسنة بعد النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله والنموذج البارز في الجوانب الاجتماعيّة والتربويّة والتعليميّة والخلقيّة .

٢ – كان التوظيف القرآنيّ للإمام عليّ عليه السلام واضحًا ليس فيه غموض أو تعقيد، ويدلّ هذا على استثمار أمثل من الإمام عليه السلام للمفردة القرآنيّة .

٣ – عرض الإمام عليه السلام بعض العلوم التربويّة والتعليميّة والاجتماعيّة من خلال التوظيف العلميّ بأسلوب أدبيّ، إذ سرد لنا المسائل بطريقة بليغة شائقة .

٤ – إنّ الهدف الأساسيّ في التوظيف القرآنيّ لأمير المؤمنين عليه السلام في مجال العلوم التربويّة والنفسيّة هو إيجاد مواطن صالح يتحلّى بعلوم الدين الإسلاميّ وآدابه، ومن الممكن تضمين كثير من هذه العلوم والآداب في المناهج الدراسيّة .

٥ – ركّز الإمام عليّ عليه السلام عند التوظيف القرآنيّ في العلوم التربويّة والنفسيّة على مجموعة من الأهداف والمبادئ منها: حسن الخلق، الصدق في القول والفعل، والحثّ على فعل الخير والتعاون، والتحيّة وآدابها، واجتناب الآثام والأخطاء، والاهتمام بالملبس والمظهر الخارجيّ، وحسن الخُلق .

التوصيات والمقترحات

١- يوصي الباحث بدراسة خطب الإمام عليّ عليه السلام ووصاياه دراسة مستفيضة وتأصيل الدراسات التربويّة للخروج بالمزيد من الفوائد التربويّة والتعليميّة.

٢- تضمين مواضيع التوظيف القرآنيّ لأمير المؤمنين عليه السلام في مناهج التربية الإسلاميّة وعلوم القرآن.

٣- إثـراء المكتبة التربويّة بالكتب التي تتناول التوظيف القرآنيّ لأمير المؤمنين عليه السلام والفكر التربويّ الإسلاميّ .

ويقترح الباحث إجراء مزيد من الدراسات المعمّقة في حيثيّات سيرة الإمام عليّ عليه السلام ؛ لأنّ مثل هذه الدراسات تُعطي أُكلها كلّ حين، والباحث ما هو إلّا متلمّس للعلم والحقيقة، ومن الله التوفيق والحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وآله الطيّبين الطاهرين .

المصادر

*القرآن الكريم.

١. أئمتنا، علي محمد علي دخيل، دار المرتضى، بيروت، ٢٠١١هـ .

٢. أسس التربية والتعليم في القرآن والأحاديث، عبد الهادي الركابي، دار الرسول الأكرم، بيروت، ٢٠٠٤هـ .

٣. الإمام علي بن أبي طالب، عبد الفتاح عبد المقصود، بيروت، ط٢ ، ٢٠١٢م .

٤. تاج العروس من جواهر القاموس، محب الدين أبي الفيض الزبيدي، تح: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ .

٥. رسالة أيّها الولد، أبو حامد الغزالي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٣١هـ .

٦. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، بيروت، ط٢، ١٩٦٧م .

٧. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ .

٨. ١٠٠ وصية للإمام علي عليه السلام، أحمد علي دخيل، دار المرتضى للطباعة والنشر، بيروت، ط٢ ، ٢٠٠١م .

٩. منهج التربية عند الإمام علي، علي محمد حسين أديب، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٩٦٧م .

١٠. المنهج التربويّ في فكر الإمام عليّ عليه السلام ، سيّد زهير المسيلينيّ، أوراق ثقافيّة، العدد الحادي والثلاثون – آيار (٢٠٢٤) .

١١. ميزان الحكمة، محمد الريشهري، دار الحديث، قم، ١٤٢٢هـ .

الأثرُ القرآني لفلسفةِ الإمامِ عليٍّ عليه السلام في التربيةِ

تربية المراهقِ أنموذجاً

م.م صبيحة حمد عودة

مديرية تربية المثنى

الملخّص:

إنّ القرآن الكريم هو كتاب الله والمصدر الرئيس للتعاليم التربوية، وقد اعتنى بهداية الإنسان منذ طفولته، بل قبل وجوده؛ فتضمّنت آياته توجيهات تربوية عظيمة، وجّهت الفرد نحو الإصلاح والتهذيب والأخلاق الحميدة والعلاقات الإنسانية الراقية، وقد طبّقها أمير المؤمنين عليه السلام بكلّ معانيها في نفسه أوّلًا وفي نصوصه التربوية والأخلاقية ثانيًا، إذ إنّ الرجوع إلى عِدل القرآن والتعرّف على منهج أئمّة الهدى من أهل بيت النبوّة عليهم السلام، وإلى أحاديثهم وإرشاداتهم ووصاياهم وسيرتهم العلمية؛ كفيل بتحديد معالم متكاملة وشاملة لمنهج تربوي، يصلح أن يكون مرجعًا لكلّ زمان ومكان.

يدرس البحث منهج أمير المؤمنين عليه السلام في التربية وتحديدًا تربية المراهق، بالتعرّف على مفهوم التربيّة لغة واصطلاحًا، مبيّنًا بعض الأساليب والتوجيهات التربوية التي أوصى بها عليه السلام بالاتّفاق مع آيات من الذكر الحكيم، وكذلك يلقي البحث الضوء على فلسفة تربية الأبناء من منظور قرآني، من خلال عرض الأثر

القرآني في بناء الفرد من مختلف الجوانب: عباديًّا وأخلاقيًّا وعقليًّا ونفسيًّا وتعليميًّا، وينتهي البحث بقراءة؛ في كيفيّة بناء المراهق قرآنيًّا وذلك من خلال اعتماد منهج تربوي عظيم مبني على أسس فكرية وجدانية عقائدية، وأسس ومبادئ اجتماعية وأخلاقية وتربوية، تسمو به نحو الإصلاح والتهذيب بالأخلاق الحميدة والعلاقات الإنسانية الراقية؛ مترجمًا ما غرسه الله سبحانه وتعالى في طبيعته، وتساعده على تحقيق أهدافه في المجتمع.

الكلماتُ المفتاحيّة: الأثر القرآني، الفلسفة التربويّة، الإمام عليّ عليه السلام، المراهق.

Abstract:

The Holy Quran is the book of Allah and the main source of educational teachings. It has taken care of guiding man since his childhood، even before his existence. Its verses include great educational directives that direct the individual towards reform، refinement، good morals، and high-level human relations. The Commander of the Faithful، peace be upon him، applied them in all their meanings in himself first and in his educational and moral texts، as referring to the justice of the Quran and the approach of the Imams of Guidance from the Household of the Prophet (peace be upon them)، and to their hadiths، guidance، wills، and scientific biography; is sufficient to define the integrated and comprehensive features of an educational approach that is suitable to be a reference for all times and places. The research studies the approach and philosophy of the Commander of the Faithful، peace be upon him، in education، specifically the education of adolescents، by identifying the concept of education in language and terminology، explaining some of the educational methods and directives that he، peace be upon him، recommended in agreement with verses from the Wise Remembrance. The research also sheds light on the philosophy of raising children from a Quranic perspective، by presenting the Quranic impact on building the individual from various aspects: devotional، moral، mental، psychological and educational. The research ends with a reading on how to build the adolescent Quranically، by adopting a great educational approach based on intellectual، emotional and doctrinal foundations، and social، moral and educational foundations and principles، which elevate him towards reform and refinement with good morals and high-level human relations; translating what God Almighty

has instilled in his nature، and helping him achieve his goals in society.

Keywords: the Quranic influence، Educational philosophy، Imam Ali، peace be upon him،. Teenager

المقدّمة

التربية أساس بناء شخصية الإنسان، إذ إنّها تكوّن اتجاه الفرد، وتحدّد ثقافة الأمّة وهويّتها، والتربية الصالحة تعدّ الإنسان للحياة الدنيا والآخرة؛ لأجل بناء وإصلاح الفرد والمجتمع وتنظيم علاقة المخلوق بالخالق وعلاقة الإنسان بنفسه ومجتمعه، وبناء شخصيّته على ما جاء به الإسلام.

وقد صنع القرآن الكريم منهجًا متكاملًا لجميع شؤون الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فجاءت تعاليمه وأحكامه وآدابه لتسمو بالإنسان وترفع كيانه وتربّيه على الإحسان. وأمير المؤمنين عليه السلام عاش مع القرآن، ووقف على دقائقه وأسراره وقيمه وآدابه، فقد امتلك طاقات هائلة من العلم لا يملكها غيره، فهو عليه السلام مصدر من مصادر الفكر العربي الإسلامي؛ لما له من سعة في العلوم كافّة، ولا غرابة في ذلك؛ لأنّه قد تربّى في بيت الرسالة، ينتهل علومه من الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، فعالج الإمام عليّ عليه السلام كيفية تربية الأفراد، ووضع مفاهيم عن ماهيّة التربية وأهدافها وطبيعتها، مستعملًا كثيرًا من الأساليب التربوية في مقامات مختلفة.

فالإمام عليه السلام هو مدرسة الوعي الفكري وصراط التكامل الإنساني، إذ يمثّل النص المعصوم المترجم لآيات القرآن الكريم في أقواله وأفعاله وأنموذجًا رائدًا في المجال التربوي.

مشكلة البحث: إنّ التربية تهدف إلى بناء أساس شخصية الفرد، وتكوين ثقافة مجتمع وتحديد هويّة الأمّة؛ فالتربية القرآنية توجّه الفرد نحو الإصلاح والتهذيب بالأخلاق الحميدة والعلاقات الإنسانية الراقية مترجمًا ما غرسه الله سبحانه وتعالى في طبيعته، وتساعده على تحقيق أهدافه في المجتمع، وفكر الإمام عليّ عليه السلام وآراؤه التربوية فيها أثر روح النصوص القرآنية البيّنة.

أهمية البحث: تكمن الأهمية في كون التربية قوّة مؤثرة في حركة التغيير الاجتماعي ووسيلة المجتمع بتغيير واقعه خاصّة تربية المراهق التي تحتاج إلى فلسفة ومنهج تربوي قويم؛ لأنّ المراهق رصيد مستقبل الأمّة، وبتقويمه تصلح أمور الأمّة، حين تصبح شخصيته مستقلّة وفترة نضجه العاطفي ما يشبه الولادة من جديد، فيعيش في تلك المرحلة العمرية حالة من الحيرة ممّا يستدعي توجيهه، ممّا يوجب بذل قصارى الجهد واتّباع جميع السبل المتاحة لتحقيق النتائج المتوخاة.

خطّة البحث: جاءت على مبحثين؛ الأوّل تناول الأساليب التربويّة في القرآن الكريم، بدأ بتعريف التربية لغة واصطلاحًا، ثمّ عدّد الأساليب التربوية وفق المنهج الإسلامي، أمّا المبحث الثاني فكان بعنوان فلسفة تربية الأبناء من منظور قرآني وقسّم إلى مطلبين؛ أوّلهما أثر القرآن في بناء الفرد وتناول أكثر من جانب، أمّا المطلب الثاني فناقش بناء الفرد المراهق قرآنيًّا مع خاتمة وقائمة بالمصادر.

المبحث الأوّل : الأساليب التربويّة في القرآن الكريم

التربية لغةً واصطلاحًا:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج:٥]، التربية لغة مشتقّة من الفعل ربا- يربو، أي: نما وزاد، بمعنى نمت وازدادت، و للتربية دلالات لغوية متعدّدة ترتكز كلّها على ما يجب أن تشمله العملية التربوية من نشاطات، منها الاصلاح، فربا الشيء بمعنى أصلحه و تولّى أمره، وتأتي بمعنى التنشئة والرعاية[١].

ومعناها الاصطلاحي هو السعي لإيجاد التغيير المطلوب في الفرد وإيصاله

(١) ينظر: المنهج التربوي لأهل البيت الإمام الباقر عليه السلام أنموذجًا:٣٧٦.

إلى التكامل التدريجي[١]. والتربية إن أُحسن توجيهها، تعدّ قوّة مؤثّرة في التغيير الاجتماعي باتّجاه الأفضل، فهي الموجّهة للمسار التكاملي للإنسان؛ وتخلق أرضية جديدة تساعد الفرد على النضوج والتكامل نفسيًا وعقليًا وأخلاقيًا[٢]. فضلاً على إنهّا النشاط الفردي والاجتماعي الهادف إلى تنشئة الإنسان فكريًا وعقليًا ووجدانيًا وحسّيًا وخلقيًا وتزويده بالمعارف والاتّجاهات والقيم والخبرات اللازمة لنموّه على وفق أهداف الإسلام[٣]. إنّ الإمام عليّ عليه السلام يُعطينا منهاجًا نسير عليه في تربية المراهق، هذا الصغير الذي ليس له قدرة على التمييز، شبّهه الإمام بالأرض الخالية تقبل كلّ ما يلقى فيها من صالح أو طالح؛ لذلك يجب أن يبادر الإنسان لزرع مبادئ الخير في نفوس أولاده، قبل أن يسبقها إليه غيره.

لقد جاءت مناهج الرسل والأنبياء عليهم السلام كلّها للبناء الفكري والتربوي؛ لذلك جاء تأكيد القرآن الكريم للاهتمام بتربية النفس والأهل والأبناء كما نصّ على ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم:٦]، فالتربية ليست مجرّد نظريّات علميّة يصوغها المربّون، وإنّما واقع سلوكي عملي، يتوافق مع تلك النظريّات، تحتاج إلى يقين بأهميّتها لتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة، عن طريق الأبناء، فهم وسيلة الفرد إليها، إذ يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: ((الولد الصالح ريحانة من رياحين الجنّة، ومن سعادة الرجل الولد الصالح))[٤].

وقد أشار عليه السلام في كلمته لولده الحسن عليه السلام إلى الأساس الذي تعتمد عليه قواعد التربية الناجحة، التي أمّا أن تنبع من التجربة، أو بالرجوع إلى القرآن الكريم

(١) ينظر: أسس التربية:٢٥.
(٢) ينظر: تربية الطفل دينيًا وأخلاقيًا:٩٦.
(٣) ينظر: الأثر القرآني في فكر الإمام الحسين عليه السلام (دراسة تفسيرية):٦٤.
(٤) ينظر: الكافي: ٦/ ٣.

والروايات الشريفة حينما قال له:((أَيْ بُنَيَّ، إِنِّي وَ إِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ، وَسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ، حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ، بَلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلى آخِرِهِمْ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدَرِهِ وَ نَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ، فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ [جَلِيلَهُ] نَخِيلَهُ وَتَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَهُ وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ، وَرَأَيْتُ حَيْثُ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِي الْوَالِدَ الشَّفِيقَ وَأَجْمَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَدَبِكَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ، وَأَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمُرِ وَمُقْتَبَلُ الدَّهْرِ ذُو نِيَّةٍ سَلِيمَةٍ وَنَفْسٍ صَافِيَة، وَأَنْ أَبْتَدِئَكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَأْوِيلِهِ، وَشَرَائِعِ الْإِسْلاَمِ وَأَحْكَامِهِ، وَحَلاَلِهِ وَحَرَامِهِ، لاَ أُجَاوِزُ ذلِكَ بَكَ إِلى غَيْرِهِ))[1].

لقد عدَّ الإمام عليّ عليه السلام التربية حقّ من حقوق الأبناء على الآباء، تسهم في بناء شخصية الإنسان، وتعمل على إعداده؛ لتنظيم علاقته بالله وبالإنسان وبالحياة، ويلقي المسؤولية على الأسرة؛ كونها أوّل محيط للفرد. إنّ لأمير المؤمنين عليه السلام سواء في تهذيب النفس وبنائها، أو في تربية الأبناء وتأسيس المدينة الفاضلة، عددًا من القواعد العامّة، تتفرع عنها سلسلة من القواعد والخطوط الثانويّة، أمّا القواعد العامّة، فهي قواعد تدعو إلى تعلّم الحكمة والتعرّف عليها وإلى تمهيد السبيل لفهمها[2].

ونخلص ممّا تقدّم، إلى أنّ التربية عمليّة معقّدة تراكمية لها أصول وقواعد ونظريّات، تستسقى إمّا من خلاصة تجارب أو من القرآن الكريم والروايات الشريفة، وإنّ عملية إعداد الفرد وتنشئته وتوجيهه واصلاحه، تكون على مراحل، الغرض منها توجيه الفرد نفسيًا ومعنويًا وأخلاقيًا ودينيًا وسلوكًا، من أجل خدمة الأمّة والإنسانية. وتقديم أكمل الأساليب التربوية التي تسمو بالإنسان إلى إتمام مكارم

(١) نهج البلاغة، تحقيق الشيخ قيس بهجت العطار:٥٢٣.

(٢) ينظر: الحكمة عند الإمام علي عليه السلام في نهجه، الشيخ جوادي آملي، ٨٤.

الأخلاق والمقامات الإنسانية، وفي أسس التربية يجب الرجوع إلى عدل القرآن ومنهج أئمّة الهدى من أهل بيت النبوّة عليهم السلام، فإنّ أحاديثهم وإرشاداتهم ووصاياهم وسيرتهم العلمية، كفيلة بتحديد معالم متكاملة وشاملة لمنهج تربوي يصلح أن يكون مرجعًا لكلّ زمان ومكان.

الأساليب التربويّة:

عندما يتّجه المربّون إلى القرآن الكريم يلمسون صورًا وأساليب رائعة في تربية الشباب، يمكن من خلالها رسم أنموذجًا تربويًا لتوجيه الأبناء. وتقسم الأساليب التربوية إلى:

أوّلًا – التلاوة والتزكية والتعليم: إنّ قواعد التربية التي تسمو بالفرد إلى الكمال، تقترن بتزكية النفس وتطهيرها من الانحراف العقائدي والفكري والأخلاقي، فالطريق السليم يكون ذاتي الدوافع للتخلّق بالسلوك المحمود وهو الارتباط بالله تعالى، وإنّ الهدف من بعثة الأنبياء والرسل هو التربية، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة:٢]، ومعنى التزكية في الآية المباركة هو التنمية والتربية، فكما إنّ الفرد يتعهّد البذرة حتّى تنمو وتصير شجرة، كذلك يتعاهد ولده المولود على الفطرة كما جاء في وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام، لولده الإمام الحسن عليه السلام في وجوب تقوى الله سبحانه وتعالى، إذ قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ ـ أَيْ بُنَيَّ ـ وَلُزُومِ أَمْرِهِ، وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ، وَالاعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ))[1].

وتأكيدًا منه على التربية الأخلاقية، قال ما مضمونه، إنّ الشرف الإنساني

(١) نهج البلاغة: تحقيق الشيخ قيس بهجت العطار:٥٢١.

والأخلاق الإنسانية، يمكن الحفاظ عليها تحت ظلال التربية، وإنّ الدين والعلم يصانان عن الـزوال[١]. فلا بدّ من السعي للتعرّف على الفضيلة والاتجـاه نحو السلوكيّات التي تؤيّدها التعاليم الدينية، وشأن التربية حقيقة هو تنمية الاستعداد الفكري والنفسي للفرد، فإن كان ذلك في الاتّجاه الصحيح كانت التربية سليمة، فتزكية النفس تعمل على تهذيب النفس وتطهيرها من نزعات الشرّ واستقامتها، والتربية الصحيحة تمكّن الفرد من مواجهة الانحراف وتمنحه الثقة بنفسه، وإن كان في الاتّجاه الخاطئ كانت التربية خاطئة[٢]؛ لذا يجب تهذيب الأبناء بترشيد أفكارهم وقراراتهم بلغة عقلانية راشدة ومقنعة، تناسب إدراكهم، وإيجاد بيئة أسريّة مساعدة ومشجّعة على السلوك السليم.

ثانيًا – التربية بالعِبرة والمَوعظة: هذا الأسلوب من أوسع أساليب التربية انتشارًا ومن أكثرها تغطية للمواقف التربوية، فلا يخلو موقف تربوي من الموعظة والنصح، وهو وسيلة ذات مغزًى أخلاقي، ويكون بالنصح والتذكير بالخير والحقّ الذي يرقّ له القلب، و من الأساليب التربوية المباشرة إذ إنّ الله سبحانه وتعالى أودع في النفس استعدادًا للتأثّر فيما يلقى لها من الكلام[٣]. والقرآن الكريم مليء بالمواعظ والتوجيهات بالنصح والإرشاد، فقد قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ﴾ [لقمان:١٣].

(١) ينظر: تربية الشباب بين المعرفة والتوجيه:٢٩٣.
(٢) ينظر: أصول تزكية النفس وتوعيتها:١/ ٢٢٥.
(٣) ينظر: الأساليب التعليمية في فكر الإمام موسى بن جعفر عليه السلام / أسلوب الوعظ أنموذجًا: ٦٥٧.

وهذا الأسلوب أداته الكلمة الطيّبة والتبصّر، وبالعبرة يعي الفرد الأسباب؛ فيتّقي الخطأ، ويتوجّه لإصلاح نفسه؛ لتسمو وتتكامل. وقد اتّخذ أهل البيت عليهم السلام من العبرة وسيلة تربوية؛ لتنوير العقل والقلب واستخلاص المفاهيم والقيم، فقد كان لمواعظهم التي لا تعدّ ولا تحصى، دور ملموس في تربية أصحابهم ومخالفيهم[١]. فأوصى عليه السلام ابنه الحسن عليه السلام إذ قال: ((أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ، وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا، وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ، وَأَعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ، وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الأَوَّلِينَ، وَسِرْ فِي دِيَارِهِمْ وَآثَارِهِمْ، فَانْظُرْ مَا فَعَلُوا وَعَمَّا انْتَقَلُوا، وَأَيْنَ حَلُّوا وَنَزَلُوا! فَإِنَّكَ تَجِدُهُمُ انْتَقَلُوا عَنِ الأَحِبَّةِ، وَحَلُّوا دَارَ الْغُرْبَةِ، وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ))[٢]. فلا بدّ من إحياء القلب وتنويره بالموعظة واغتنام الفرصة قبل سيطرة جنود الشيطان عليه، وعدم تأثير الموعظة فيه، وزوال شروط الانفعال وتأثّره وغلبة هوى النفس[٣]. وسنّ الشباب هو الوقت المناسب للموعظة؛ لأنّ قلبه كالأرض الجرداء الخالية التي تتقبل ما يُبذر فيها، ويكون قلبه-مستعدًّا للتعليم والتربية، على العكس من تقدّمه في العمر، إذ تكون الأحوال النفسانية قد تحوّلت إلى ملكة راسخة في نفسه وروحه، فيكون من الصعب احداث تغيير فيه، فيقول أمير المؤمنين عليه السلام : ((فبادَرْتُكَ بالأدبِ قبلَ أن يَقْسُوَ قلبُكَ و يَشتغِلَ لُبّكَ))[٤]، فيشير عليه السلام إلى إنّ القلب إذا تلّوث بالأخلاق الرذيلة، قسا ولا يتأثّر بالموعظة، وتصبح تربيته صعبة ولا يكون مستعدًّا لقبول المعرفة والحقائق

(١) ينظر: التربية عند أئمّة أهل البيت عليهم السلام دراسة فلسفية: ٢٥٦.
(٢) شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ٩٦.
(٣) ينظر: الموعظة الخالدة: ١٤٤.
(٤) نهج البلاغة خطب الإمام علّي عليه السلام : ٣/ ٤٠.

والآداب، وهو ما أكّده القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة:٧٤]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد:١٦].

ثالثًا – التربية بالقِصّة القُرآنيّة: قصّ الله سبحانه وتعالى في كتابه المجيد جملة من أحسن القصص، ناصحًا باستنطاقها وأخذ العبرة منها، فقد اعتنى القرآن بأسلوب القصّة عناية خاصّة؛ لكونها تتضمّن تشويقًا وموعظة، وتعدّ القصّة وسيلة مهمّة للتعلّم والرشاد، ولها دور في تقويم الأخلاق وتغذية العواطف وغرس القيم السامية، قال تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:١٧٦]، فقد عرض القرآن الكثير من القصص المبيّنة لأحوال الأنبياء عليهم السلام، إذ يعدّ سرد القصّة، من الوسائل المهمّة لإثارة التفكير، واستخلاص الدروس والعبر، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف:١١١].

وتحمل القصّة القرآنية الكثير من الرسائل التربوية، وفيها موعظة بأسلوب تربوي واضح الهدف، وتتميّز بأثرها النفسي البليغ بعيد المدى، الذي يثير العاطفة ويحرّك النفس؛ ممّا يؤدّي بالفرد إلى تغيير سلوكه.

إنّ أسلوب سرد القصّة هو وسيلة لإثارة مكامن التفكير واستخلاص الدروس والعبر، والتنبيه إلى امكانية الهداية من بعد الضلال، وخلق المشاعر وتنقية التفكير وتهذيبه، وكذلك تعليم مبادئ الدين وأحكامه بشكل غير مباشر[1]. وقد امتازت القصّة القرآنية بجمال الأسلوب، وبلاغة البيان، والإيجاز في عرض جوانب معينة من وقائع القصّة متناسبة مع الموضوع الذي تتناوله، فترد الأحداث منسجمة مع

(١) ينظر: التربية الدينية والأخلاقية للأطفال: ١١١.

السياق العام لموضوع السورة، فتكون أوقع في تأثيرها النفسي، وأعمق في تحريكها للمشاعر، وأقرب إلى إقناع العقل وتصديق القلب[١].

أمّا أهميّة القصّة القرآنية وما تحمله من أغراض متعدّدة في القرآن الكريم باعتبارها منهجًا تربويًا متكاملًا متناسقًا، وذلك بقصص ومواعظ وتوجيهات، غرضها تربوي وتعليمي وتوجيهي وإرشادي، بمنهج تربوي متكامل، مربيًا الفرد تربية خلقية واجتماعية وجمالية؛ مربيًا روحه وعقله وجسده [٢].

وقد استعمل القرآن هذا الأسلوب في تربية الناس، من خلال قصّة أصحاب الكهف في سورة الكهف، وقصّة قارون في سورة القصص، وقصة يوسف عليه السلام في سورة يوسف، وقصّة أصحاب الأخدود في سورة البروج، وقصّة مريم، وغيرها من القصص التي لها مدلولاتها الأدبية والأخلاقية من خلال إبراز النماذج الفاضلة للبشرية وصنع القدوة الرفيعة، وإنّ الغرض الرئيس من القصص القرآني هو العبرة؛ للاستفادة في زمننا الحالي ممّا ورد فيها من دروس وحكم وعبر.

رابعًا – التربية بالقُدوة الحَسَنة: القدوة الحسنة هي النموذج الواقعي للسلوك الأخلاقي الأمثل، وقد اتّخذها الإسلام وسيلة للكمال الأخلاقي للفرد والمجتمع، وصرّح بها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١]، و يشكّل التقليد لدى المراهق خطرًا تربويًا خاصّة إذا افتقر إلى تمييز القدوة الحسنة من القدوة السيئة؛ ممّا يقوده إلى ارتكاب الأخطاء والتخلّي عن الأخلاقيّات والآداب والعادات المتوارثة، إلّا إذا تمّ توجيهه إلى قدوة صالحة تدفعه للاقتداء بها، ووجود القدوة

---

(١) ينظر: القرآن وعلم النفس: ١٧٤.

(٢) ينظر: أثر التربية الإسلامية في قصص القرآن الكريم: ٧٤١-٧٤٧.

الصالحة في حياة الفرد مهمّة ومساعدة في تربية شخصه وتهذيبه واستلهام الخصال الخيّرة من شخص المقتدى[١]. وهو ما تعتمده النظريات الحديثة في مبادئها مثل النظريات الاجتماعية المعرفية، التي تفترض إنّ الإنسان كائن اجتماعي يتأثّر باتّجاهات الآخرين وسلوكهم وتصرفاتهم ومشاعرهم، إذ تعتمد نظريّته مفهوم التعلّم بالملاحظة والتقليد[٢].

إنّ ملاحظة سلوك الآخرين ومتابعة نماذج معيّنة يحاكيها الفرد ويقلّدها، تؤثّر في سلوكه حسب درجة انتباه الشخص والقرب من النموذج ومكانته ومدى تأثيره وقوة النموذج[٣]؛ لذا وجب ترشيد علاقة الشباب وغيرهم بالقدوة؛ لتكون مبنيّة على الارتباط بما يحمل من عناصر رساليّة مضيئة، وليس الارتباط بطريقة شخصية شكليّة بحتة؛ ليكون ارتباطًا فاعلًا ومؤثّرًا ومغيّرًا في حياة الشاب؛ فالقدوة من أهمّ الركائز التربوية التي انتهجها القرآن منذ بدء الدعوة، والقدوة في هذا المجال هي النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة من أهل بيته عليهم السلام ومَن تربّى في مدرستهم الذين عرفوا الله حقّ المعرفة بعيدًا عن الخطوط المنحرفة للسلوك الروحي، وتكون التربية مجدية وناجحة إذا وجد الأبناء الأسوة الحسنة في الآباء، إذ يقتدون بأفعالهم ويتأسّون بصفاتهم.

خامسًا – التربية بالترغيب والترهيب: هذا الأسلوب من التربية يستعمل في الحثّ وتحفيز الفرد على العمل الصالح لغايتين هما: إمّا للحصول على الثواب أو لتجنّب العقاب، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ

(١) ينظر: مع الشباب في همومهم وتطلعاتهم: ٢٥.
(٢) ينظر: علم نفس الشخصية: ٣٠٨ .
(٣) ينظر: دراسات في نظريات علم نفس النمو والتعلم: ١٥٤.

وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء:١٧٣]. فأسلوب الترغيب والترهيب هو أسلوب قرآني يؤكّد على إنّ الفوز برضا الله تعالى والنعيم، هو جزاء من يعمل صالحًا، وجزاء المسيء العذاب الأليم والبعد عن رحمة الله، وهو ما يتماشى مع فطرة الإنسان في رغبته بلذّة النعيم ورهبته من الشقاء، معتمدًا إثارة الانفعالات، وتربية العواطف الربّانية والموازنة بينها؛ فلا يمكن تعليم الفرد بالقسوة والتعنيف، فيقنط من العفو، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

و من حكمة الإمام عليّ عليه السلام في التربية النفسية العالية، إنّه يوصي بعدم الغلوّ في المعاتبة: ((إذا عاتبت الحدث فاترك له موضعًا من ذنبه، لئلّا يحمله الإحراج على المكابرة))[١]، ولا بدّ عند الوعظ من التودّد والتلطّف؛ حتّى يتهيّأ الفرد لتحصيل الفائدة والخير. وفي هذا الشأن ترى نظرية التحليل النفسي إنّ الفرد يتعلّم السلوك في الاتّجاهات التي يحدّدها الوالدان؛ رغبة في الحصول على الثواب وتجنّبًا للعقاب، فيتشكّل لديه ما يسمّى بالأنا المثالي الذي يتمثّل في قيم الوالدين والمجتمع، أمّا عندما يتمّ عقابه نتيجة سلوك غير مرغوب، فإنّه يطوّر ما يسمّى الضمير، وهو ما يمثّل القيم الحاكمة التي تعطي العقاب والشعور بالذنب[٢]. ذلك المبدأ يفسرّه علماء النفس على إنّ المعزّز الإيجابي أو السلبي (الثواب او العقاب) هو نوع من المكافأة ذات التأثير النفسي التي قد تكون داخلية المنشأ او خارجية، تعمل على خفض التوتر أو اشباع الدوافع لدى الفرد، وتمثّل هدفًا أو غايةً ذات قيمة أو معنى

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٠/ ٣٣٣.

(٢) ينظر: تنمية الشخصية ورؤية ٢٠٣٠ الفلسفة النظريات التطبيق: ٩٦.

بالنسبة للفرد[١]. وقياسًا على هذا يمكن الاستفادة من العقاب والثواب في تقوية سلوكيّات مرغوبة للأبناء، أو الحدّ من سلوكيّات غير مرغوب فيها.

سادسًا – التربية بالتدرُّج: التربية عملية تراكميّة تدريجيّة وهي عملية معقّدة جدًّا، ذات أطراف كثيرة متشابكة فيما بينها، تنتج رؤية معيّنة لدى الفرد، تتحوّل فيما بعد إلى سلوك عملي، ربّما يستمر معه طوال حياته[٢].

ومن معاني التربية: النمو والزيادة والتدرّج التراكمي، وعلى مراحل مختلفة، مع مراعاة عدم تقديم ما حقّه التأخير[٣]. وفي علم النفس يرى الاتجّاه المعرفي أنّ لكلّ مرحلة من مراحل نمو الطفل، تأثيرًا على سلوكه وتفكيره، تزداد قدرات الفرد التعلّميّة والخبرات، وتراكم التجارب، والممارسات المختلفة مع تقدّم مراحل النمو[٤].على مدى سنوات عمره المستمرّة ، وضمن مراحل حياته آراء ومعلومات، عن الكثير من الأشياء والأحداث التي تمرّ به، ولكنّه غير متأكّد منها؛ فتثير لديه شكوكًا وتأمّلاتٍ، ممّا يوجب وجود من يكشفها له، ويفسّر حقائقها، فبقاؤه على جهله وعدم توصّله لتلك الحقائق، قد يسبّب له اختلالًا في التوازن المعرفي، فبعض النظريات النفسيّة تؤكّد إنّ الأطفال ينمون؛ لأنّهم يتعلّمون منظومات من القوانين، تزداد تعقيدًا باستمرار، أي: بالتعلّم التراكمي، وبالتسلسل على وفق تركيب هرمي يتزايد مع تقدّمه في النمو[٥].

ولا شكّ إنّ كلّ مرحلة تستوجب التعليم والتربية بالمفاهيم الأصلية للدين،

(١) ينظر: علم النفس التربوي نظريات وأساليب وتطبيقات: ١٢٧.
(٢) ينظر: التربية مفهومها وخطواتها العملية: ١٦.
(٣) ينظر: المنهج النبوي التربوي وأثره في إرساء قواعد جودة التربية والتعليم: ٢٧.
(٤) ينظر: أسس علم النفس التربوي: ١٥١.
(٥) ينظر: م. ن: ١٤٣– ١٥٠.

ونقل كلّ الأسس الأخلاقية والتربوية للأبناء، وكلّ مرحلة لها أساليبها ووسائلها؛ فمن ذلك ما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله إنّه قال:((الولد سيّد سبع سنين، وعبد سبع سنين، ووزير سبع سنين، فإن رضيت أخلاقه لإحدى وعشرين سنة، وإلّا ضُرِبَ على جنبيه فقد أعذرت إلى الله)) (١). وقد أشار عليه السلام إلى التنشئة بقوله: ((إنّما قَلْبُ الحَدَثِ كالأرضِ الخالِيةِ ما أُلقِيَ فيها مِنْ شيءٍ قَبِلَتْهُ)) (٢)، فالنفس تنمو تدريجيًّا بواسطة العقائد، والفرد ينطوي على طاقة كامنة كبيرة، تمكّنه من تحمل العبادات وتعاظم في الطاقة الفكرية؛ ممّا يوجب ترسيخ العادات الدينية تدريجيًّا مع التكرار، والتذكير بالواجبات العبادية، وتوظيف الميول الدينية.

وعلى الرغم من تعدّد الوسائل التربوية في القرآن الكريم، فإنّ هدف التربية، هو التوعية، وخلق روح الرفعة، وسوق الفرد نحو الفضيلة، وإنقاذ البشرية من الظلمات؛ بإعداد الإنسان إلى الكمال.

المبحث الثاني: فلسفة تربية الأبناء من منظور قرآني

قال أبو عبد الله عليه السلام : ((كان في وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه: اعلموا أنّ القرآن هدى النهار ونور الليل المظلم على ما كان من جهد وفاقة))(٣)، فنجد في هذا الحديث، ترغيب من الإمام عليه السلام في القرآن الكريم وتلاوته؛ لما فيه من اقتباس العلوم والأحكام والأخلاق، فهو يهدي إلى جميع المقاصد، وهو خاتمة الكتب السماوية؛ التي سدّدت المسيرة البشرية، وهو كتاب هداية وتربية وموعظة، يقدّم برنامجًا واقعيًا متكاملًا، قائمًا على أساس الفطرة ومعرفة الإنسان، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ

(١) بحار الأنوار: ١٠١/ ٩٥.
(٢) نهج البلاغة- خطب الإمام علي عليه السلام : ٣/ ٤٠.
(٣) شرح أصول الكافي: ٩/ ١١٥.

تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩]، وتسعى الفلسفة القرآنية في التربية؛ لإصلاح الفرد والمجتمع وتزكيته؛ حتّى يحقّق الغاية من وجوده، وهي أن يخلص في عبادته لخالقه، قال تعالى: ﴿مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]؛ ولكي يستخلف الأرض على أكمل وجه، قال تعالى: ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص:٥]، فتشمل الأبعاد التربوية لتلك الفلسفة الفرد والمجتمع على حدّ سواء؛ لأنّه حيثما صلح الفرد صلح المجتمع[١].

أوّلًا: أثر القرآن في بناء الفرد:

القرآن هو المدرسة والبصيرة للفرد، اهتم بتنمية عقله وتهذيب خلقه، وإنّ البعد التربوي في القرآن الكريم يخاطب شخصية الفرد وتكوينه، ولأكثر من جانب، منها:

١- **الجانب العبادي**: للعبادة أثر كبير في تربية الفرد وتنميته وتهذيبه، وهي التي تغذي العقيدة وهكذا يزداد الإيمان بالطاعة، وينقص بالمعصية، وتكون تلبية الأوامر الإلهية والاستجابة لها، نابع من الفطرة والغريزة التي فطر عليها العباد، إذ نجد القرآن الكريم يفصّل الشخصية المؤمنة في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون:١-٣]، فنجد في النصّ القرآني الكريم الترابط الواضح بين أداء الصلاة والفلاح الذي يصيب من يؤدّيها، والذي ينعكس على جميع نواحي الفرد. ولا ينحصر ذلك في فريضة الصلاة والواجبات العبادية الأخرى فحسب، بل هي هيمنة على الشعور والسلوك في منهج كامل للحياة، والقرآن الكريم وقف بالعبادة عند حدود طاقة الإنسان ووسعه ومكنته[٢].

---

(١) ينظر: الأبعاد التربوية في القرآن الكريم للفرد والمجتمع: ١٦٢.

(٢) ينظر: المنهج القرآني في تنمية الإنسان التربية العبادية أنموذجًا: ١٠٠.

ويبدأ الإيمان الحقيقي عند الفرد في سنّ ١٢ عامًا ويبلغ ذروته في سنّ ١٦ عامًا، وفي هذه المدّة يمكن تعليمه المفاهيم الأصلية للدين؛ لذلك كان لزامًا البدء بالتربية العقائدية ومنذ نعومة الأظفار [١].

إنّ التربية العبادية من أبرز الدعائم الأساسية في بناء المجتمع، وهذه التربية إنّما هي ترجمة عملية للبناء العقائدي، فالإنسان يعتقد أوّلًا، ومن ثمّ يؤدّي الطقوس العبادية التي يحتاجها لتكامله النفسي والروحي والعقلي[٢]. فالعبادة رابطة روحية، تجعل القلب يتّصل بربّه؛ فيستشعر الرقابة الإلهية فلا يتجرّأ على الانحراف فيستقيم ويصلح[٣]. وقد رُوي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: ((إذا أفصح أولادكم فعلموهم لا إله إلّا الله، ثمّ لا تبالوا متى ماتوا، وإذ أثغروا فمروهم بالصلاة))[٤]. إنّ هدف التربية الإسلامية، تزويد الفرد بمعرفة شاملة عن الإيمان بالله تعالى، وترسيخ هذه العقيدة بما ينظّم حياته وسلوكه[٥] . ولكلّ عبادة أثر يحصل في النفس، ممّا يقوّي إرادة الفرد، إذ إنّ التربية تعدّ الأساس لعملية الإصلاح، ووسيلة مهمّة لتحقيق أهداف المجتمع، على وفق الفلسفة الإسلامية والقرآن وسنّة المعصوم عليه السلام، فالمنظومة العبادية الركيزة لهذه الأهداف[٦]، تسير بالفرد إلى حالة متوازنة من الاستقرار الروحي وتسهم في تطهير نفسه. يقول عليه السلام : ((أُوصيك أي بنيّ، بتقوى الله، وإقام الصلاة لوقتها، وايتاء الزكاة عند محلّها،...))[٧]،

(١) ينظر: التربية مفهومها وخطواتها العملية: ٧٢.
(٢) ينظر: المرجعيات القرآنية في فكر الإمام السجاد عليه السلام :١٠١.
(٣) ينظر: التربية عند أئمّة أهل البيت دراسة فلسفية: ١٤٦.
(٤) كنز العمال: ١٦/ ٤٤٠.
(٥) ينظر: دور التربية الأخلاقية الإسلامية: ١٤.
(٦) ينظر: م. ن: ١٠٢.
(٧) نهج البلاغة الثاني: ٢٢٣.

وعنه عليه السلام: ((الفرائض الفرائض، أدّوها إلى الله تؤدّكم إلى الجنّة))[١].

٢- **الجانبُ الأخلاقي**: التربية معياريّة في أساسها؛ إذ تحكمها دائمًا معاييرٌ وقواعدُ أخلاقية، تستمد وجودها ومعناها من قيم تنظّم حياة الناس، وعمليّة التربية عمليّة أخلاقية، والأخلاق عملية تربويّة؛ لأنّ التربية هي عملية نمو أيضًا، وعليه فالأخلاق هي التربية القائمة على أساس اتّخاذ قرارات قصدية معيّنة الأهداف، تحقّقها الوسائل[٢]. وأبرز مؤشرّات التربية القرآنية، هي التربية الأخلاقيّة، فقد نزلت الآيات بتعاليم؛ لتربية الإنسان وترويضه ومتابعته في أدقّ الأمور؛ لترشده إلى الصالح منها، واجتناب السيّء منها، إذ يزخر القرآن الكريم بالتعاليم والمفاهيم والأحكام الأخلاقية التي هذّبت الإنسان، وارتقت به إلى مدارج الكمال، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ [الأنبياء:٩٤]. فسبحانه وتعالى خلق الإنسان، وأودع فيه الضمير الأخلاقي المشتمل على الأخلاق الفاضلة؛ ذلك إنّ القيم الأخلاقية الفاضلة، تعطي للفرد مشاعر داخلية إيجابية، توحي بالطمأنينة، والاستقرار النفسي، والسعادة المعنوية والماديّة، وتؤثّر ايجابًا في سلوكيّاته، وإنّ مخالفة تلك القيم؛ تؤدّي إلى اختلال الاستقامة النفسية من المنظور التربوي، ممّا سيكون له تداعيات سلبية[٣].

وتتكوّن الأخلاق لدى الأفراد بالتأدّب بآداب الله سبحانه وتعالى، إذ يقول عليه السلام: ((مَن تأدّب بآداب الله عزّ وجلّ أدّاه إلى الفلاح الدائم))[٤]، وعنه عليه السلام :

---

(١) ميزان الحكمة: ٨/ ٣١٨٢.

(٢) ينظر: مقدّمة في فلسفة التربية: ٣٧٨-٣٨٢.

(٣) ينظر: تجربتي التربوية في الحياة (٢) في الفضيلة: ١٤-٢٠ .

(٤) ميزان الحكمة: ١/ ٧٩.

((مَن لم يصلح على أدب الله لم يصلح على أدب نفسه))[١]، وعن أمير المؤمنين عليه السلام: ((خير ما ورّث الآباء الأبناء الأدب، ويقول: أفضل الشرف الأدب))، وعنه عليه السلام: ((الأدب أحد الحسبين))[٢]، ومن قوله: ((ذكّ نفسك بالأدب))، وهنا يوصي عليه السلام بتصفية القلب؛ من أجل تأمين المقدّمات الكاملة؛ للوصول إلى الكمال والعلوّ.

والمقصود بالأدب: هي تلك الأمور التي تبعث على حسن السلوك عند الفرد[٣]. والشخصيّة الراشدة هي التي وافق سلوكها الموازين الدينية والأخلاقية والإنسانية، ولا تنحرف ولو بمقدار بسيط.

٣- الجانب العقلي: القرآن الكريم أولى في كثير من آياته، الأهمية البالغة في تنمية العقل وإرشاده في عملية التفكير، وإعطائه الدور المطلوب في عملية الإصلاح؛ لأهميّته في عملية الإدراك والتصوّر للحقائق الكبرى المتعلّقة بالإلوهيّة والعبوديّة، وحقيقة الصانع لهذا الوجود، وتقبّله لكلّ الحقائق الغيبيّة التي لا سبيل لإدراكها بمعزل عن الوحي[٤]. يقول الإمام عليّ عليه السلام : ((العقول أئمّة الأفكار، والأفكار أئمّة القلوب، والقلوب أئمّة الحواسّ، والحواسّ أئمّة الأفكار))[٥]. وقد وظّف القرآن الكريم العقل أداة للوصول إلى معرفة الله، إلى جانب إذكاء العواطف والانفعالات؛ لأنّه يتماشى مع الفطرة الإنسانية، فقد منح العقل مجالًا للتفكير والتأمّل والتدبّر، وأتاح له المقارنة بين الموجودات، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾

---

(١) ميزان الحكمة:١/ ٧٨.

(٢) م. ن:١/ ٦٨.

(٣) ينظر: الموعظة الخالدة دروس في شرح وصية أمير المؤمنين عليّ لابنه الحسن عليهما السلام: ٣٩٠.

(٤) ينظر: الأبعاد التربوية في القرآن الكريم للفرد والمجتمع: ١٦٤.

(٥) بحار الأنوار: ١/ ٩٦.

[الحج:٤٦]، فلو تمّ تأمّل منهج القرآن الكريم في التربية العقلية، وطبّق ذلك المنهج الربّاني في الواقع، والاستفادة منه في تربية النشء على هذا المنهج القرآني الصحيح؛ لسرنا إلى جادة الحقّ، قال أمير المؤمنين عليه السلام فيما أوصى به الحسن عليه السلام : ((لا عبادة كالتفكّر في صنعة الله عزّ وجلّ))[١]، و القرآن قدّر العقل، وجعله مسؤولاً عن عقيدة المسلم، وفي تصحيح مفهوم التوحيد والعبودية والتفكّر في آيات الله [٢]. والشاب المسلّح عقائديًّا يكون مسلّحًا فكريًّا متمكّنًا من مواجهة كلّ الفتن.

٤- **الجانب النفسي**: اهتمّ القرآن الكريم بالنواحي النفسية للفرد، وحثّ المسلم على ايقاظ الحسّ الداخلي، وتحديد موقفه من الخير والشر، ومن الصح والخطأ، ومن الحلال من الحرام، ومعيار الصفات الحميدة يقوم على ركائز مستقاة من القرآن الكريم، قد تميل النفس عن الاستقامة، لكنّها تهتدي بذكر الله سبحانه، فهو القائل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨]، وقد تحتال النفس على العقل وعلى الضمير؛ إذ لا بدّ للإنسان أن ينتبه لنفسه ويحاسبها بين الحين والآخر، قال تعالى في سورة الحشر: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر:١٨]، ويحذّر الإمام عليّ عليه السلام بقوله: ((إنّ هذه النفس لأمّارة بالسوء فمَن أهملها جمحت به إلى المآثم))[٣]، وقد اعتمد القرآن الكريم على الحكمة في تهذيب النفس وتربيتها، فقد روي عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: ((رأس الحكمة مخافة الله))[٤]؛ ذلك إنّ الخوف من الله هو أساس الحكمة ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦].

---

(١) ميزان الحكمة: ٣/ ٢٤٦٥.

(٢) ينظر: التربية عند أئمّة أهل البيت عليهم السلام دراسة فلسفية: ٥٠، ٥١.

(٣) ميزان الحكمة: ٤/ ٣٣٢٥.

(٤) م. ن: ٤/ ٣٣٢٥.

٥- الجانب التعليمي: إنّ باب العلم من الأبواب التي تقود الإنسان إلى الإيمان؛ لأنّ العالم يدرك ما لا يدركه الجاهل. قال سبحانه وتعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[المجادلة:١١]، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤]، واحترام الفرد لعلمه يدفعه إلى البحث والتأمّل؛ لذا فإنّه سيرى الله في كلّ آية، وبزيادة علمه يزيد إيمانه، والعلم يزيد بتفتّح العقل وبتغذيته بكلّ جديد نافع، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك:١٠]، ويقول عليه السلام : ((أقلّ الناس قيمة أقلّهم علمًا، من لم يتعلّم في صغره لم يتقدّم في كبره))[١]، وقد عدّ الإمام عليه السلام نيل العلم والتعليم، من أهمّ الحقوق التي يجب على الفرد السعي لتحقيقها؛ لإنارة عقله، إعلاء شأنه، والرقي بوجوده؛ ولأجل أن يكون له مكان في هذا العالم. ويحثّ أمير المؤمنين عليه السلام على مجالسة العلماء والاستفادة منهم، إذ يقول عليه السلام : ((جالس العلماء يزدد علمك ويحسن أدبك وتزكّ نفسك))[٢]، و قال أيضًا: ((العقل ولادة والعلم إفادة ومجالسة العلماء زيادة))[٣]، ولعلّه عليه السلام من هذه الجهة يؤكّد على تحصيل العلم بدافع الوصول إلى الأدب، وتزكية النفس، وترسيخ الإيمان، فتحصيل العلم يزيل المجهولات؛ لأنّه أمر تطلبه فطرة الإنسان؛ ولأنّ الإنسان قبل أن يصل إلى البلوغ العقلاني، يوجد في أعماقه الدافع الفطري؛ لأجل تبديل مجهولاته إلى معلومات[٤] .

إذن وبإيجاز اهتمّ القرآن، بتربية الفرد من جميع الجوانب: أخلاقيًا ونفسيًا

---

(١) نهج البلاغة الثاني: ٢٩٦.

(٢) ميزان الحكمة: ١/ ٧٢.

(٣) موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام: ١٠/ ١٤٤.

(٤) ينظر: الموعظة الخالدة دروس في شرح وصيّة أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام لابنه الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: ١٩٣.

وعقليًا وفكريًا، ولم يترك مجالًا لم يوثّق فيه الوسيلة الناجعة لتهذيبه وتوجيهه إلى بلوغ أرقى درجات السمو؛ ليكون الأصلح في هذه الدنيا، فينال السعادة ويحرز الغاية التي خلقه سبحانه وتعالى لأجلها.

ثانيًا: بناء الفرد المراهق قرآنيًّا:

لكلّ أمّة دستور خاصّ تعتزّ به وتبني حضارتها وفق منهجه، ودستور الأمّة الإسلامية هو القرآن الكريم، والقرآن يغذي الشباب التغذية الإلهية، ويربّيهم على الخلق الإلهي ليعدهم إعدادًا سليمًا لخلافة الإنسان في الأرض، إذ يجب تربية الأولاد على تعلّم القرآن، والأهمّ هو التطبيق العملي لمضامينه.

وأمّا الجانب الديني والمذهبي، فله دور بالغ الأهميّة في بناء شخصية المراهق، ومنحه الطمأنينة والاستقرار؛ كونه يساهم في مساعدة المراهق بالسيطرة على أهوائه وغرائزه، وتوظيف طاقاته وقابليّاته لما فيه الخير لنفسه ولمجتمعه[1]، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((مَن علّم ابنه القرآن نظرًا غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، ومَن علّمه ظاهرًا بعثه الله يوم القيامة على صورة القمر ليلة البدر، ويقال لابنه: اقرأ، فكلّما قرأ آية رفع بها للأبّ درجة، حتّى ينتهي إلى آخر ما معه من القرآن))[2]. والإمام عليه السلام يريد أن يربّي الأمّة على الاتّجاه إلى القرآن الكريم، واتّخاذه مرجعًا للهداية، يمكن من خلاله معرفة الرشد وكيفية اطاعة أوامر الله عزّ وجلّ.

فالقرآن غذّى الشاب تغذية إلهيّة، وربّاه على الخلق الإلهي، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آَمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾[الكهف:١٣]، وقد أوصى رسولُ الله صلى الله عليه وآله أمّته

(١) ينظر: تربية الشباب بين المعرفة والتوجيه: ٤٣.
(٢) م. ن: ٤٣.

بالشباب؛ فقال: ((أوصيكم بالشباب خيرًا، فإنّهم أرقّ أفئدة))[١]، وقد أولى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله اهتمامًا بالغًا لجيل الشباب، ويعدّ سعد بن مالك الذي لم يتجاوز السابعة عشر، أحد الدعاة النشطين في أولى مراحل الدعوة، كذلك أسامة بن زيد الذي عيّنه النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله قائدًا لجيش المسلمين في حربهم ضد الروم، بعمر ١٨ عامًا[٢].

وفي تربية المراهق، يجب الأخذ بعين الاعتبار الاهتمام بالجوانب الجسميّة والنفسيّة والعاطفيّة، فضلًا عن طبيعة المحيط الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة، وايلاء الاهتمام بشكل خاصّ للجانب الديني والمذهبي؛ لما له من أهميّة في بناء شخصيّته، ومنحه الطمأنينة والاستقرار، من خلال تمكينه من السيطرة على الهوى والغرائز، وتوظيف طاقاته، وقابليّاته للخير، لنفسه ولمجتمعه[٣]. ذلك ان المراهق هو من يتّصف بخفّة في العقل، أي: عدم الاتزان في السلوك، والمراهقة مرحلة عمرية لها بداية ونهاية وقتيّة، تكون انتقاليّة ما بين الصبا والشباب[٤] تصاحبها تغيّرات فسيولوجيّة ونفسيّة، تستلزم الإرشاد بالأسلوب العلمي، والخطاب الحكيم، والتوجيه الذكي[٥]، ولعلّ وصايا لقمان الحكيم الواردة في سورة لقمان، تمثّل منهجًا تربويًّا عظيمًا في تربية الأبناء، إذ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الإنسان بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ

(١) جواهر الحكمة للشباب: ١/ ٢٠.
(٢) ينظر: تربية الشباب بين المعرفة والتوجيه: ٢٣.
(٣) ينظر: م.ن: ٤.
(٤) ينظر: لا يوجد اتفاق على تحديد تلك الفترة من عمر الإنسان ولكن على الأرجح تمتدّ من سن ١٢ إلى ٢١ سنة.
(٥) ينظر: رسالات تربويّة: ٢/ ٤٧-٥١.

سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[لقمان: ١٣- ١٨]، وفي هذه الآيات الكريمة، أسس التربية الإسلامية، والأسس العقائدية، والآداب الاجتماعيّة، فقد بدأت بالأكثر أهميّة، ثمّ الأهمّ فالمهمّ، وهي:

١- **أسس فكريّة وجدانيّة عقائديّة**: وتظهر من خلال النهي عن الشرك، والتفكّر في قدرة الله، والتعوّد على العبادات، واللجوء إليه تعالى، والثقة به تعالى. فالاعتقاد الصحيح، والإيمان النافع، ومراقبة الله، هو من الأولويّات في دعوته سبحانه وتعالى، فمتى ما صحّت عقيدة الفرد، تحرّر من العبودية لغير الله، وشعر بالاستقرار النفسي، ممّا يكسبه قيمًا أخلاقيّة تربويّة عظيمة، تعينه على التحلّي بالفضائل، ثمّ أداء العبادات والصبر على أدائها؛ لمواجهة التواء النفس، وعنادها وإعراض القلوب وانحرافها.

٢- **أسس اجتماعيّة وأخلاقيّة وتربويّة**: أسس تتمثّل في برّ الوالدين، وحبّهما، والشكر لهما، وطاعتهما، واحترامهما في غير معصية، ومعرفة حقّهما، والاحسان إليهما، والقيام بحقوقهما؛ تذكّرًا لجميل برّهما السابق، ودلالة على عظم حقّهما، ممّا يزرع علاقة من المودّة في الأسرة، والتواضع والبعد عن التكبّر، والاعتدال والاتّزان والوقار في المشي والحديث، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فالإسلام يدعو إلى مكارم الأخلاق، ومصاحبة الصالحين، واتّباع خطاهم و نهجهم.

وممّا لا شكّ فيه، أنّ لتطبيق وصايا لقمان الحكيم، آثار تنمويّة إيجابية على الفرد والأسرة والمجتمع، في كلّ زمان، ولو تمسّك الفرد بتلك الآداب، وحسب أولويّاتها؛ لصلحت سريرته وعمله، ولاهتدى إلى طريق الصواب، بلا أدنى شكّ، فينتج عن ذلك صلاح المجتمعات وارتقائها للأفضل؛ لأنّ أفراده تحصّنوا بالأخلاق، والسلوك الفاضل، والتهذيب الروحي، والارتقاء الإيماني، المستلهم من التعاليم السماويّة على وفق ما اقتضته الشريعة الإلهيّة.

الخاتمة وأهمّ النتائج

لا شكّ إنّ القرآن الكريم، قد اشتمل على جميع طرق الهداية للعالمين، ومن شاء اهتدى، ومن شاء كان من الذين في طغيانهم يعمهون، وهو يعتني بهداية الإنسان منذ طفولته، بل من قبل وجوده؛ ولذلك يحثّ الآباء على الدعاء بالولد الصالح، ويأمرهم بالاقتداء بالأنبياء والصالحين في تربية أولادهم.

وممّا سبق ذكره لمفهوم التربية، وأساليبها، وفكر الإمام عليّ عليه السلام وآرائه التربوية، وأثر روح النصوص القرآنية البيّنة، وتحليل لفلسفة تربية الأبناء من منظور قرآني، وبناء شخص المراهق عقائديًا وفكريًا ونفسيًا، وإصلاحه، وإعداده لترجمة ما غرسه الله سبحانه وتعالى في طبيعته، وخدمة للأمّة وللإنسانية، خلص البحث إلى مجموعة من النتائج الموجزة في الآتي:

١. إنّ القرآن الكريم ومنهج أمير المؤمنين عليه السلام كفيلان بتحديد معالم متكاملة وشاملة، لمنهج تربوي، يصلح أن يكون مرجعًا لكلّ زمان ومكان.

٢. تسمو قواعد التربية القرآنيّة بالفرد إلى الكمال، وتقترن بتزكية النفس وتطهيرها من الانحراف العقائدي والفكري والأخلاقي.

٣. بالاتجاه نحو القرآن تتعدّد الأساليب التربوية، ولكنّها تتّفق في معرفة الله وترسيخ الأخلاق السامية.

٤. لا يخفى أنّ الفلسفة القرآنية في التربية تسعى لإصلاح الفرد والمجتمع وتزكيته، وأنّ هدف التربية الإسلامية، هو تزويد الفرد بمعرفة شاملة عن الإيمان بالله تعالى، وترسيخ هذه العقيدة بما ينظّم حياته وسلوكه.

٥. أولى القرآن الكريم الاهتمام بالجوانب الفكريّة والعقائديّة والنفسيّة والتعليميّة للفرد؛ لإنارة عقله؛ ولإعلاء شأنه، والارتقاء بوجوده .

٦. وضعت الآيات الكريمة أسسًا تربويّة، وآداب عقائدية، وآداب اجتماعية؛ الغرض منها إصلاح الفرد، وتهذيبه روحيًّا؛ حتّى يصلح بدوره المجتمع، ويرتقي به نحو الكمال، وكما أراد الخالق سبحانه وتعالى.

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم.

١. الأبعاد التربوية في القرآن الكريم للفرد والمجتمع، كريم عبد حمزة الكلابي، مجلة كليّة الشيخ الطوسي الجامعة.

٢. أثر التربية الإسلامية في قصص القرآن الكريم، مائدة عباس حميدي المسعودي، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد ٢٥، العدد٢، ٢٠١٧.

٣. الأثر القرآني في فكر الإمام الحسين عليه السلام (دراسة تفسيرية)، محمد كاظم الفتلاوي، مجلة المصباح ، العدد ٢٤، ٢٠١٦.

٤. الأساليب التعليمية في فكر الإمام موسى بن جعفر عليه السلام - أسلوب الوعظ أنموذجًا، حيدر جابر الموسوي، مجلة الكليّة الإسلامية الجامعة، العدد٦٢ ، ٢٠٢١.

٥. أسس التربية، علي القائمي، دار النبلاء، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٥.

٦. أسس علم النفس التربوي، محي الدين توق، يوسف قطامين عبدالرحمن عدس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، ٢٠٠٣.

٧. أصول تزكية النفس وتوعيتها، محمد باقر السيستاني، دار المؤرخ العربي، لبنان، ٢٠١٨.

٨. تجربتي التربوية في الحياة في الفضيلة، محمد باقر السيستاني، محاضرات على طلبة الجامعات، النجف الاشرف، ١٤٤٠هـ.

٩. تربية الشباب بين المعرفة والتوجيه، علي القائمي، دار النبلاء، ط١، ١٩٩٦.

١٠. تربية الطفل دينيًّا وأخلاقيًا، علي قائمي، البيان للترجمة، مكتبة فخراوي، ط١، ١٩٩٥.

١١. التربية عند أئمّة أهل البيت عليهم السلام دراسة فلسفية، مها نادر عبد المحسن الغرابي، العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية شعبة الدراسات والبحوث الاسلامية، ط١، ٢٠١٧.

١٢. التربية مفهومها وخطواتها العملية، حسين عبد الرضا الأسدي، معهد تراث الأنبياء للدراسات الحوزوية الالكترونية، ط١٤٤٠،١هـ.

١٣. تنمية الشخصية ورؤية ٢٠٣٠ الفلسفة النظريات التطبيق، أحمد محمد الزيداني، ط١، ٢٠٢٢.

١٤. جواهر الحكمة للشباب، محمد الريشهري، متوفر على الموقع الالكتروني ir.eshia.lib.ar//:https/ ٢٠/١/٢٧٣٥٨

١٥. الحكمة عند الإمام عليّ عليه السلام في نهجه، الشيخ جوادي آملي، دار الهادي، بيروت، ١٩٩٢.

١٦. دراسات في نظريات علم نفس النمو والتعلم، فرحان الياصجين، دار الجنان للنشر والتوزيع، ٢٠٢٤.

١٧. دور التربية الأخلاقية الإسلامية ، مقداد يالجن، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٨٣.

١٨. رسالات تربوية، حسين عبد الرضا الأسدي، معهد تراث الأنبياء للدراسات الحوزوية الالكترونية، ط١، ١٤٤٠.

١٩. شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار للعلامة المجلسي: المجلد الثالث الرسائل والحكم، تنظيم علي أنصاريان، ط١، ١٤٠٨هـ .

٢٠. علم النفس التربوي نظريات وأساليب وتطبيقات، نبيل عبد الهادي، دار اليازوري للنشر والتوزيع، ٢٠٢٤.

٢١. علم نفس الشخصية، أحمد محمد عبد الخالق، المنهل، ٢٠١٦.

٢٢. القرآن وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، در الشروق، القاهرة، ط٦، ١٩٩٧.

٢٣. المرجعيات القرآنية في فكر الإمام السجاد عليه السلام ، محمد كاظم الفتلاوي، المؤتمر العلمي ٢٦ كلية التربية، الجامعة المستنصرية،٢٠٢٣.

٢٤. مع الشباب في همومهم وتطلّعاتهم، حسين أحمد خشن، المركز الإسلامي الثقافي، ط١، ٢٠١٦.

٢٥. مقدمة في فلسفة التربية، محمد لبيب النجيحي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ١٩٦٣.

٢٦. المنهج التربوي لأهل البيت الإمام الباقر عليه السلام أنموذجًا، سوسن كاظم الحسيني، مجلة الكليّة الإسلامية الجامعة، العدد ٥٢، الجزء٣.

٢٧. المنهج القرآني في تنمية الإنسان التربية العبادية أنموذجًا، كاظم حسن جاسم الفتلاوي، مجلة العميد، السنة ٩، المجلد٩، العدد ٢٠٢٠،٣٥ .

٢٨. المنهج النبوي التربوي وأثره في إرساء قواعد جودة التربية والتعليم، عبد الكريم محمد الحاج، جامعة تكريت، ٢٠٢١، المجلد٢٣ العدد٣ الجزء ٣.

٢٩. الموعظة الخالدة دروس في شرح وصيّة أمير المؤمنين الإمام عليّ لابنه الإمام الحسن المجتبى عليهما السلام، محمد تقي مصباح اليزدي، المعارف الحكمية، لبنان، ٢٠١٩.

٣٠. ميزان الحكمة، محمد الريشهري، دار الحديث للنشر، لبنان، ٢٠٠١.

٣١. نهج البلاغة، تح: الشيخ قيس بهجت العطار، مؤسسة الرافد للمطبوعات، ط١، ٢٠١٠.

٣٢. نهج البلاغة الثاني، جعفر الحائري، مؤسسة دار الهجرة، ط١، ١٤١٠هـ.

أثرُ تجسيدِ المبادئ العلويّة في التشريعاتِ المعاصرةِ
دراسة قانونيّة وواقعيّة

م.م. عزيزة خميس التميمي
د. آمال علي الموسوي

الملخّص:

عندما تتيح لنا الفرصة ونكتب عن رائد الإصلاح والفكر القانوني، وما أسّس من مبادئ إنسانية وقانونية يمكن تجسيدها في المنظومة القانونية، هو صفحة رائعة من الإشراق الإنساني، فقد كوّنت هذه المبادئ ثروة علمية لا تحدّ بحدود، إذ أتّسم فكره ومنهجه بالاستقامة والواقعية التي كوّنت لنا رصيدًا من الثراء العلمي؛ لإحياء الفكر الإسلامي من جديد، إذ لم نجده في غيره؛ لأنّه هالة من القداسة والعظمة والحكمة، ومستوعبٌ لكلّ المعاني الإنسانية النبيلة التي ترقى بالفرد والمجتمع، فكان مثالا للإنسان الكامل بمختلف العصور بمنهجه الشامل.

فالمبادئ العلوية تُعَد نظرية متكاملة في العصر الحديث دقّة وعدالة، فهي وثيقة علمية يمكن للفقهاء ورجال القانون الأخذ بها وتطبيقها في الحياة العملية، وعندما نتحدّث عن المبادئ العلويّة وفعاليّتها في المنظومة القانونية، إنّما نتحدّث عن منظومة قانونية أنشأها حكم عليّ عليه السلام الذي هو امتداد لسلالة النبوّة وإنّ هذه المنظومة مصداق لكلّ النظريات القانونية الحديثة التي تحكم حياة البشر، كما كان

دور القرآن الكريم والنبيّ محمّد صلى الله عليه وآله في بناء شخصيّة الإمام عليّ عليه السلام بيّنًا، وذلك عن طريق توظيف الإمام عليه السلام للنصوص القرآنية في عهد النبيّ صلى الله عليه وآله والخلفاء من بعده، وتطبيقه لآيات القرآن الكريم إبّان خلافته، ودوره عليه السلام في إرساء دعائم دولته وبنائها وتشييدها.

ومع حداثة العصر المتسارع، وصعوبة تحقيق متطلبات الحياة المعيشية، لا بدّ من إصلاح نصوص القانون بتعديلها على وفق كماليّة القرآن؛ ولشموله لجميع نواحي الحياة ومعالجة أهمّ المشكلات في ضوء منهج أمير المؤمنين عليه السلام فهو رائد الإصلاح والمعرفة القانونية والحكم الرشيد؛ ولتجسيد المبادئ العلويّة في القانون المعاصر يجب أن نتّجه نحو إيجاد الحلول المناسبة لمشاكل الأفراد في المجتمع بما يتّفق مع ثوابت الإسلام.

الكلمات المفاحية: المبادئ العلوية، التشريعات المعاصرة، الدراسة القانونية والواقعية.

Abstract:

We are possessed by desire and at the same time awe and greatness، when we write about the lofty principles of Imam Ali (peace be upon him) and their embodiment in the legal system. That man is the pioneer of reform and legal thought and the original reference to include human needs in different eras. He is a wonderful page of human enlightenment، adding honor to the history of humanity، and a scientific wealth that has no limits. His thought، principles and approach were characterized by integrity and realism، which created for us a balance of scientific wealth، which we did not find in others، because he is an aura of holiness، greatness and wisdom، and he absorbed all the noble human meanings that elevate the individual and society. He was an example of the perfect human being in different eras.

The Alawite principles are an integrated theory in the modern era، accurate and just. It is a scientific document that jurists and legal scholars can take and apply in practical life، and adhere to the Quranic rulings according to the approach of the Commander of the Faithful (peace be upon him)، as it is the approach of the great Quran and the principles، foundations، costs، rights and duties that God has established for human dignity and the establishment of justice. It constitutes a framework that contemporary laws should follow، to address realistic situations that appear in society as a result of the modernity of the era. When we talk about the Alawite principles and their effectiveness in the legal system، we are talking about a legal system established by the rule of Ali (peace be upon him)، which is an extension of the lineage of prophecy and is a proof of all modern legal theories that govern human life. With the modernity of the accelerating era and the difficulty of achieving the requirements

of living life، it is necessary to reform the texts of the law by amending them in accordance with the perfection of the Qur'an and its comprehensiveness of all aspects of life and addressing the most important problems in light of the path and approach of the Commander of the Faithful (peace be upon him)، as he is the pioneer of reform، legal knowledge and good governance. The embodiment of the Alawite principles in contemporary law must be directed towards finding appropriate solutions to the problems of individuals in society in accordance with the constants of Islam.

Keywords: Imam Ali's Principles, Contemporary Legislations, Legal Study, Empirical Analysis.

المقدّمة

أوّلًا: أهميّة الموضوع:

يكتسب البحث أهميّته من خلال محاولة تحقيق المبادئ العلوية وفعاليّتها في المنظومة القانونية في الدولة العراقية، لا سيّما في الوقت الحاضر، ومع حداثة العصر المتسارع، وصعوبة تحقيق متطلبات الحياة المعيشية، لا بدّ من إصلاح نصوص القانون عبر محاولات تعديلها بما يتّفق مع الشريعة الإسلامية والمبادئ القانونية التي جاء بها الإمام عليّ عليه السلام رائد الإصلاح والمعرفة القانونية، فالسياسة التشريعية في القانون المعاصر يجب أنّ تتّجه نحو إيجاد الحلول المناسبة لمشاكل الأفراد في المجتمع، من أجل تحقيق العدالة والإنصاف، وتقديم الرعاية الاجتماعية، والمساواة، والقضاء على ظاهرة الفقر المستشرية؛ ولتغيير واقعهم نحو الأفضل، وما كان متحققًا من مبادئ وأسس في عهد الإمام عليّ عليه السلام ، ويمكن تحقيقه في الوقت الحاضر؛ لخلق مجتمعٍ خالٍ من حالات الضعف الماديّة والمعرفيّة.

والتأكيد والسعي على إمكانية تطوير المنظومة القانونية وفقًا للمبادئ العلوية ومسايرة المستجدات المستحدثة، والظروف المختلفة، إذ إنّ نصوص القانون ما زالت لمْ تعالج العديد من المسائل التي يُثار فيها الجدل والنقاش، فالسلطة التشريعية هي الأساس في النظام السياسي للدولة؛ كونها تمتلك الصلاحيّات التشريعية، والتنفيذية، والرقابية، وعليها أن تسنّ نصوصًا قانونية توافق ثوابت الإسلام والمبادئ العلوية؛ لضمان إقامة مجتمع إسلامي لا يسود فيه الظلم، بل يسود فيه الأمان والاستقرار النفسي والمجتمعي .

ثانيًا: إشكاليّة البحث:

إنّ مبادئ الإمام عليّ عليه السلام لمْ تحظَ باهتمام المختصّين بالقانون بالدراسة والتحليل وبالعمق التي تضمّنته هذه المبادئ، وإنّما انصبّ التركيز على سرد الوقائع التي قضى بها الإمام عليه السلام على سبيل الحكمة والموعظة.

كما إنّ على الأنظمة القانونية الانقياد لمبادئ الإسلام والأسس العامّة لتراث الإمام عليه السلام ، وترسيخها في النصوص القانونية، إذ إنّ أكثر القوانين بحاجة إلى مراجعة وفحص وتدقيق، إذ إنّ الأمر يحتاج إلى إعادة تعديل بعض النصوص القانونية بالاعتمادِ على المبادئ العلوية للخروج برؤية متوازنة بين رسائل الأنبياء والحياة العصرية.

وإزاء هذا الواقع، نرى غياب شامل للمبادئ العلوية في التشريعات، فالمجتمع أمام تحديات الحياة العصرية وما يجري فيها من حرب فكرية تعود إلى غزو روح الفكر الغربي الأناني ممّا أدّى إلى التفكّك الأسري وانهيار المنظومة القيمية في المجتمع، مع ضرورة بيان أهمية تلك المبادئ ودورها في إيجاد الحلول الناجعة لحلّ الإشكاليات على صعيد الفرد والمجتمع والدولة من خلال تطبيق هذه المبادئ، واتّخاذها نصوصًا ملزمة في القوانين المعاصرة.

ثالثًا: أهداف البحث:

١. التعرف على مبادئ الإمام عليّ عليه السلام الشاملة، وتطبيقها في الحياة العملية والقانونية، عبر التعمّق الجاد في دراسة سياسة الإمام عليه السلام التي استندت على مجموعة متكاملة من المبادئ .

٢. تحديد بعض النصوص القانونية المخالفة للشريعة الإسلامية ولمبادى الإمام عليّ عليه السلام وتأثيرها على بناء المنظومة القيمية لبناء الأسرة والمجتمع.

٣. دعوة الحكومة ومَن بيدهم زمام الأمور عند سنّ القوانين واللوائح اتّخاذ المبادئ العلوية التي جاء بها الإمام عليه السلام، وتطبيقها في التشريعات الوطنية للدولة المعاصرة.

٤. نشر الوعي بين أفراد المجتمع من خلال عقد الندوات والورشات والمؤتمرات بكلّ ما يتعلّق بمبادئ الإمام عليّ عليه السلام، وبيان أثرها على الفرد والمجتمع؛ لأنّ سلطة الحكم تعاني من غياب هذه المبادئ؛ وذلك بسبب الاستبداد الذي طغى على سياسات أنظمة الحكم.

رابعًا: منهجيّة البحث:

يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي والتحليلي في توصيف الوضع القائم من خلال سنّ تشريعات تتجسّد فيها مبادئ الرسل والأنبياء (عليهم والسلام)، وتكون قابلة للتطبيق الفعلي على الجميع (حكّام ومحكومين).

خامسًا: خطّة البحث:

من أجل تحقيق أهداف البحث سيتمّ تقسيمه على مبحثين؛ الأوّل بعنوان: الإطار المفاهيمي للمبادئ العلويّة، والذي تطرّقنا فيه من خلال مطلبين؛ الأوّل منهما في مضمون المبادئ العامّة (المبادئ المدنية)، فيما سنبحث في المطلب الثاني مضمون المبادئ العلوية الخاصّة (نظام الحكم)، أمّا المبحث الثاني فسيُركّز في آثار تطبيق المبادئ العلوية في القوانين المعاصرة، وقد قُسّم على مطلبين أيضًا؛ الأوّل في إصلاح المنظومة القانونية على وفق المبادئ العلوية، فيما جاء المطلب الثاني في وسائل تحقيق المبادئ العلوية ضمان للهوية الإسلامية، إضافة إلى الخاتمة التي تضمّنت النتائج والتوصيات التي توصّلنا إليها أثناء البحث.

المبحث الأوّل: الإطار المفاهيمي للمبادئ العلوية

أبّان إعلان الرسالة النبوية استند الإسلام على ركائز بالغة الأهميّة والقوّة، هي مجموعة المبادئ الشاملة ذات القيم العظمى للحفاظ على كرامة الإنسان من الانتهاك والفقر والاستبداد والانحراف، والالتزام بقيم العفو عند المقدرة والحقّ واللين مع من يخطئ، والعدالة الكاملة، والانصاف الذي يحقّق حقوق الناس من غير تفضيل بينهم، والتعايش السلمي، وأكّد على الرعاية الاجتماعية والتكافل والتعاون، وإنّ هذه المبادئ جسّدها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ومضى في تجسيدها الإمام عليّ عليه السلام ، ثمّ الأئمّة عليهم السلام من أهل البيت الذين ساروا على هذه المبادئ ذات المفاهيم العليا.

ولا عجب أنّ الإمام عليّ عليه السلام نموذج إنساني فريد، عمل جاهدًا على أن لا يحيد ويخرج عن هذه المبادئ الصحيحة لبناء مجتمع مسلم ناجح، وقد جاء فكره ومنهاجه مستوعبًا لكلّ صلاح وبناء للبلاد والأفراد ووفّر أسباب الاستمرارية والبقاء، فقد كانت المبادئ تمثّل فكرًا جديدًا ومتقدّمًا للمفاهيم السائدة في ذلك الوقت، وقد عبّر عن هذه المبادئ بدستور أو خارطة طريق للصحابي الجليل مالك الأشتر وإلى يومنا هذا، فقد تضمّن عهد الإمام عليّ عليه السلام هذا مبادئ قانونية نظّمت مختلف فروع الحياة ومجالاتها[1].

وكان منها مبدأ المواطنة والمساواة والتسامح والتعايش، وترجيح الحقوق الاجتماعية على الحقوق الفردية، والمساواة أمام القضاء، والعدالة الذي تنبثق منه القيم الأخرى التي تبني الأمّة بناءً مثاليًّا .

ولأجل معرفة أبرز المبادئ التي تناولتها إصلاحات الإمام عليّ عليه السلام للقضاء على مظاهر الانحراف ونشر العدالة والمساواة وغيرها من المبادئ آثرنا تقسيم

(١) ينظر: أسرار القيادة عند أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ١٣٥ .

المبحث على مطلبين، نتطرق في المطلب الأوّل إلى مضمون المبادئ العلوية العامّة (المبادئ المدنية)، فيما سنتطرق في المطلب الثاني إلى مضمون المبادئ العلوية الخاصّة (مبادئ الحكم).

المطلب الأول: مضمون المبادئ العلوية العامة (المبادئ المدنية)

لا شكّ أنّ الشريعة الإسلامية وضعت مبادئ عدّة يكمل أحدها الآخر؛ لأنّ هذه المبادئ هي التي تعبّر عن كرامة الإنسان التي ينشدها، وإنّ هذه المبادئ هي القواعد الأساسية التي يسير عليها الناس، وأنّها تمتاز بقواعد منطقية رصينة، وقد جاءت بخصائص قد لا يظفر بها أيّ مفكّر غربي؛ لأنّها تحمل كل المعاني الإنسانية الشاملة لصلاح الأمّة، لأنّه يرى الحياة برؤية كاملة لكلّ أبعادها وأجزائها وأركانها[١].

ولمْ تكن هذه المبادئ التي يتحدّث عنها الإمام عليّ عليه السلام أمنيات وأفكار طرحها في دنيا المبادئ والأفكار، وإنّما جسّدها واقعًا حيًّا قبل أن يطرحها فكرًا، فالقول عند أمير المؤمنين يعقبه العمل[٢].

وأبرز المبادئ التي ثبّتها في المجتمع الإسلامي جاء مضمونها ودلالاتها في القرآن الكريم، إذ كان فكر الإمام عليه السلام لا يقاس بنجاح تحقيق المبادئ برضى العامّة، وإنّما يقاس بمدى مطابقته لما جاء في أحكام القرآن الكريم، فكانت المبادئ في فكره مبنيّة في الأساس على الدين الإسلامي ومهمّة القائد أو الإمام تطبيق الشرع على جميع الناس وفي مختلف شؤون الحياة؛ لأنّه في مبادئه يحقّق الهداية والصلاح، فالطاعة والانقياد للإمام تؤدّي إلى الجنّة، وهي غاية الإسلام.

---

(١) ينظر: المبادئ والقيم في شخصية الإمام عليّ عليه السلام، مقال متاح على موقع الانترنيت على الرابط: https:// kayhan.ir/hbk/١٠٠.

(٢) ينظر: منهج الإمام عليّ بن أبي طالب في تطبيق العدالة، بحث متاح على الموقع الألكتروني.

المبدأ الأوّل: العدالة الاجتماعية بين الناس:

تعدّ العدالة من أهمّ الأسس التي نشرها الإسلام منذ أوّل لحظة والتي أمر الله تعالى بها، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء:٥٨]، فأمر الله سبحانه وتعالى بإقامة العدل بين الناس.

فقد كانت من أولى مهام الإمام عليّ عليه السلام أن يجسّد العدالة الاجتماعية في مسيرة حياة الناس، ويمنح المنهج الإسلامي فرصة في البناء والتغيير في كلّ المجالات، عن طريق خططه الإصلاحية؛ ليوفّر الجوّ المناسب لتطبيق مناهج تحقّق العدالة، فقد بادر إلى تبنّي سياسة المساواة في توزيع المال والحقوق؛ ليقضي بذلك على الطبقيّة والتمييز، كما تبنّى عليه السلام سياسة العدل الشامل في معاملة أفراد الأمّة وفي منهج الحقوق وتوزيع المسؤوليّات، فقد كان منهجه لا يناظره إلّا منهج رسول الله صلى الله عليه وآله وكان حديثه ((الذليل عندي عزيز حتّى آخذ الحقّ له))[1]، وكان حريصًا على تجسيد روح العدالة التي صدع بها الرسول العظيم صلى الله عليه وآله لإخراج الإنسان من ظلام الظلم والقهر، وكان حريصًا على إلزام ولاته وقضاته وقادة جيوشه، وجباة الأموال بالتزام العدل في معاملة الناس، وتحرّي الحقّ في الحكم والقضاء وإعطاء الحقوق، فالعدالة الاجتماعية في منهج عليّ عليه السلام لا تقتصر فقط على الجانب الاقتصادي فحسب بل تتعدّاه إلى جوانب الحياة الأخرى وقطاعاتها.

المبدأ الثاني: التعايش السلمي:

كذلك من مبادئه وإنجازاته عليه السلام تحقيق التعايش السلمي، والمقصود بالتعايش هو القبول بوجود الآخر والعيش معه جنبًا إلى جنب، دون السعي إلى إلغائه أو

(١) وسائل الشيعة: ١٢٣ .

الاضرار به، سواء كان هذا الآخر فردًا أو طائفة معيّنة أو دولة مجاورة أو غير ذلك، فهو يمثّل مبدءًا أساسيًّا من مبادئ الإسلام الحنيف، الذي يعّد الإنسان جوهر عملية التعايش والسلم، ويرسي الأمن والاستقرار في المجتمعات دائمًا، ممّا يخلق بيئة ملائمة للعمل المثمر والاستقرار والإبداع الذي يسهم في بناء المجتمع وازدهاره، وهذا ما دعا إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣]، إنّ وجه الدلالة في هذه الآية القرآنية هو التأسيس للتعارف، وهو يستلزم التعايش بين الناس بعيدًا عن فوارق الجنس واللون والعرق، وأوّل مَن جسّد هذا المبدأ هو الرسول الأعظمﷺ، إذ أزال الفوارق الاجتماعية والطبقيّة، وأوجد مكانها مفاهيم العدالة والأخوّة والمحبّة والتواضع بين أفراد البشر، وحسن المعاملة[١].

فعمل جاهدًا على خلق حالة من الأمن الإجتماعي وإيجاد التعايش السلمي قبل كلّ شيء إيمانًا منهعليه السلام بأنّ الإنسان يتأثّر بالكثير من العوامل المحيطة به ومنها مجتمعه الذي ينتمي إليه، والناس الذين يعيش معهم[٢].

ويتركّز هذا المبدأ على قواعد أساسيّة لخلق التعايش السلمي بين أفراد المجتمع نأمل أن يطبّقها الجميع، فقد أُسّس على وفق قاعدة التعاون والمحبّة والأخوّة الدائمة [٣]، إيمانًا منهعليه السلام بأنّ ذلك يعدّ من أبرز الأسس التي يرتكز عليها المجتمع لخلق روح التعاطف والتوادد والرحمة، ويرىعليه السلام تحقّق ذلك من خلال

(١) ينظر: من هدى السنة النبوية في التعايش مع الآخر: ٤٢٦ .

(٢) ينظر: أصول التعايش السلمي دراسة استنباطية في عهد الإمام عليّعليه السلام لمالك الأشتر: ١٩ .

(٣) ينظر: قال الإمام عليّعليه السلام : ((عليك بإخوان الصدق، فأكثر اكتسابهم، فإنهّم عدّة عند الرخاء، وجنّة عند البلاء)). بحار الأنوار: ١٠/ ٥١ .

الاهتمام ببناء الإنسان على وفق القيم السماويّة التي أكّدها الله سبحانه وتعالى، ونجد مصداق ذلك ما جاء به عليه السلام من أسس في القرآن الكريم حسب قوله تعالى في كتابه المجيد: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة:٢].

المبدأ الثالث: المساواة:

أكّد الإسلام على إلغاء الفروق بين بني البشر بسبب اللون أو الدين أو اللغة أو المال أو العلم، فالأصل العام إنّ كلّ البشر أمام الله عزّ وجلّ سواء، لا فضل لأحد على أحد إلّا بالتقوى والعمل الصالح، إذ جاء مصداق ذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]، فالمساواة في الإنسانية حقيقة إسلامية أسقطت كلّ نظريات الأعراق والألوان والأجناس واللغات، ويتبيّن مصداق ذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]، وجعل الإسلام المفاضلة بين الناس بالتقوى والعمل الصالح والمنفعة للناس، وهو تفاضل معنوي لا يترتب عليه امتيازات لصاحب الفضل، كما لا يترتّب عليه عقوبات لمن هو أقلّ فضلًا، ويتجسّد هذا المبدأ من الأصل العام في البشر في حكمة الله سبحانه وتعالى الذي خلق جميع البشر متساوين في أصل الخلقة، أي: في الإنسانيّة، فلا فرق بين أبيض وأسود، ولا طويل أو قصير، ولا عربيّ أو أعجمي .

فالغاية الأساسية التي ابتغاها الإسلام هي المساواة وتحقيق العدل والانصاف وعدم تعريض أيّ فئة للظلم أو التعامل بعنصرية، فالمساواة في الإنسانية التي أقرّها

الإسلام وكانت من أولى المبادئ عند الإمام عليّ عليه السلام أسقطت كلّ نظريات الأجناس والأعراق واللّغات والألوان، وذلك من خلال سنّ قوانين، ليتجلّى فيها دور المبادئ العلويّة.

لذلك نصّ القانون الدولي لحقوق الإنسان، على أنّ كلّ الناس سواسية أمام القانون ولهم الحقّ في التمتّع بحماية متكافئة دون أيّة تفرقة، وقد نصّت المادة (٧) فيما يتعلّق بالحقّ في المساواة من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على أنّ ((الناس جميعًا سواء أمام القانون، وهم يتساوون في حقّ التمتّع بحماية القانون دونما تمييز، كما يتساوون في حقّ التمتّع بالحماية من أيّ تمييز ينتهك هذا الإعلان، ومن أيّ تحريض على مثل هذا التمييز))[١].

المطلب الثاني: مضمون المبادئ العلويّة الخاصّة (مبادئ نظام الحكم)

لم تكن شخصيّة الإمام عليّ عليه السلام الشخصيّة العابرة في خضمّ التاريخ، بل كانت شخصية لها أبعاد سياسية تركت تأثيرًا واضحًا في مختلف اتّجاهات الحياة الدينية والسياسية والاقتصادية والإدارية والاجتماعية والتربوية والتفسية وغيرها، فهي إرث علميّ كبير بما قدّمه من مبادئ للارتقاء بسلطة الحكم في الدولة والمجتمع، وعندما تكون السيادة في الدولة للقرآن الكريم تصبح الدولة دولة قانون لا تتحكم بها الاهواءالشخصية، فطالما كانت الدولة تعمل بنصوص القرآن وأحكامه كانت تسير بخطى سليمة نحو الهدف المرجوّ.

فقد كان نظام الحكم في عهد الإمام عليّ عليه السلام هو انعكاس عن الشريعة وأحكام

---

(١) وقد نصت المادة الأولى من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لسنة ١٩٤٨ على ما يأتي: ((يولد جميع الناس أحرارًا متساوين في الكرامة والحقوق، وقد وهبوا عقلًا وضميرًا، وعليهم أن يعامل بعضهم بعضًا بروح الإخاء)).

القرآن، إذ كان لا يتّخذ قرارًا أو حكمًا إلّا ويقدّم أمر الدين على كلّ حساب، فالقرآن الكريم هو دستور الدولة ومنهاج الأمّة، وفيه كلّ ما تحتاجه الأمّة من أجل بناء نفسها وتشيّد به بلادها وترسم طريق مستقبلها وعلى هذا الأساس وضع الإمام عليه السلام أسس نظام الحكم ومبادئه، التي تقوم على ثلاثة مبادئ، وغياب أيّ مبدأ منها يعني أنّ سياسة الدولة سوف لا تكون للحقّ، فبالشورى يستطيع الحاكم أن يتبادل الآراء فيجانب كثيرًا، وبالمساواة يعطي كلّ صاحب حقّ حقّه دون تمييز من لون أو لغة أو عشيرة أو طائفة معينة، كما إنّه بالعدل يحقّق التوازن دون تفرقة أحدهم عن الآخر، وهذه المبادئ:

المبدأ الأوّل: الشورى:

جاء مبدأ الشورى والتشاور في الإسلام في نصٍّ من النصوص الظاهرة في الإلزام في القرآن الكريم، دون باقي المبادئ السياسية؛ للدلالة على أهميّة التشاور ودور الحياة الديمقراطيّة[١].

فقد جاء في القرآن الكريم ما يدلّ على هذا المبدأ في الآيات القرآنية الكريمة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى:٣٨]، وقد أشار إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في أكثر من مناسبة في أوامره ووصاياه ومواعظه إلى ولاته، ففي جانب الوعظ والإرشاد والنصح قال عليه السلام : ((من استبدّ برأيه هلك))[٢]، وكذلك ما جاء في الحديث المنسوب إليه عليه السلام ((من شاور الرجال شاركهم في عقولهم))[٣]، وهذا المبدأ مستمدّ من التجارب الواقعية، وممّا يلاحظ أنّ المحيط المجتمعي الذي

(١) ينظر: فقه الدولة بحث مقارن في الدولة ونظام الحكم على ضوء الكتاب والسنة والأنظمة الوضعية: ٦٤ .
(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨/ ٣٨٢ .
(٣) م. ن:١٨/ ٣٨٤ .

جاءهم مبدأ الشورى عبر تنزيل قرآني،هم القوم الذين أخفقوا في الاستفادة من هذا المبدأ أو المسار الذي ينصح بإستخدام الاستشارة والمداولة في إقامة الحكم.

وسبب تأصيل هذا المبدأ هو نتيجة الظروف والأوضاع السياسية والاجتماعية التي يعاني منها الجميع، إذ سادت في تلك الفترة الأنظمة القمعية الحاكمة، والتطرّف وأنواع التعسّف والظلم والاستبداد، فكان لا بدّ من ترسيخ مبدأ الشورى؛ ليهتدي به المسلمون كافّة حكّام ومحكومين في تقويم أداء الحاكم، ويكون بمثابة المشعل الذي يضيء للبشريّة طريق الخلاص من الديكتاتورية والاستبداد(١).

وكذلك فإنّ لمبدأ الشورى مزايا عدّة، منها؛ تحصن الحاكم من الانزلاق في الخطأ؛ كونها تشرك الخبرات والعقول والأفكار المختلفة في إدارة الأمور المتعلّقة ببناء المجتمع، وتحمّل المسؤولية بشكل جماعي، وعدم التفرّد في اتّخاذ القرار.

وعلى وفق ما تقدّم نتأمّل من الدولة والسلطة الحاكمة أن تكون جادّة في التطبيق الفعلي لهذا المبدأ في الواقع السياسي، كما يمثّل البحث في مبدأ الشورى بحدّ ذاته درس عميق لقادة اليوم، والسياسيين العاملين في إدارة شؤون الدولة والمجتمع، إذ كان الرسول الأعظمﷺ يطبّق هذا المبدأ ولم يتخلّى عنه، لا سيما حين يتعلّق بمصير الجماعة وشؤون الأمّة.

المبدأ الثاني: العدل:

يعدّ العدل من المبادئ الإسلامية والقيم الإنسانية العليا في المنظومة السياسية والإداريّة، إذ قال تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورى:١٥].

والعدل بنظر الإمام عليّ عليه السلام هو التمسّك بميزان دقيق يستند على ثلاثة أعمدة؛

(١) ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ١٩٨ .

أن يكون هذا القرار أقرب ما يكون إلى الحقّ، وأقدر على تحقيق العدل، وأكثر انسجامًا مع إرادة وأهداف الرعيّة، فالأصل هو تحقيق الحقّ والعدل وعدم ظلم الناس، فهذه هي القاعدة الذهبية التي ينطلق منها كلّ حاكم في رسم سياساته في مختلف شؤونه التنفيذية، وبالتالي فهو ينشر العدل والانصاف والمساواة بين الناس في البلاد.

فأوّل ما يقوم به الحاكم هو أن يعدل بين نفسه وبين الناس، وبين نفسه وبين الله، وفي المرحلة التالية يعدل بين الناس عامّة، فيجب على الحاكم أو القائد أن لا يتأثّر بالقرابات والصداقات والفوارق العشائرية والمناطقية، وهذا ما نراه اليوم في سياسة الحكم ممّا أدّى إلى انتشار الظلم وعدم المساواة بين أبناء الأمّة؛ لذلك يقول الإمام عليه السلام : ((فإنّك إلّا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ومن خاصمه الله أدحض حجّته، وكان لله حربًا حتّى ينزع أو يتوب))[١]، ولا طريق للحاكم غير العدل الذي يبدأ بنفسه وبأهله وإلّا فإنّ الأفضل له أن يتخلّى عن منصبه، إذ قال أمير المؤمنين عليه السلام : ((فإمّا العدل وإمّا الجلوس في البيت))[٢]، وعليه نطمح ونتأمّل من كلّ قائد أو حاكم أو من لديه السلطة أو منصب في الدولة أن يعتبر بهذه الدروس ويطبّق ما جاء من مبادئ للإمام عليّ عليه السلام لتربية نفسه والأمّة، ويقتدي بمعلم العدل ورمز العدالة، فالمتعمّق في كلماته سيصل إلى جادّة الصواب[٣]، وقد سُئِل عليه السلام : ((أيّهما أفضل: العدل أو الجود؟ فقال عليه السلام : العدل يضع الأمور مواضعها، والجود يخرجها من جهتها، والعدل سائس عام، والجود عارض خاص ، فالعدل أشرفهما وأفضلهما))[٤].

---

(١) أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ١٣٣.

(٢) التقوى في القرآن: ١٦١.

(٣) ينظر: نظام الحكم في عهد الإمام عليّ عليه السلام لمالك الأشتر (رضوان الله عليه)، دراسة تحليلية: ٨٤.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد:١٨/ ٣٨٦ .

فإذا حاولنا أن نتّبع مبادئ الإمام عليّ عليه السلام وتطبيقها؛ لنبني مجتمعًا صالحًا وفق النظرية الإسلامية ومنهجه عليه السلام علينا أن نشعر الجميع بحقوق المواطنة الصالحة، ومن أهمّ هذه الحقوق العدل.

المبدأ الثالث: مبدأ التكامل:

يشترط على الحاكم أن يؤسّس لعملية البناء المعرفي للمجتمع العام، كذلك يؤسّس إلى ضرورة مساندة الأفكار التي من شأنها أن تزيد تماسك المجتمع، وتحدّ من عملية التفكّك والتشظّي والتناحر بين بعضه البعض، فحدّد صفات أخلاقية طبيعية لتولّي هذه الوظيفة، وهي بالتالي تنعكس على أخلاقيّات الرعية، فكان من أهمّ إرشادات الإمام عليّ عليه السلام إلى مالك الأشتر حينما ولّاه مصر قضيّة معايشة حياة الناس والنظر بأمورهم صغيرها وكبيرها[١]، وحدّد بعض الشروط التي يجب أن تتوفّر في الحاكم، ومنها الشجاعة والحكمة والرحمة والصبر والمعرفة، وغير ذلك من الصفات، وعليه فإنّ أهمّ مبدأ من مبادئ الحكم الرشيد في عهد الإمام عليه السلام إلى مالك الأشتر هو مبدأ التكامل، فعملية التنمية والبناء والتغيير والإصلاح عبر الحكم الرشيد، عملية مشتركة تبدأ وكأنّها ثقافة فرديّة إلّا أنّها ثقافة يجب أن يتحلّى بها الجميع (حاكم ومحكوم)، فيتحقّق الرشد من خلال توجّه سلوك المواطن أينما كان موقعه، وكيفما كانت فئته ومستواه، بحيث يكون المجتمع متهيّئًا لاستيعاب الرشد على كافّة المستويات[٢].

لقد كان الإمام عليه السلام يدعو لنزاهة الحاكم ومَن بيده الأمر، فقال عليه السلام مخاطبًا أهل الكوفة: ((إن خرجت من عندكم بغير رحلي وراحلتي وغلامي فأنا خائن))[٣]، وفي صدد

(١) ينظر: النظم الإدارية والمالية في عهد الإمام عليّ عليه السلام: ٢٥٤ .
(٢) ينظر: السياسة المالية في خلافة عليّ عليه السلام: ٦٥ .
(٣) شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد المعتزلي): ٢/ ٢٠٠.

قول الإمام عليه السلام هذا نتأمّل وندعو من بيده زمام الأمور ليعتبر ويقف وقفة طويلة تأمّلية أمام هذا القول ويستفيد منه في التطبيق؛ لإنّ ما قاله الإمام عليه السلام هو نهج القرآن والأوامر الإلهية، فتطبيق جميع المبادئ سواء المدنية منها والسياسية المتعلّقة بنظام الحكم مطلب ضروري ومصيري للمجتمعات قاطبة وترسيخها في التشريعات كافة[١].

فالحاكم والمحكوم بحاجة إلى مراجعة فكر الإمام عليه السلام، وأن يأخذا به في التطبيق والممارسة كونه المسار الذي يمكن أن يحفّز الأمّة على تجاوز مشكلاتها وأزماتها.

المبحث الثاني: آثار تطبيق المبادئ العلويّة في القوانين المعاصرة

ممّا لا شكّ فيه إنّ تطبيق مبادئ الإمام عليّ عليه السلام في الدولة المعاصرة تجسيدٌ لكلّ القيم والمبادئ السامية التي لا يختلف عليها ذو فطرة سليمة وعقل سوي، ويمكن الاستفادة من هذه التجربة ومحاولة تكرارها في زماننا الحاضر، اعتقادًا منّا بأنّ هذه المبادئ هي القادرة على إنقاذ الإنسانية من مهاوي السقوط وتوفير الأمان والحياة الكريمة للناس، فالناس يتمنّون العيش تحت دولة تنعم فيها مبادئ منها الرعاية الاجتماعية[٢]، والعدالة والمساواة، والكرامة الإنسانية، وتعالج الفقر، إلاّ أنّ السلطة التشريعية بعيدة عن هذه التجربة للأسف الشديد.

وعليه فإنّ الأنظمة القانونية يجب أنّ تتّسم بهذه المبادئ؛ لخلق حالة من الاستقرار والاطمئنان في العلاقات والمراكز القانونية داخل أبناء الدولة، والثقة التامّة بالقانون؛ لضمان إصدار تشريعات سليمة تتجسّد فيها كل مبادئ الإمام عليّ عليه السلام .

---

(١) ينظر: نظام الحكم في عهد الإمام عليّ عليه السلام لمالك الأشتر (رضوان الله عليه)، دراسة تحليلية: ٨٧.

(٢) تعرف الرعاية الاجتماعية على أنّها: ((مجموعة متنوّعة من الخدمات والإعانات المقدمة من خلال الجهود التطوعية والخيرية للجهات الرسمية وغير الرسمية، التي تهدف إلى خدمة أبناء المجتمع الذي يعاني من الفقر والحاجة وأفرادها العاجزين عن خدمة ذواتهم؛ وذلك لتخفيف الأزمات التي يعانون منها)). الرعاية الاجتماعية/ الأسس والمجالات:٦٥ .

وفي ضوء المعطيات أعلاه انقسم هذا المبحث على مطلبين ركّز في المطلب الأوّل منه على إصلاح المنظومة القانونية على وفق المبادئ العلويّة، أمّا المطلب الثاني فبحث في وسائل تحقيق هذه المبادئ ضمان للهوية الإسلاميّة.

المطلب الأوّل: إصلاح المنظومة القانونية على وفق المبادئ العلويّة

شكّلت المبادئ العلوية ومضامينها منظومة إصلاحيّة شاملة للقوانين فهي منهاج حي وشاخص أمام البصائر والأبصار، يُنهَلُ منها أفكار الفضيلة والسمو والترفّع عن الصغائر ونبذ الظلم وإعانة المظلوم ورعاية الضعيف، وهي مبادئ مستمدّة من القرآن الكريم، وتترك الخيار للإنسان؛ ليميز الصحيح من الخطأ، فقد كان الإمام عليه السلام يرسّخ هذه المبادئ العظيمة؛ لينقذ الأمّة من الظلم والفقر والفساد.

وممّا لا شكّ فيه أنّ التأمّل في الفكر القانوني للإمام عليّ عليه السلام يعدّ بحثا في أعلى مستوياته، فقد وضع الأسس التي تخلص إلى التطبيق العملي، وبيّن أنّ التغيير والإصلاح نحو الأحسن في جميع جوانب الحياة، ويحتاج إلى نيّة صادقة وحركة تغييريّة فعليّة في المجتمع، تصحبها تضحيات وتنازلات عن المصالح الخاصة والرفاهية والامتيازات.

وبقيام دولة يسود فيها القانون الإسلامي المبنيّ على أسس تشريعية دقيقة مطابقة لأحكام القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ومبادئ الأنبياء والرسل عليهم السلام ومتوافقة مع المتطلبات العصرية[1]، وتحقيق العدالة بكلّ تفاصيلها، والمعاونة في

(١) إذ نرى في الوقت الحاضر، إنّ قانون الأحوال الشخصية رقم ١٨٨ لسنة ١٩٥٩ فيما يتعلّق بالمادة (٥٧) المتضمّنة موضوع الحضانة ومسائل أخرى المخالفة للشريعة الإسلامية في طور القراءة الثانية لتعديل هذه النصوص بما يطابق الشرع الإسلامي بعد ما أنهى القراءة الأولى وينتهي به المطاف إلى التشريع والنفاذ بإذن الله تعالى، بعدما أثار جدلًا كبيرًا حول تعديلها.

الشدّة، والعفو، والصفح، فالإسلام مصدر السياسة التشريعية [١]، سوف يضمن الأفراد الهوية الإسلامية، وقد أولى الإمام عليّ عليه السلام الطبقة الكادحة والمحتاجة من الناس، وهي طبقة المرضى والعجزة والأيتام والمحتاجين ممّا ترك لهم من آثار خطيرة، بحيث تنعكس على المجتمع ككلّ، إذ غالبًا ما يرافق الفقر مظاهر البطالة وعمالة الأطفال والتشرّد، والسكن العشوائي وتفشي الأمراض، وسوء العلاقات الزوجية، وانخفاض المستوى العلمي والثقافي، أي: إنّ المشكلة الناجمة عن كلّ الانحرافات ترتبط بشكل تراكمي مع غيرها، ومن ثمّ يصعب فيما بعد القضاء عليها، وقد تضمن عهده إلى مالك الأشتر وصيّته بهذه الطبقة، وكذلك تضمّن نصوصًا أخرى عبّر فيها عن قلق الإمام عليه السلام على هذه الطبقات، وحرصه على توفير مستلزمات العيش الكريم لهم [٢].

على اعتبار أنّ الانحراف السلوكي الذي يتجلّى بأهمّ مظاهره وهو تدنّي مستوى المعرفة بالدين الإسلامي وأحكام القرآن الكريم، وفقدان القدرة على مواجهة تلك السلوكيّات المنحرفة، فقد كانت من أولويّاته استشعارًا منه لخطورتها، بعد أن أصاب المجتمع التشويه، وقد حاول استرداد ما ضُيّع من حقوق المسلمين، إذ قال عليه السلام مقولته المشهورة في المال المأخوذ في غير حقّه: ((والله لو وجدته قد تزوّج به النساء، وملك به الإماء لرددته فإنّ في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق))[٣].

وإيمانًا منا بأهميّة كلّ المبادئ السامية في فكر الإمام عليه السلام وبقيمتها العليا؛ لِما

(١) ينظر: متطلبات الصياغة التشريعية الجيدة وأثرها على الإصلاح القانوني: ٣٨٥.
(٢) ينظر: فلسفة التكافل الاجتماعي عند الإمام عليّ عليه السلام / عهده إلى مالك الأشتر أنموذجًا: ١٣٢ .
(٣) نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده: ٤٣.

تحملُ بين جنباتها من مثُل إنسانية ونبل ومروءة، حفاظًا على كرامة الإنسان وسدّ احتياجاته، وتسيير أموره بما يرضي الله بما يطابق الشرع الإسلامي والمبادئ العلويّة.

وكذلك فقد نظّم شؤون المجتمع بنحوٍ من الدقّة والشمول ولم يميّز بالعطاء وحرص على توسيع مظلّة المنظومة الأخلاقية العامّة؛ ليشمل الذمّي أسوة بالمسلم، إذ حرص على نبذ كلّ اشكال العنصرية والتعصب للطائفة أو العرق أو الدين، ونظر بنظرة واحدة بالمساواة للجميع، وسعى إلى إصلاح كافّة المؤسّسات والأجهزة وإحداث التغيير المطلوب في المجتمع، وإيجاد مؤسسات إسلامية منبثقة من روح النظام الإسلامي، إذ يُقرن صلاحها بصلاح الحاكم وسلامة منظومته المعرفية والأخلاقية [١].

واتبع الإمام عليّ عليه السلام سياسة الإعانات؛ لدعم الطبقات الفقيرة التي تحتاج إلى عون الدولة ودعمها، وتكمن أهمية هذه المعونات في تحسين هذه الطبقات بما يحتاج إليه الأفراد في حياتهم اليومية ممّا يقوم بسد رمقها، فضلاً عن الجانب المعنوي لهذه الإعانات، والتي تشعر الفرد بأنّ الدولة معه وتشعر به، وتحنو عليه، وتشدّ من أزره لمواجه الصعوبات، وإنّ هذه المعونة ليست منّة أو تفضّلًا من أحد، وإنّما هي حقّ شرّعه الله تعالى لهذه الفئات المستحقة، كما نستشفّ إنّ مقدار المعونة ليس محدّدًا بسقف معيّن، بل يُعطى كلّ فرد بما يصلح حاله، وهذا يدلّ على لفتة اجتماعية واقتصادية غير مسبوقة، فإعطاء كل فرد بما يصلح حاله، بمعنى تهيئة الأسباب المناسبة لهذا الفرد على مواجهة الحياة[٢].

---

(١) ينظر: الصياغة التشريعية وأثرها في تطبيق القانون: ٨٧.

(٢) ينظر: المعالجة الإسلامية للتخلف الاقتصادي: ٣٤ .

ونشير إلى أهم نقطة في الإصلاح وهي إصلاح الحال من خلال إصلاح النفس أوّلًا، وتربية النفس وتهذيبها نحو القيم والمبادئ التي جاء بها الإسلام، وخضوعها للمنهج الإسلامي ومبادئ الإمام عليّ عليه السلام في كلّ صغيرة وكبيرة، ومن ثمّ إصلاح الآخرين، فعن طريق إشاعة ثقافة العمل بنيّة القربى لله تعالى، والإحسان، والتكافل، والتضامن، وإشاعة روح المبادرة والإحساس بالآخرين، وتقديم روح المساعدة للمحتاجين؛ يكون الفرد أقرب لله تعالى، وبالتالي يرزق خير الدنيا والآخرة ويفوز بالجنّة[1].

وما أحوجنا اليوم إلى هذه المبادئ التي عالجها الإمام عليّ عليه السلام في عصرنا هذا الرائد بالتكنولوجيا الحديثة، حتّى أصبح نموذجًا للمبادئ العادلة في الدولة العصرية، فلم نسمع عن مسيحي مات من الجوع، أو مسلم تعرّض للسرقة، أو يهودي قد اعتقل بتهمة ديانته، فالجميع يعيش بسلام وأمان.

وإنّ تقديم اقتراحات قوانين حقّ مسند للحكومة ولأعضاء البرلمان، إذ يمارس البرلمان السلطة التشريعية ويختصّ بمجال القانون عن طريق تقديم مقترحات قوانين تتضمّن مبادئ الشريعة الإسلامية ومنها مبادئ الإمام عليّ عليه السلام التي تتعلّق بحقوق الأفراد وكرامتهم، على اعتبار أنّ السلطة التي يتمتّع بها البرلمان سلطة تقديرية واسعة ينفرد بها دون الحكومة، في حين تمارس الحكومة السلطة التنفيذية التي يتقاسمها رئيس الدولة، فالحكومة يتحدّد اختصاصها في التشريع بمجال التنظيم، لكن لا شيء يحدّ من سلطتها باقتراح القوانين.

(١) ينظر: السياسية التشريعية الفلسطينية في القوانين الاقتصادية، أطروحة دكتوراه: ٧٦ .

المطلب الثاني: وسائل تحقيق المبادئ العلويّة ضمان للهوية الإسلامية

لا بدّ أن تكون هناك وسائل لتحقيق المبادئ العلوية من خلال العلاقة التكاملية بين المجتمع ومؤسّسات الدولة، فقد وضع الإمام عليّ عليه السلام أسسًا للوعي والإرادة الاجتماعية وتحقيق العدالة والمساواة في الدولة، وحسن التعامل، وترسيخ مبدأ الأخوّة الإنسانية في الدين والخلق، إذ لمْ تكن لها فعالية في الفترة التي سبقته، فعاث الحكّام في الأرض فسادًا، بل نخروا في كيان الإسلام ووحدته؛ لذا نجد الإمام عليه السلام ينبّه الناس الذين تدافعوا على بيعته بالحقيقة: ((ذمّتي بما أقول رهينة، وأنا به زعيم، إنّ من صرّحت له العبر عمّا بين يديه من المثلات حجزته التقوى عن تقحّم الشبهات، ألا وإنّ بليّتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيّكم صلى الله عليه وآله، والذي بعثه بالحقّ لتبلبلنّ بلبلة، ولتغربلنّ غربلة، ولتساطنّ سوء القدر، حتّى يعود أسفلكم أعلاكم، وأعلاكم أسفلكم، وليسبقنّ سابقون كانوا قصروا، وليقصرنّ سابقون كانوا سبقوا))[1].

ومن المبادئ التي أنشدها عليه السلام : الابتعاد عن الرشوة، والربا، والاستغلال، والظلم، والمحاباة للحصول على الوظيفة والامتيازات، وظلم الناس، وإعطاء كلّ ذي حقّ حقّه، ويؤكّد على التكامل فيما بين أفراد المجتمع حتّى يشعر الجميع أنّهم جسد واحد، فالخير الذي يبحث عنه الجميع ينبع من الجميع، ولا يأتي من العالم الخارجي، وكان من المتشدّدين للمطالبة بالعدل والانصاف والأمانة والصدق والإحسان؛ لأنّها رسالة واضحة إلى الناس بأن يواكبوا مسيرة الحقّ، ويساعدوا في إشاعة قيم الدين والأخلاق في المجتمع، ومساعدة جميع الطبقات[2].

---

(١) منهج الإمام عليّ في بناء المجتمع، مقال متاح على شبكة النبأ المعلوماتة، ٢٠١٨ ، . Org/arabic/ ahlbayt./ahlalbayt/١٥٥٢٠ .

(٢) ينظر: التكافل الاجتماعي في الديانات الثلاثة، دراسة نقدية: ٣٢٠ .

وإنّ تحقيق المبادئ العلوية ضمان لحقوق الإنسان الأساسية، فقد يكون تقديم الإعانة أو المساعدة من خلال تقديم الفروض التشغيلية التي تعطى للعاملين مقابل تقديمهم العمل[١]، إلاّ أنّ ما يميّز عهد الإمام عليه السلام أنهّا كانت تعطى بدون مقابل، ولا تسترد لبيت المال، كما أرسى الإمام عليه السلام التكافل الاجتماعي الذي يعدّ من أهم عوامل مكافحة الفقر إضافة إلى كونه عامل استقرار اجتماعي[٢].

(١) لقد نص قانون الرعاية الاجتماعية في العراق رقم (١١) لسنة ٢٠١٤ ، إذ شمل بعض الفئات من المجتمع ومنهم العاطل عن العمل، والأرملة، والمطلقة، وزوجة المحكوم، والعزباء، واليتيم، والعاجز، والمهجورة من قبل زوجها، ولكن يمكن شمول شرائح أخرى غير المذكورة في هذا القانون، لكل شخص أو عائلة تعيش تحت خطر الفقر أن يكون لها الحق في الرعاية الاجتماعية بحسب هذا القانون اعتمادا على بيانات تجري من قبل هيئة الرعاية الاجتماعية والبحث الاجتماعي بشكل سنوي .

(٢) خصائص الإدارة عند الإمام علّي بن أبي طالب عليه السلام : ٥٥.

الخاتمة

يمكن بيان أهمّ النتائج والتوصيات والإشـارة إلى ما يستحق طرحه من مقترحات نأمل الأخذ بها من قبل الجهات المختصّة، وهي كالآتي:

أوّلًا: النتائج:

١- تشكّل المبادئ العلوية إطارًا ينبغي أن تسير عليه القوانين المعاصرة؛ لمعالجة حالات واقعية تظهر بالمجتمع نتيجة تطوّرات العصر.

٢- شهد عصرنا الحالي انشارا واسعًا للحروب والنزاعات وعدم قبول الطرف الآخر، لكن بتطبيق مبادئ الإمام عليه السلام يمكن أن نتجنّب كلّ ذلك من خلال قبول الآخر والادارك بأنّ جميع الناس لهم الحقّ في تحقيق الأمن والسلام؛إذ هما المنطلق الأساسي لتجسيد مفهوم العيش المشترك مع الآخر والاعتراف به.

٣- تعتبر المبادئ العلوية الركيزة الأساسية لجودة القوانين، التي يمكن تطبيقها في ظل واقع متغيّر؛ كونها المسلك الصحيح والخطّة المتّبعة من الجهة المختصة بالتشريع.

ثانيًا: التوصيات:

١- ضرورة تعديل بعض نصوص القوانين لا سيما المادة (٥٧) من قانون الأحوال الشخصية رقم (١٨٨) لسنة ١٩٥٩ الذي شهد في الفترة الأخيرة خلافات واسعة بشأن تعديل بعض نصوصه .

٢- نقترح على المشرع العراقي الأخذ بهذه المبادئ وتجسيدها في المنظومة القانونية؛ لما لها من أهمية في ضبط المجتمع وتنظيمه، وتأكيدا سوف تلعب دورًا كبيرًا في معالجة الكثير من القضايا والمسائل التي تتعب القضاة واللجوء إلى سوح المحاكم.

٣- نتأمّل من سلطة التشريع تسليط الضوء على الحالات التي يعاني منها المجتمع والأسرة محاولة منها تعديل نصوص القانون الذي يخالف الشريعة الإسلامية والقرآن الكريم ومبادئ الإمام علي عليه السلام وتطبيق مبادئ الأنبياء والرسل، ووضع المقترحات التي تساهم في إصلاح الأمّة من الانحرافات والسلوكيات التي تبتعد عن أحكام القرآن الكريم.

٤- على الحكام ومن هم بالسلطة التمسّك بالأثر الخالد للإمام عليّ عليه السلام ، وليس شعارات ترفعها السلطة لتحقيق مصالحها الخاصة .

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم.

١. أخلاق أهل البيت عليهم السلام، محمد مهدي الصدر، دار الكتاب الإسلامي، ط٣، ٢٠٠٤.

٢. أسرار القيادة عند أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، جميل كمال، إصدارات مبرّة سيد الشهداء عليه السلام ، الكويت، ط١، ٢٠١٦.

٣. أصول التعايش السلمي/ دراسة استنباطية في عهد الإمام عليّ عليه السلام لمالك الأشتر، مؤسسة علوم النهج والبلاغة، كربلاء ، ٢٠١٧.

٤. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، محمد باقر محمد تقي المجلسي.

٥. التقوى في القرآن، السيّد كمال الحيدري، دار فراقد للطباعة والنشر، ط٦، ٢٠٠٥.

٦. التكافل الاجتماعي في الديانات الثلاثة/ دراسة نقدية، عبد هادي القيسي، بحث منشور في مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، ٢٠١٦ .

٧. الجانب السياسي عند الإمام عليّ عليه السلام ، عبد الفتاح عبد المقصود، كتاب متاح على الأنترنيت.

٨. خصائص الإدارة عند الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، محسن باقر محمد صالح، بحث منشور في مجلة أهل البيت عليهم السلام، العدد ١، كلية القانون، جامعة أهل البيت عليهم السلام، كربلاء، ٢٠٢١ .

٩. الرعاية الاجتماعية / الأسس والمجالات، عبد الخالق محمد عفيفي، جامعة حلوان، القاهرة، ٢٠٠٧.

١٠. السياسة التشريعية الفلسطينية في القوانين الاقتصادية، عدنان إبراهيم محمد الحجار، أطروحة دكتوراه، كلية الحقوق، القانون الخاص، جامعة باجي مختار، فلسطين، ٢٠١١.

١١. السياسة المالية في خلافة عليّ عليه السلام ، ابتسام رسول حسين علي، بحث منشور في مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، عدد ٧٤، ٢٠٢٣.

١٢. شرح نهج البلاغة، عزّ الدين عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٩.

١٣. الصياغة التشريعية وأثرها في تطبيق القانون، علي أحمد عباس، دراسات قانونية، بحث منشور في مجلة يصدرها قسم الدراسات القانونية في بيت الحكمة، العدد ٢١، السنة السادسة ، ٢٠٠٧ .

١٤. فقه الدولة بحث مقارن في الدولة ونظام الحكم على ضوء الكتاب والسنة والأنظمة الوضعية، فاضل الصفار، دار الأنصار، مطبعة باقري، ط١، ٢٠٠٥ .

١٥. فلسفة التكافل الاجتماعي عند الإمام عليّ عليه السلام / عهده إلى مالك الأشتر أنموذجًا، رحيم علي صياح، بحث منشور في مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، المجلد ٣، العدد ١٤.

١٦. في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنيّة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٣ ، ١٩٧٩.

١٧. متطلبات الصياغة التشريعية الجيدة وأثرها على الإصلاح القانوني، ليث كمال نصراوين، بحث منشور في وقائع المؤتمر السنوي الرابع / القانون ... أداة للإصلاح والتطوير، كلية القانون، الجامعة الأردنية، العدد ٢، الجزء الأول، مايو، ٢٠١٧ .

١٨. المعالجة الإسلامية للتخلف الاقتصادي، محمود عبد السلام أحمد، الوراق للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، عمان ، ٢٠١٤.

١٩. من هدى السنة النبوية في التعايش مع الآخر، حنان حسن عبد الرحمن الخشت، بحث منشور في مجلة الدراسية، المجلد ١٨، العدد ١٨، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، جامعة الأزهر، القاهرة، ٢٠١٩.

٢٠. منهج الإمام عليّ بن أبي طالب في تطبيق العدالة، سامي جودة الزبيدي، بحث منشور في مجلة القانون والعلوم الدينية، كلية القانون والعلوم السياسية، جامعة الجلفة، المجلد ٢، العدد ٤، الجزائر، ٢٠٢٤.

٢١. منهج الإمام عليّ في بناء المجتمع، علي آل غراش، مقال متاح على شبكة النبأ المعلوماتة ، ٢٠١٨ ، annabaa. Org/arabic//:https

٢٢. نظام الحكم في عهد الإمام عليّ عليه السلام لمالك الأشتر (رضوان الله عليه): دراسة تحليلية، سجاد عبد الحليم الربيعي، مؤسسة علوم نهج البلاغة، كربلاء، العراق، ط١، ٢٠١٧ .

٢٣. النظم الإدارية والمالية في عهد الإمام عليّ عليه السلام ، علاء كامل صالح العيساوي، التميمي للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٨ .

٢٤. نهج البلاغة، محمد عبده، مؤسسة المختار، القاهرة، ٢٠٠٨.

٢٥. وسائل الشيعة، محمد بن الحسن بن الحر العاملي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٣ .

قراءةٌ في الأثر القرآنيِّ للإمامِ عليّ بن أبي طالب عليه السلام في المدوّناتِ الإسلاميّةِ - دراسةٌ تاريخيّةٌ تفسيريّةٌ

م .م محمّد عاجل عطية

كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة كربلاء، العراق ، كربلاء المقدسة

الملخّص:

يقسّم البحث على ثلاثة مباحث، المبحث الأوّل الإمام عليّ عليه السلام وحياته العلميّة إحدى أهم الشخصيات التي عاصرت الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسمعت حديثة وروت عنه وفسّرت آيات القرآن الكريم، والذي يتعذّر إثبات جوانب كثيرة من حياته العلمية في إنتاجه الفكريّ ومنهجه وتفسيره للقرآن الكريم وعلمه بالتأويل ووقت النزول وموردِه، إذ قدّم عليه السلام نتاجًا كبيرًا في مدّة شهدت كثير من الأزمات والحروب. والمبحث الثاني نتكلّم على أثر الإمام عليّ عليه السلام في التفاسير الإسلاميّة مثل تفسير (تفسير القمي) و(تفسير العياشيّ) التي تأثّرت بتفاسير الإمام عليّ عليه السلام واكتشاف معانيه السامية وأحكامه العظيمة في مختلف المجالات الفكريّة والتشريعيّة والتربويّة وغيرها. أمّا المبحث الثالث فتضمّن بعض التفسيرات المغيّبة للإمام عليّ عليه السلام التي نُقلت عنه والتي استند إليها كثير من المفسّرين، إذ إنّه عليه السلام أخذ القرآن غضًّا طريًّا من رسول الله، ولذلك كان أعلم الناس بعد رسول الله بألفاظ القرآن ومعانيه وتفسيره.

الكلمات المفتاحيّة : الأثر القرآنيّ ، الإمام عليّ ، المدوّنات الإسلاميّة

Abstract:

The research is divided into three sections. The first section is Imam Ali and his scientific life، one of the most important figures who lived with the Holy Prophet، heard hadiths، narrated from him، and interpreted verses of the Holy Qur'an، many aspects of which are impossible to prove From his scientific life in his intellectual production، his approach، his interpretation of the Holy Qur'an، his knowledge of interpretation، the time of revelation and its source، where hepresented a great production in a period that witnessed many crises and wars، and in the second section we talk about the impact of Imam AliIn Islamic interpretations، such as the interpretation of "Nahj al-Balagha،" "Tafsir al-Qummi،" and "Tafsir al-Ayyashi،" which were influenced by the interpretations of Imam Ali and the discovery of its sublime meanings and great rulings in various intellectual، legislative، educational، and other fields As for the third section، it includes some of the hidden interpretations of Imam Ali that were quoted from him and upon which many commentators relied، since he، peace be upon him، took the Qur'an fresh and fresh from the Messenger of God، and therefore he was the most knowledgeable of people after the Messenger of God about the words of the Qur'an، its meanings، and its interpretation

Keywords: Interpretation of the Qur'an، Imam Ali، Nahj al-Balagha، Tafsir al-Qummi، Tafsir al-Ayyashi.

المقدّمة:

الحمد الله ربّ العالمين والصلاة والسلام وأتمّ التسليم على النبيّ الأمين محمّد بن عبد الله وعلى آل بيته الطيّبين الطاهرين، أمّا بعدُ فيعدّ الإمام عليّ عليه السلام أهمّ الشخصيّات الإسلاميّة المؤثّرة في الإسلام، فهو الوليّ الوصيّ كالحقّ يدور معه حيث دار، لا ينطق إلّا عن علم ولا يتكلّم إلّا بما يُعجز العقول والألباب، فهو قد ارتبط بالقرآن ارتباطًا موضوعيًّا، إذ رافق نزول القرآن على النبيّ في جميع مراحله ابتداء من النداء السماويّ حتّى وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله، يتميّز تفسير أمير المؤمنين عليه السلام من غيره للقرآن بأنّه تفسير العالم بالمُراد الجدّي لمقاصد الوحي ودلالته، فهو سيّد أهل بيت الوحي وزعيمهم ومن نزل في أبياتهم الكتاب، فما من سورة في القرآن إلّا ويعرف عامّها من خاصّها، ومطلقها من مقيّدها، وناسخها من منسوخها، مكيّها من مدنيّها، وظاهرها من باطنها، فهو أعلم بالقرآن وتفسيره بعد رسول الله، وهنا تتجلّى حقيقة واضحة المعالم بالنسبة لمسألة تفسير القرآن الكريم فأخذ منه تفسيره للقرآن وأصبح من أهم مصادر التفسير الذي اعتمد من قبل أبرز المفسّرين، وقد اعتمدتُ في هذا البحث على طريقة جمع المادّة الأوليّة من مصادرها وتحليل الروايات ومقارنتها للوقوف على أبرز محطّات التفاسير ومدى تأثّرها بالإمام عليّ عليه السلام ، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يُقسّم على ثلاثة مباحث مع المقدّمة والخاتمة، أمّا المبحث الأوّل فهو (الإمام عليّ عليه السلام وحياته العلمية)، والمبحث الثاني (أثر الإمام عليّ عليه السلام في التفاسير الإسلامية)، أمّا المبحث الثالث فهو (بعض التفسيرات المغيّبة للإمام عليّ) التي نُقلت عنه، وقد تحرّينا الموضوعيّة والحياديّة ونقل الحقيقة ونسال الله سبحانه وتعالى أن يوفّقنا لما يُحبّ ويرضى والحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على النبيّ الأمين وعلى آل بيتة الطيّبين الطاهرين إلى يوم الدين .

مشكلة البحث:

في إطار الدراسات الإسلامية تُعدّ شخصيّة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام من أهمّ الشخصيّات الإسلاميّة التي لها تأثير كبير وبارز في الفكر الإسلاميّ ومع ذلك يواجه الباحثون تحدّيًا في تحديد مدى تأثيرها على المدوّنات الإسلاميّة المختلفة ولا سيما في ما يتعلّق بتفسيره للقرآن الكريم. هذا البحث يهدف إلى تحليل كيفية الأثر القرآنيّ للإمام عليّ عليه السلام في النصوص المدوّنة عبر التاريخ ودراسة مدى تأثير تفسيره على الفكر الإسلاميّ في مختلف العصور، إذ إنّ مشكلة البحث تتعلّق بالكشف والتبيين عن الأبعاد التاريخية والتفسيرية للأثر القرآني للإمام علي عليه السلام ومدى استمراريته وتأثيره في المدونات الإسلامية.

فرضية البحث:

يفترض هذه البحث أنّ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان له دور أساسي ومهمّ في الفهم القرآنيّ والتفسير والفكر الإسلاميّ وهو ما تجلّى في المدوّنات الإسلاميّة، ويفترض البحث أيضًا أنّ تفسير الإمام عليّ بن أبي طالب للقرآن الكريم قد أثّر بشكل كبير وواضح على المدارس الفكريّة الإسلاميّة والتفاسير المختلفة التي وردت من بعده، وأنّ تأثيره ما يزال يظهر بوضوح في التراث الإسلاميّ حتّى يومنا هذا.

المبحث الأول: الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وحياته العلمية

المطلب الأول: الخلفية التاريخية

ولد أمير المؤمنين عليه السلام ((بعد عام الفيل بثلاثين سنة وقتل عليه السلام في شهر رمضان لتسع بقين منه ليلة الأحد سنة أربعين من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة، بقي بعد قبض النبي صلى الله عليه وآله ثلاثين سنة))[1]، وتواترت الأخبار بأنّ ((فاطمة بنت أسد

(١) الكافي: ١/ ٤٥٢ .

ولدت أمير المؤمنين عليا في جوف الكعبة))[١]، ((ولم يولد في البيت الحرام قبله أحد سواه، وهي فضيلة خصّه الله تعالى بها إجلالًا له وإعلاءً لمرتبته وإظهارًا لتكرمته، وكان عليّ عليه السلام هاشميًا من هاشمين وأوّل مَن ولده هاشم مرّتين))[٢]، أبوه اسمه عبد مناف وأبو طالب كنيته كُنّيَ بأكبر أولاده[٣] وهو أخو عبد اللّٰه أبو النبيّ صلى الله عليه وآله [٤]، و((لمّا توفّي عبد المطلب قبض أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وآله إليه، فكان يكون معه، وكان أبو طالب لا مال له وكان يحبّه حبّا شديدًا لا يحبّ ولده كذلك، وكان لا ينام إلّا إلى جنبه، ويخرج فيخرج معه، وقد كان يخصّه بالطعام))[٥]، ((وقام بنصره وحامى عنه وذبّ عنه وحاطه كبيرًا وتحمّل الأذى في سبيله من مشركي قريش ومنعه منهم ولقي لأجله عناء عظيمًا وقاسى بلاء شديدًا أو صبر على نصره والقيام بأمره حتّى أنّ قريشًا لم تطمع في رسول الله صلى الله عليه وآله وكانت كاعّة عنه حتّى توفّي أبو طالب ولم يؤمر بالهجرة إلّا بعد وفاته وكان أبو طالب مسلمًا لا يجاهر بإسلامه ولو جاهر لم يمكنه ما أمكنه من نصر رسول الله))[٦]، أمّا أمّه فهي ((فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف الهاشمية وهي أوّل هاشمية ولدت لهاشمي، وهي أيضًا أوّل هاشميّة ولدت خليفة))[٧]، ((وهي بنت عمّ أبي طالب كانت من المهاجرات))[٨]، وهي ((أم سائر ولد أبي طالب، وكانت لرسول الله صلى الله عليه وآله بمنزلة الأمّ، رُبِّيَ في حجرها وكان شاكرًا لبرّها وكان يسمّيها أمّي وكانت تفضّله

(١) الغدير: ٦/ ٢٢ .
(٢) الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ١/ ١٧٢ .
(٣) ينظر: أعيان الشيعة: ١/ ٣٢٤ .
(٤) ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب: ١٨/ ٢٢٠ .
(٥) بحار الأنوار: ١٥/ ٤٠٧ .
(٦) أعيان الشيعة: ١/ ٣٢٤ .
(٧) أسد الغابة: ٥/ ٥١٧ .
(٨) النجوم الزاهرة: ١/ ١١٩ .

على أولادها في البرّ))[١]، ((كانت امرأة صالحة وكان النبيّ صلى الله عليه وآله يزورها ويقيل في بيتها))[٢]، و((لمّا ماتت فاطمة بنت أسد كفّنها رسول الله صلى الله عليه وآله في قميصه وصلّى عليها وكبّر عليها سبعين تكبيرة ونزل في قبرها فجعل يومي في نواحي القبر كأنّه يوسّعه ويسوّي عليها وخرج من قبرها وعيناه تذرفان))[٣]، وقال فيها: ((إنّ جبرئيل عليه السّلام أخبرني عن ربّي عزّ وجلّ إنّها من أهل الجنّة))[٤].

المطلب الثاني: لقبه وكنيته

يكنّى ((أبا الحسن وأبا الحسين، وروي عنه عليه السلام أنّه قال: كان الحسن في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله يدعوني أبا الحسين))[٥]، ((وكانت فاطمة بنت أسد أمّه رحمة الله عليها لما ولدته سمته حيدرة، فغيّر أبو طالب اسمه وسمّاه عليّا، وقيل إنّ ذلك اسم كانت قريش تسمّيه به))[٦]، ((ويُلقّب أيضًا بذي العشيرة، وكنّى رسول الله صلى الله عليه وآله عليّ بن أبي طالب أبا تراب، وذلك أنّه رآه نائمًا متمرّغًا في البَوْغاء فقال: اجلس، أبا تراب، فجلس))[٧]، ((ومن كُنَاه أيضًا قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلّي: سلام عليك أبا الريحانتين أوصيك بريحانَتيّ من الدنيا من قبل أن ينهدّ ركناك والله عزّ وجلّ خليفتي عليك))[٨] وقول رسول الله صلى الله عليه وآله: ((أنت يعسوب الدين والمال يعسوب الظلمة))[٩]،

---

(١) أعيان الشيعة: ١/ ٣٢٥ .
(٢) مختصر التحفة الاثني عشرية: ١/ ٤١ .
(٣) أعيان الشيعة للعاملي: ١/ ٣٢٥ .
(٤) قادتنا كيف نعرفهم ؟ – السيد محمد هادي الميلاني: ١/ ٣٣ .
(٥) مقاتل الطالبيين: ١/ ١٤ .
(٦) م. ن: ١/ ٣٩ .
(٧) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ: ١/ ٨٠ – ٨١ .
(٨) معجم ابن الأعرابي: ١/ ٢٤١ .
(٩) بحار الأنوار: ٣٥/ ٦٧ .

ومن كُناه أيضًا ((البطين الأنزع: كان أنزع الشعر، له بطن، وقيل معناه: الأنزع من الشرك، المملوء البطن من العلم والأيمان))[١].

المطلب الثالث: علم الإمام عليّ عليه السلام بالقرآن

اختار الله لعليّ وقدّر له أنّ ينال هذا الشرف العظيم، وأن يربّى في حجر النبوّة وأن يشهد مطالع الرسالة الإسلامية من يومها الأول، وأن يتلقّى من فم النبي صلى الله عليه وآله مفتتح الرسالة ومختتمها، وما بين مفتتحها ومختتمها مما نزل به الوحي من آيات الله، وهكذا قُدّر لعليّ أن يولد وطيب النبوّة يُعطِّر الأجواء من حوله وأنوارها تفيض عليه من كلّ أفق، وتطلع عليه من كلّ صوب[٢]، حضر حروب النبيّ صلى الله عليه وآله بكاملها ما عدا غزوة واحدة وهي تبوك التي لم يلق المسلمون فيها كيدًا، وقد استخلفه النبي صلى الله عليه وآله على المدينة، وقال له: ((أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي))[٣]، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ((ياعليّ، إنّ الله أمرني أن أُدنيك ولا أقصيك وأعلمك ولا أجفوك فحق علي أن أعلمك وحق عليك أن تعي))[٤]، وقال عليه السلام: ((فما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله آية من القرآن إلاّ أقرأنيها وأملاها عليّ فكتبتها بخطّي وعلّمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصّها وعامّها، ودعا الله أن يعطيني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علمًا أملاه عليّ وكتبته، منذ دعا الله لي بما دعا، وما ترك شيئا علّمه الله من حلال ولا حرام، ولا أمر ولا نهي كان أو يكون ولا كتاب منزل على أحد قبله من طاعة أو معصية إلّا علمنيه وحفظته، فلم أنس حرفًا واحدًا، ثُمّ وضع يده على صدري ودعا الله لي أن يملأ قلبي علمًا وفهمًا وحكمًا ونورًا))[٥].

---

(١) الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام - أحمد الرحماني الهمداني: ٥٥ .
(٢) ينظر: قادتنا كيف نعرفهم ؟ - السيد محمد هادي الميلاني: ١/ ٦٤ .
(٣) الشيعة في الميزان: ٢١٤ .
(٤) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام - محمد بن سليمان الكوفي: ٢/ ٢١ .
(٥) تدوين القرآن، الشيخ علي الكوراني العاملي: ٣٤٨ - ٣٤٩ .

تميّز التفسير الوارد عن الإمام عليّ عليه السلام من غيره من التفاسير أنّه تفسير من معصوم لا يحتمل بحقّه الخطأ، وأنّه تفسير من أهل الذكر الذين نزل في أبياتهم الكتاب، وهذه الميزة لا توجد إلّا لأهل البيت عليهم السلام لذا فإنّ ((تفسيره يكشف عن المُراد الجدّي لكلام الله عزّ وجلّ، إحدى الأمور الواضحة في القرآن الكريم هي أنّ الله تعالى استودع علوم القرآن لأُناس جعلهم أهلًا للذكر وأمر الناس بالرجوع إليهم في معرفة حقائق القرآن، قال النبي صلى الله عليه وآله : عليّ مع القران والقرآن مع عليّ، لن يتفرقا حتّى يردا على الحوض))[١]. وقد اعترف بصحّة سند هذا الحديث كبار أئمّة الحديث من العامّة والخاصّة. ومن كلام له عليه السلام : ((ووالله إن جئتها إنّي للمحقّ الَّذي يتّبع، وإنّ الكتاب لمعي، ما فارقته مذ صحبته))[٢]، وقال أيضًا: ((إِنَّا لَمْ نُحَكِّمِ الرِّجَالَ، وإِنَّمَا حَكَّمْنَا الْقُرْآنَ. هَذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْطُورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ، لَا يَنْطِقُ بِلِسَانٍ، ولَا بُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ))[٣]، وقال أيضًا: ((إنّ الله طهّرنا وعصمنا وجعلنا شهداء على خلقه وحجته في أرضه وجعلنا مع القرآن وجعل القرآن معنا لا نفارقه ولا يفارقنا))[٤].

المطلب الرابع: منهج الإمام عليّ عليه السلام في تفسير القرآن:

إنَّ تفسير القرآن الكريم الذي لا يدرك آياته إلّا الله والراسخون في العلم هو من أجلّ العلوم التي تتوقّف عليها الهداية إلى حقائق أوامر الله سبحانه وتعالى ونواهيه، وبالبداهة أنَّ أقدر الناس على فهم الآيات وإدراك فحاويها هم الذين تلقّوها من فم النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله الأقربون منزلة منه ولا يتمُّ هذا إلّا للذين تشرّفوا بصحبته وشهدوا الظروف التي نزلت فيها وتلقّوا من فم الحضرة النبوية تفسيرها وليس في

(١) كنز العمال: ١١/ ٦٠٣ .
(٢) توضيح نهج البلاغة: ٢ / ٢٥٠ .
(٣) الدليل على موضوعات نهج البلاغة، علي أنصاريان: ٢٤٧ .
(٤) بصائر الدرجات: ١٠٣ .

أصحاب رسول الله من تتوفّر فيه الظروف التي توفّرت للإمام عليّ عليه السلام فهو القائل: ((أنا الذي انحلني ربّي اسمه وكلمته وعلمه وفهمه يا مشعر الناس اسألوني قبل أن تفقدوني))[١]، فقد انتهج الإمام عليّ عليه السلام القوانين الفلسفيّة والمنطقية في تفسيره القرآن الكريم، مثل قانون العلّة والمعلول والنقيضان، هي قوانين أساسية تحكّم التفكير المنطقيّ وتساعد على فهم القرآن بشكل واسع، إنّ قانون العلّة والمعلول يُنص على أنّ لكلّ ظاهرة سببًا وعلّة ونتيجة، وقانون النقيضين يُنص على أنّه لا يمكن أن يكون الشيء و نقيضه صحيحًا في نفس الوقت وهذا ما أكّده الإمام عليّ عليه السلام في أكثر من نصّ في تفسيره القرآن الكريم. وتُستخدم هذه القوانين في جميع مجالات التفسير المنطقيّ للآيات والسور الشريفة، وتساعد على تفسير الظواهر غير المفهومة لعامّة الناس، وإجراء الاستنتاجات المنطقية، ووضع النظريّات لها. قال علي عليه السلام: ((والله ما نزلت آية إلّا وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت إنّ ربّي وهب لي قلبًا عقولًا ولسانًا طلقًا))[٢].

المطلب الخامس: المصادر التي اعتمد عليها الإمام عليّ عليه السلام في تفسيره للقرآن منها:

أ- تفسير القرآن بالقرآن.

يعدّ من أهمّ منهجيّات التفسير التي تعتمد على تفسير آية من القرآن الكريم بآية أخرى، هذا المنهج يُعزّز فهم النصّ القرآنيّ ويعتمد على الوحدة الموضوعيّة للقرآن الكريم، الإمام عليّ عليه السلام كان يستخدم القرآن نفسه لتوضيح معاني الآيات وشرحها، وذلك عبر ربط النصوص المختلفة وإبراز سياقاتها المتعدّدة، فهو يعتمد على فهم القرآن كوحدة متكاملة ومترابطة، إذ تُفسَّر الآيات بعضها البعض وتُكمل

(١) مختصر بصائر الدرجات: ٣٤.
(٢) تاريخ دمشق: ٤٢/ ٣٩٨.

المعاني، وفي إجابة للإمام عليّ عليه السلام لسؤال ابن الكوّاء قال: ((يا أمير المؤمنين، وجدت كتاب الله ينقض بعضه بعضًا، قال: ثكلتك أمّك يا بن الكوّاء، كتاب الله يُصدِّق بعضه بعضًا، ولا ينقض بعضه بعضًا))[١]، وقال عليّ عليه السلام في كلام له يصف فيه القرآن: ((كتاب الله تُبصرون به، وتنطقون به، وتسمعون به، وينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض، ولا يختلف في الله ولا يخالف بمصاحبه عن الله))[٢]، ويرى الإمام أنّ ((منه آيات بعضها في سورة وتمامها في سورة أخرى، ومنه آيات نصفها منسوخ ونصفها متروك على حاله))[٣].

روت ((العامّة والخاصّة عن يونس عن الحسن أنّ عمر أتى بامرأة قد ولدت لستّة أشهر فهمّ برجمها، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : إنْ خاصمتك بكتاب اللَّه خَصَمَتك، إنّ اللَّه تعالى يقول: ﴿وحَمْلُه وفِصالُه ثَلاثُونَ شَهْراً﴾[الأحقاف:١٥] ويقول: ﴿والْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ لِمَنْ أَرادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضاعَةَ﴾ [البقرة:٢٣٣] فإذا تمّت الرضاعة سنتين وكان حمله وفصاله ثلاثون شهرًا كان الحمل منها ستّة أشهر، فخلَّى عمر سبيل المرأة))[٤]. وهنا يكون الإمام عليّ عليه السلام قد فسّر القرآن بالقرآن وهو أوّل من نهج هذا النمط والأسلوب من التفسير بعد الرسول الكريم صلى الله عليه وآله إنّ تفسير القرآن بالقرآن هذا أحسن طرق التفسير؛ لأنّ هذا جار على البدهية المقرّرة بأنّ ((صاحب الكلام أدرى بمراد كلامه وصاحب البيت أدرى بما في بيته وأهل مكّة أدرى بشعابها، وكلام الله جلّ وعلا أوّل من يعلم ماذا يراد به المتكلّم وهو الله جلّ وعلا))[٥].

---

(١) البرهان في تفسير القرآن: ٥ / ٤٩٢ – ٤٩٣ .
(٢) الإيمان والكفر في الكتاب والسنة: ٢١١ .
(٣) بحار الأنوار: ٩٠/ ٤ – ٥ .
(٤) الأنوار اللوامع في شرح مفاتيح الشرائع: ١٠ق٢/ ٢٢٨ .
(٥) خطب ودروس الشيخ عبد الرحيم الطحان: ١٥/ ٤ .

ب- الآيات المحكمات والمتشابهات:

يخبر تعالى أنّ في القرآن آيات محكمات هنّ أم الكتاب أي بيّنات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم فمن ردّ ((ما اشتبه إلى الواضح منه وحكم محكمه على متشابهة عنده فقد اهتدى، ومن عكس انعكس، ولهذا قال تعالى: ﴿هن أمّ الكتاب﴾ أي أصله الذي يُرجَع إليه عند الاشتباه، وأخر متشابهات أي تحتمل دلالتها موافقة المحكم، وقد تحتمل شيئًا آخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المراد))[١]، أي ((يحتمل دلالتها موافقة المحكم، وقد تحتمل شيئًا آخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المراد))[٢]، وهذا ((إنّما هو في تفسير قوله ﴿كتاباً متشابهاً مثاني﴾ أنّ المحكم ما كانت دلالته راجحة، وهو النصّ والظاهر والمتشابه ما كانت دلالته غير راجحة، وهو المجمل والمؤول، وعلى هذا يؤوّل المتشابه على ما ترتضيه قوانين اللغة من المعاني كي يخرج من الخفاء إلى الوضوح))[٣].

قد أشار الإمام عليّ إلى هذه الظاهرة في تفسيره للقرآن الكريم، إذ يشير إلى أنّ بعض الآيات قد تُفهم بمعانٍ متعدّدة حسب سياقها و ظروف نزولها، وكان يؤكّد عليه السلام على أهميّة الاعتماد على الآيات المحكمات كأساس في فهم القرآن وتفسيره، إذ إنّها تكون ثابتة وواضحة الدلالة ولا تحتمل تأويلات متعدّدة، ولمّا سئل عليه السلام عن تفسير المحكم والمتشابه من كتاب الله عزّ وجلّ قال: ((أمّا المحكم الذي لم ينسخه شيء من القرآن فهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ

(١) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) : ٢ / ٤ .
(٢) عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي: ١/ ٢٦٢ .
(٣) علوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات: ١/ ١١٥ .

آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[آل عمران:٧] وإنّما هلك الناس في المتشابه لأنّهم لم يقفوا على معناه ولم يعرفوا حقيقته، فوضعوا له تأويلات من عند أنفسهم بآرائهم واستغنوا بذلك عن مسألة الأوصياء... وأمّا المتشابه من القرآن فهو الذي انحرف منه، متّفق اللفظ مختلف المعنى، مثل قوله عز وجلّ: ﴿فيضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء﴾[إبراهيم:٤] فنسب الضلالة إلى نفسه في هذا الموضع، وهذا ضلالهم عن طريق الجنّة بفعلهم، ونسبه إلى الكفار في موضع آخر ونسبه إلى الأصنام في آية أخرى))[١]، وعن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل وفيه ((ثُمّ إنّ الله جلّ ذكره لسعة رحمته ورأفته بخلقه وعلمه بما يُحدِثه المبطلون من تغيير كلامه، قسّم كلامه ثلاثة أقسام فجعل قسمًا منه يعرفه العالم والجاهل، وقسمًا لا يعرفه إلّا من صفا ذهنه ولطف حسّه وصحّ تمييزه ممن شرح الله صدره للإسلام، وقسمًا لا يعرفه إلّا الله وأنبياؤه والراسخون في العلم))[٢]، وقد نصّ الرسول محمّد صلى الله عليه وآله على ((أنّ متشابه القرآن لا يعلمه إلّا الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة من ذرّيته عليهم السلام ولا يعرف إلّا عن طريقهم وبابهم عليهم السلام، قال النبي محمّد صلى الله عليه وآله : إنّ القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضًا، ولكن نزل ليصدِّق بعضه بعضًا، فما كان من محكمه فاعملوا به وما كان من متشابهه فآمنوا به))[٣]، قال عليه السلام : ((إيّاك أن تفسرِّ القرآن برأيك، حتّى تفقهه عن العلماء، فإنّه رُبّ تنزيل يُشبّه بكلام البشر، وهو كلام الله، وتأويله لا يشبه كلام البشر، كما ليس شيء من خلقه يشبهه، كذلك لا يشبه فعله تعالى شيئًا من أفعال البشر ولا يشبه شيء من كلامه بكلام البشر، فكلام الله تبارك وتعالى صفته وكلام البشر أفعالهم فلا تُشبّه

(١) ميزان الحكمة: ٣/ ٢٥٣٤ .
(٢) تفسير نور الثقلين: ١/ ٣١٣ .
(٣) فتح القدير: ١/ ٣٢٠ .

كلام الله بكلام البشر، فتهلك وتضلّ))[١]. وعن ابن عباس قال: ((والله لقد أُعطي عليّ بن أبي طالب تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شارككم في العشر العاشر))[٢].

ج- معرفة عادات العرب ومن حولهم: ولمعرفة طبيعة وعادات العرب ومن حولهم من اليهود والنصارى وقت نزول القرآن دور كبير في فهم القرآن الكريم، والإمام عليّ عليه السلام عاش في ذلك الزمان، وعرف الكثير من العادات التي نهى عنها القرآن، أو تلك التي أقرّها، ومن أمثلة هذا الفهم ما رواه ابن أبى حاتم لما نافر ابن وائل أبا الفرزدق، فعقر كلّ واحد منهما مئة من الإبل، فخرج على الإمام عليّ ببغلة رسول الله صلى الله عليه وآله البيضاء وهو ينادي: ((يا أيّها الناس لا تأكلوا من لحومها، فإنّها أهلّ بها لغير الله، فالإمام علي عليه السلام عرف من عادات العرب في وقته أنّ مثل هذه المنافرة ليست لله وإنّما هي للشيطان))[٣]، فنهى عنها مستدّلاً بقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ...﴾[المائدة:٣].

د- حمل المطلق على المقيّد في القرآن الكريم:

حمل المطلق على المقيد هو أحد قواعد أصول الفقه التي يستخدمها العلماء لفهم النصوص الشرعية وتفسيرها، هذا المبدأ يعتمد على تفسير النصوص المطلقة (التي لا تحتوي على شروط أو قيود) في ضوء النصوص المقيّدة (التي تحتوي على شروط أو قيود)، ولقد حمل أمير المؤمنين مطلق القرآن على مقيّده في استنباط الحكم، إذ حمل مطلق الأمر بالقطع في آية السرقة على مقيّده في آية المحاربة بعدم القطع إلّا مرّتين، وعدم قطع أكثر من يد ورجل عند تكرار السرقة، فإذا سرق مرّة

(١) بحار الأنوار: ٨٩/ ١٠٧ .

(٢) نصوص أخرى تتعلق بعلم أمير المؤمنين وحكمته وبعض صفاته: ٧٢ .

(٣) أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (شخصيته وعصره - دراسة شاملة) : ١/ ٧٣ .

قطعت يده اليمنى، وإذا سرق قطعت رجله اليسرى، فإن زاد وسرق مرّة ثالثة ورابعة لم يزد على ذلك، ويعزّره بدل القطع لأنّه حمل قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا..﴾[المائدة:٣٨] على آية المحاربة ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾[المائدة:٣٣]، وقال: ((إنّ الله لم يزد على قطع يد ورجل في آية المحاربة، ولذلك كان يعاقب مثل هذا بالسجن، فعن الشعبي قال: كان علي لا يقطع إلّا اليد والرجل، وإن سرق بعد ذلك سجن ونكل، وكان يقول: إنّي لأستحيي الله ألّا أدع له يدًا يأكل بها ويستنجي))[١].

المبحث الثاني: أثر الإمام عليّ عليه السلام في التفاسير الإسلامية

المطلب الأوّل: نهج البلاغة

إنّ لكتاب نهج البلاغة مكانة خاصّة ومتميّزة في التراث الإسلاميّ، فهو يحمل في طيّاته خطبًا، وأقوالًا، وأمثالًا، وشواهد بلاغيّة وقرآنيّة، يعكس فهم الإمام عليّ عليه السلام للقرآن الكريم وتفسيره، وفصاحة كلماته في فنّ الخطابة والكتابة، حيث الاستشهاد بالقرآن الكريم وكيفية استخدام الإمام عليّ عليه السلام للآيات القرآنيّة في خطبه وتفسيرها، وتتمثّل بأهليّته لبيان مراد الله تعالى في خطابه في القرآن الكريم، من إيضاح معنى لغوي عام، أو تفصيل إجمال، أو بيان مبهم، أو تخصيص عام، أو تجلية مصداق، أو استنباط حكم شرعيّ فرعيّ، أو إرشاديّ أو تنزيهيّ، وغير ذلك ممّا ينظّمه تفسير النصّ القرآنيّ، ((إنّ القرآن نزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلّا وله ظهر وبطن، وإنّ عليّ بن أبي طالب عنده علم الظاهر والباطن))[٢]، قال أمير المؤمنين عليه السلام ((إنّ

(١) المصنف: ١٠/ ١٨٦ .
(٢) شرح إحقاق الحق: ٧/ ٦٣٩ .

هناك من القرآن ما لا يعلم ولا يفهم إلّا ببيان من أهل البيان، وهم المعصومون عليهم السلام ، ومن القرآن ما يفهم معناه بدون حاجة إلى ذلك، حيث إنّه ظاهر اللفظ، واضح المعنى لا سترة فيه))[١]، وقال عليه السلام في نهج البلاغة: ((وخلّف فيكم ما خلفت الأنبياء في أممها - إذ لم يتركوهم هملًا بغير طريق واضح، ولا علم قائم - كتاب ربّكم، مبيّنًا حلاله وحرامه، وفرائضه وفضائله، وناسخه ومنسوخه، ورخصه وعزائمه، وخاصّه وعامّه، وعبره وأمثاله، ومرسله ومحدوده، من كبير أوعد عليه نيرانه، أو صغير أرصد له غفرانه))[٢]، ويصف أمير المؤمنين عليه السلام القرآن بأنّه مفتاح لعلاج جميع المشكلات فيقول عليه السلام في وصفه: ((ودواء دائكم، ونظم ما بينكم، ففي القرآن دواء لآلامكم والسبيل لحلّ مشكلاتكم وتنظيم أموركم، إنّ القرآن دواء فيه شفاء لجميع الأمراض، وبوجود القرآن تتلاشى الآلام والمتاعب، فلابدّ من قراءة هذه الوصفة التي فيها الشفاء ومطالعتها بدقة والتعرّف على سبيل علاج الأدواء، والمشكلات الفردية والاجتماعية.

المطلب الثاني: تفسير القمي

لصاحبه أبو الحسن عليّ بن إبراهيم بن هاشم القمي، قال النجاشي: ((ثقة في الحديث، ثبت، معتمد، صحيح المذهب، سمع فأكثر، وصنّف كتبًا وأضرّ في وسط عمره. وعدّه ابن النديم من فقهاء الشيعة. وترجمه ابن حجر في لسان الميزان. وروى عنه حمزة بن محمد العلويّ)) [٣]، يذكر ابن القمي في مقدّمة كتابه أنّه روى عن ثقات مشايخه وسائر الرواة، ممّا يصل إلى الأئمة، وقد يكون نقل عن الإمام عليّ عليه السلام من

(١) القرآن والعقيدة: ٦١ .
(٢) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد: ١/ ٧٦ - ٧٧ .
(٣) فهرس التراث: ١/ ٣٣٤ .

طريق روايات الإمام الصادق عليه السلام أو رواة آخرين. ((إنّ التفسير المتداول المطبوع كرارًا، ليس لعلي بن إبراهيم وحده))[١]. وهو من مصنّفي الإمامية، ((ذكره محمّد بن إسحاق النديم في الفهرست وقال: له من الكتب التفسير والناسخ والمنسوخ والمغازي والشرائع))[٢]، قال علّي بن إبراهيم: ((حدثني أبي عن حماد، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة:٦] قال: هو أمير المؤمنين عليه السلام ومعرفته، والدليل على أنّه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾، وهو أمير المؤمنين في ﴿أم الكتاب﴾)) [٣]، وفي قوله ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ...﴾[٤]، وقد ((ذكر ابن القمي الإمام علياً عليه السلام في مواضعَ عديدة ليظهر مدى تأثره بتفسير الإمام علي عليه السلام))[٥].

المطلب الثالث: تفسير العياشي

للمؤلف الشيخ محمد بن مسعود العياشي السلمي[٦]، رجل دين وفقيه ومُفسرّ شيعي ((ومن رواة الأحاديث أبي النضر محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمي السمرقندي المؤلف لما يزيد على مائتي كتاب في عدة فنون، الحديث، الرجال، التفسير، النجوم، وغيرها، وهو من مشايخ الكشي، ومن طبقة ثقة الإسلام الكليني))[٧]، إذ إنّ ((تفسير العياشي من التفاسير الشيعيّة القديمة في عصر الغيبة الصغرى (٢٦٠ – ٣٢٩هـ) والجانب الروائي غالب عليه كباقي مؤلفات الإمامية في

(١) كليات في علم الرجال: ٣١٣ .
(٢) لسان الميزان: ٤/ ١٩١ .
(٣) سورة الزخرف: ٤
(٤) ينظر: تفسير القمي: ١/ ٢٨ – ٢٩ .
(٥) تفسير القمي: المقدمة، ١/ ٥–٢٠.
(٦) ينظر: الأعلام: ٧/ ٩٥ .
(٧) الذريعة: ٤/ ٢٩٥ .

تلك الفترة، ونظرًا لاهتمام العياشي بالمسائل الفقهية في تفسيره نجد أنّ المفاهيم الفقهية بارزة في هذا التفسير، أجمع كل من جاء بعده من أهل العلم على جلالة قدرة وعلو منزلته وسعة فضله، و أطراه علماء الرجال متسالمين على أنه ثقة عين صدوق في حديثه من مشايخ الرواية يروي عنه أعيان المحدثين كشيخنا الكشي صاحب الرجال وهو من تلامذته، وشيخنا جعفر بن محمد بن المسعود العياشي وهو ولده كان شيخنا المترجم عنه نشأ على مذهب أهل السنة ثم تشيع فكان أحد أساطين العلم وأعيان الطائفة))[١]، ويظهر في تفسيره الاهتمام بما ورد في فضل أهل بيت الرسول عليهم السلام والعناية بما نزل في حقهم وينطبق عليهم من المدح، فقد نقل عن الإمام علي عليه السلام فقال: ((أتى رجل عليا فقال له: يا أمير المؤمنين أخبرني عن ذي القرنين فقال له: سخر له سحاب وقربت له الأسباب، وبسط له في النور، فقال له الرجل: كيف بسط له في النور؟ فقال علي عليه السلام : كان يبصره بالليل كما يبصر بالنهار، ثمّ قال علي عليه السلام للرجل: أزيدك فيه؟ فسكت))[٢]، ونقل أيضًا ((عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللّهِ﴾[البقرة:١٣٨] قال: الصبغة معرفة أمير المؤمنين بالولاية في الميثاق))[٣]. وذكر إيضًا ((عن مسعدة بن صدقه عن أبي جعفر عليه السلام عن أبيه عن جده قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام سموهم بأحسن أمثال القرآن يعنى عترة النبي صلى الله عليه وآله، هذا عذب فرات فاشربوا، وهذا ملح أجاج فاجتنبوا))[٤]. وفي مواضع عديدة تمّ ذكر الإمام علي عليه السلام في تفسير العياشي حيث يتم الاستناد إلى العديد من الروايات والأحاديث التي وردت عنه في تفسير القرآن الكريم.

---

(١) تفسير العياشي: ١/ ٤ .
(٢) م. ن: ٢/ ٣٤١ .
(٣) معنى الفطرة والصبغة: ١٠٠ .
(٤) تفسير العياشي: ١/ ١٣ .

المبحث الثالث: بعض التفسيرات المغيبة للإمام عليّ عليه السلام التي نقلت عنه:

١- تفسير الإمام عليّ عليه السلام لبعض من آيات سورة البقرة: أنّه كذبت قريش واليهود بالقرآن وقالوا: سحر مبين تقوله، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة:١-٢] أي ((يا محمد هذا الكتاب الذي أنزلته عليك هو [بـ] الحروف المقطعة التي منها: ألف، لام، ميم وهو بلغتكم وحروف هجائكم، فاتوا: فاتوا بمثله إن كنتم صادقين واستعينوا على ذلك بسائر شهدائكم))[١].

٢- قال أمير المؤمنين عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾[البقرة:٢٩] لتعتبروا ولتتوصلوا به إلى رضوانه وتتوقوا به من عذاب نيرانه، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ أخذ في خلقها واتقانها، ﴿فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ((ولعلمه بكلّ شيء علم المصالح فخلق لكم كل ما في الأرض لمصالحكم يا بني آدم))[٢].

٣- وصف الإمام عليّ عليه السلام بني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَـٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾[البقرة:٥٨]، ((فهؤلاء بنو إسرائيل نُصب لهم باب حطّة وأنتم يا معشر أمّة محمد نُصب لكم باب حطة أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله، وأُمرتم باتّباع هداهم ولزوم طريقتهم، ليغفر [لكم] بذلك خطاياكم وذنوبكم، وليزداد المحسنون منكم، وباب حطّتكم أفضل من باب حطّتهم، لأنّ ذلك [كان] باب خشب، ونحن الناطقون الصادقون المرتضون الهادون الفاضلون، كما قال رسولا لله صلى الله عليه وآله : إنّ النجوم في السماء أمان من الغرق، وإنّ أهل بيتي أمان لامّتي من الضلالة في أديانهم، لا يهلكون

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام : ٦٢ .

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢/ ١٥ - ١٦ .

(فيها ما دام فيهم) من يتّبعون هديه وسنته))[١].

٤- تفسير الإمام عليّ عليه السلام لسورة الفاتحة: قال عليه السلام مقولة مشهورة في تفسيره سورة الفاتحة ((لو شئت لأوقرت سبعين بعيرًا في تفسير فاتحة الكتاب، ولما وجد المفسرون قوله لا يأخذوا بـه))[٢]، وعن الإمام زين العابدين عليه السلام ((أنّ رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أخبرني عن قوله عزّ وجل (الحمد لله رب العالمين) ما تفسيره؟ فقال: (الحمد لله) هو أن عرّف الله عباده بعض نِعَمِه عليهم جملًا، إذ لا يقدرون على معرفة جميعها بالتفصيل، لأنّها أكثر من أن تُحصى أو تُعرف فقال لهم: قولوا: الحمد لله على ما أنعم به علينا ﴿رب العالمين﴾))[٣]، وعن ((الإمام العسكريّ عليه السلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام: ربّ العالمين، يعني مالك الجماعات من كلّ مخلوق وخالقهم وسائق أرزاقهم إليهم من حيث يعلمون ومن حيث لا يعلمون، يقلّب الحيوانات في قدرته، ويغذوها من رزقه، ويحوطها بكنفه، ويدبّر كلاًّ منها بمصلحته، ويمسك الجمادات بقدرته، ويمسك ما اتّصل منها عن التهافت والمتهافت عن التلاصق والسماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه، والأرض أن تنخسف إلّا بأمره))[٤].

٥- تفسير الإمام عليّ عليه السلام لسورة التوبة: ذكر المفسّرون لهذه السورة أسماء عديدة تبلغ العشرة، غير أنّ المشهور منها هو ((سـورة الـبراءة، وسورة التوبة، والسورة الفاضحة. ولكلّ من التسميات سبب جليّ))[٥]. وعن الإمام عليّ عليه السلام: ((لم ينزل بسم الله الرحمن الرحيم على رأس سورة براءة لأنّ بسم الله للأمان والرحمة ونزلت براءة

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٥٤٦.
(٢) مناقب آل أبي طالب: ١/ ٣٢٢.
(٣) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٣٠.
(٤) مسند الإمام علي عليه السلام: ٢/ ١٤.
(٥) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٥/ ٥١٧.

لرفع الأمان بالسيف))[١]، أمّا قوله تعالى (نسوا الله فنسيهم) ((إنّما يعني نسوا الله في دار الدنيا، لم يعلموا بطاعته فنسيهم في الآخرة أي لم يجعل لهم في ثوابه شيئًا فصاروا منسيين من الخير، وكذلك تفسير قوله عزّ وجلّ: ﴿فَالْيَوْمَ نَنْساهُمْ كَما نَسُوا لِقاءَ يَوْمِهِمْ هذا﴾ [الأعراف:٥١]))[٢]. يعني بالنسيان أنّه ((لم يثبهم كما يثيب أولياءه الذين كانوا في دار الدنيا مطيعين ذاكرين حين آمنوا به وبرسله وخافوه بالغيب))[٣].

٦- **تفسيره الإمام عليّ عليه السلام لسورة يوسف**: في تفسير أمير المؤمنين عليه السلام للآية ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها لَوْ لا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّه﴾[يوسف:٢٤] والمراد هنا ((ببرهان اللَّه تعالى نهيه عن الفاحشة، وعليه يكون المعنى ما همّ بها إطلاقًا تمامًا كقولك: لولا فلان هلكت قد يرى الحول القلب - البصير بتحويل الأمور الخبير بتقلبها وجه الحيلة ودونه مانع من أمر اللَّه ونهيه فيدعها رأي العين بعد القدرة عليها ﴿كَذلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْه السُّوءَ وَالْفَحْشاءَ إِنَّه مِنْ عِبادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾[يوسف:٢٤] السوء: كيد امرأة العزيز، والفحشاء الزنا، وقد صمم يوسف منذ البداية أن يحجم عما نهى اللَّه عنه مهما تكن النتائج فكان اللَّه معه، وأعانه على ما أراد بعد أن علم منه الصدق والإخلاص))[٤]. ورد عن الامام الصادق عليه السلام قرأ رجل على أمير المؤمنين عليه السلام ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾[يوسف:٤٩] فقال: ((ويحك أي شيء يعصرون الخمر، قال: الرجل يا أمير المؤمنين كيف أقرأها قال إنما نزلت عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون أي يمطرون بعد سنين المجاعة والدليل على ذلك قوله تعالى وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا))[٥].

---

(١) كتاب الصلاة - تقرير بحث المحقق الداماد للآملي: ٤ / ١٨١ .
(٢) تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: ٥/ ٩٠ .
(٣) التوحيد: ٢٥٩ - ٢٦٠ .
(٤) التفسير المبين: ٣٠٦
(٥) الشيعة والقرآن/ ويشتمل على القسم الكبير من كتاب « فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب » : ١/ ٢٤١ .

٧- مرويات الإمام علي عليه السلام في تفسير سورة هود:

أولاً: تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَآ يَحْبِسُهُ﴾[هود:٨]، عن هشام بن عمار، عن أبيه، عن الإمام علي عليه السلام في تفسير الآية الكريمة، قال: ((الأُمّة المعدودة: أصحاب القائم الثلاثمائة والبضعة عشر))[١].

ثانياً: تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾[هود:١٧]، إذ قام رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: ((يا أمير المؤمنين، أخبرني عن قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾؟". فقال عليه السلام: رسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان على بيّنة من ربّه، وأنا الشاهد له ومنه، والذي نفسي بيده، ما أحد جرت عليه المواسي من قريش إلّا وقد أنزل الله فيه من كتابه طائفة، والذي نفسي بيده، لأن تكونوا تعلمون ما قضى الله لنا أهل البيت على لسان النبيّ الأميّ أحبّ إليّ من أن يكون لي ملء هذه الرحبة ذهبًا، والله ما مثلنا في هذه الأمّة إلّا كمثل سفينة نوح، وكباب حطّة في بني إسرائيل))[٢].

ثالثًا: تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ...﴾[هود:٤٠]، قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((إنّ نوحًا لمّا فرغ من السفينة، وكان ميعاده فيما بينه وبين ربّه في إهلاك قومه أن يفور التنّور، ففار، فقالت امرأته: إنّ التنّور قد فار - أي خرج منه ماء-، فقام إليه فختمه، ثُمّ قام وأدخل من أراد إدخاله، وأخرج من أراد أن يخرج، ثُمّ جاء إلى خاتمه فنزعه))[٣].

---

(١) تفسير القمي: ١/ ٣٤٩.
(٢) بحار الأنوار: ٣٥/ ٣٩٣.
(٣) نفحات الرحمن في تفسير القرآن: ٣/ ٣١٤.

النتيجة

الحمد الله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وبتوفيقه تقضى الحاجات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والرسالات، نبينا محمّد صلى الله عليه وآله تسليما كثيرًا إلى يوم الدين، وبعد ففي خاتمة هذا البحث توصّلت إلى النتائج الآتية:

١. إنّ علم الإمام عليّ عليه السلام وفصاحته ودرايته بأمور العرب جعلته بالمقام الأوّل في مجال التفسير، فهو معصوم وبيت النبوّة بلاغته وعلمه مستمدّ من النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله، لذا يجب الأخذ به والاعتماد عليه في تفسير القرآن.

٢. يعدّ تفسير الإمام عليّ عليه السلام التي نقله عنه أهل البيت عليهم السلام مصدرًا رئيسًا لأهمّ التفاسير الإسلاميّة مثل تفسير الإمام الباقر والطبرسي وأبي حمزة الثمالي وفرات الكوفي والطوسيّ وغيرها.

٣. كان منهج أمير المؤمنين في تفسير القران يعتمد على أسس واقعية مستلهمة من تفسير القرآن بالقرآن والناسخ والمنسوخ أو بيان المبهم واستنباط الحكم الشرعي والعمل بالآيات المحكمات والمتشابهات والروايات الواردة عن النبيّ الكريم، ممّا يجعله الرائد الأول بالتفسير بعد النبيّ صلى الله عليه وآله، واشتمل تفسير أمير المؤمنين بالمغيّبات وأسرار العلوم الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله ممّا يتّضح أنّ الأداء الفكريّ والتطبيقيّ والتنظيريّ لتفسير القرآن هو من ذلك النمير الرائق المتّصل بالعلم الإلهيّ الذي أوحاه الله لرسوله الكريم.

٤. أصبحت فلسفة أمير المؤمنين في تفسير القرآن منارًا يُهتدى به ونورًا يُقتدى به لدى كثير من المفسّرين والباحثين عن حقيقة القرآن وقراءة معانيه وما ورد فيه من آيات كريمة على مدى العصور.

المصادر والمراجع:

*القرآن الكريم.

١. أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت؛ انتشارات إسماعيليان، طهران.

٢. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، تحقيق وتخريج: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٥١م.

٣. الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، أحمد الرحماني الهمداني، المنير للطباعة والنشر، طهران، ١٩٩٦م.

٤. بحار الأنوار، العلامة محمد باقر المجلسي، القسم العام، الطبعة الثانية المصححة، مؤسّسة الوفاء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٣م.

٥. تاريخ دمشق، ابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٩٥م.

٦. تاريخ الكوفة، السيد البراقي، تحقيق: ماجد أحمد العطية، استدراكات: السيّد محمّد صادق آل بحر العلوم، الطبعة الأولى، انتشارات المكتبة الحيدرية، ٢٠٠٣م.

٧. تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تقديم: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٢م.

٨. تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام ، المنسوب إلى الإمام العسكري، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام ، الطبعة الأولى، قم المقدسة، ١٩٨٨م.

٩. تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، تحقيق وتصحيح: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران.

١٠. تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، تصحيح وتعليق: السيّد طيب الموسوي الجزائري، مطبعة النجف، منشورات مكتبة الهدى، ١٩٦٧م.

١١. تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الطبعة الأولى، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ١٩٠٨م.

١٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، محمّد بن جرير الطبري، تقديم: الشيخ خليل الميس، تحقيق: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

١٣. شرح إحقاق الحقّ، السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ١٩٩٠م.

١٤. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق ومراجعة: محمّد عبد الكريم النمريّ، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٨م.

١٥. الشيعة في الميزان، محمّد جواد مغنية، الطبعة الرابعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٩م.

١٦. علوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات، محمّد سالم أبو عاصي، الطبعة الأولى، دار البصائر، القاهرة، ٢٠٠٥م.

١٧. عيون أخبار الرضا عليه السلام ، الشيخ الصدوق، تصحيح وتعليق: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٤م.

١٨. الغدير، الشيخ عبد الحسين الأميني، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٢م.

١٩. الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ابن الصباغ المالكي، علي بن محمد، تحقيق: سامي الغريري، الطبعة الأولى، دار الحديث للطباعة والنشر، قم، ١٤٢٢هـ.

٢٠. فهرس التراث، محمّد حسين الحسيني الجلاليّ، دليل المؤلفات، الطبعة الأولى، قم، إيران.

٢١. قادتنا كيف نعرفهم؟ السيد محمد هادي الميلاني، تحقيق: السيد محمد علي الميلاني، الطبعة المنقحة الأولى، قم المقدسة، ١٩٧٥م.

٢٢. الكافي، الشيخ الكليني، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الخامسة، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٩٨٤م.

٢٣. كتاب الصلاة، تقرير بحث المحقق الداماد للآملي، الطبعة الأولى، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٩٦٨م.

٢٤. كنز العمال، المتّقي الهندي، ضبط وتفسير: الشيخ بكري حياني، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م.

٢٥. لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، الطبعة الثالثة، تحقيق: دائرة المعارف النظامية، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٦م.

٢٦. المصنّف، عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس العلمي.

٢٧. معجم ابن الأعرابي، أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد، تحقيق: عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٩٩٧م.

٢٨. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، تصحيح وشرح: لجنة من أساتذة النجف، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٥٦م.

٢٩. مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، محمّد بن سليمان الكوفي، تحقيق: الشيخ محمّد باقر المحمودي، الطبعة الأولى، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم، ١٩٩١م.

٣٠. نشأة التشيع والشيعة، السيد محمّد باقر الصدر، تحقيق: عبد الجبار شرارة، الطبعة الثانية، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ١٩٩٧م.

٣١. نهج البلاغة، ما جمعه الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، شرح: الشيخ محمّد عبده، الطبعة الأولى، دار الذخائر، قم، ١٩٩١م.

الدلالةُ القرآنيّة في قصيدة (والموت يطويها) للإمام علي عليه السلام

م.م سارة علي العبوديّ
جامعة كربلاء

الخلاصة

الدلالة بشكل عام هي المفهوم المتحصل إجمالًا من النص أو العبارة، والدلالة في اللغة أو كما جاء في المعجمات لا تخرج عن مفهوم الدلالة الماديّة المتصلة بمفهوم الدليل الذي يرشد الناس إلى المسالك، فهي باختصار: الإرشاد.

والمفردات القرآنيّة تُعدّ ذات مخزون دلاليّ جميل و عميق، فالمفردة القرآنيّة لا يمكن حدَها بمدلول واحد فيمكن أن يكون لها معان عدّة، تختلف بحسب الإيحاء والأسلوب و السياق والنسق والتركيب والموقف والمقام...إلخ، إذ يمكن أن نقرأ تفاسير مختلفة للمفردة في الآية نفسها، وتلك الدلالات ومقاماتها المختلفة تؤخذ من رافد الحقّ، ومن الباب المأمون لكلّ علم ومن الحقيقية التي لا ريب فيها، وهو منهج الكتاب والعترة الذين لا يفترقان عن بعضهما، فأحدهما القرآن الصامت والآخر القرآن الناطق يكمّل أحدهما الآخر، تلك الأخبار والأحكام والقضايا الواردة عن آل محمّد صلوات الله عليهم عبر علمائنا الأجلاء ومراجعنا العظام كنوز وجواهر ثمينة، لهم الفضل في إيصالها لنا، ولنا الفخر في دراستها والبحث فيها.

و معروف أنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو إمام البلاغة وعميد الفصاحة، قيل في كلامه عليه السلام : دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين، سواء في خطبه أم أحاديثه أم تلك الأبيات التي ينشدها عليه السلام، فكان من الممتع لنا أن نغور في سبر فصاحته وإبداعه

اللغويّ ونكتشف جمالية الأثر القرآنيّ في كلماته وعمقها الدلاليّ في قصيدته التي يتحدّث فيها عن النفس وتقلّباتها و حبّها لهذه الدنيا الفانية.

جاء البحث بمقدّمة لأهمية البحث ومنهجيّته، يليها تمهيد عن الدلالة القرآنيّة، ثمّ مبحثين كان أوّلهما بيان وتوضيح لموضوع القصيدة وبحرها وبعض الصور البديعة التي صورها الإمام علي عليه السلام في هذه الأبيات، وكان التحليل الدلاليّ القرآنيّ لمفردات القصيدة في المبحث الثاني تحليلًا يشمل جوانب دلاليّة متنوّعة توضّح الأثر القرآنيّ في أبيات القصيدة، ويلي ذلك خاتمة لنتائج البحث وثمرته.

الكلمات المفتاحية: الإمام علي عليه السلام، الدلالةُ القرآنيّة، قصيدة.

Abstract:

In general، connotation is the concept obtained as a whole from a text or phrase and is not related to a single word. Connotation in language، or as stated in dictionaries، does not deviate from the concept of material connotation related to the concept of evidence that guides people to paths. In short، it is guidance.

Qur’anic vocabulary، which is considered to have a beautiful and deep semantic reserve. A Qur’anic word cannot be limited to one meaning. It can have several meanings، differing according to the context، format، composition، position، and position. We can read several different interpretations of the word in the same verse depending on the position، according to the words of the Messenger of God. May God’s prayers and peace be upon him and his family: “We are commanded to speak to people according to the level of their intellect.”

These connotations and their various positions are taken from the tributary of truth، from the safe door to all knowledge،

and from the truth about which there is no doubt، which is the approach of the Book and the descendants who are inseparable from each other. One of them is the silent Qur'an and the other is the speaking Qur'an. They complement one another. These are the news، rulings and issues that came from the family of Muhammad، may God's prayers be upon them through Our venerable scholars and great references are precious treasures and gems. They are credited with delivering them to us، and we are proud to study and research them.

As is known، the Commander of the Faithful، peace and blessings be upon him، is the imam of eloquence and the dean of eloquence. It was said about his speech، peace be upon him، that it is below the words of the Creator and above the words of created beings، whether in his sermons، his hadiths، or those verses that he، peace and blessings be upon him، recites. So it was interesting for us to delve into his eloquence. And his linguistic creativity، and we discover the beauty of the Qur'anic influence in his words and their semantic depth in his poem in which he talks about the soul، its fluctuations، and its love for this mortal world. The research included an introduction to the Qur'anic connotation and the suggestive connotation، and two sections، the first of which was a statement and clarification of the subject of the poem، its context، and some of the wonderful images depicted by Imam Ali، peace be upon him، in these verses. The Qur'anic suggestive analysis of the poem's vocabulary in the second section was an analysis that included various suggestive aspects، including lexical، morphological، and phonetic.

Keywords: Imam Ali (PBUH)، Quranic Connotations، Poetry.

المقدمة

بسم الله الخالق المنّان والحمد والشكر لله والثناء على رافع السماء خالق الأحياء، وأفضل الصلوات وأتمّ التحيّات على حبيبه ونجيبه أبي القاسم محمّد، والسلام والبركات الدائمات على آله أئمة الهدى وسبيل الرشاد والتقى عليّ المرتضى وفاطمة الزهراء وذرّيّتهما الأطهار الأبرار.

أما بعدُ...

فقد حظي القرآن الكريم بالكثير من الدراسات التي شملت أغلب جوانبه ألفاظًا ومعانٍ، بل يكاد يُظنّ أن جميع زواياه قد دُرست، ولأنّه قرآنٌ كريم فلا تنتهي علومه ومعاجزه ومنها الدراسات القائمة على تلك العلوم القرآنيّة الظاهرة في أحاديث أهل البيت عليهم السلام عامّة وأمير المؤمنين خاصّة، لذلك كان من الشرف لنا الغور في سبر الدلالة القرآنيّة وأثرها في شعر أمير المؤمنين عليه السلام القرآن الناطق الحامل لعلوم قرآنيّة محمّديّة عظيمة جليلة تظهر في خطبه ومواعظه وحكمه وشعره وحديثه، ولأنّ الدراسة تتعلّق بأشرف النصوص القرآنيّة والعلويّة؛ لذا اعتمدنا على منهج استدلاليّ معرفيّ في الوصول إلى المدلول القرآنيّ في شعر أمير المؤمنين عليه السلام عن طريق التفاسير القرآنيّة الشريفة التي تعدّ الباب المأمون..

وجاءت الدراسة بتمهيد ومبحثين تليهما خاتمة.

أمّا التمهيد فتحدّثنا فيه عن الدلالة القرآنيّة وأهميّتها وعمقها و مخزونها اللفظيّ، وكان المبحث الأوّل بعنوان أضواء على قصيدة (والموت يطويها) تحدّثنا فيه عن الديوان المنسوب للإمام عليّ عليه السلام، وبيان لموضوع القصيدة الرئيس وبحرها وقافيتها، وإلى هنا ينتهي الجانب التنظيريّ في هذه الدراسة.

وتطرّق المبحث الثاني إلى التطبيق أو العمليّ، إذ استخرجنا فيه الدلالة القرآنيّة

تارة عن طريق المفردة في البيت الشعريّ، وتارة عن طريق النصّ الكامل في البيت الشعريّ، إذ تنوّعت طرق الوصول إلى الدلالة القرآنيّة عن طريق السياق والمعجم والصرف، ثمّ انتهت الدراسة بخاتمة تضمّنت أبرز النتائج التي توصّلنا إليها بفضل الله تعالى، والحمد لله في الأولى والآخرة، فإن وفُقنا فمن الله، و إن تكن الأخرى فنقول قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ أن نَّسِينَآ أو أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا به وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَيْنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَٰفِرِينَ﴾[البقرة: ٢٨٦].

التمهيد

الدلالة القرآنيّة: للمفردة القرآنيّة مخزونٌ دلاليّ عميق لا يمكن أن نجدها بمدلول واحد، فنجد المفردة لها معانٍ عدّة وتفسيرات حسب السياق والنسق والحدث و... إلخ، منذ عصر البزوغ للقرآن الكريم بدأ رسول الله صلى الله عليه وآله ببيان بعض دلالات الألفاظ المناسبة للموقف مثلًا، وواصل أئمّة أهل البيت عليهم السلام هذا الطريق بعد الرسول صلى الله عليه وآله، وهم عدل القرآن وتراجمة الوحي والمفهمين لما في القرآن الكريم من دلالات وعلوم وأسرار.

الدلالة القرآنيّة تشمل التفسير للفظة والعبارة والآية والسورة، خلاصة ذلك توجد دلالة قرآنيّة لفظيّة ونصيّة، وهناك من له السلطان على إيجاد هذه الدلالة وإظهارها، فمن يلج ويقحم نفسه في هذا العلم عليه أن يكون متمكّنًا من العلوم العربيّة بفروعها المعجميّة و النحويّة والصوتيّة والصرفيّة والبلاغيّة وغيرها من فنون العربيّة، التي لابدّ من تواجدها في أعظم نصّ عربيّ وهو القرآن الكريم الذي يُعدّ منحة إلاهيّة تصلح لأن يُفهم بها كتاب الله وفهم الدلالة القرآنية من خلالها ضرورة ملحّة للوصول لقصد الآية والحكم الإلهيّ[1]، بالإضافة إلى علوم أخرى، وهذا ما نجده عند آل محمّد عليهم الصلاة والسلام؛ فهم لهم سلطان على تفسير القرآن الكريم دون خطأ واحتمال واحتياط وترجيح فكلامهم حقّ، فمن يمكنه بيان المعنى والقصد والجانب الجماليّ والأدبيّ في النصّ في آن واحد لتوضيح الحقيقة الكامنة في هذا النصّ المقدّس بطريقة ضمنيّة أو صريحة! من ذلك يمكن القول إنّ الدلالة القرآنيّة تستخلص من الأخبار الواردة عن أهل البيت عليهم السلام في تفسير القرآن الكريم الحامل لمعاني وأسرار جليلة، وهذا هو الباب المأمون الذي لا يقع الداخل

(١) ينظر: المسند، أحمد بن حنبل: ٥/ ١٨١، و ينظر: إتمام الدين وكمال النعمة: ١٣٦ .

فيه في أيّ لبس أو شطط، أي من نصوص العترة الطاهرة التي تُفصِّل المجمل من القرآن الكريم وتُبيّن زواجره وتفسّر آياته لما ثبت من قول رسول الله صلى الله عليه وآله: ((إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض))[١].

وقوله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم: ((فو الله لن يُبيّن لكم زواجره ولا يوضّح لكم تفسيره إلّا الذي أنا آخذ بيده ومُصعِدَه إلي وشائل بعضُدِه ومُعلِمُكم أنّ من كنت مولاه فهذا [عليّ] مولاه، وهو عليّ بن أبي طالب أخي ووصيي، وموالاته من الله عزّ وجلّ أنزلها عليّ))[٢]، فهذا هو منهج الكتاب والعترة منهج استدلالّي معرفّي قائم على المنهج المعرفيّ الذي تكون فيه المعرفة حقيقة من الله يوحيها لأوليائه دون احتماليّة الباطل والشكّ فيها، ذلك هو الطريق الأنسب للتوصّل إلى الحمولة المعرفيّة الدلاليّة للنصّ القرآنيّ عن طريق ما وصلنا عن أهل البيت عليهم السلام بوساطة علمائنا ومراجعنا الأجلاء المتفضّلين ببذل الجهد الكبير في نقل الروايات والأخبار[٣]، وكان لجهودهم العلميّة الفذّة دور كبير في استخراج الدلالات العميقة للمفردة القرآنيّة، إذ إنّ علم الدلالة اتّجه إلى عوامل خارجيّة ذات أثر في تحديد دلالة الألفاظ سواء كانت من (العلوم الإنسانيّة أو الاجتماعيّة أو النفسيّة أو العاطفيّة)، وما لهذه العوامل من أثر في انكماش بعض الألفاظ في دلالتها أم انحدارها في سموّها بالإضافة إلى تأثير القرائن المحيطة باللفظة من سياق ونسق وإيحاء وصوت وصرف ونحو ومعجم وإيماءات وإشارات وتكثيف نصيّ تتداخل مع بعضها وتشترك في تحديد الدلالة النهائيّة للمفردة، إذ لا يمكن الغفلة عنها وعدم الإفادة منها في بيان

(١) فهم الخطاب القرآني بين الامامية والاشاعرة، د. صباح عيدان حمود العبادي: ١٥.
(٢) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: ٣٧/ ٢٠٩ .
(٣) ينظر: القرآن والفكر والادب الإسلاميّ: ٤٠-٤٥ .

الدلالة القرآنيّة، مع الأخذ بالحسبان أنّ كلّ قرينة قد تعطي معنًى مختلفًا ممّا يدلّ على إبداع الخطيب المبدع وبلاغة النصّ الجليل وفصاحته التي تمثّل سرّ إعجازه[١]، وإثارة المعاني بأسلوب لافت عند المتلقّي فترغّبه وترهّبه ليندفع مستمتعًا للبحث عن أسرار الكتاب الكريم بعد أن تنبّه عن غفلته أو تثيره بوعيد وترغّبه بعظمة الثواب الآخر الذي ينتظره.

إنّ اختلاف أو تعدّد المدلول للدال الواحد لا يعكس خللًا في التفسير أو الفهم، فقد تكون هناك دلالة قرآنيّة صريحة وأخرى ضمنيّة غير مصرّح بها، كما ذكرنا سابقًا اختلاف القرائن في تحديد الدلالة يؤدّي إلى اختلاف الدلالة أيضًا، فهناك قرائن واضحة كالأدوات اللغويّة والأدبيّة، و هناك قرائن خفيّة ذكرها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: ((أُمرنا أن نُكلِّم الناس على قدر عقولهم))[٢]، حيث هناك مقامات لطرح المخزون الدلاليّ للمفردة أو النصّ القرآنيّ لما فيه من علوم وأسرار، تارة يتعلّق بمقام التقيّة وتارة بمقام الحقيقة المطلقة وتارة أخيرة بمقام الشخص المقابل وقدر تحمّله للحقائق (قدر عقله)، كما أنّ لكلّ آية ظهرًا وبطنًا، عن الحسن عليه السلام قال: ((قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لكلّ آية ظهر وبطن، ولكلّ حرف حدّ، ولكلّ حدّ مطل))[٣]، من هنا يتبيّن للقارئ لهذا البحث استحالة حصر المفردة بمدلول واحد، وبالقرائن تسهل إمكانيّة الوصول لبعض المعاني التي يُقرّبها الذهن إلى الفهم اللغويّ، وتكون بؤرة مشتركة للوصول لبعض المعاني التي ذكرتها الروايات التفسيريّة[٤].

---

(١) ينظر: قراءات لسانية في الدلالة القرآنية: ١٥-١٧.
(٢) كتاب الكافي: ١/ ٢٣ .
(٣) رواه القاسم بن سلام في فضائل القرآن: ٤٢ .
(٤) ينظر: قراءات لسانية الدلالة القرآنية: ١٨ .

المبحث الأول: أضواء على القصيدة:

إنّ الأمثال والشعر خلاصة لحكمة شعوب أو لحادثة أو لرواية، فالمثل أو البيت الشعريّ تعبير مضغوط في أقلّ ما يمكن من الألفاظ؛ لينقل إلى الأجيال تجارب من سبقهم[١].

ورد عنوان القصيدة (والموت يطويها) في ديوان الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهو في ظنّ الزركليّ من صنع رواة الأقاصيص أو مدسوس ومنحول، إلّا أنّه في الوقت ذاته ورد له عليه السلام شعر في كتب السيرة والتاريخ والمعجمات اللغويّة وتُرجم شعره عليه السلام للغة التركيّة منظومًا كما شُرح هذا الديوان بالفارسيّة[٢].

جاءت القصيدة على نظم بحر البسيط من ثمانية أبيات تنتهي بقافية الياء، وقيل إنّ أمير المؤمنين عليه السلام أنشدها بعد أن قصده رجل ليكتب له عقدًا لشراء بيت، فنظر عليه السلام إلى الرجل فوجد أنّ حبّ الدنيا متربّع على قلبه وشعر بالألم عليه، فكتب عليه السلام في مقدّمة العقد: ((اشترى ميتٌ من ميتٍ بيتًا في دنيا الفنا وله أربعة حدود، الحدّ الأوّل يؤدّي إلى الموت، والحدّ الثاني يؤدّي إلى القبر، والحدّ الثالث يؤدّي إلى الحساب، والحدّ الرابع يؤدّي إمّا إلى الجنة وإمّا إلى النار، فتعجّب الرجل وقال: ما هذا يا أمير المؤمنين؟ جئتك تكتب لي عقد بيت، فكتبت لي عقد مقبرة!))[٣] فبكى عليه الإمام عليه السلام إشفاقًا وارتجل هذه الأبيات الفريدة متحدّثًا فيها عن النفس الهاوية للدنيا الزائلة، ويعدّ هذا هو موضوع القصيدة الرئيس، تعلّق النفس بالدنيا وملذّاتها واتّضح لنا ذلك من العقد أعلاه.

---

(١) ينظر: الإمام علي عليه السلام والشعر وبحوث أخرى، عبود جودي الحلي: ٦ .
(٢) ينظر: ديوان الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام : ١١-١٣ .
(٣) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب: ١/ ٥٢٨ .

يتّضح من القصيدة بالإضافة لما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام من أقوال في أدعيته وأحاديثه خطورة النفس وهواها، إمّا هوًى إيجابيّ ينقذها من النار وسعيرها؛ عندما يكون هوًى لا يخالف الله و المعصوم، أو هوًى سلبيّ يهوي بالإنسان إلى الهاوية؛ عندما يكون متّبعًا للشيطان و وسوسته.

وممّا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في بيان خطورة النفس أنّه قال: ((سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ألا أخبركم بأكيس الكيّسَينَ وأحمقِ الحمقى؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال: أكيس الكيسينَ من حاسب نفسه، وعمل لما بعد الموت، وأنّ أحمق الحمقى من أتبع نفسه هواها))[1]، والحديث طويل مفاده أنّ النفس تحتاج إلى تربية روحية حيث يلزم الإنسان نفسه بمحاسبتها ومراقبتها وعدم الغفلة عنها لكي لا تذهب به إلى الهاوية، وفي الرجوع إلى الحديث ذاته يتّضح أنّ أهل البيت عليهم السلام يضعون جدولًا يوميًّا في الصباح والمساء لمحاسبة النفس وردعها عن الوقوع في المعصية وترك العادات الذميمة القبيحة بعد العزيمة والإرادة بحيث لا تتمكّن الوساوس النفسانيّة ولا الخواطر الشيطانيّة من إخراج المرء عن جادّة الحقّ[2].

ذلك هو موضوع القصيدة (**النفس**)، مع علمها بفناء الدنيا فهي باكية عليها، فعلامَ يا نفس تبكين! على دنيا فانية والسلامة فيها تكمن في عدم التعلّق بما فيها والتطلّع لما بعدها، كأنها تصوير لقوله تعالى: ﴿اعْلَمُواْ أَنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِب وَلَهْو وَزِينَة وَتَفَاخُرُ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوٰلِ وَالْأَوْلٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَيهُ مُصْفَرّا ثُمَّ يَكُونُ حُطٰما وَفِي الْأَخِرَةِ عَذَاب شَدِيد وَمَغْفِرَة مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوٰن وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتٰعُ الْغُرُورِ﴾[الحديد: ٢٠].

---

(١) تفسير الإمام أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام : ٣٨ .

(٢) ينظر: الأصول القرآنية في بناء الذات وتطويرها عند أهل البيت عليهم السلام: ٢٦ .

قد أصاب أمير المؤمنين عليه السلام في وصف النفس المتعلّقة بالحطام والفناء والزوال في تصويره لهذه الدنيا من تلك الصور الواردة في هذه القصيدة إنّك تبسط يديك كي تنال من دنياك شيئًا غير أنّ الدهر يجعلك تقبض يدك فارغة في نهاية المطاف وأنت تُحيي دنياك بالآمال، والموت يقول كلمته ويُطيح بكلّ شيء إلّا الخير الذي أنت آخذه معك إلى دار البقاء، يقول أمير المؤمنين عليه السلام : ((كم من غافل ينسج ثوب ليلبسه، وإنّما هو كفنه، ويبني بيتًا ليسكنه، وإنّما هو موضع قبره))[1].

من الصور البلاغيّة الملفتة للنظر المثيرة للانتباه أوّل هذه الأبيات قوله عليه السلام:

أَموالُنا لذوي الميراثِ نجمعُها

ودُورُنا لِخرابِ الدهرِ نَبنيها

صورة تجمع بين لفظتين متضادّتين (البناء والخراب)، يظهر فنّ الإطباق جليًّا هنا، تلك الصور البلاغية ذات رسالة مهمّة وهي أهميّة الاستعداد للآخرة، فمهما عملتُم في الدنيا ومهما بنيتُم واجتهدتم للحصول على الراحة فالنتيجة هي الانتقال لعالم الآخرة، إذ ستُعرض أعمالكم على الله ليجزيكم عليها، عن أمير المؤمنين عليه السلام ((ومن عمّر دار إقامته فهو العاقل))[2]، فلا يكن عملكم دنيويّ؛ لأنّ نهايته الخراب ويكون هباءً منثورًا، بل أعمل لآخرتك واحرص على أن تبني لموتك وحياتك الأخرى تاركًا حياتك الزائلة الفانية، وفي ذلك مصداق لقوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِب وَلَهْو وَلَلدَّارُ الْأَخِرَةُ خَيْر لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[الأنعام: ٣٢].

---

(١) الآمالي، الشيخ المفيد: ١٧٢ .

(٢) ميزان الحكمة: ٣/ ٢٠٤٥ .

المبحث الثاني: أثر الدلالة القرآنيّة في قصيدة (والموت يَطويها)

إنّ المفردة ليست منعزلة عن محيطها النصيّ والثقافيّ، فهناك من يعتقد أنّ المفردة لها معنًى معجميّ فقط، قد يكون ذلك لبعض المفردات لا جميعها، فمعظم المفردات لها معانٍ عديدة إضافة للمعنى المعجميّ وهي المعاني الإدراكيّة الإيحائيّة، أو معاني أخرى صريحة وأخرى ضمنيّة تكون مصاحبة للمعنى الإدراكيّ أو الصريح، فلكلّ مفردة انطباع تتركه في نفس المتلقّي ممّا توحيه هي دون غيرها[١].

لو بحثنا عن المعنى الإيحائيّ لمفردة (نفس) والأثر القرآنيّ المترتّب عند الإمام عليّ عليه السلام في البيت الأوّل من القصيدة:

النَفسُ تَبكي عَلى الدُنيا وَقَد عَلِمَت

أنّ السَلامَةَ فيها تَركُ ما فيها

المعنى المعجميّ يقال: نفّسَ تنفيسًا عنه، أي فرّج عنه، والنفس الروح، يقال خرجت نفسه أي روحه، ويراد بالنفس الشخص الإنسان بجملته[٢].

وفي الاصطلاح هي الروح أيضًا أو ما أطلق عليها جوهر بخاريّ لطيف متعلّق بالبدن تعلّق التدبير والتصريف، أو الجسم النورانيّ الخفيف الحيّ المتحرّك النافذ في الأعضاء[٣].

يذكر الشيخ محمّد السند أنّ هناك فرقًا بين الروح والنفس، فالروح تُطلق على المخلوق والمبدع من عالم الملكوت وعالم الأمر الذي يعبّر عنه عند الفلاسفة بعالم العقل، بخلاف النفس فإنّها اللحاظ إلى جانب التعلّق بالبدن والمادّة، وإنّ في

(١) ينظر: الدلالة الأدبية في تفسير الإمام العسكري عليه السلام : ٢٠ .
(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (نفس) : ٦/ ٢٣٣ .
(٣) ينظر: روح المعاني: ١٧/ ٤٦، وموسوعة علم النفس والعلاج النفسي من منظور إسلاميّ: ١٠٩ .

النفس مفاتيح لكنوز كثيرة لا تظهر إلّا بمخالفة الهوى[١].

نلاحظ أنّ أمير المؤمنين عليه السلام هنا يتحدّث عن نفسٍ باكيةٍ على الدنيا الفانية، تسلم فيها بعد أن لا تعلّق نفسك بشي فيها، والنفس هنا إنْ بكت على الدنيا فهي متّبعة للهوى والغرائز، ذلك الهوى السلبيّ الذي يكون بغير هدى الله مخالف لهوى المعصوم الذي يعمل بمشيئة الله، تلك النفس لها مصداق في القرآن الكريم: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[الجاثية: ٢٣]، فتكمن الدلالة القرآنيّة ضمنيًا أو إيحاءً لمفردة (نفس) في الرجوع لمصداقها في القرآن الكريم، إذ ((نزلت في قريش كلّما هَوَوْا شيئًا عبدوه... و جرت بعد رسول اللّه صلى الله عليه وآله في أصحابه الّذين غصبوا أمير المؤمنين عليه السلام و اتّخذوا إمامًا بأهوائهم، وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلى عِلْمٍ وخذله عالماً بضلاله و فساد جوهر روحه وَ خَتَمَ عَلى سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ فلا يبالي بالمواعظ ولا يتفكّر في الآيات، وَ جَعَلَ عَلى بَصَرِهِ غِشاوَةً فلا ينظر بعين الاستبصار و الاعتبار فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ من بعد ضلاله أَفَلا تَذَكَّرُونَ))[٢]، يقول أمير المؤمنين عليه السلام : ((رحم الله امرءًا غالَبَ الهوى وأفلت من حبائل الدنيا))[٣]، مع ذلك لا يعني أنّ على الإنسان مخالفة كلّ فكرة مصدرها النفس، فقد يكون توافق الحقّ فالإنسان يرشده عقله، وعليه أن يحذر نوازع نفسه بطاعة الله[٤].

---

(١) ينظر: خلاصة معرفية: ٢٨٥-٢٨٦ .

(٢) تفسير الصافي: ٥/ ٧ .

(٣) ميزان الحكمة: ٢/ ٥٢ .

(٤) ينظر: الأصول القرآنيّة في بناء الذات وتطويرها عند أهل البيت عليهم السلام: ٢٧ .

وإذا انتقلنا إلى البيت:

فَـإِن بَناها بِـخَـيرٍ طـابَ مَسكَنُه
وَإِن بَناها بَشَرٍّ خابَ بانيها

وأخذنا منه مفردة (مسكنه)، باحثين عن معناها المعجميّ ليتسنّى لنا الوصول إلى الأثر الدلاليّ القرآنيّ في هذا البيت من طريقها بعد أن نبحث عن الآيات القرآنيّة الحاملة للدلالة نفسها أيضًا.

المَسْكَن من السكَن، والسكون، يقال: هو ضدّ الحركة، سكن الرجل بمعنى سكت[1]، وكلّ ما هدأ فقد سكن، قال تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[الأنعام: ١٣]، ولا يهدأ الشيء إلّا بعد أن يطمأنّ ويستقرّ وهو الاستقرار والطمأنينة هو السكينة، ويسمّى بيت الزوجيّة بالمسكن لاستقرار المرء لزوجه والطمأنينة معه، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ أن خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً أن فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰت لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الروم:٢١].

فعندما قال الأمير عليه السلام (طاب مسكنها) في الصدر من البيت، لأن المسكن للراحة والاستقرار والطمأنينة، فيطيب مسكنه حينئذ، ولم يقل (مسكن) في عجز البيت؛ لأنّه كان بناءً مصحوبًا بشرّ فخاب البناء فلا مسكن ولا راحة ولا استقرار، مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰت تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَة فِي جَنَّٰتِ عَدْن وَرِضْوَٰن مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[التوبة: ٧٢]، جاء في تفسيرها عن عليّ بن الحسين عليه السلام أنّه قال: ((إذا صار أهل الجنّة في الجنّة ودخل وليّ الله إلى جنّاته ومساكنه واتّكأ كلّ مؤمن على أريكته...

(١) ينظر: لسان العرب: ٧/ ٢٢١، والصحاح للجواهري: ١/ ٣٢٣.

ثمّ إنّ الجبار يشرف عليهم... فيقول لهم تبارك وتعالى رضاي عنكم))[١]، فتلك مساكن ترضونها لأنفسكم بعد أن رضي الله عنكم وبعد أن بنيتموها بعملكم وطاعتكم وعبادتكم، لا يكون فيها مكان للتناحر والمشاكل والضوضاء التي كانت في الدنيا، وفي البحث عن المدلول القرآنيّ في البيت:

أَينَ المُلوكُ الَّتي كانَت مُسَلطَنَة
حَتّى سَقاها بِكَأسِ المَوتِ ساقيها

الموت عاقبة كلّ حيّ، و ختام كلّ شيء ونهاية كلّ موجود والدوام لله وحده، فلا بدّ لكلّ مخلوق أن ينتهي به المطاف ويشرب من كأس الموت، فيَفنى ويزول من هذه الدنيا، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ* وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَٰلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧].

مثّل لنا أمير المؤمنين عليه السلام الموت بالشراب في كأس، لابدّ لكلّ امرئ أن يتذوّقه، وهذه دلالة تمثيليّة تثير الانتباه وتُرغِّب القارئ في الولوج بمعناها، فالملك والعبد والصغير والكبير والرجل والمرأة ليس لهم إلّا نهاية واحدة، مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[العنكبوت:٥٧]، ((أي: فاصبروا على طاعة الله فإنّكم إليه ترجعون))[٢].

استعمل أمير المؤمنين عليه السلام في هذا البيت أسلوب الاستفهام الإنكاريّ، فهو ليس بحاجة لجواب، إنّما استفهام فيه تنبيه للناس يُنكر بواسطته الإمام عليه السلام على الناس غفلتهم وحبّهم للدنيا، فأين الملوك والسلاطين؟ هل استطاعوا بملكهم وسلطانهم المفرّ من الموت؟ أم استطاعوا بما يملكون من قوّة وجاه أن يؤخّروا

(١) البرهان في تفسير القرآن: ٢/ ٨١٥ .
(٢) تفسير القمي: ٢/ ١٥١ .

موتهم؟ لعلّ الساقي هو (ملك الموت) الذي يتولّى موتهم فيسقيهم من شرابه فيتركون دنياهم ولا ينفعهم يومئذ إلّا عملهم الصالح، ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا وَهُوَ الْعَزِيز الْغَفُورُ﴾[الملك: ٢].

أمّا إذا انتقلنا إلى البيت السابع من القصيدة:

لِكُلِّ نَفسٍ وَإِن كانَت عَلى وَجَلٍ
مِنَ المَنيَّةِ آمالٌ تُقَوّيه

الأمل وجه التفاؤل، صفة طيّبة، ولكن له وجه آخر مذموم فيكون نقمة في النفس الهاوية للدنيا وملذّاتها، فهو في النفس المسوّفة لأعمال الخير والعبادة أقرب للذمّ منه إلى المدح، يقول السجاد عليه السلام في مناجاة الشاكين: ((كَثِيرَةَ الْعِلَلِ طَوِيلَةَ الاَمَلِ، إن مَسَّهَا الشَّرُّ تَجْزَعُ، وَإِنْ مَسَّهَا الْخَيْرُ تَمْنَعُ، مَيَّالَة إلى اللَّعِبِ وَاللَّهْوِ، مَمْلُوَّة بِالْغَفْلَةِ وَالسَّهْوِ، تُسْرِعُ بِي إلى الْحَوْبَةِ، وَتُسَوِّفُنِي بِالتَّوْبَةِ))[1]، يشكو تالي هذه المناجاة من نفسه المتأمّلة في الدنيا الدنيّة المسوّفة للتوبة عن كلّ وسوسة وذنب، تلك النفس توقن أنّ الموت قادم لا محالة، لكنّها تعلّل نفسها بالآمال، فتنسى اللقاء الحتميّ ببارئها، مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[الحجر: ٣]، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله في تفسير هذه الآية: ((إذا استحقّت ولاية الله والسعادة جاء الأجل بين العينين، وذهب الأمل وراء الظهر، وإذا استحقّت ولاية الشيطان والشقاوة جاء الأمل بين العينين، وذهب الأجل وراء الظهر))[2]، يتّضح من الحديث الشريف خطورة التأمّل، إذ تتغيّر ولاية المرء عندما يجعل الأمل من أولويّاته فيوالي الشيطان.

---

(١) بحار الأنوار: ٩١/ ١٤٣، المناجاة الثانية (مناجاة الشاكين) للإمام زين العابدين عليه السلام.
(٢) تفسير نور الثقلين: ٣/ ٣.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام : ((ما أطال عبدٌ الأمل إلّا أساءَ العملُ))[١]، الأمل إشغال العبد عن الأعمال واستقامة الأحوال عن الاستعداد للمعاد، فسوف يعلمون بعد حين سوء صنيعهم بعد أن يروا الجزاء، وذلك إيذانٌ بأنّهم لا ينفعهم الوعظ ولا النصح لتطويلهم الأمل[٢].

بلحاظ الدلالة السياقية في البيت المذكور آنفًا يتّضح الأثر القرآنيّ والدلالة العميقة المخزونة في هذا البيت الشعريّ، إذ وجدنا مصاديقه في طيّات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة.

في البيت الأخير من القصيدة:

فَالمَرءُ يَبسُطُها وَالدَهرُ يَقبُضُه
وَالنَفسُ تَنشُرُها وَالمَوتُ يَطويها

يخبرنا الإمام علي عليه السلام أنّ الموت يطوي تلك الآمال، فأنت تبسطها أمام نفسك والدهر يقبضها، بلاغة الطباق واضحة في هذا البيت، فالتضادّ بين عمليتي البسط والقبض توضّح أمرًا مهمًا هو أنّ الدنيا تعاملك عكس معاملتك لها، فأنت تعطيها الوقت والجهد وتحزن عليها وهي تأخذ كلّ ذلك وتجعلك في الآخرة بلا ثمرة ولا نتيجة، تبقيك حزينًا لكن على نفسك ونهايتك في دار البقاء أن حزنت عليها في دار الفناء، تأمّلت فيها وآمالك يطويها الموت، قال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْو وَلَعِب وَإِنَّ الدَّارَ الْأَخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾[العنكبوت: ٦٤]، فمهما طال أملك في الحياة الدنيا فالقرآن الكريم يقرّ بكلّ وضوح قصرها في جنب الحياة الآخرة كأنّها ساعة أو أقلّ، والفعل (يطويها) الذي جاء على وزن (يفعل) هو

(١) تفسير نور الثقلين: ٣/ ٣ .
(٢) ينظر: تفسير الصافي: ٣/ ١٠١ .

فعل يدلّ على الاستمراريّة للحدث معك ومع غيرك من المخلوقات الأخرى، فالموت يستمرّ في إنهاء مهزلة الدنيا، المتعلّق بها المتبع لهواه كأنّها لم تكن بالنسبة إليه، فكلّ ما فيها أصبح مطويًّا مضمومًا بين فترتين زمنيتين -ولادتك وموتك- فمن طُويت صحيفته مات، أي: فنى[١]، وهذه دلالة قرآنيّة وردت في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۚ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾[الأنبياء:١٠٤]، ((معنى نطويها أي نفنيها، فتتحوّل رفاتًا والأرض نيرانًا))[٢]، صورة ذات دلالة سيميائية تظهر أيقونة الطوي وتصوير الأرض والسماء، فيتجلّى للقارئ الأثر القرآنيّ الوارد في البيت الشعريّ واضحًا بعد مطابقة دلالة الفعل (يطوي) في النصّين.

(١) ينظر: الصحاح: ١/ ١٩٤ .
(٢) البرهان: ٣/ ٨٤٧ .

الخاتمة

– بالقراءة التحليلية للقصيدة يتّضح أنّ موضوعها الرئيس هو النفس، فالنفس بحاجة إلى مراقبة تهذيب باستمرار لكي لا تقع في طاعة الشيطان وتنقاد له بكثرة الآمال والتعلّق الدنيويّ.

– يتبيّن للباحثة تعامل أمير المؤمنينعليه السلام مع القرآن الكريم وتوظيفه بوصفه ميدانًا تطبيقيًّا لكلِّ شؤون الحياة، ثمَّ استخلاص ذلك التوظيف القرآنيّ بوصفه أحد مصاديق التفسير للقرآن الكريم.

– للقرآن الكريم أثر كبير في أحاديث الإمام عليّعليه السلام وخطبه وشعره، وتأثيره على شؤون الحياة العامّة في المجتمع، فهوعليه السلام القرآن الناطق.

– للمفردة القرآنيّة مخزونٌ دلاليّ عميق لا يمكن أن نجده بمدلول واحد، فنجد للمفردة معانٍ عدة وتفسيرات حسب السياق والنسق والحدث.

– البيت الشعريّ مخزون دلاليّ مضغوط بأقلّ عدد ممكن من الألفاظ لينقل للأجيال حادثة أو رواية أو قصّة أو عبرة.

– نتوصّل للدلالة القرآنيّة بواسطة القرائن النصيّة (الإيحاء والأسلوب السياق والنسق)، وقرائن غير نصيّة وهي المقامات المختلفة، مثل مقام التقيّة و الحقيقة والمداراة، وبفهم هذه القرائن يمكن التوصّل إلى المعاني التي يُقرّبها الذهن إلى الفهم اللغويّ وتكون بؤرة مشتركة للوصول إلى بعض المعاني التي ذكرها العلماء والروايات التفسيريّة.

قائمة المصادر والمراجع

١. الأصول القرآنيّة في بناء الذات وتطوريها عند أهل البيت عليهم السلام، دعاء حسون كاطع، إشراف: مركز الدراسات والبحوث القرآنية، الكفيل للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٢٣م.

٢. الأمالي، الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ)، تح: حسين الأستاذ ولي_ علي أكبر غفاري، ط١، ١٤١٤هـ.

٣. إتمام الدين وكمال النعمة، الشيخ الصدوق (ت٣٨١)، تح: علي أكبر غفاري، مؤسّسة النشر الإسلامي.

٤. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة محمّد باقر المجلسيّ، دار أحياء الوارث، بيروت.

٥. البرهان في تفسير القرآن، العلامة المحدث السيد هاشم البحرانيّ، تح: لجنة من العلماء والمحقّقين الأخصائيين.

٦. تفسير الإمام أبي محمّد الحسن بن علي العسكري عليه السلام، تح: علي عاشور، مؤسّسة قائد الغرّ المحجلين: ٢٠٠٥م .

٧. تفسير الصافي، الفيض الكاشاني (ت١٠١٩هـ)، صححه وعلّق عليه: حسين الأعلمي، مكتبة الصدر، طهران، ط٣، ١٤١٥هـ.

٨. تفسير القمي، علي بن إبراهيم القميّ (ت٣٢٩هـ)، صححه وعلّق عليه: السيد طيّب الموسوي، مطبعة النجف، منشورات مكتبة النجف، ١٣٨٦هـ.

٩. تفسير نور الثقلين، الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، تح: السيّد علي عاشور، مؤسّسة التاريخ العربيّ، (د.ط).

١٠. خلاصة معرفية، معاصر، دار الأميرة، بيروت، ط٦، ٢٠١١م .

١١. ديوان الإمام علي بن أبي طالب (عليهما السلام)، اعتنى به عبد الرحمن المصطلوي، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ٢٠٠٥م.

١٢. الدلالة الأدبيّة في تفسير الإمام العسكري عليه السلام، رسالة ماجستير مقدّمة لمجلس كلية العلوم الإسلامية للباحثة سارة علي هادي، ٢٠٢٢م .

١٣. روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، العلامة السيد محمود الآلوسي (ت١٢٧٠هـ)، ضبطه علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٤. فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب، محمد نصر الدين محمّد عويضة .

١٥. فضائل القرآن، العلامة الشيخ أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، تح: مروان العطية و وفاء تقي الدين و محسن خرابي، دار ابن كثير، دمشق.

١٦. فهم الخطاب القرآنيّ بين الإمامية والأشاعرة، د. صباح عيدان حمود العبادي، مؤسّسة دار الصادق الثقافيّة، بابل، ط١، ٢٠١٦م.

١٧. القرآن والفكر والأدب الإسلامي (مقاربات جمالية معرفية)، أ.د. أمجد حميد الفاضل، ط١، ٢٠٢٠م.

١٨. الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني، منشورات المكتبة الإسلامية، طهران، ط١.

١٩. المسند، أحمد بن حنبل، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٥٤م .

٢٠. موسوعة علم النفس والعلاج النفسي من منظور إسلامي، د. سعيد رياض.

٢١. ميزان الحكمة، محمد الريشهري، دار الحديث للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٢هـ .

دورُ الزكاةِ في تحقيقِ التكافلِ الاجتماعيِّ في مروياتِ الإمامِ عليّ عليه السلام

م.م. ضحى فليح عبد الموسوي
التخصص: ماجستير علوم مالية ومصرفية

الملخّص:

الغاية من البحث بيان دور الزكاة في تحقيق التكافل الاجتماعيّ في مرويّات الإمام عليّ عليه السلام، لما تتمتّع به الزكاة من أبعاد وآثار نفسيَّة واجتماعيَّة واقتصاديَّة، انطلقت فكرة التكافل الاجتماعيّ التي اعتمدت على مبادئ و مرتكزات أساسيّة للمجتمع، ممّا يعكس صورة إيجابيّة عن المستوى المعيشيّ للأفراد وتحقيق الاستقرار. يرتكز البحث على ثلاثة محاور، تناولنا في المحور الأوّل: مفهوم الزكاة لغةً واصطلاحًا، وأنواعها وحكمها، ومقاصدها الشرعيّة، والمحور الثاني شمل: مفهوم التكافل الاجتماعي لغةً واصطلاحًا، وأهميّته وأثره على استقرار الجوانب الاقتصاديَّة لحياة الأفراد، أمّا المحور الثالث: فقد تضمّن علاقة الربط بين دور الزكاة وأثرها في تحقيق التكافل الاجتماعيّ على وفق مرويّات الإمام عليّ عليه السلام، من خلال هذا البحث يتمّ طرح تساؤل: ما الآثار الاقتصاديّة التي تنعكس من دور الزكاة في تحقيق التكافل الاجتماعيّ وآثارها على الحياة الاقتصاديّة؟

الكلمات المفتاحيّة: الزكاة، التكافل الاجتماعيّ، مرويات الإمام عليّ عليه السلام.

Abstract:

This research aims to elucidate the role of Zakat in achieving social solidarity (Takaful) as presented in the narrations of Imam Ali (pbuh)، given its profound psychological، social، and economic dimensions. The concept of social solidarity is built upon fundamental principles and pillars that reflect a positive image of individual living standards and ensure societal stability.

The research is structured into three main axes:

The First Axis: Defines the concept of Zakat linguistically and terminologically، its types، legal rulings (Hukm)، and its higher objectives in Sharia (Maqasid).

The Second Axis: Explores the concept of social solidarity linguistically and terminologically، highlighting its importance and its impact on the economic stability of individuals.

The Third Axis: Examines the correlation between the role of Zakat and its effect on achieving social solidarity according to the narrations of Imam Ali (pbuh).

Through this study، the following question is addressed: What are the economic impacts of Zakat's role in achieving social solidarity and its subsequent effects on economic life?

Keywords: Zakat، Social Solidarity (Takaful)، Narrations of Imam Ali (pbuh).

المقدّمة:

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبيّنا محمّد الأمين وعلى آل بيته الطاهرين، وبعدُ فإنّ فريضة الزكاة -وهي ركن من أركان الإسلام- شُرِّعت لأهداف كريمة وأحكام بالغة، لما لها من آثار إيجابيّة بليغة على حياة الأفراد والمجتمع، فُرِضَت على كلّ من يمتلك الأموال ليُنفقها في الخير لاطمئنان النفس، قال الله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِم﴾[البقرة:٢٦٥]، وجعل للزكاة أثر ثنائيّ متبادل لتطهير الأموال وتزكية النفوس، فقال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم﴾[التوبة:١٠٣].

إنّ الضمان الذي يوفّره الاقتصاد الإسلاميّ هو الضمان الاجتماعيّ لتحقيق العدالة الاجتماعيّة بين أفراد المجتمع، ومن وصايا الرسول صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام قال: ((يا عليّ، سبعة من كُنَّ فيه فقد استكمل حقيقة الإيمان، وأبواب الجنّة مُفتَّحة له...، وأحسَنَ صلاتَه، وأدّى زكاة أمواله، ...))[1]، وأوصاه أيضًا: ((يا عليّ، للمؤمن ثلاث علامات: الصلاة والزكاة والصيام))[2]. ويقوم هذا البحث على المنهج الوصفيّ التحليليّ الذي يعتمد على جمع المعلومات والبيانات المتعلِّقة بالموضوع، ثُمّ تصنيفها وتحليلها لغرض الوصول إلى استنتاجات يمكن تعميمها.

مشكلة البحث:

يتمّ طرح مشكلة البحث من طريق طرحها على شكل تساؤل، ما دور الزكاة في تحقيق التكافل الاجتماعيّ في مروريّات الإمام عليّ عليه السلام وأثرها على الحياة الاقتصاديَّة؟

---

(١) وصايا الرسول لزوج البتول: ٣٩.

(٢) م.ن: ٥١.

أهميّة البحث:

تبرز أهميّة البحث من طريق توضيح الدور الذي تؤدِّيه الزكاة في تحقيق التكافل والضمان الاجتماعيّ في المجتمع الإسلاميّ على وفق مرويّات الإمام عليّ عليه السلام.

أهداف البحث:

١- توضيح دور الزكاة في الدين الإسلامي وأهميّتها والأصناف المستحقَّة للزكاة وعلى من توجب الزكاة.

٢- بيان ماهيّة التكافل الاجتماعيّ ودوره في المجتمع الإسلاميّ .

٣- إيجاد العلاقة والربط في تحقيق التكافل الاجتماعيّ من طريق الزكاة الواجبة على المسلمين.

فرضيّة البحث:

يقوم البحث على أساس فرضيَّة هو وجود علاقة ارتباط ذات دلالة معنويَّة بين الزكاة والتكافل الاجتماعيّ في مرويّات الإمام عليّ عليه السلام.

المحور الأوّل: مفهوم الزكاة ومشروعيّتها وحكمتها:

مفهوم الزكاة لغةً: تحتوي على معاني عديدة ومنها: الزيادة والبركة والطهارة والتفضيل، وإذا كانت طهارة فهي تتعلّق بالجوانب الأخلاقيّة أو الجسديّة؛ لأنّ تطهير الأموال يُسهم في زيادتها ونموّها[١] .

الزكاة اصطلاحًا: هو الحقّ الواجب في الأموال الخاصّة، في زمن مخصوص، ولفئة معيَّنة، إنّ لمفهوم الزكاة لغة واصطلاحًا هو السعي في الوصول إلى رضا الله تعالى وتطهير النفس والأموال[٢].

---

(١) ينظر: مصارف الزكاة واثرها في معالجة تداعيات نازلة كورونا: ١٤٧

(٢) ينظر: دور الزكاة في تحقيق التكافل الاجتماعي في افغانستان دراسة تحليلية: ٦ .

وللزكاة في الإسلام أهمّيّة ودور بارز، فعندما احتضر الإمام عليّ عليه السلام أوصى بجملة من الوصايا فقال: ((الله الله في الزكاة، فإنّها تطفئ غضب ربّكم))[١]، لذا فمن أراد كسب رضا الله تعالى عليه بتزكية أمواله. قال الله تعالى في كتابه ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذينَ آمَنُوا الَّذينَ يُقيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُون﴾ [المائدة:٥٥]، ولا يتخلف المفسِّرون حول تفسير هذه الآية أنّها نزلت في الإمام عليّ عليه السلام لمّا تصدَّق بخاتمه وهو راكع، وهذا يُبيّن عظمة الزكاة وأهميّتها، فعندما قرأ الرسول الأمين الآية الكريمة ثُمّ قال صلى الله عليه وآله: ((من كنتُ مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه))[٢]، والدين القيّم والإيمان الكبير الذي بيّنه الإمام عليّ عليه السلام لقيامه بالصلاة والزكاة وهو راكع بين يد الله سبحانه وتعالى، فهو العمل الصالح والإيمان الكامل[٣].

أنواع الزكاة:

للزكاة ثلاثة أنواع وهي كما يأتي:

١- **زكاة الأموال**: قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِها﴾[التوبة:١٠٣]، فهي ركن من أركان الإسلام تعطي البركة والزيادة في النفس والأموال.

٢- **زكاة النفس**: قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها* فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها﴾[الشمس:٧-٩]، إنّ النفس البشريّة تتطهّر وتتزكّى من صفات الرذيلة والنفاق والشرك والمعاصي بإعطاء الزكاة.

---

(١) وصايا الرسول لزوج البتول: ٢٨٦.

(٢) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في كتاب السنة والتاريخ: ٨/ ٣٦.

(٣) ينظر: بحار الأنوار: ٢٣/ ٣٦٩.

٣- زكاة الجسد: فهي زكاة الفطرة في شهر رمضان المبارك، عن الإمام عليّ عليه السلام إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ((تجب صدقة الفطرة على الرجل عن كلّ مَن في عياله ممّن يُموَّن من صغير أو كبير، حرّ أو عبد، ذكر أو أنثى، عن كل إنسان صاع من الطعام)) [١]، وهي على الذكَر والأنثى والكبير والصغير، والحرّ والعبد من جميع المسلمين لتطهير الصائمين من اللغو والرفث مقدارًا من الطعام، وهي أمان واطمئنان عن الموت إلى شهر رمضان القادم.

الشروط الشرعية للزكاة:

بُنِي الدين الإسلاميّ على أركان، واحد هذه الأركان هو الزكاة، فقد جاء في قول الإمام عليّ عليه السلام قال: ((حصّنوا أموالكم بالزكاة))[٢]، إنّ هذه الشروط متمثّلة بشروط وجوب الزكاة، والأموال التي تجب فيها الزكاة، والأصناف المستحقَّة لهذه الزكاة.

شروط وجوب الزكاة عديدة هي:

البلوغ، العقل، الحرية، الملك، التمكّن من التصرف.

الأموال التي تجب فيها الزكاة هي كما تأتي:

في الأنعام والغلّات والنقدين والحبوب التي تنبت في الأرض وأموال التجارة.

الأصناف المستحقِّة للزكاة وهي كما يأتي:

وهي ثماني أصناف كما ذكرها القرآن الكريم ﴿إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ وَالْمَساكينِ وَ الْعامِلينَ عَلَيْها وَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَ فِي الرِّقابِ وَ الْغارِمينَ وَ في سَبيلِ اللَّهِ وَ ابْنِ السَّبيلِ فَريضَةً مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ عَليمٌ حَكيم﴾[التوبة: ٦٠]، الفقير والمسكين

---

(١) بحار الأنوار: ٩٣/ ١٠٩- ١١٠.

(٢) ميزان الحكمة: ٢/ ١١٤٨ .

والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم والرقاب والغارمون وفي سبيل الله وابن السبيل، هذه فرائض من الله أُسّست على حكمة وعلم في إيصال الزكاة إلى مستحقِّيها[١].

أهميّة ودور الزكاة:

اقتران الزكاة بالصلاة وممّا لها من دور كبير ينعكس بصورة نفع كبير يصيب النفس، فقال تعالى: ﴿وَأَقيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ وَما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصير﴾[البقرة:١١٠]، وقال أمير المؤمنين عليه السلام : سمعت الرسول محمّد صلى الله عليه وآله قال: ((الزكاة قنطرة الإسلام فمن أدّاها جاز القنطرة، ومن منعها احتبس دونها وهي تطفئ غضب الرب))[٢]، إنّ الزكاة هي حماية وأمان لأصحاب الأموال وسبل العيش للفقراء، والرغبة في النمو وزيادة الأموال وشكر نعم الله عزّ وجلّ على الإنسان.

ومن وصايا الإمام عليّ عليه السلام في وضع المال في موضعه فقال: ((من أتاه مال فليصل به القرابة وليحسن به الضيافة وليفكّ فيه العاني والأسير وليعن به الغارمين وابن السبيل والفقراء والمهاجرين وليصبر نفسه على الثواب والحقوق فإنّه يحوز بهذه الخصال شرفًا في الدنيا ودرك فضائل الآخرة))[٣].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: ((إنّ الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلّا بما منع غني والله تعالى جدّه سائلهم عن ذلك))[٤]، وذكر أمير المؤمنين علي عليه السلام زكاة بعض النعم، قال: ((زكاة العلم نشره، زكاة الجاه بذله،

---

(١) ينظر: منهاج الصالحين: ١/ ٢٦٤- ٢٨٠ .
(٢) ميزان الحكمة: ٢/ ١١٤٦.
(٣) تحف العقول: ١٠٢ .
(٤) نهج البلاغة، محمّد عبده: ٤٢٩ .

زكاة المال الإفضال، زكاة القدرة الإنصاف، زكاة الجمال العفاف، زكاة الظفر الإحسان، زكاة البدن الجهاد والصيام، زكاة اليسار برّ الجيران وصلة الأرحام، زكاة الصحّة السعي في طاعة الله، زكاة الشجاعة الجهاد في سبيل الله، زكاة السلطان إغاثة الملهوف، زكاة النعم اصطناع المعروف، زكاة العلم بذله لمستحقّيه وإجهاد النفس بالعمل به))[1].

المواضع القرآنية التي ذُكِرَت فيها الزكاة:

ذُكِرَت الزكاة في القرآن الكريم في آيات متعدّدة منها، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ وَ ارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِين﴾[البقرة:٤٣]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾[البقرة:٨٣]، و ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[البقرة:١١٠]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[البقرة:١٧٧]، وأيضًا جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[البقرة:٢٧٧]، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٠٥ .

خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[النساء:٧٧].

وفي موضع آخر من السورة نفسها قال عزَّ وجلَّ: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النساء:١٦٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[المائدة:١٢]، وقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[المائدة:٥٥]، وقال: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف:١٥٦].

لقد حثّ الدين الإسلاميّ المسلمين على إقامة الصلاة؛ لكونها تمثِّل الارتباط الحقيقيّ للفرد المسلم بخالقه وذلك لخلق مجتمع إسلاميّ متمسِّك بالصلاة وأداء الزكاة، وتأخذ الزكاة أهميّة لكونها من أهمّ العبادات المالية في الدين الإسلاميّ، وهي أكبر أبواب الخير والبركة وأوسعها، فقد احتلّت المكانة الأولى في تحقيق التكافل الاجتماعيّ والثواب العظيم، وإنّ فرض الزكاة لغايات سامية وذلك لإعانة المحتاجين والفقراء وتقارب والمودّة بين الأغنياء والفقراء لتطهير نفوس الأغنياء من البخل والشحّ وتعليمهم العطاء والمساعدة فيما بينهم، وكذلك لتقليل كميّة

البغضاء التي من الممكن أن يشعر فيها الفقراء تجاه الأغنياء.

وترى الباحثة عبر قرأتنا للآيات الكريمة وبعض تفاسير هذه الآيات أنّ الله سبحانه وتعالى ذكر الصلاة وبعدها الزكاة؛ لكون الصلاة هي عمود الدين، فإنّ الزكاة لا تقلّ أهميّة ومكانة عن الصلاة؛ وذلك لورودها بشكل مباشر بعد الصلاة في الآيات القرآنية، إنّ الزكاة هي فريضة في جميع الشرائع السماوية المنزلة، وذلك لدورها الكبير والعظيم في معالجة وإضفاء روح التعاون والإخاء بين أفراد المجتمع، كذلك بيّن الله تعالى مكانة من يُعظِّم ويقيِّم ويعطي الزكاة إلى الفئات المستحقّة لما لهم من خير وإحسان في الدنيا والجزاء الأوفى في الآخرة، فالزكاة توضّح مدى الإيمان الحقيقي الذي يملكه المسلم في إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإيمان باليوم الآخر، والزكاة هي وسيلة يتمّ من طريقها تحقيق التكامل و إزالة الشوائب النفسية من الروح البشريّة لتكون معطاءة، وبهذا سيفعَّل التكافل الاجتماعيّ ممّا تُسهم في تطوير الاقتصاد في المجتمع بشكل أوسع، وتحقّ العدالة وتقارب المستويات المعيشية والاجتماعية بين المسلمين.

المحور الثاني: التكافل الاجتماعي

مفهوم التكافل الاجتماعي اصطلاحًا هو المساندة والتضامن الذي يُبديه أبناء المجتمع فيما بينهم في رفض الاحتكار وتحريمه ورعاية الأيتام وكفالتهم[١]، وهو أيضًا مسؤوليّة متبادلة بين فئات المجتمع لسدّ احتياجات الفقراء منهم، والمساعدة بينهم، لتبادل المصالح المشتركة والدفاع عنها[٢].

(١) ينظر: التكافل الاجتماعي في فكر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام : ٢ .
(٢) ينظر: التأمين الاجتماعي في ضوء الشريعة الإسلامية: ٥٩ .

أنواع التكافل الاجتماعي:

التكافل الاجتماعي في الإسلام أنواع عديدة هي:

١- **التكافل الأخلاقي**: هي المبادئ والأسس الأخلاقية النابعة من الإيمان الكامل لكل فرد من أفراد المجتمع، والتكافل الأخلاقي الذي دعا إليه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَيُطيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَه﴾ [التوبة:٧١] .

٢- **تكافل الأدبيّ**: هو حُسْن المعاملة والتعاون في سرّاء الحياة الاجتماعية وضرّائها لقول الإمام محمّد الباقر عليه السلام: ((أحبب أخاك المسلم وأحبب له ما تحبّ لنفسك))[١] .

٣- **التكافل المعاشي**: رعاية الفقراء والمحتاجين، وهي رعاية إلزاميّة على المجتمع، وسُمِّيت التكافل المعاشي؛ لأنّ المجتمع مسؤول عن توفير الحياة المعيشيّة الكريمة للأفراد .

٤- **تكافل العبادي**: هو التعاون في أداء بعض العبادات والشعائر الجماعيّة[٢].

كان الإمام عليّ عليه السلام حريصًا في المحافظة على كرامة الإنسان وضمان حقوقه وحريّاته، فكلّ الأفراد في المجتمع يولدون أحرارًا وهم متساوون في جميع الحقوق والحريّات من دون تمييز عنصريّ سببه اللون أو الجنس أو اللغة أو المعتقد.

---

(١) بحار الأنوار: ٧١/ ٢٢٢ .

(٢) ينظر: التأمين الاجتماعي في ضوء الشريعة الإسلامية:١٩.

التكافل الاجتماعيّ في القرآن الكريم:

قال تعالى:﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾[الحديد:٢٨]، وقال تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصيبٌ مِنْها﴾[النساء:٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفيلا﴾[النحل:٩١]، وقال تعالى: ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾[آل عمران:٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَتَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوى وَلا تَعاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوانِ﴾[المائدة:٢]، وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَ بِذِي الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالْمَساكينِ وَالْجارِ ذِي الْقُرْبى وَالْجارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبيلِ وَما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ مُخْتالاً فَخُورا * الَّذينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنا لِلْكافِرينَ عَذاباً مُهينا * وَالَّذينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ رِئاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطانُ لَهُ قَريناً فَساءَ قَرينا * وَما ذا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكانَ اللَّهُ بِهِمْ عَليما﴾[النساء:٣٦-٣٩]، وقال تعالى: ﴿ذلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِمْ يُضاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُون﴾[التوبة:٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أَمْوالَكُمُ الَّتي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِياماً وَارْزُقُوهُمْ فيها وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفا﴾[النساء:٥]، وأيضًا قوله: ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ ما آتاها﴾[الطلاق:٧]، وقال تعالى في موضع آخر من القرآن الكريم: ﴿مَثَلُ الَّذينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ في سَبيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ في كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَ اللَّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ واسِعٌ عَليم * الَّذينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ في سَبيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ ما أَنْفَقُوا مَنًّا وَلا أَذىً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُون﴾[البقرة:٢٦١-٢٦٢]، وقوله

تعالى: ﴿وَتَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوى﴾[المائدة:٢]، وقال تعالى:﴿الَّذينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنا لِلْكافِرينَ عَذاباً مُهينا﴾[النساء:٣٧]، وقال تعالى: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذينَ يَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ﴾ [آل عمران:١٨٠]، وقال تعالى: ﴿ها أَنْتُمْ هؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا في سَبيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّما يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَراءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثالَكُم﴾[محمّد:٣٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ كانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظيم * وَلا يَحُضُّ عَلى طَعامِ الْمِسْكين﴾[الحاقة:٣٣-٣٤]، وقال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذي يُكَذِّبُ بِالدِّين * فَذلِكَ الَّذي يَدُعُّ الْيَتيم * وَلا يَحُضُّ عَلى طَعامِ الْمِسْكين﴾ [الماعون:١-٣]، وقال تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ لا تُكْرِمُونَ الْيَتيم * وَلا تَحَاضُّونَ عَلى طَعامِ الْمِسْكين﴾[الفجر:١٧-١٨].

فمن هذه الآيات القرآنيّة التي توضّح أسمى أنواع التكافل الاجتماعيّ في الحياة الاجتماعيّة، للحدّ من الفقر والبطالة، وعمل رسول الله صلى الله عليه وآله بمبدأ التكافل الاجتماعيّ وتطبيقه على الحياة في أبهى صورة، إذ عمل على المؤاخاة بين المسلمين، وآخى بين المهاجرين والأنصار ليعطي أروع المعاني الإسلاميَّة، ونجد الإسلام حريصًا على التعاون بين الأفراد ولا سيما فيما يتعلّق بالجوانب المعيشيّة التي توفِّر سبل الحياة الكريمة للفقراء، إذ ربط المساعدة والتعاون فيما بينهم بالعبادة العمليّة التي تستلزم الجزاء في الآخرة بالثواب العظيم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ((من مشى في عون أخيه ومنفعته فله ثواب المجاهدين في سبيل الله))[1]، كذلك كانت مدرسة أهل البيت عليهم السلام معيارًا للتكافل والتفاضل الاجتماعيّ لتحقّق المنافع المتبادلة،

(١) ميزان الحكمة: ١/ ٧٠١ .

فهم بذلك أظهروا لنا أروع أنواع العبادة لله بل وأفضلها وهي مساوية للعبادات الأخرى وتفوقها بالثواب الجزيل، والتعاون بين المسلمين يلمسه المؤمن في الدنيا بشعور الأمان و الرزق.

المحور الثالث: المنهج الاقتصادي للإمام عليّ عليه السلام في تحقيق العدالة الاجتماعية:

إنَّ التسلُّط والتحكُّم في الثروة قبل استلام أمير المؤمنين عليه السلام أدّى إلى اضطرابات في الجوانب الاقتصاديّة والاجتماعيّة والتي تخالف الشريعة والدين الإسلاميّ، عندما استلم أمير المؤمنين عليه السلام القيادة السياسيّة قامت على أحكام القرآن الكريم والسيرة النبويّة في تحقيق العدالة والتكافل الاجتماعيّة والاقتصاديّة، قال الإمام عليّ عليه السلام: ((دولة العادل من الواجبات))[١].

عمل أمير المؤمنين عليه السلام في تثبيت دعائم بناء المجتمع المنتج، ومتابعة جميع الأمور والسبل التي تحقِّق الأمن والاستقرار الاقتصاديّ في الدولة الإسلاميّة، وحدَّد المسارات ورسم الاستراتيجيات التي أحدثت تغيّرات في أشكال الحياة على أساس مبدأ العدالة والمساواة بين المسلمين، ووفّرت الدولة في عصر حكمه جميع الظروف والسبل التي تسهم في رفع الظلم الذي يقع على بعض جهات المجتمع وإرجاع الحقوق ممّا سهّل عمل المؤسّسات؛ لأنّه عمل على توفير بيئة تشريعيّة قانونيّة داعمة لها[٢].

ورُوي عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ((إنَّ الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر ما يسع فقراءهم))[٣]، لتطبيق الزكاة بشكل إلزاميّ

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٠٥.

(٢) ينظر: قيم الإنتاج في عصر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وأثرها في التنمية الاقتصادية: ٣٥- ٤٠ .

(٣) موسوعة الإمام علي عليه السلام في كتال السنة والتاريخ: ٤/ ٢٠٣ .

حتّى تحقِّق الدولة الإسلامية النماء والبركة والطهارة حتى يكون دور الزكاة فعّالًا؛ لأنّها تعطي شعورًا بالامتثال والطاعة لله عزّ وجلّ وتزكّي النفس الإنسانيّة؛ لأنّ الأموال هي رزق من الله لغرض شكر الله على هذا الرزق أوجب إعطاء الزكاة، ودليل على هذا قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فيه﴾[الحديد:٧].

إنّ بناء المجتمع المتكامل المتعاون يتمّ بإعطاء الزكاة للأصناف المستحقّة للزكاة، فلهم حقوق في أموال الأغنياء ليست منَّة أو تفضيلًا إنّما هي فريضة وأساس وحكم من الله عزّ وجلّ لقوله تعالى: ﴿وَالَّذينَ في أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُوم * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُوم﴾[المعارج:٢٤-٢٥]، نفهم من هذه الآية أنّها تسهم في تقليل الفوارق وتقاربها بين الأغنياء والفقراء.

المشاكل الاقتصادية التي تسهم الزكاة في حلِّها وتحقِّق التكافل الاجتماعيّ في المجتمع

مشكلة البطالة، إذ إن الزكاة تؤدّي دورًا مهمًّا في توفير الأموال اللازمة لتحقيق سبل العيش الممكنة للفقراء، ومشكلة التضخُّم النقدي تعمل على نمو الإنتاج، مشكلة إعادة توزيع الثروة لتقليل التفاوت بين الأغنياء والفقراء، مشكلة الاكتناز لغرض تشجيع على العمل والإنتاج، مشكلة الفقر لهدف منها معالجة ورفع مستوى المعيشيّ للفقراء[١].

فالزكاة تعالج مشكلة الفقر بطريقتين هما: الطريقة التقليديَّة وطريقة الاستثمار، الطريقة الأولى: التي تعطي للفقير مال الزكاة الذي يغنيه عن سؤال الناس ويستطيع توفير قوت حياته، أمّا الطريقة الثانية: يتمّ استثمار أموال الزكاة بالشكل الذي يصبح

(١) ينظر: الزكاة وأثرها الاقتصادي والاجتماعي في معالجة التضخم النقدي وإعادة توزيع الدخل دراسة تأصيلية من منظور إسلامي: ٤٩٧ .

من خلاله توريد العوائد بشكل مستمر ويتمّ توزيعها بشكل دوري على الفقراء، والأساليب الفعّالة التي جاء بها الإسلام للقضاء على البطالة هي استثمار أموال الزكاة لغرض توفير فرص عمل تسهم في الحدّ من الفقر والبطالة، أو إنّه يتمّ أعطاء الفقراء مبالغ مال الزكاة وفتح المشاريع الخاصّة بهم للتقليل من ظاهرة البطالة، وتسهم الزكاة في إعادة توزيع الثروة بين أفراد المجتمع، فهي تُدفَع بشكل دوريّ سنويّ ممّا يقلِّل من الغنى المبالغ فيه، وقد أعطى الاقتصاديون مفهومًا للزكاة؛ وذلك سبب الارتباط بين إعادة توزيع الثروة وبين الزكاة بأنّها: ((وسيلة اقتصادية مستمرّة يتمّ من خلالها إعادة توزيع الدخل بين أفراد المجتمع))[١].

وقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: ((اختبروا شيعتي بخصلتين: المحافظة على أوقات الصلاة والمواساة لإخوانهم بالمال))[٢]، وعندما أوصى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام عامله على مصر قال: ((وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبّة لهم، واللطف بهم، ولا تكوننّ عليهم سَبُعًا ضاريًا تغتنم أكلهم، فإنّهم صنفان: إمّا أخ لك في الدين، وإمّا نظير لك في الخلق))[٣]، وفي موضع أخر يقول أمير المؤمنين علّي عليه السلام : ((واعلم أنّ الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلّا ببعض، ولا غنى لبعضها عن بعض))[٤]، ويفقد المجتمع تماسكه وتجانسه عندما يسود الفساد في أيّ طبقة وهذا سيؤثّر سلبًا على الطبقات الأخرى.

وكان الإمام عليّ عليه السلام يحمل هموم الأمة الإسلاميّة حتّى اللحظات الأخيرة من حياته، لذا نجد في حياته كثيرًا من الحكم البالغة والمواقف التي تدعو إلى العدالة

(١) دور أموال الزكاة في التنمية الاقتصادية: ٨ .
(٢) شجرة طوبى، الحائري، ١/ ٦.
(٣) عيون الحكم والمواعظ: ٢٣٨ .
(٤) بحار الأنوار: ٧١/ ٣٩٥ .

وإنصاف الفقراء، والخروج من حالة الفقر إلى حالة الاكتفاء والاستقرار.

ومن أقواله عليه السلام في هذا الشأن: ((الفقر في الوطن غربة))[١]، وقال أيضًا: ((الفقير في الوطن ممتحن))[٢]، و((الفقر مع الدين موت أحمر))[٣]، ويأتي هذا من النهج الإسلامي في الأموال الذي يسعى إلى تحقيق التكافل الاجتماعي، قال الإمام عليّ عليه السلام : ((إنّ الله فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلّا بما مُتِّع به غنيّ، والله سائلهم عن ذلك))[٤]، وهذا التكافل الاجتماعيّ ضرورة لتحقيق سعادة الفرد في دولة الإسلام، حتى لا يعيشون في وطنهم فقراء محرومين.

وتعدَّدت الاستراتيجيات التي استخدمها الإمام عليّ عليه السلام في تحقيق التكافل الاجتماعي ومحاربة الفقر، وذلك من طريق التشجيع على العمل وتقديم المساعدات للمحتاجين، ويوصي الإمام عليّ عليه السلام عامله على مصر بقوله: ((ثمّ الله اللهَ في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم، والمساكين والمحتاجين، وأهل البؤسى والزمنى، فإنّ في هذه الطبقة قانعًا ومعترًا، واحفظ الله ما استحفظك من حقّه فيهم، واجعل لهم قسمًا من بيت مالك، وقسمًا من صوافي الإسلام في كلّ بلد، فإنّ للأقصى منهم مثل الذي للأدنى، وكلٌّ قد استرعيت حقّه، فلا يشغلنَّك عنهم بطر، فإنّك لا تعذر بتضييع التافه لإحكامك الكثير المهم))[٥].

وفي هذه الوصية نجد تأكيدًا وأهميّة كبيرة على الاهتمام بهذه الشرائح الاجتماعيّة، فالإمام عليه السلام يؤكِّد حقّ هذه الفئة في العيش الكريم بقوله: (الله اللهَ في

---

(١) ينظر: التكافل الاجتماعي في فكر الإمام علي عليه السلام: ٢ .
(٢) ميزان الحكمة: ٢/ ٢٤٤٢ .
(٣) بحار الأنوار: ٦٩/ ٥ .
(٤) عيون الحكم والمواعظ: ٢٠٣ .
(٥) نهج البلاغة: ٤٢٩ .

الطبقة السفلى) أي الرعاية والاهتمام في هذه الطبقة التي لا تملك قدرة على كسب العيش، وتحقيق الحياة الكريمة التي سعى الدين الإسلاميّ إلى تحقيقها، وأوضح الإمام عليّ عليه السلام أنّ تحقيق التكافل الاجتماعيّ يكون بالعمل، والقضاء على الفقر، فإنّه كان يسعى لتوفير فرص العمل، وعدم الاكتفاء بالمساعدات أو المعونات، إنّما يتطلَّب منهم العمل، لذا نرى تراث الإمام عليّ عليه السلام زاخر بالتشجيع على العمل وقد أعطى أمرًا بإحياء الأراضي الموات.

إنّ القرآن الكريم وديننا الإسلاميّ وأئمّتنا عليهم السلام قد سبقوا العلماء والمختصّين في علم الاجتماع في إرساء الأواصر الاجتماعية بين أفراد المجتمع وتثبيتها، إذ عملوا على أن يصل الإنسان المؤمن إلى أعلى درجات الإيمان وذلك من طريق اقتران العبادة والالتزام بها مع المعاملة الحسنة بالرفق؛ وذلك لغرض بناء مجتمع سليم وزيادة مستوى الوعي الاجتماعيّ بين الأفراد بتحقيق تكافل اجتماعي بينهم، ومن أقوال الإمام عليّ عليه السلام قال: ((خير إخوانك من واساك))[1]، وقال أيضًا: ((مواساه الأخ في الله عزّ وجلّ تزيد في الرزق))[2].

(١) عيون الحكم والمواعظ: ٢٣٨ .
(٢) بحار الأنوار: ٧١/ ٣٩٥ .

الاستنتاجات:

١- الزكاة هي مؤسّسة متكاملة للتكافل الاجتماعي، ممّا يتطلّب متابعة دقيقة وحريصة على استخدام أموال الزكاة وإعطاء إلى الجهات المستحقّة لها، ممّا يؤدّي إلى تحقيق التكافل الاجتماعيّ.

٢- يتّضح من هذا البحث أنّ الزكاة قادرة على حلّ بعض المشكلات الاقتصاديّة ومعالجتها، ويتمّ ذلك بتنظيم عملها وترتيبه في المؤسّسات كونها ركيزة يمكن للدول الإسلاميّة معالجة شتّى الاختلالات في جوانب الحياة الاقتصاديّة.

٣- الدين الإسلامي عندما ركّز على التكافل الاجتماعيّ فليحقّق جانبين: هما مادّي ومعنويّ.

٤- الإمام عليّ عليه السلام في حياته وعندما استلم زمام الحكم الدولة الإسلاميّة عمل على تحقيق التكافل الاجتماعي بين جميع أفراد الدولة الإسلامية، وذلك من طريق تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية وتعاليمها لضمان حقوق الإنسان وحريّته وكرامته.

المصادر:

*القرآن الكريم.

(١) وصايا الرسول لزوج البتول، علي الحسيني الصدر، دار جلال الدين، قم، ط١، ٢٠٠٤م .

(٢) مصارف الزكاة وأثرها في معالجة تداعيات نازلة كورونا، خالد بن نوار النمر، مجلّة مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي-جامعة الأزهر-عدد٧٠

(٣) دور الزكاة في تحقيق التكافل الاجتماعي في أفغانستان: دراسة تحليلية، عبدالفتاح دانشقر، رضوان جمال، مجلة الشريعة الإسلامية، العدد٣، ٢٠٢٣ .

(٤) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في كتاب السنة والتاريخ، محمّد الريشهري.

(٥) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، مؤسّسة الوفاء، ط٢، ١٤٠٣هـ .

(٦) ميزان الحكمة، محمّد الريشهري، تح: دار الحديث، ط١ .

(٧) تحف العقول، الحسن بن شعبة الحراني، صحّحه وعلّق عليه: علي أكبر الغفاريّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، قم المقدّسة، ١٤٠٤هـ .

(٨) نهج البلاغة، شرح محمّد عبده، مطبعة الاستقامة، القاهرة، (د.ت) .

(٩) الزكاة وأثرها في التصدي للأزمات المعيشية، زمزم بنت محمّد هباب، مجلة كلية الشريعة والقانون-جامعة الازهر- طنطا-المؤتمر الدولي الخامس .

(١٠) التكافل الاجتماعي في فكر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، رحيم حلو البهادلي، انتصار لطيف.

(١١) التأمين الاجتماعي في ضوء الشريعة الإسلاميّة، عبد الطيف آل محمود، دار النفائس، بيروت،١٩٩٤م .

(١٢) غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد بن محمّد التميمي، تح: سيد مهدي رجائي، دار الكتاب الإسلاميّ، قم المقدّسة، ١٤١٠هـ .

(١٣) قيم الإنتاج في عصر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأثرها في التنمية الاقتصادية، علي عدنان الحسيني، رسالة ماجستير – جامعة كربلاء،٢٠٢٢م .

(١٤) الزكاة وأثرها الاقتصادي والاجتماعي في معالجة التضخّم النقديّ وإعادة توزيع الدخل دراسة تأصيلية من منظور اقتصاد إسلامي، أحمد محمّد أحمد.

(١٥) دور أموال الزكاة في التنمية الاقتصادية، نورا فرج بشير، ٢٠٢٢ .

(١٦) شجرة الطوبى، محمّد مهدي الحائري، ط٥، ١٣٧٥هـ .

(١٧) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمّد الواسطي، تح: حسين الحسيني.

أثرُ توظيفِ النصِّ القرآنيِّ في حلِّ النزاعاتِ الاجتماعيّةِ عندَ الإمامِ عليّ بن أبي طالب عليه السلام

م.م. ناجح جادر خلف

ملخص البحث:

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطاهرين الهداة الميامين.

يتحتَّمُ على المسلمين عامَّة والمؤمنين خاصة، إظهار علم عترة النبي الطاهرة أئمة أهل البيت عليهم السلام وعلى رأسهم أمير المؤمنين عليه السلام وفضائلهم، وانطلاقاً من قول رسول الله صلى الله عليه وآله: (يا أيَّها الناس إنِّي تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي) ومن هنا فإن العترة والقرآن على حد سواء لمن تمسك بهما، وأراد النجاة والفوز بالدنيا والآخرة، وعدم الضلال والانحراف عن جادة الحق والصواب، وسيد العترة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فهو الناطق بالقرآن بل هو القرآن الناطق، فلا بدَّ من بيان أثره في كيفية توظيف النصوص القرآنية في حياته العملية، وكيفية حل النزاعات الاجتماعية التي حصلت للأمة الإسلامية بعد رحيل نبيها الخاتم صلى الله عليه وآله على وفق المنهج الذي يصلح لكل حادثة معينة.

وقد بنيت بحثي هذا على المباحث الأربع الآتية، التي هي:

المبحث الأول: الإضاءة النصية لروايات الإمام علي عليه السلام وأثرها في المجتمع الإسلامي، وبينت من طريقه القدرة العلمية والإسلامية للإمام عليه السلام ومكانته في الإسلام.

المبحث الثاني: منهجية الإمام علي عليه السلام في توظيف النص القرآني، وأوضحت من طريقه المنهج الذي اتبعه الإمام سلام الله عليه في حلحلة المشاكل والنزاعات الاجتماعية قرآنيا.

المبحث الثالث: آراء علماء المسلمين في روايات الإمام علي عليه السلام والوقوف عليها، وبينت في هذا المبحث كيف تعامل علماء المسلمين مع روايات الإمام علي عليه السلام ، وما هي الكتب التي نقلتها.

المبحث الرابع: محاكمة آراء الفرق الإسلامية في روايات الإمام علي عليه السلام ، وفي هذه المبحث كان بعض النقد العلمي لبعض فرق المسلمين وكتبهم المعتبرة.

ويمكن لنا ان نستنتج من البحث أنَّ روايات الإمام علي عليه السلام القرآنية قد وظِّفت بوصفها نصوصًا شرعية يعتمد عليها في الحكم الشرعي، وكذلك استُنتِج منها بعض المناهج التفسيرية القديمة الأصل الحديثة الاستعمال في توظيف النصوص القرآنية التي منها: منهج (التفسير الموضوعي).

الكلمات المفتاحية: الإمام علي عليه السلام، النص القرآني، النزاعات الاجتماعية.

ABSTRACT:

Praise be to Allah، The Lord of the Worlds، and prayers and peace be upon the Seal of the Prophets and Messengers and upon his pure and guided progeny.

It is incumbent on Muslims in general and believers in particular to display the knowledge and virtues of the pure family of the Prophet(PBUH) ، the Imams of Ahlul Bayte (a.s.) and at their head Imam، the Commander of the Faithful (a.s.). Based on the words of the Messenger of Allah (PBUH) : (O people، I left among you that if you hold yourselves to you will not go astray: the Book of Allah and my progeny.) Hence، the Prophet's progeny and the Qur'an are alike to those who adhere to them and want to be saved and win in this world and the hereafter، but not to go astray or deviate from the path of truth and correctness.

The master of the progeny is the Commander of the Faithful، Ali bin Abi Talib (a.s.). He is the spokesman for the Qur'an. Indeed، he is the speaking Qur'an. His influence must be explained in how he used the Qur'anic texts in his practical life and how he resolved the social conflicts that occurred to the Islamic nation after the passing of their last Prophet (PBUH)، helped by different approaches suitable for each specific incident.

I based my research on the following four topics: First topic is: the textual illumination of the narratives of Imam Ali (a.s.) and their impact on Islamic society. The second topic is: Imam Ali's methodology in employing the Qur'anic text. The third topic is: The opinions of Muslim scholars regarding the nar-

rations of Imam Ali (a.s.) and understanding them. The fourth topic is: examining the opinions of Islamic groups regarding the narrations of Imam Ali (a.s.) .

We can conclude from the research that the Qur'anic narrations of Imam Ali (a.s.) were used as legal texts relied upon in legal ruling، as well as his use of some interpretive approaches of ancient origin and modern use in employing Qur'anic texts as an approach (i.e. objective interpretation).

Keywords: Imam Ali (AS)، The Qur'anic Text، Social Conflicts

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيّبين الطاهرين الهداة الميامين، وبعدُ

فإنّه يتحتّم على المسلمين عامّة والمؤمنين خاصّة السير على نهج رسول الإنسانيّة، والتمسّك بأقواله وأفعاله ووصاياه، وإظهار الحبّ والموالاة والولاء الحقيقيّ لأهل بيته وقرابته، والسير بنهجهم القويم، وهذا ما صرّح به النصّ القرآنيّ، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[الشورى: ٢٣]، فعترته وأقربائه عليهم السلام هم البقيّة الباقية منه، وهم الخطّ المتّصل به الذي لا بدّ من التمسّك به، ويتحتّم إظهار علم عترة النبيّ الطاهرة أئمّة أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم، وعلى رأسهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ومن هنا فإنّ العترة والقرآن على حدّ سواء لمن تمسّك بهما، وأراد النجاة والفوز بالدنيا والآخرة، وعدم الضلال والانحراف عن جادّة الحقّ والصواب التي بشّر بها نبيّ الله، ولا نكون ممّن ينقلب على عقبيه بعد وفاة النبيّ، وبهذا نكون مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[آل عمران: ١٤٤]، فتوجّب علينا التمسّك الحقيقيّ بعترة النبيّ الخاتم وبيان علمهم وفضائلهم وأحقّيّتهم بالقرآن؛ لأنّهم النصف الآخر الناطق منه، وسيّد العترة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام؛ فهو المؤمن الأوّل برسول الإسلام والمدافع والمضحّي بنفسه عنه، وكذلك هو الناطق بالقرآن بل هو القرآن الناطق، فلا بدّ من بيان أثره في كيفية توظيف النصوص القرآنيّة في حياته العمليّة، وكيفيّة حلّ النزاعات الاجتماعيّة التي حصلت للأمّة الإسلاميّة بعد رحيل نبيّها الخاتم صلى الله عليه وآله على وفق المنهج الذي يصلح لكلّ حادثة

معيّنة، ومن هنا وقع الاختيار على أن يكون بحثنا بعنوان (أثر توظيف النصّ القرآنيّ في حلّ النزاعات الاجتماعيّة عند الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

مشكلة البحث تكمن في التساؤلين التاليين:

١. كيف وظّف أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام الآيات القرآنيّة في حلّ النزاعات الاجتماعيّة التي حصلت بعد رحيل النبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله؟

٢. ما موقف فرق المسلمين من روايات الإمام عليّ عليه السلام؟ وكيف تعاملت كتب الحديث والعلوم الباقية مع رواياته عليه السلام؟

وتكمن أهميّة البحث في بيان تعامل عترة النبيّ وسيّدهم الإمام علي (عهم) مع القرآن ونصوصه الشرعيّة، وتوظيفها التوظيف الصحيح على وفق المنهج القرآنيّ؛ للوقوف على الحلول السليمة لكلّ حادثة ونزاع اجتماعيّ يتعرّض له المسلمين. قد تحتّم على الباحث استخدام المنهج الاستقرائيّ، وكذلك المنهج التحليليّ النقديّ.

أمّا الخطّة فقد اقتضت مصلحة البحث أن تكون على وفق منهجيّة محدّدة، وقد بنيته على أربعة مباحث، مسبوقة بمقدّمة، وملحقة بخاتمة فيها نتائج البحث، وكذلك قائمة بمصادر البحث، وأمّا المباحث فهي كالآتي:

المبحث الأوّل: (الإضاءة النصيّة لروايات الإمام عليّ عليه السلام، وأثرها في المجتمع الإسلاميّ)، وبيّنت فيه القدرة العلميّة والإسلاميّة للإمام عليه السلام، ومكانته في الإسلام.

المبحث الثاني: (مناهجيّة الإمام عليّ عليه السلام في توظيف النصّ القرآنيّ)، وأوضحت فيه المنهج الذي اتّبعه الإمام في حلحلة المشاكل والنزاعات الاجتماعيّة قرآنيًّا.

المبحث الثالث: (آراء علماء المسلمين في روايات الإمام عليّ عليه السلام ، والوقوف عليها)، وبيّنت في هذا المبحث كيف تعامل علماء المسلمين مع روايات الإمام عليّ عليه السلام، و الكتب التي نقلتها.

المبحث الرابع: محاكمة آراء الفرق الإسلاميّة في روايات الإمام عليّ عليه السلام ، وفي هذه المبحث كان بعض النقد العلميّ لبعض فرق المسلمين وكتبهم المعتبرة.

المبحث الأوّل: الإضاءة النصيّة لروايات الإمام عليّ عليه السلام وأثرها في المجتمع الإسلاميّ:

إنّ المتّفق عليه عند فرق المسلمين أنّ الإمام عليّ عليه السلام هو أحد الصحابة الأوائل الذين دخلوا الإسلام، وهو الخليفة الرابع للمسلمين بعد خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، وهذا الأمر ليس فيه أيّ خلاف بين فرق المسلمين، فهم متّفقون على ذلك.

أمّا المعتقد الشيعي الإمامي فيرى أنّ الإمام عليّ عليه السلام هو الخليفة الشرعيّ الأوّل بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الدنيا؛ وذلك للشواهد والأدلّة الكثيرة التي منها ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: ((من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ والِ من والاه وعاد من عاداه))[1]، وقد ذُكر هذا الحديث في أغلب المصادر لفرق جمهور المسلمين غير ما ذكرنا في الهامش، فضلًا عن تواتره في المصادر الشيعيّة[2].

واذا كان الإمام عليّ عليه السلام هو الولي بعد رسول الله فهو الأحقّ بالخلافة بعده؛ لأنّه الأعلم بشؤنها وذلك بتزكية الرسول وقوله وقبله القرآن الكريم، إذ قال تعالى:

---

(١) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار: ٦/ ٣٦٨، برقم ٣٢٠٩١، ومسند الإمام أحمد بن حنبل: ٢/ ٧١، برقم ٦٤١، وسنن ابن ماجه: ١/ ٤٥، برقم ١٢١.

(٢) ينظر: أصول الكافي: ١/ ٣٤٣، حديث رقم ٣، ومن لا يحضره الفقيه: ١/ ٢٦١، حديث رقم ٦٨٦ .

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُم رَٰكِعُونَ﴾[المائدة:٥٥] .

وقد ثبت نزول الآية الكريمة المارّ ذكرها فيه عليه السلام[١]؛ لأنّه هو الذي تزكّى في الصلاة بخاتمه، والآية هنا واضحة وصريحة الدلالة ولا تحتاج أي إمعان وتفكّر فيها لمعرفة المقصود بالوليّ، فهي تُبين أنّ الولاية تكون بمراتب أوّلها لله تعالى ثُمّ للرسول ثُمّ للمؤمنين المقيمين للصلاة والمؤتون للزكاة وهو راكعون، وهذا الأمر وجميع هذه الخصال من الإيمان والصلاة والتصدّق لم يفعله سوى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فقط وفقط[٢]، ومن هنا يكون هو صاحب الولاية على المسلمين بعد رسولها، وحسب النصّ القرآنيّ والنصّ النبويّ الشريف، وليس حسب الهوى النفسيّ، والشواهد كثيرة على أحقّيته بالخلافة ولا يسع المقام لذكرها هنا.

وبالرجوع لعنوان المبحث الأوّل فإنّ روايات الإمام عليّ عليه السلام عند بعض من جمهور المسلمين لم تحظَ بالاهتمام والجدّية؛ وذلك لأنّنا نرى خلوّ جلّ الكتب الحديثية التي تسمّى مُعتبرة عندهم أمثال (البخاري ومسلم) من روايات العترة الطاهرة وسيّدهم عليّ، وإذا وجدت فهي معدودة، ولا تمثّل الثقل الحقيقي لعترة النبيّ الطاهرة التي هي عدل القرآن بحسب الحديث السابق ذكره، بعكس بعض المصنّفات والسنن كـ(مصنّف الصنعانيّ وابن أبي شيبة وسنن ابن ماجة والترمذيّ والنسائيّ)، فهي تنقل روايات العترة الطاهرة، ولكنّها لا تصل بالاعتبار عند جمهور المسلمين لمقام كتاب البخاريّ المقدّس عندهم وكذلك مسلم، فنرى خلّوهما أيّ (البخاري ومسلم) من رواية الرجم التي وظّف فيها الإمام عليّ عليه السلام القرآن لحلّ نزاع

(١) ينظر: أسباب نزول القرآن: ٢٠١، برقم ٣٩٦ .
(٢) ينظر: التحصيل من المحصول: ٢/ ١٤ .

اجتماعيّ حصل في ذلك الوقت، فقد اعتمد قوله تعالى: ﴿وَالوَٰلِدَٰتُ يُرضِعنَ أَولَٰدَهُنَّ حَولَينِ كَامِلَينِ﴾[البقرة:٢٣٣]، وقوله تعالى: ﴿وَحَملُهُ وَفِصَٰلُهُ ثَلَٰثُونَ شَهرًا﴾ [الأحقاف،١٥]، وجمع بينهما وخرج بنتيجة سليمة.

أمّا الكتب المتأخرة فإنّها وإن نقلت رواية لعليّ عليه السلام جعلت فضلها بشكل عام وشاملة لكلّ الصحابة، وهذا ما فعله ابن تيمية في منهاج السنّة ومن سار بعده على خط السلف نفسه، إذ ذكر في معرض ردّه على (الرافضي) -كما يسمّيه هو- الذي يذكر رواية المرأة التي حملت لستّة أشهر وهمَّ الخليفة الثاني برجمها فردّه الإمام عليّ عليه السلام وحاججه بالقرآن فاستجاب لأمره وخلّى سبيلها، فكان جوابه على الحادثة بأنّ الخليفة عمر كان يستشير الصحابة دومًا في أمور المسلمين، فمرّة يستشير عليّ، وأخرى عثمان، وغيرهم من الصحابة، وهذا من فضائل الخليفة وجميع الصحابة؛ إذ إنّهم يتشاورون فيما بينهم[١]، ولا أدري أيّ عاقل يقبل هذا الأمر؛ فعليّ عليه السلام يُحاجج بالقرآن والخليفة ينصت إليه ويُسَلّم لأمره؛ لأنّ الحجّة صحيحة ومن نصوص القرآن، وتكون الفضيلة لغيره أو للجميع!

أمّا كيفية توظيف النصوص الدينيّة عند جمهور المسلمين فهم كانوا يأخذون بنصوص القرآن الكريم وبعدها السنّة النبويّة ثُمّ بأقوال الخلفاء والصحابة من بعدهم، وقد ذكرنا أنّ عليًا كان يُعدّ من الخلفاء ومن الصحابة الذين يؤخذ بأقوالهم، ففي كتب أصول الفقه تُذكر روايات الإمام عليّ عليه السلام كدليل على حكم معيّن[٢]، وكذلك في كتب الفقه، والتفسير، وغيرها، كانت رواياته عليه السلام حاضرة عندهم،

(١) ينظر: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية: ٦/ ٩٣ .

(٢) ينظر: تقويم الأدلة في أصول الفقه: ٩٥-٩٧، والإحكام في أصول الأحكام: ٢/ ١٢٠-١٢٥، والكافي شرح البزودي: ١/ ٢٥٩-٢٦٣ .

وتكون كنصّ شرعيّ صادر من الخليفة الرابع، وأحد الصحابة الأوائل في الإسلام، والمقرّب من رسول الله صلى الله عليه وآله.

المبحث الثاني: مناهجيّة الإمام عليّ عليه السلام في توظيف النصّ القرآنيّ.

القرآن الكريم هو الكتاب الإلهيّ والدستور الربانيّ الخالد الذي نزل بلغة العرب (العربية)، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾[طه:١١٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[الزخرف:٣]، فالسنة الإلهيّة الجارية في الأمم السالفة نزول الكتاب السماوي على الرسول المرسل بلسان قومه، وهذا ما ذُكر في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[إبراهيم:٤].

فكان رسول الله صلى الله عليه وآله هو المفسِّر الأوّل للقرآن الكريم والمبيّن لآياته المباركة والشارح للنصوص القرآنيّة التي يصعب فهمها عند المسلمين آنذاك، وهذا ما بينه القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[النحل:٤٤]، فكان بيانه صلى الله عليه وآله للقرآن عِبر توضيح ما أُبهم عليهم، وهو الذي تولّى تبيان كلّ شيء يصعب فهمه على المسلمين آنذاك؛ لأنّه المُشرّع الثاني بعد القرآن.

أمّا بعد فقدِ المسلمين رسولهم فقد تولّى أمر بيان معاني كلمات القرآن الكريم، وتفسير آياته الصحابة النجباء الذين كانوا على مقربة منه، والذين سمعوا وأخذوا منه، وكان على راسهم الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فقد كَثُرت روايات التفسير عنه،؛ لأنّه ربيب بيت النبوّة، وهذا ما صرّح به الذهبي بقوله: ((أمّا عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه، فهو أكثر الخلفاء الراشدين رواية عنه في التفسير))[1]، وقول الذهبي هذا يدلّ على التواتر والشهرة في هذا الأمر، وقد كان أمامنا عليّ هو الوريث الشرعيّ للنبوّة؛ لأنّ خطّ الإمامة هو اتّصال لخطّ النبوّة، فكان الأعلم بالقرآن لأنّه الأقرب لمن أُنزل القرآن على

(١) التفسير والمفسرون: ١/ ٤٩ .

صدره، فلابدّ أن يكون الأكثر رواية في التفسير على حدّ قول الذهبي، فهو الذي بيّن للناس ما أُبهم عليهم من آيات القرآن؛ لأنّه الأعلم بمكان نزولها ووقته، وهو القائل: ((والله ما نزلت آية إلّا وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت وعلى مَن نزلت، إنّ ربّي وهب لي قلبًا عقولًا ولسانًا طلقًا سؤولًا))[١]، كيف لا وهو ابن عمّ الرسول وزوج ابنته البتول وأبو ولديه الحسنين، كيف لا وهو الذي عاش في بيت النبوة والملازم للنبيّ دومًا، فلابدّ أن يكون هو الأعلم بأمور القرآن، وهذا ما صرّح به نفسه عندما خطب في الناس قائلاً: ((سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلّا حدّثتكم به، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما منه آية إلّا وأنا أعلم أنّها بليل نزلت أم بنهار، أم بسهل نزلت أم بجبل))[٢]، ومن النصّ الوارد عنه سلام الله عليه تتّضح الصورة جليًّا بأنّه يعلم حتّى بوقت نزول الآية ومكانها، وكان يطلب من المسلمين سؤاله عن أيّ شيء لكي يحدّثهم بما يعلم به، ولكي تعمّ الفائدة؛ لأنّه أدرى بآيات القرآن، وفيمن نزلت، وفي ليل أم نهار كان نزولها، وفي سهل أم جبل، فإذا كان هكذا فهو الأجدر ببيان آيات القرآن الكريم وتفسيرها.

وقد كانت مناهجية الإمام عليّ عليه السلام في توظيف النصوص القرآنيّة حسب الحاجة والظروف الواقعية للناس، فقد كان يوظّف النصّ القرآنيّ نفسه لبيان نصّ قرآنيّ آخر، أي إنّه يفسّر القرآن بالقرآن، وكذلك كان يجمع النصوص القرآنيّة للخروج بنتيجة صحيحة تحلّ إشكالًا عند المسلمين وهذا ما يُسمى حاليا (بالتفسير الموضوعي)[٣].

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ١/ ٦٧، وكنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: ١٣/ ١٢٨، برقم ٣٦٣٠٤.

(٢) أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار: ١/ ٥٠ .

(٣) وهو القيام بالدراسة القرآنية لموضوع من موضات الحياة العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية... وتحديد موقف نظري للقرآن الكريم، ومن ثم للرسالة الإسلامية من ذلك الموضوع من موضوعات الحياة أو الكون. المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر: ٢٣ .

وقد وظّف عليه السلام النصوص القرآنيّة في هذا الأمر، إذ جمع بين قوله تعالى: ﴿وَالوَالِدَاتُ يُرضِعنَ أَولَادَهُنَّ حَولَينِ كَامِلَينِ﴾[البقرة:٢٣٣]، وقوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهرًا﴾[الأحقاف:١٥]، وخرج بنتيجة تحلّ مشكلة اجتماعيّة.

وكانت طريقته في حلّ النزاعات الاجتماعية التي هي عنوان بحثنا، فقد استخدم عليه السلام منهج عرض الأمور الحياتيّة الاجتماعيّة وغيرها على القرآن وجمع النصوص القرآنيّة الخاصّة بها من كلّ سوره وآياته، وهو ما يُسمّى حديثًا بمنهج التفسير الموضوعيّ، إذ وظّف النصّ القرآنيّ باستخدام هذا المنهج التفسيريّ وذلك من طريق جمع الآيات مع بعضها من كلّ سور القرآن والحصول على نتيجة صحيحة مرضية تحلّ مشكلة معيّنة، إذ إنّه عليه السلام في الرواية التي سنتعرض لها في المبحث التالي قد جمع آيتين كريمتين من سورتين مختلفتين وهما سورة البقرة وسورة الأحقاف وانقص آية من أخرى وخرج بنتيجة وهي أنّ أقلّ مدّة للحمل ستة أشهر، وهو بذلك قد انقذ حياة امرأة مسلمة من الرجم، وبهذا يكون قد حلّ مشكلة اجتماعيّة كانت قد عرضت للمسلمين؛ وذلك من طريق توظيفه للنصّ القرآنيّ بطريقة جمع الآيات مع بعضها والخروج بحلّ قرآنيّ سليم يحفظ أرواح الناس.

المبحث الثالث: آراء علماء المسلمين في روايات الإمام عليّ عليه السلام والوقوف عليها.

إنّ موقف علماء المسلمين من روايات الإمام عليّ عليه السلام بوصفه أحد الخلفاء الأربع ومن الصحابة العشرة المبشّرين بالجنة هو الأخذ بقوله وبرأيه في التفسير والفقه وأصوله، وباقي العلوم مع التحفّظ على بعض أقواله؛ لأنّها -بحسب رأيهم- من وضع بعض الشيعة المغاليّن فيه، فلابدّ من توخّي الصحيح منها قبل أخذها، وهذا ما نراه

عند المتأخّرين من علماء بعض فرق المسلمين ولاسيما المعاصرين منهم[١].

وأمّا روايات الإمام عليّ عليه السلام الخاصّة بحلّ النزاعات الاجتماعية التي هي عنوان بحثنا، فقد اتّخذ عليه السلام النصوص القرآنيّة وجمع الآيات من سور مختلفة، ومنها الرواية التي أشرنا إليها في حادثة اتّهام المرأة بالزنا في عهد عمر، والرواية التي نصّت على هذا الأمر قد تناقلتها بعض الكتب الحديثية وغيرها من كتب فرق المسلمين، وسنعرض الرواية في عدد من تلك الكتب والتي منها:

١. نقل عبد الرزاق الصنعاني المتوفى في بداية القرن الثالث الهجري في مصنفه الرواية والتي نصها: ((عن عثمان بن مطر، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أبي حرب بن الأسود الديلي، عن أبيه قال: رفع إلى عمر امرأة ولدت لستة أشهر، فأراد عمر أن يرجمها فجاءت أختها إلى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فقالت: إنّ عمر يرجم أختي، فأنشدك الله إن كنت تعلم أنّ لها عذرًا لما أخبرتني به، فقال عليّ: «إنّ لها عذرًا»، فكبرت تكبيرة سمعها عمر من عنده، فانطلقت إلى عمر فقالت: إنّ عليًا زعم أنّ لأختي عذرًا، فأرسل عمر إلى عليّ: ما عذرها؟ قال: إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَالْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ﴾[البقرة:٢٣٣]، وقال: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً﴾[الأحقاف: ١٥] فالحمل ستة أشهر، والفصل أربعة وعشرون شهرا، قال: فخلى عمر سبيلها قال: ثمّ إنّها ولدت بعد ذلك لستة أشهر))[٢].

٢. وكذلك سعيد بن منصور المتوفى أيضًا في الربع الأوّل من القرن الثالث الهجري فقد نقل الرواية نفسها ولكن بطريق مختلف، والرواية هي: ((أخبرنا سعيد، نا هشيم، أنا يونس، عن الحسن أنّ امرأة ولدت لستة أشهر، فأُتي بها عمر بن الخطاب

---

(١) ينظر: التفسير والمفسرون: ٢٢٣، ومدخل إلى التفسير وعلوم القرآن: ٩٣ .

(٢) المصنف للصنعاني: ٧/ ٣٤٩، حديث رقم ١٣٤٤٤ .

فهمّ برجمها، فقال له عليّ: ليس ذاك لك: إنّ الله عزّ وجلّ يقول في كتابه: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً﴾[الأحقاف: ١٥]، فقد يكون في البطن ستة أشهر، والرضاع أربعة وعشرين شهرًا، فذلك تمام ما قال الله: ثلاثون شهرًا، فخلّى عنها عمر))[١].

٣. وصاحب كتاب تاريخ المدينة أيضًا نقل الرواية نفسها ولكن باختلاف بسيط وهو أنّ الأمر قد رفع للخليفة الثالث عثمان بن عفان وليس للخليفة الثاني، مع اختلاف طريق نقل الرواية، ولكن المضمون واحد، والرواية هي: ((حدّثنا يحيى بن سعيد، عن ابن أبي ذئب، قال: حدثنا يزيد بن عبد الله، عن بعجة بن عبد الله بن بدر، قال: كانت امرأة منّا تحت رجل منا، فولدت لستة أشهر، فدفعت إلى عثمان فأمر بها أن ترجم، فدخل عليه عليّ رضي الله عنه فقال: إنّ الله يقول: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً﴾[الأحقاف:١٥]، فبعث خلفها فلم يدركها إلّا وقد رجمت، وكان فيما تقول لأختها: لا تحزني فوالله ما كشف عنّي رجل قطّ غيره، فلما شب الغلام كان أشبه الناس به، واعترف به، قال: فلقد رأيته يتقطع عضوا عضوا))[٢].

٤. وأمّا البيهقي المتوفى في منتصف القرن الخامس فقد ذكر الرواية في كتابه معرفة السنن والاثار، وذكر أنّ أمر المرأة قد عُرض على الخليفة الثاني، مع اختلاف طرق نقل الرواية، والرواية التي نقلها هي: ((أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو العباس بن يعقوب، حدثنا الحسن بن علي بن عطاء، حدثنا محمد بن بشر، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن داود بن أبي القصاف، عن أبي حرب بن أبي الأسود الديلي، أنّ عمر، رفعت إليه امرأة ولدت لستّة أشهر فأمر برجمها، فأتي علي في ذلك فقال: لا رجم عليها، فبلغ ذلك عمر، فأرسل إلى علي فسأله عن ذلك، فقال: لا رجم عليها لأن الله

---

(١) سنن سعيد بن منصور: ٢/ ٩٣، برقم ٢٠٧٤ .

(٢) تاريخ المدينة لابن شبة: ٣/ ٩٧٩ .

تعالى يقول: ﴿وَالْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ﴾[البقرة:٢٣٣] وقال الله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً﴾[الأحقاف:١٥] ستة أشهر وحولين كاملين تمام لا رجم عليها، فخلّى عنها عمر))[١].

ونقل البيهقي الرواية نفسها في كتابه الآخر السنن الكبرى، وكذلك في السنن الصغرى، و بطريق النقل نفسه، وقد اقتصرنا بنقلها من السنن الكبرى وتركنا نقلها من السنن الصغرى، والرواية هي: ((أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب، أخبرنا يحيى بن أبي طالب، أخبرنا أبو بدر شجاع بن الوليد، أخبرنا سعيد بن أبي عروبة، عن داود بن أبي القصاف، عن أبي حرب بن أبي الأسود الديلي، أنّ عمر أتي بامرأة قد ولدت لستة أشهر فهمّ برجمها فبلغ ذلك عليًّا رضي الله عنه فقال: ليس عليها رجم...))[٢] إلى آخر الحديث.

٥. وابن عبد البرّ القرطبيّ المتوفى في منتصف القرن الخامس الهجريّ، فقد نقل الرواية التي تتحدّث عن الأمر نفسه، وكانت من الطريق نفسه الذي نقل به عبد الرزاق في مصنّفه، والرواية هي: ((وروى قتادة، عن أبي حرب بن أبي الأسود، عن أبيه، أنّه رُفع إلى عمر امرأة ولدت لستة أشهر فهم عمر برجمها، فقال له علي عليه السلام: ليس ذلك لك...))[٣] إلى آخر الحديث.

٦. أمّا صاحب كتاب الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم المتوفى في الربع الأخير من القرن الخامس الهجري، فقد نقل الرواية نفسها ولكن من دون إسناد[٤].

---

(١) معرفة السنن والآثار: ١١/ ٢٨٨، برقم ١٥٣٥٤ .
(٢) السنن الكبرى: ٧/ ٧٢٧، برقم ١٥٥٤٩ .
(٣) جامع بيان العلم وفضله: ٢/ ٩٢٠، برقم ١٧٤٦ .
(٤) ينظر: الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم: ٤/ ٣٢٤ .

٧. وكذلك ابن الأثير المتوفّى في بداية القرن السابع الهجريّ، قد نقل الرواية نفسها بمضمونها، باختلاف أنّ الرفع كان فيها للخليفة الثالث وليس للخليفة الثاني[١].

٨. أمّا الذهبي المتوفّى في منتصف القرن الثامن الهجريّ، فقد نقل الرواية أيضًا، وهي بالمضمون نفسه مع اختلاف بسيط في المتن[٢].

٩. وأمّا جلال الدين السيوطيّ المتوفّى في بداية القرن العاشر الهجريّ، فقد نقل الرواية نفسها التي نقلها عبد الرزاق في مصنفه، و بالطريق نفسه وهو طريق أبي الأسود الدؤليّ[٣].

١٠. والأمر نفسه فعله المتّقي الهنديّ المتوفّى في الربع الأخير من القرن العاشر الهجريّ صاحب كتاب كنز العمال، فقد نقل الرواية كما نقلها السيوطيّ وبالطريق نفسه، وهو طريق أبي الأسود وهي الرواية التي وردت في مصنف عبد الرزاق[٤].

والرواية التي ذُكرت في أغلب كتب المسلمين التي أشرنا إليها في الأعلى تُشير بوضوح تام إلى أنّ الحادثة وقعت مع الخليفة الثاني وليس الثالث، وأنّه قد أمر بإخلاء سبيلها، وهذا بفضل الجهد التفسيريّ والتوظيف القرآنيّ الصحيح للإمام علي عليه السلام والتعامل قرآنيًا مع النزاعات الاجتماعيّة، وحلّها على وفق المنهج القرآنيّ السليم الذي لا يقبل أيّ شكّ واعتراض.

أمّا آراء علماء المسلمين التفسيريّة، والأصوليّة، والفقهيّة في روايات الإمام علي عليه السلام فهو الأخذ بها، والاستشهاد بها على أقوالهم وأحكامهم، سواء كانت في

---

(١) ينظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول: ٣/ ٥٩٣، برقم ١٨٥٠ .
(٢) ينظر: المهذب في اختصار السنن الكبير: ٦/ ٣٠٤٥، برقم ١٢١١٤ .
(٣) ينظر: جمع الجوامع المعروف بـ «الجامع الكبير»: ١٨/ ٥٩، برقم ٤/ ١٤٦٩ .
(٤) ينظر: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: ٥/ ٤٥٧، برقم ١٣٥٩٧ .

التفسير أم الفقه أم الأصول أم أيّ علم من علوم الدين، وسنذكر بعضها، والتي هي:

أولًا: علم التفسير:

لقد ذُكرت رواية الرجم في كتب التفسير الخاصّة ببعض علماء الفرق الإسلاميّة، التي منها:

١. فقد ذكر ابن أبي حاتم في تفسيره لقوله تعالى: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾[البقرة:٢٣٣]، الرواية التي تتحدّث عن الرجم للمرأة في معرض حديثه عن الرضاع والفطام[١].

٢. وكذلك فعل النيسابوري في تفسيره للآية ١٥ من سورة الأحقاف وذكر أنّ أقلّ مدّة للحمل هي ستّة أشهر ونقل رواية الرجم التي حدثت مع الخليفة الثاني[٢].

٣. والأمر نفسه ذكره السيوطيّ في الدرّ المنثور عند تفسيره للآية ٢٣٣ من سورة البقرة وكذلك للآية ١٥ من سورة الأحقاف، فقد تطرّق لذكر الرواية الخاصّة برجم المرأة من قبل الخليفة الثاني[٣].

٤. أمّا الشيخ الشعراويّ في تفسيره للآية ١٤ من سورة لقمان وتحديدًا عند قوله تعالى: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ فقد تطرّق للمسألة محلّ البحث، إذ يتحدّث عن مسألة الحمل والفطام، وتطرّق للآيات من سورة البقرة، ذاكرًا حكمًا شرعيًا وهو أقلّ مدّة للحمل وهي ستة أشهر، مستشهدا بقول الإمام علي عليه السلام للخليفة الثاني، ثمّ يعرض الرواية محلّ الكلام والبحث[٤].

٥. والأمر نفسه ذكره صاحب كتاب استنباطات الشيخ السعدي من القرآن الكريم

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ٣/ ٤٢٨، برقم ٢٢٦١ .

(٢) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٦/ ١٢٠ .

(٣) ينظر: الدر المنثور: ١/ ٦٨٨ .

(٤) ينظر: تفسير الشعراوي – الخواطر: ١٩/ ١١٦٤٣– ١١٦٤٤ .

في أطروحته للدكتوراه، مشيرًا لاستنباط الشيخ السعدي لأقلّ مدّة الحمل ستة أشهر مستشهدًا بالرواية الخاصّة بالرجم(١).

ثانيًا: علم أصول الفقه:

وأمّا علماء أصول الفقه فقد تطرّقوا لهذه الرواية أيضًا في كتبهم الأصوليّة:

١. فقد ذكر ابن حزم الأندلسيّ الرواية عند حديثه في فصل فيه بيان سبب الاختلاف الواقع بين الأئمّة في صدر هذه الأمّة الواقع تحت الباب الحادي عشر في الكلام في الأخبار وهي السنن المنقولة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد ذكر مسألة نسيان الإنسان سواء كان عالما او حاكما او خليفة متطرقا لعدة أمور فعلها الخليفة الثاني ليست صوابا والتي منها رواية الرجم واستشهد بقول الإمام علي عليه السلام وتذكيره بالقرآن له(٢).

٢. وكذلك فعل السغناقي في أقسام الدلالات، النقطة الثانية إشارة النصّ، فقد ذكر الرواية لأنّ فيها إشارة على أقلّ مدّة للحمل(٣).

٣. والأمر نفسه ذكره الأصولي صاحب كتاب (كشف الأسرار شرح أصول البزدوي) في القسم الرابع وجوه وقوف السامع على مراد المتكلم ومعاني الكلام، ضمن نقطة الاستدلال بإشارة اللفظ، وفي مجال حديثه عن هذا الأمر ذكر الرواية منسوبة للخليفة الثاني أو الثالث، وكذلك قائلها مُرددًا بين الإمام عليّ عليه السلام وابن عباس مستشهدًا بها على أقلّ مدّة للحمل(٤).

---

(١) ينظر: استنباطات الشيخ عبد الرحمن السعدي من القرآن الكريم عرض ودراسة: ٢٣٨-٢٣٩ .

(٢) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام: ٢/ ١٢٥ .

(٣) ينظر: الكافي شرح البزودي، الحسين بن علي بن حجاج بن علي، حسام الدين السِغناقي (المتوفى: ٧١١ هـ)، المحقق: فخر الدين سيد محمد قانت (رسالة دكتوراه) : ١/ ٢٥٩-٢٦٣ .

(٤) ينظر: كشف الأسرار شرح أصول البزدوي: ١/ ٧٢ .

ثالثًا: علم الفقه:

وأمّا علماء الفقه فقد تطرقوا للرواية وذكروها في كتبهم مستشهدين بها على أحكام عدة.

١. ففي الفقه الشافعي ذكر النوويّ، إذ إنّه كان متكلّمًا عن عدد الطلقات للمرأة وكذلك عن مدّة حملها، هل يجوز فيها الطلاق أو لا، ثمّ تعرّض لأقلّ مدّة للحمل فذكر الرواية منسوبة للخليفة الثالث أولًا وبعدها ذكرها منسوبة للخليفة الثاني[١].

٢. وفي الفقه الحنبليّ أيضًا ذكر العلماء الرواية في كتبهم الفقهية، والتي منها:

أ. فقد ذكر ابن قدامة أقلّ مدّة الحمل ستة أشهر، وعلى الفور استدلّ برواية الرجم واحتجاج الإمام عليّ عليه السلام مع الخليفة الثاني بالنصوص القرآنيّة التي تنفي الرجم عن المرأة[٢]، وكذلك ذكرها في موضع أخر من كتابه في كتاب عتق أمهات الأولاد، فصل وطئ الرجل أمته[٣].

ب. وقد ذكر ابن قدامة المقدسيّ الرواية في كتاب العدد ضمن مسألة (وأقلّ مدّة الحمل ستّة أشهر وغالبها تسعة وأكثرها أربع سنين وعنه سنتان)، واستدلّ على أقلّ مدّة الحمل ستة أشهر بالرواية محلّ البحث فقط[٤].

وذُكرت الرواية في الكتب الفقهية للمذهب الحنبلي في مصادر عدّة، من أراد المزيد مراجعتها والاطلاع عليها[٥]. وأمّا الكتب الفقهية الخاصة بالمذهب المالكي

---

(١) ينظر: المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي)) : ١٨/ ١٢٨-١٢٩ .

(٢) ينظر: المغني: ١١/ ٢٣٢ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ١٤/ ٥٨١ .

(٤) ينظر: الشرح الكبير على متن المقنع: ٩/ ٨٦ .

(٥) ينظر: المبدع في شرح المقنع: ٧/ ٧٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع: ٥/ ٤١٤، والفوائد المنتخبات في شرح أخصر المختصرات: ٣/ ٦٠٢، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى: ٥/ ٥٦٠، والدلائل والإشارات على أخصر المختصرات: ٣/ ٢٣٢ .

والمذهب الحنفي فلم نقف على كتاب قد نقل الرواية محلّ البحث للاستشهاد بها.

المبحث الرابع: محاكمة آراء الفرق الإسلامية في روايات الإمام علي عليه السلام.

لقد تبيّن من الفقرات الثلاث السابقات أنّ الإمام عليّ عليه السلام هو الأقرب للقرآن الكريم، والأعلم بشؤونه، فهو صاحب الحلول الناجعة لحلّ المشكلات الاجتماعيّة قرآنيًا؛ لما يملك من عقليّة فذّة، وقدرة علميّة تؤهّله لحلحة الأمور، وحلّ نزاعاتها، والقضاء في مسائلها قرآنيًا، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: ((أقضى أمّتي عليّ))[1]، والرسول لا ينطق عن الهوى، بل كلّ كلامه بوحي إلهيّ، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَىٰ * إِن هُوَ إِلَّا وَحي يُوحَىٰ﴾[النجم:٣-٤].

وروي أيضًا عن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب أنّه قال: ((أقضانا عليّ))[2]، وعمر لم يتكلّم من هوى نفسه، بل كلامه بحجة وبرهان، وهما قول الرسول المارّ ذكره، والمعايشة والسيرة العلميّة لعليّ عليه السلام وأثره المهمّ في كلّ واقعة وحادثة تحصل مع الخليفة الثاني.

واذا كان الإمام عليّ عليه السلام أقضى الأمة فلماذا يُبخس حقّه من جمهور المسلمين وفرقه الإسلاميّة، ولم تُذكر رواياته في كتبهم، إلّا قليلًا، ولاسيما في الكتب الحديثية المعتبرة عند جمهور المسلمين، فلم نرى أيّ وجود للروايتان السابقتين الذكر (أقضى أمتي علي) (وأقضانا علي) فيها، وكذلك لم نرى رواية الرجم أيضًا في كتبهم، والأدهى من ذلك أنّ ذكر عليّ عليه السلام ورواياته في الصحيحين لم تتجاوز الخمسين مرّة.

---

(١) أخبار القضاة: ١/ ٨٨، وذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى: ٨٣، والرياض النضرة في مناقب العشرة: ٣/ ١٦٧، وسمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي: ٣/ ٤٨.

(٢) ينظر: الطبقات الكبرى: ٢/ ٢٥٩، وتاريخ المدينة لابن شبة: ٢/ ٧٠٦، والمعجم الأوسط: ٧/ ٣٥٧، والاستيعاب في معرفة الأصحاب: ١/ ٦٨، وسير أعلام النبلاء: ١/ ٣٩١.

إنّنا لم نقف على نقل حقيقيّ لروايات العترة الطاهرة وعلى رأسهم الإمام علي عليه السلام في كتب جمهور المسلمين والفرق الإسلاميّة، وهم العدل الحقيقيّ للقرآن لقول رسول الله صلى الله عليه وآله : ((يا أيّها الناس إنّي تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي))[1].

وهنا الحديث واضح الدلالة في الربط بين القرآن والعترة أهل بيت الرسول (عليهم السلام جميعا)، على الرغم من الاختلاف البسيط في النقل داخل المتن ولكنّ المضمون واحد، فإذا كانت هذه الكتب قد نقلت حديث الثقلين، فلماذا لم نجده في الصحيحين؟! وإذا كانت العترة وسيّدهم عليّ عليه السلام هم عدل القرآن والنصف الأخر الموازي له فهي مساوية له على حدّ قول صاحب الخلق العظيم الذي لا ينطق عن الهوى رسول الإنسانيّة جمعاء محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله فأين رواياتهم التفسيرية؟ وأين رواياتهم العقدية؟ والفقهية، وغيرها؟ في كُتب الصحاح ولاسيما في (البخاري ومسلم)، وأين رواياتهم عند الفرق الإسلاميّة؟ لا توجد لهم روايات بحجم قدرهم الموازي للقرآن، أيُعقل أنّهم لم يفسّروا القرآن وهم العدل الآخر له؟! أكيد الجواب لا؛ لأنّ عليًّا عليه السلام المنادي سلوني قبل أن تفقدوني، فصاحب هذه المقولة بالتأكيد كانت له الباع الواسعة في تبيان وتفسير القرآن، والسؤال أين هذا التفسير للقرآن من عليّ؟ لماذا تخلو الصحاح المعتمدة عند فرق جمهور المسلمين منه؟ ولماذا تخلو كتب الفرق الإسلاميّة منه؟ إلّا النادر طبعًا.

ومن هنا نقول إنّ جمهور المسلمين والفرق الإسلاميّة قد ظلموا عليًّا وأهل

---

(١) سنن الترمذي: ٥/ ٦٦٢، برقم ٣٧٨٦، والسنن الكبرى: ٧/ ٣١٠، برقم ٨٠٩٢، والمعجم الكبير: ٣/ ص٦٦، برقم ٢٦٨٠، والمستدرك على الصحيحين: ٣/ ١١٨، برقم٤٥٧٦، ومصابيح السنة: ٤/ ١٨٩، برقم ٤٨١٣، ومشكاة المصابيح: ٣/ ص١٧٣٥، برقم ٦١٥٢، وكنز العمال: ١/ ص١٧٢، برقم ٨٧٠ .

بيته وبخسوا حقّهم، وتمسّكوا بالقرآن الصامت وتركوا القرآن الناطق الإمام عليّ وعترة النبيّ الطاهرة عليهم السلام، وكان الأولى التمسّك بكلاهما لأنّهما يكمّلان بعضهما ولن يفترقا حتّى القيامة، وهذا ما صرّح به رسول الأمّة الإسلاميّة صلى الله عليه وآله، حينما قال (لن يفترقا)؛ لأنّه بحسب العقل لابدّ من وجود من يوضّح القرآن للمسلمين، ولابدّ من كونه من أهل العلم والدراية بالقرآن وبصاحب القرآن، وهذا الأمر ينطبق على عترة النبيّ فقط وفقط.

الخاتمة

وفي ختام البحث يمكن القول إنّه توجد بعض الأمور التي نراها تكون نتائج للبحث، والتي هي:

١ .اتّفاق الفرق الإسلاميّة على خلافة الإمام عليّ عليه السلام ، وكونه الخليفة الرابع للمسلمين، خلا الفرق الشيعية التي ترى كونه الخليفة الشرعيّ الأوّل لرسول الله صلى الله عليه وآله.

٢ . أحقيّة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بالخلافة الشرعيّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله حسب وصيّة رسول الله.

٣. توظيف النصّ الدينيّ عند جمهور المسلمين من طريق الاستدلال بالقرآن الكريم أوّلًا وبعدها السنّة النبويّة ثمّ أقوال الخلفاء والصحابة.

٤. المفسّر الأوّل للقرآن الكريم بعد رحيل نبيّ الأمة هو الإمام عليّ عليه السلام ؛ كونه سيّد العترة المُوصى بها والأقرب للقرآن ولمن نزل عليه القرآن.

٥. منهاج الإمام عليّ عليه السلام في تفسيره للقرآن حسب الحاجة والظروف الموضوعيّة، والمنهج الذي استخدمه في حلّ النزاعات الاجتماعيّة هو منهج التفسير الموضوعيّ.

٦. استخدام روايات الإمام عليّ عليه السلام التفسيرية من قبل علماء المسلمين ولاسيما علماء التفسير والأصول والفقه.

٧. قلّة روايات الإمام عليّ عليه السلام وافتقارها في كتب الحديث الكبيرة والمعتمدة عند جمهور المسلمين ولاسيما كتاب (البخاري ومسلم).

٨.نقل بعض كتب الحديث لرواية الرجم الخاصّة بحادثة الرجم التي حصلت بين الخليفة الثاني والإمام عليّ عليه السلام .

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم.

١. الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (٣٢٤هـ)، تح: د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار، القاهرة، ط١، ١٣٩٧هـ.

٢. الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الأندلسي (٤٥٦هـ)، تح: الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، دت.

٣. أخبار القضاة، أَبُو بكر محمد بن خلف بن حيانَ بْن صَدقة الضّبِي البَغدَادي، المُلَقَّب بِـ»وَكِيع» (٣٠٦هـ)، تح: صححه وعلق عليه وخرّج أحاديثه: عبد العزيز مصطفى المراغي، المكتبة التجارية الكبرى، بشارع محمد علي بمصر لصاحبها: مصطفى محمد، ط١، ١٣٦٦هـ-١٩٤٧م.

٤. أخبار مكّة وما جاء فيها من الأثار، أبو الوليد الأزرقي (٢٥٠هـ)، تح: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للنشر، بيروت، د ت.

٥. أسباب نزول القرآن، علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي (٤٦٨هـ)، تح: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١ هـ.

٦. استنباطات الشيخ عبد الرحمن السعدي من القرآن الكريم عرض ودراسة، د. سيف بن منصر بن علي الحارثي، أصل الكتاب: رسالة دكتوراه في القرآن الكريم وعلومه - كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية - الرياض، إشراف د أحمد سعد محمد محمد الخطيب، دار قناديل العلم للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م.

٧. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله القرطبي (٤٦٣هـ)، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٨. أصول الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني (٣٢٨/ ٣٢٩ هـ)، تح: تعليق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ.

٩. تاريخ المدينة لابن شبة، عمر بن شبة (٢٦٢هـ)، تح: فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد، جدة، ١٣٩٩ هـ.

١٠. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، طاهر بن محمد الأسفراييني ظفر (٤٧١هـ)، تح: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١١. التحصيل من المحصول، سراج الدين محمود بن أبي بكر الأرْمَوي (٦٨٢هـ)، تح: الدكتور عبد الحميد علي أبو زنيد، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١٢. تخريج العقيدة الطحاوية، أحمد بن محمد الطحاوي (٣٢١هـ)، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤١٤ هـ.

١٣. تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي (١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم،١٩٩٧م.

١٤. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (٣٢٧هـ)، تح: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤١٩ هـ.

١٥. التفسير والمفسرون، الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (١٣٩٨هـ)، مكتبة وهبة، القاهرة، د ت.

١٦. تقويم الأدلة في أصول الفقه، أبو زيد عبد الله بن عمر بن عيسى الدّبوسيّ الحنفي (٤٣٠هـ)، تح: خليل محيي الدين الميس، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

١٧. جامع الأصول في أحاديث الرسول، ابن الأثير (٦٠٦هـ)، تح: عبد القادر الأرنؤوط - التتمة تحقيق بشير عيون، مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، ط١، ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩ م.

١٨. جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (٤٦٣هـ)، تح: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

١٩. الجامع لعلوم الإمام أحمد، خالد الرباط وآخرون، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم، جمهورية مصر العربية، ط١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٢٠. جمع الجوامع المعروف بـ«الجامع الكبير»، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، مختار إبراهيم الهائج وآخرون، الأزهر الشريف، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط٢، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.

٢١. الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (٤٨٨هـ)، تح: د. علي حسين البواب، دار ابن حزم، بيروت، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢٢. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (٤٣٠هـ)، السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٢٣. الدر المنثور، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت، دت.

٢٤. الدلائل والإشارات على أخصر المختصرات لمحمد بن بدر الدين البلباني الحنبلي (١٠٨٣هـ)، د. عبد العزيز بن عدنان العيدان، د. أنس بن عادل اليتامى، دار ركائز للنشر والتوزيع، الكويت، دار أطلس الخضراء للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م.

٢٥. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري (٦٩٤هـ)، مكتبة القدسي لصاحبها حسام الدين القدسي بباب الخلق بحارة الجداوي بدرب سعادة بالقاهرة، ١٣٥٦ هـ.

٢٦. الرياض النضرة في مناقب العشرة، أحمد بن عبد الله بن محمد، محب الدين الطبري (٦٩٤هـ)، الدار الكتب العلمية، ط٢، د ت.

٢٧. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (١١١١هـ)، تح: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٢٨. السنة، أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانيّ البغدادي (المتوفى: ٢٩٠هـ)، المحقق: د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٩. سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٧٣هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، د ت.

٣٠. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (٢٧٩هـ)، تح: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

٣١. السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (٣٠٣هـ)، تح: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٤٢١،١هـ-٢٠٠١م.

٣٢. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ)، تح: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٣٣. سنن سعيد بن منصور، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (٢٢٧هـ)، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية، الهند، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م.

٣٤. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (٧٤٨هـ)، تح: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

٣٥. الشرح الكبير على متن المقنع، عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي (٦٨٢هـ)، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، أشرف على طباعته: محمد رشيد رضا صاحب المنار، دت.

٣٦. الطبقات الكبرى، ابن سعد (٢٣٠هـ)، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

٣٧. عقيدة السلف - مقدمة أبي زيد القيرواني لكتابه الرسالة، أبو محمد عبد الله بن (أبي زيد) عبد الرحمن النفزي، القيرواني، المالكي (٣٨٦هـ)، تح: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة، د ت.

٣٨. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (٨٥٠هـ)، تح: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ.

٣٩. الفوائد المنتخبات في شرح أخصر المختصرات، عثمان بن عبد اللَّه بن جامع الحنبلي (١٢٤٠ هـ)، تح: عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم (جـ ١، ٢)، عبد اللَّه بن محمد بن ناصر البشر (جـ ٣، ٤)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٤٠. الكافي شرح البزودي، الحسين بن علي بن حجاج بن علي، حسام الدين السِّغْنَاقي (٧١١هـ)، تح: فخر الدين سيد محمد قانت (رسالة دكتوراه)، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٤١. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (٢٣٥هـ)، تح: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩.

٤٢. كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى (١٠٥١هـ)، دار الكتب العلمية، دت.

٤٣. كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي (٧٣٠هـ)، دار الكتاب الإسلامي، دت.

٤٤. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري (٩٧٥هـ)، تح: بكري حياني - صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٤٥. المبدع في شرح المقنع، إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (٨٨٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

٤٦. المجموع شرح المهذب (مع تكملة السبكي والمطيعي)، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (٦٧٦هـ)، دار الفكر، دت.

٤٧. المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر (١٩٨٠م)، تح: لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، ط١، ١٤٢١هـ.

٤٨. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (٤٠٥هـ)، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

٤٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

٥٠. مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، دت.

٥١. مصابيح السنة، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (٥١٦هـ)، تح: الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي وآخرون، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٥٢. المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (٢١١هـ)، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند، ط٢، ١٤٠٣.

٥٣. مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى بن سعد بن عبده السيوطي (١٢٤٣هـ)، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٥٤. المعجم الأوسط، أبو القاسم الطبراني (٣٦٠هـ)، تحق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، دت.

٥٥. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (٣٦٠هـ)، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، دت

٥٦. معرفة السنن والآثار، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ)، تح: عبد المعطي أمين قلعجي، الناشرون: جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي - باكستان)، دار قتيبة (دمشق -بيروت)، دار الوعي (حلب - دمشق)، دار الوفاء (المنصورة - القاهرة)، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٥٧. المغني، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ)، تح: الدكتور عبد اللَّه بن عبد المحسن التركي، الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٥٨. من لا يحضره الفقيه، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٨١هـ)، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، ط٢، ١٤٠٤هـ.

٥٩. المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره، الدكتور محمد علي الحسن، كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الإمارات العربية المتحدة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٦٠. مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، عبد الجواد خلف محمد عبد الجواد، دار البيان العربي، القاهرة، دت.

٦١. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية الحراني (٧٢٨هـ)، تح: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٦٢. المهذب في اختصار السنن الكبير، أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عُثمان الذهبي الشافعي (٧٤٨ هـ)، تح: دار المشكاة للبحث العلميِ، بإشراف أبي تَميم يَاسر بن إبراهيم، دار الوطن للنشر، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

ردُّ الإمامِ عليٍّ عليه السلام على دعوى الزنادقةِ بتناقضِ القرآنِ الكريمِ واختلافِه دراسةٌ حجاجيّةٌ

م. م. كوثر فليّح عبد الموسويّ
مديريّة تربية المثنّى

الملخّص:

هذا بحث لسانيّ يختصّ بمراقبة الآليّات اللغويّة الحجاجيّة التي استعملها الإمام عليّ عليه السلام في الردّ على مدّعي التناقض في القرآن الكريم، وقد عمد إلى مستويين في الحجاج، خارجيّ وداخليّ، وقد جاء البحث عليهما محلّلا كلام الإمام وأساليبه في الردّ، وقد وجد البحث اعتمادًا كبيرًا من الإمام عليه السلام على آيات القرآن الكريم، والحجاج بها.

ومن الأمثلة التي طُبّق عليها البحث: مفردة (النسيان) وما يشتقّ منها، الواردة في القرآن، وكيف أنّ الزنادقة قد جعلوا هذه الآيات دليلًا على تناقض القرآن الكريم، كذلك مفردة (اللقاء) وما أشتقّ منها، ومفردة (الظنّ)، وغيرها من المفردات التي وردت في الآيات القرآنيّة التي عدّها الزنادقة دليلًا على تناقض القرآن الكريم، وقد احتجّ الإمام عليّ عليه السلام بأدلّة مختلفة للردّ عليهم، معتمدًا وسائل حجاجيّة متنوِّعة.

الكلمات المفتاحية: الإمام علي عليه السلام، الحِجَاجُ اللِّسَانِيّ، التَّنَاقُضَاتُ القُرْآنِيَّة، الآلِيَّاتُ الحِجَاجِيَّة، تَفْنِيدُ الشُّبُهَات.

Abstract:

This linguistic study focuses on analyzing the argumentative mechanisms employed by Imam Ali (pbuh) in refuting claims of contradictions within the Holy Qur'an. The research examines two levels of argumentation: internal and external، providing an analytical reading of the Imam's discourse and his defensive methods. The study finds that the Imam relied heavily on the Qur'anic verses themselves as a primary argumentative tool.

Among the cases applied in this research is the term "forgetfulness" (Nisyan) and its derivatives in the Qur'an، and how critics (Zanadiqa) used these verses as purported evidence of contradiction. Similarly، the study examines the terms "meeting" (Liqa') and "conjecture/certainty" (Dhann)، along with other vocabulary that was misinterpreted by skeptics. The research demonstrates how Imam Ali (pbuh) countered these claims using diverse argumentative proofs and varied rhetorical strategies to uphold the integrity of the Divine text.

Keywords: Linguistic Argumentation، Imam Ali (pbuh)، Qur'anic Contradictions، Argumentative Mechanisms، Refutation of Skepticism.

المقدّمة:

مثّلَ الحجاج مفهومًا متشعّبًا؛ وذلك لتشعُّب مجالاته وتعدُّد استعمالاته وتبايُن مرجعيّاته، فنجده في الخطابات والقضاء والفلسفة، مستمدًّا معناه وحدوده ووظائفه من مرجعيّة خطابيّة محدّدة، ويهدف إلى التأثير في المتلقّي بغية الإفهام والإقناع، وعليه يتّبع المرسِل في حجاجه سبُلًا حجاجيّة متنوِّعة لغرض إقناع المتلقّي، ويتطرَّق هذا البحث إلى دراسة ردّ الإمام عليّ عليه السلام على الزنادقة الذين أدّعوا الاختلاف والتناقض في القرآن الكريم، وبيان الوسائل والآليّات التي اعتمدها الإمام عليه السلام في كلامه، والغاية التي أرادها وهي التأثير والإقناع في المتلقّين، وتفنيد دعواهم، والإمام عليّ عليه السلام قد أخذ علمه من الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله، فقد تتلمذ على يديه وأخذ منه العلم الذي علَّمه إيّاه الله تعالى، وقد أخذ القرآن من رسول الله قراءةً وإملاءً وتدوينًا بنصّ حديثه هو، وعليه فهو العالم بالقرآن الكريم بعد رسول الله، وهو أولى بالدفاع عنه وبيان زيف المدّعين أنّ فيه اختلافًا وتناقضًا، فجاء ردّه عليه السلام محاججًا الزنادقة الذين يدّعون الاختلاف والتناقض في كلام الله تعالى، وقد حاججهم معتمدًا آليّات الحجاج المتنوِّعة التي تتلاءم و سياق الحال الذي فيه موقف الردّ، وقد قسّمتُ البحث على المفردات التي تضمّنتها الآيات القرآنيّة التي احتجّ بها الزنادقة لدعواهم، وقد ابتدأ البحث بالتمهيد، ومن ثَمّ التعاطي مع الخطاب الحجاجيّ دلاليًّا وعلى مستويين: مستوًى خارجيّ، إذ يشكِّل الخطاب في كليّته حجّة، ومستوًى داخليّ يتمثَّل فيه الحجاج في مجموعة محاور هي: الموجّهات اليقينيّة كالروابط الحجاجيّة، والاستعارات، وروابط العطف الحجاجيّ، ثمّ خاتمة بالنتائج التي توصّل إليها البحث.

التمهيد:

في اللغة: الحجاج والمحاجة مصدران لفعل حاجج، جاء في لسان العرب: حجج: الحجّ: القصد، وحجّه يحجُّه حجًّا: قصده، والحجّة: البرهان، وقيل: الحجّة ما دفع به الخصم، ويُقال حاجّه محاجّة وحِجاجًا، أي: نازعته، وحجّه يحجّه حجًّا: غلبه على حجّته[١]، ومن هذه التعاريف يتبينّ أنّ الحجاج يختصّ بالدلالة أساسًا على معنين، وهما: معنى القصد، ومعنى الإقناع، وهذا يعود بنا إلى نظرة الجاحظ إلى وظيفة اللغة وهي الإفهام والإقناع، فالوظيفة الإقناعيّة: وظيفة خطابيّة، وما يتّصل بها من إلقاء وإقناع واحتجاج يمثِّل استراتيجيّة في الخطاب الحجاجيّ[٢]، وأمّا الوظيفة الثانية فهي الوظيفة الإفهاميّة: ((بدونها لا تقوم الوظائف الأخرى التي لا تعدو أن تكون تطويرًا لها يؤدّي إليه نوع المتكلّم وجنس الكلام))[٣].

والحجاج جهد إقناعيّ، مُتجسِّد في كلّ لغة من حيث إنّ الخطاب يستهدف إقناع من يُوجَّه إليه، وهذا يعني أنّ الحجاج خاصيّة خطابيّة، يُستهدَف من خلاله إقناع المستمع بوجهة نظر معيّنة وإفحامه بها، وقد تؤثّر فيه قصد فعل أمر ما أو تركه، فهو الخطاب الصريح أو الخطاب الضمنيّ الذي يستهدف الإقناع والإفحام معًا، مهما كان متلقّي الخطاب، ومهما كانت الطريقة المتَّبعة في ذلك[٤].

والجديد في الدراسات المعاصرة التي اهتمَّت بالحجاج هو أنّ موضوعه غدا عِلمًا قائمًا بذاته، ومؤطّرًا بجملة من النظريّات المعرفيّة التي تضبط أوجه استعمالاته في المجالات المعرفيّة المختلفة، ولا شكّ أنّه قد تفاعل مع الأبحاث المعاصرة

(١) ينظر: لسان العرب: ٢/ ٧٧٨(مادة حجج) .
(٢) ينظر: استراتيجيات الخطاب عند الإمام عليّ : ٩٠ .
(٣) التفكير البلاغي عند العرب: ٢٠٠ .
(٤) ينظر: التكوثر العقلي: ٢٢٦ .

التي تمّ إنجازها في علوم اللغة والمنطق والفلسفة.

وأمّا مفهوم الحجاج في العالم الإسلاميّ فهو شديد الارتباط بممارسة الخطابة والجدل الفكريّ عند المسلمين، وذلك أنّ الفاعليّة الحجاجيّة يُراد منها عندهم مغالبة المخالف في المذهب أو الرأي بإظهار الحجّة، فالحجّة ((هي الدليل نفسه إذا كان برهانًا أو إقناعًا أو شغبًا))[١]، والحجّة الإقناعيّة: ((هي التي تُفيد القانعين القاصرين عن تحصيل المطالب بالبراهين القطعيّة العقليّة، وربما تُفضي إلى اليقين بالاستكثار))[٢].

وقد عرّف الأستاذ طه عبد الرحمن الحجاج بأنّه: ((كلّ منطوق به موجَّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحقّ له الاعتراض عليها))[٣].

والحجاج، بهذا الاعتبار، خطاب، لكنّه مختلِف عن أيّ خطاب، بل يجب أن يتضمّن قصدين، قصد الادّعاء الذي اختصّ به المتكلِّم، وقصد الاعتراض الذي هو من حقّ المستمِع، هذا فضلًا عن أنّ الخطاب الحجاجيّ يستهدف به التوجّه إلى الغير للإفهام، وبهذا كان الحجاج وسيلة للتفكير والتواصل مع الآخر، والتفاعل بين طرفين من أجل جلب منافع أو دفع مضارّ، وهذا ما منح الخطاب الحجاجيّ أبعادًا عمليّة.

ويتّضح ممّا تقدَّم أنّ الحجاج فاعليّة خطابيّة هدفها الإفهام والإقناع، وتبعًا لذلك فإنّ بنيته الاستدلاليّة ستكون متميّزة، إذ قد يُلتمَس في الاستدلال الحجاجيّ صور استدلاليّة هي أوسع وأغنى، وعليه فإنّ حجاجيّة الاستدلال ترجع إلى انبنائه على قوانين منطقيّة طبيعيّة.

---

(١) الأحكام، ابن حزم: ١/ ٤٠ .

(٢) اللسان والميزان: ٢٢٦ .

(٣) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: ٦٦ .

النظرية الدلاليّة الحجاجيّة:

ونحن هنا بصدد الخطاب الذي تُضمَر فيه معانيه، وما يُميِّز الخطاب المضمَر التباس معانيه؛ إذ إنّ جُمَلَه تظلّ مفتوحة على معانٍ عدّة، كأن يدلّ لفظ واحد على معانٍ مختلفة ومتباينة، ولعلّ انفتاح تراكيب الجمل للخطاب الطبيعيّ على معان شتّى هو مزيّة لها، وذلك لا يُنقِص من قيمتها التبليغيّة والإقناعيّة؛ لأنّ ذلك؛ ((يُكسبها الطواعيّة الكافية لجعلها تستجيب لأغراض التبليغ التي لا تحصى))[١].

وأمّا التعاطي مع الخطاب الحجاجيّ دلاليًّا فيكون على مستويين:

أوّلًا: مستوى خارجيّ كلّيّ، حيث يشكِّل الخطاب في كليّته حجّة.

ثانيًا: مستوى داخليّ، حيث يتجسَّد الحجاج في المعجم والروابط الحجاجيّة والاستعارات والأفعال اللغويّة.

ولقد أصبح واضحًا لدى الباحثين في النظريّات التأويليّة المعاصرة للخطاب، وفي اللسانيات التداوليّة أنّ المقاصد التي يريدها المخاطِب لها أثر حاسم في توجيه معنى الخطاب وتحديده، ومن ثَمَّ يُفترض في التحديد الدلاليّ للنصّ أن يكون مبنيًا على مقاربة لغويّة وعقليّة، وذلك من طريق إعادة ترتيبه، والوقوف على مقاصده، والقيام بتأويل مجموعة من الأمارات والأدلّة، واستحضار كلٍّ من المقام والغاية، ولأنّ المتكلِّم لابدّ أن يأخذ بمقتضيات الحال التي تتمثَّل في المعارف والمعتقدات الموجّهة ثُمَّ المطالب والأغراض المراد فعلها[٢].

إنّ اللُّغة ليست مجرّد أداة للتعبير عن الأغراض الخارجيّة فقط وإنّما هي أساسًا حقيقة، وإذا كان الوجود الحقيقيّ للغة هو وجود حواريّ، فهذا يؤكّد المنطق

(١) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: ٩٨.

(٢) ينظر: المنحى الحجاجي للخطاب القرآنّي وأثره في منهج الاستدلال الأصولي: ٦٣ .

الذي بُنيت عليه لغة القرآن من حيث هي لغة وحجّة بالغة[١]، وبحسب ما ذهب إليه دارسو الإعجاز القرآنيّ، أو ما يمكن أن يندرج ضمن ما تسعى إليه سيميائيّات التواصل بدراسة أساليب التواصل، أي الوسائل المستعملة قصد التأثير، وهذا يعيدنا إلى الوظيفة الأساسيّة للُّغات، ولقد نزل القرآن الكريم بلسان العرب، فمن ابتغى معانيه فليس له من سبيل إلّا أن يطلبه من جهة هذا اللسان، قال أبو إسحاق الشاطبيّ: ((إنّ القرآن نزل بلسان العرب على الجملة، فطَلَبُ فهمه إنّما يكون من هذا الطريق خاصّة))[٢]، فالناظر في مسالك الإفهام والفهم للخطاب القرآنّي لا يلبث أن يتبيّن له أنّها من جنس ما عهده العرب في كلامهم وتداولوها بينهم، وهي على العموم أساليب بلاغيّة وحجاجيّة، وهذا يقتضي أن ينزل القرآن على أساليب العرب في التعبير؛ حتّى يتحقّق قصد الإفهام والبيان، ولهذا جعله الله في صيغته اللّغوية خطابًا منطقيًّا من حيث هو معانٍ متلقّاة في لغة يفهمها البشر هي اللُّغة العربية، ((وهي واردة في مبانٍ يُدرِك منها الناسُ المعاني المراد تبليغهم إيَّاها، لكن بحسب اصطلاحهم على تأدية المعاني التي يمكنهم أن يدركوها بواسطة المباني التي تتّخذها الطبيعة البشرية طريقًا للوصول إلى هذه المعاني أو إلى تبليغها))[٣]، ولمّا كان القرآن عربيّ اللغة فقد وجبت معرفة معانيه ومقاصده، ومن أولى بذلك من أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو الذي قال: ((فما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله آيةٌ من القرآن إلّا أقرأنيها وأملاها عليَّ فكتبتها بخطّي وعلَّمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها، وخاصّها وعامّها، ودعا الله أن يُعطيَني فهمها، فما نسيتُ آية من كتاب الله، ولا علمًا أملاهُ عليَّ، وكتبتهُ منذ دعا اللهَ لي بما دعا، وما

(١) ينظر: النكت في إعجاز القرآن: ٥٤ .
(٢) الموافقات: ٢/ ٤٩ .
(٣) علم المعاني، عبدالعزيز عتيق: ٦٤ .

ترك شيئًا علّمهُ اللهُ من حلال وحرام ولا أمرٍ ولا نهي كان أو يكون ولا كتابٍ منزل على أحدٍ من قبلهِ – من طاعةٍ أو معصيةٍ- إلّا عَلَّمنيه وحفظتهُ فلم أنسَ منه حرفًا واحـدًا))[1]، ففي هذا الحديث أكّد الإمام علّي عليه السلام أنّه قد أخذ علمه من الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله، فقد تتلمذ على يديه وأخذ منه العلم الذي علَّمه إيّاه الله تعالى، وقد أخذ القرآن من رسول الله قراءةً وإملاءً وتدوينًا كما نصَّ في حديثه، وعليه فهو العالم بالقرآن الكريم بعد رسول الله وهو أولى بالدفاع عنه وبيان زيف المدّعين أنّ فيه اختلافًا وتناقضًا، فجاء ردّه عليه السلام محاججًا الزنادقة الذين يدّعون الاختلاف والتناقض في كلام الله تعالى، وقد حاججهم معتمدًا آليّات الحجاج المتنوّعة التي تتلاءم مع سياق الحال الذي فيه موقف الردّ، وقد قسمت البحث على المفردات التي تضمّنتها الآيات القرآنيّة والتي احتجّ بها الزنادقة على وفق مستويين وهما:

مستوى خارجيّ: في هذا المستوى من الحجاج يمثِّل الخطاب بصورة كليّة حجّة على الخصم؛ لأنّه يكون باللغة التي يُتحدَّث بها، التي يكون المتكلِّم عارفًا بأسرارها، فالمعاند اعتمد على معنى المفردات في الآيات القرآنيّة في ادّعاء أنّها تُمثِّل تناقضًا في القرآن، وذلك لأنّ بلاغة الخطاب الإقناعيّ مثّلت جزءا من الإشكاليّات التي شغلت التفكير الإنسانيّ على امتداد القرون، وقد ركّزت على مكوّنات النصّ التي من أهمّها اللفظ والنظم والمجاز، فاللفظ وسيلة لإقناع الآخر حاولت البلاغة العربية تحديد الشروط التي تسمح باستعماله في الإقناع والتأثير، والبلاغة العربيّة ذات فعاليّة نصيّة مهمّة وإمكان من إمكانات الخطاب الأساسيّ[2]، فيأتي ردّ الإمام عليه السلام باللغة نفسها وبخطاب بلاغيّ إقناعيّ لتفنيد حجّة المعاند؛ لأنّ تقديم

(١) أصول الكافي: ١/ ٦٣- ٦٤، الحديث صحيح السند .

(٢) ينظر: الوظيفة الإقناعية للحجاج في الدراسات العربية والغربية: ٥ .

الحجج والأدلّة المؤدّية إلى نتيجة تتمثَّل في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها يمثِّل الحجج اللغويّة، وبعضها الآخر بمثابة النتائج التي تُستنتج من الحجج[١]، ومن أمثلة ذلك ردّه على معنى مفردة (النسيان) وما اشتقّ منها من مفردات ورَدَت في الآيات القرآنيّة، فقد روي أنّه جاء بعض الزنادقة إلى أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام وقالوا له: لولا ما في القرآن من الاختلاف والتناقض لدخلنا في دينكم[٢]، فقال عليه السلام: وما هو؟ قال: قوله: ﴿نَسُواْ للَّهَ فَنَسِيَهُم﴾[التوبة:٦٧]، وقوله: ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾[الأعراف:٥١]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[مريم:٦٤]، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ((وأمّا قوله تعالى: ﴿نَسُواْ للَّهَ فَنَسِيَهُم﴾ إنّما يعني نسوا اللهَ في دار الدنيا لم يعملوا بطاعته، فنسيهم في الآخرة، أي: لم يجعل لهم من ثوابه شيئًا فصاروا منسيين من الخير، وكذلك تفسير قوله عزّ وجلَّ: ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ يعني بالنسيان: أنّه لم يُثِبهم كما يُثيب أولياءه والذين كانوا في دار الدنيا مطيعين ذاكرين حين آمنوا به وبرسوله وخافوه بالغيب، وأمّا قوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ فإنّ ربّك تبارك وتعالى علوًا كبيرًا ليس بالذي ينسى، ولا يغفل، بل هو الحفيظ العليم، وقد تقول العرب: نسينا فلان فلا يذكرنا، أي إنّه لا يأمر لهم بخير، ولا يذكرهم به))[٣]، يظهر في كلام الإمام عليّ عليه السلام أنّه عمد إلى آليّات عدّة ليحاجج بها المدّعين بتناقض القرآن من الزنادقة، فنجد أنّه قد أجابهم باللغة التي تحدثوها وهي لغة القرآن الكريم اللغة العربيّة، فهم أوّل الأمر يعرفونها ويعرفون ما فيها من بلاغة وفصاحة وأنّ مفرداتها تخرج لمعانٍ مختلفة، فليس هناك من أدنى شكّ أنّ المعنى

(١) ينظر: الحجاج اللغوي عند أبو بكر العزاوي: ٥٩١ .
(٢) ينظر: الاحتجاج، الطبرسّي: ١/ ١٧٣ .
(٣) الاحتجاج: ١/ ١٧٣.

المراد لله هو ليس المعنى نفسه عند عباده، فالله سبحانه وتعالى لا يغفل ولا ينسى وإنّما يسهو وينسى المخلوق، ففي الآية الأولى من سورة التوبة بيّن الإمام عليه السلام أنّهم نسوا الله في دار الدنيا، أي لم يعملوا بطاعته، فهم هنا لم يكونوا ناسين لتعاليم الله بل تاركين لها، لذلك كما تركوا أوامر الله ونواهيه تركهم الله سبحانه وتعالى ولم يشملهم برحمته، وعليه يكون معنى (النسيان) هنا الترك[١]، و معنى النسيان في الآيات الأخرى لم يخرج عن معنى الترك، وقد ورد في تفسير العياشي عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: (نسوا الله) قال: ((تركوا طاعة الله (فنسيهم) قال: تركهم، وفيه عن أبي معمر السعداني، قال: قال عليّ عليه السلام في قوله: (نسوا الله فنسيهم) فإنّما يعنى أنّهم نسوا الله في دار الدنيا فلم يعملوا له بالطاعة ولم يؤمنوا به وبرسوله فنسيهم في الآخرة، أي لم يجعل لهم في ثوابه نصيبًا فصاروا منسيّين من الخير))[٢]، وأيضًا جاء في تفسير الآية ((تركوا ذكر الله فخذلهم))[٣].

ومن ردّه أيضًا (سلام الله عليه) على قول الزنديق بأنّ القرآن قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة:٢٢-٢٣]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[الشورى:٥١]، فيذهب الزنديق إلى أنّ هذا تناقض في القرآن؛ لأنّه كيف تكون الوجوه ناظرة إلى ربّها، وفي موضع آخر من القرآن يقول يكلمهم من وراء حجاب، أو عن طريق الوحي، وإنّه تعالى لا تدركه الأبصار، وهذا التفسير الخاطئ لمعنى المفردات القرآنيّة من الزنديق ردّ عليه الإمام عليّ عليه السلام قائلًا: ((وأمّا قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ذلك في موضع ينتهي فيه أولياء الله

(١) ينظر: لسان العرب: ٤٩/ ٤٤١٧ .
(٢) بحار الأنوار: ٤/ ٩١، والميزان في تفسير القرآن: ٩/ ٣٤٧ .
(٣) تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن: ١/ ١٩١ .

عزَّ وجلَّ بعدها[١] يفرغ من الحساب إلى نهر يسمّى نهر الحيوان فيغتسلون منه، ويشربون من آخر فتبيض وجوههم، فيذهب عنهم كلّ أذًى وقذًى ووعث، ثُمَّ يؤمرون بدخول الجنّة، فمن هذا المقام ينظرون إلى ربّهم كيف يثيبهم، ومنه يدخلون الجنّة فذلك قول الله عزّ وجلَّ في تسليم الملائكة عليهم ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[الزمر:٧٣]، فعند ذلك قوله تعالى أثيبوا بدخول الجنّة والنظر إلى ما وعد الله عزَّ وجلَّ؛ فلذلك قال تعالى: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ والناظرة في اللغة هي: المنتظرة، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾[النمل: ٣٥]، أي: منتظرة بمَ يرجع المرسلون؟))[٢]، فنجد الإمام عليّ عليه السلام قد عمد إلى تفسير الآيات القرآنيّة بالآيات القرآنيّة، فكان يستدلّ على معنى الآية بمعنى الآية التي تُفسِّرها، وقد استعمل في ردّه واحتجاجه التفسير اللغويّ ليُبيّن أنّ المعنى الذي ذهب إليه الزنديق هو معنًى خاطئ للمفردة القرآنيّة، ولا يمكن أن يكون المعنى المطلوب؛ لأنّ معنى (ناظرة) في اللغة هو: المنتظرة، والدليل على ذلك ما جاء في النصّ القرآنيّ في قول ملكة سبأ بأنّها مرسلة لهم بهدية وناظرة بمَ يرجع المرسلون إليها، أي: منتظرة، وهذان دليلان على خطأ ما فسّر به الزنديق النصّ القرآنيّ، فلم يكن المعنى أنّهم ينظرون إلى ربّهم بمعنى النظر العينيّ، وإنّما أُريد أنّهم منتظرون للإثابة من ربّهم، وقيل في تفسيرها إنّهم منتظرون الثواب من ربّهم، فقد نقل أبو كُريب قال: ثنا عمر بن عبيد عن منصور عن مجاهد قال: تنتظر منه الثواب[٣].

---

(١) الأصح في سياق الكلام أن تكون (بعدما) و ليس (بعدها)، فيبدوا أنّه خطأ طباعيّ.
(٢) الاحتجاج: ١/ ١٧٥ .
(٣) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن: ٢١/ ٥٧٨ .

وأمّا تفسيره للآية الأخرى فقال عليه السلام: ((وأمّا قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[النبأ:٣٨]، كذلك قال الله تعالى: قد كان الرسول يُوحي إليه رسلٌ من السماء فتبلغ رسل السماء إلى الأرض، وقد كان الكلام بين رسل أهل الأرض وبينه من غير أن يُرسل بالكلام مع رسل أهل السماء، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جبريل هل رأيت ربّك؟ فقال جبريل: إنَّ ربي لا يُرى، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ومن أين تأخذ الوحي؟ قال: آخذه من إسرافيل، قال: ومن أين يأخذ إسرافيل؟ قال: يأخذه من ملك فوقه من الروحانيّين قال: ومن أين يأخذ ذلك الملك؟ قال: يقذف في قلبه قذفًا فهذا وحي، وهو كلام الله عزَّ وجلَّ وكلام الله ليس بنحو واحد ومنه ما كلّم الله به الرسل، ومنه ما قذف في قلوبهم، ومنه رؤيا يراها الرسل، ومنه وحي وتنزيل يُتلى ويُقرأ فهو كلام الله عزَّ وجلَّ))[1]، فالله تعالى في النصّ القرآنّي لا يُكلِّم رسلَه وهم أعلى منزلة من العباد إلاّ عن طريق الوحي أو طرق أخرى، و ((قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾[الشورى:٥١]، سبب ذلك أنّ اليهود قالوا للنبيّ صلى الله عليه وآله: ألا تُكلِّم الله وتنظر إليه إن كنت نبيًا كما كلَّمه موسى ونظر إليه، فإنّا لن نؤمن لك حتّى تفعل ذلك، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ موسى لن ينظر إليه، فنزل قوله: وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلّا وحيًا، (ذكره النقاش والواحدي والثعلب)، وحيًا، قال مجاهد: نفث ينفث في قلبه فيكون إلهامًا، ومنه قوله صلى الله عليه وآله: إنّ روح القدس نفث في روعي، إنّ نفسًا لن تموت حتّى تستكمل رزقها وأجلها فاتّقوا الله، أو من وراء حجاب كما كلّم موسى، أو يرسل رسولًا كإرساله جبريل عليه السلام، فيُوحي بإذنه ما يشاء، وهذا الوحي من الرسل خطاب

(١) الاحتجاج: ١/ ١٧٥ .

منهم للأنبياء يسمعونه نطقًا ويرونه عيانًا))[١]، وهذا مثبّت بالنصوص القرآنيّة، وليس فيها ما يؤيّد صحّة كلام الزنديق، وعليه كان احتجاج الإمام وردّه عليه بالأدلّة التي لا تُبقي مجالًا للشكّ؛ لأنّ الزنديق ادّعى أنّه لولا التناقض في القرآن لكان مؤمنًا، فاحتج عليه الإمام بآيات القرآن الكريم التي لا مجال معها للشكّ.

المستوى الداخليّ: مستوى داخليّ حيث يتجسَّد الحجاج في المعجم والروابط الحجاجيّة والموجهات اليقينيّة وغيرها:

١- **الموجّهات اليقينيّة**: وهي كما يرى الدكتور عبد الله صولة أنّها الضمان لحقيقة الكلام ولإمكان أن يكون هذا الكلام مقنعًا على الرغم من اصطباغه بالذاتيّة، ذلك أنّ الإقناع يحصل لدى المتلقّي بمجرّد أن تُعرض القضيّة عليه فتأتي موجّهة توجّه إثباته[٢]، وهذه الموجّهات تجُسِّد مجموعة من العوامل الحجاجيّة التي بدورها تعطي تطمينات للمتلقّي بإمكانيّة تصديق بنية الملفوظ الذي وردت فيه وإثباته، ومن هذه الموجهات أدوات التوكيد، وأفعال اليقين، والقصر بـ (إنّما).

فقد ورد استعمال أسلوب القصر في كلامه عليه السلام، والقصر بـ (إنّما) يؤتى به لخبر لا يجهله المخاطب، ولا يدفع صحّته، ولكن لمن يعلمه ويُقرّ به، فضلًا عن أنّها تأتي إثباتًا لما يذكر بعدها وتوكيدًا له[٣]، وقد وردت في قوله: ((إنّما يعني نسوا الله في دار الدنيا لم يعملوا بطاعته، فنسيهم في الآخرة))[٤]، ومنه أيضًا قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾[المصطفين:١٥] : ((فإنّما

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١٦/ ٤٨٨ .
(٢) ينظر: الحجاج في القرآن الكريم: ٣٢٠ .
(٣) ينظر: دلائل الإعجاز: ٣٢٧ .
(٤) الاحتجاج: ١/ ٢٤١ .

يعني به يوم القيامة عن ثواب ربّهم لمحجوبون))[١]، وأيضًا ((ومنهم الذين يدخلون الجنّة بغير حساب؛ لأنّهم لم يتلبّسوا من أمر الدنيا، وإنّما الحساب هناك على من تلبّس بها ههنا))[٢]، فنلحظ في هذه الأمثلة أنّ الإمام قد ذكر في كلامه جملة من الحجج التي جاءت في بنية قصريّة لتكون موغلة في الحجاج؛ لما تمنحه من قوّة إنجازيّة تدفع المخاطَب للاقتناع، وذلك لأنّ (إنّما) أفادت في توكيد المعنى في الذهن وإثبات حكم المقصور في الكلام وتعيينه.

وقد ورد التوكيد في حجاجه، إذ تمثّل أدوات التوكيد آليّة من آليّات الحجاج اللغويّ؛ لأنّها تؤدّي دورًا وظيفيًّا في توثيق الخبر وضمان حسن تلقّيه، وأثره في نفس المتلقّي، ولحسم الشكّ والتردُّد من ذهنه[٣]، وتكمن الغاية من التوكيد في أغراضٍ ثلاثة هي:

أوّلًا: أنْ يمنع المتكلِّم ضرر غفلة السامع عنه، **ثانيًا**: أنْ يدفع ظنّه بالمتكلِّم الغلط، **ثالثًا**: أنْ يدفع المتكلِّم عن نفسه ظنّ السامع به تجوّزًا[٤]، ومن أمثلة التوكيد التي وردت في كلامه (سلام الله عليه): ((يعني بالنسيان: أنّه لم يشبهم كما يشيب أولياءه... فإنَّ ربّك تبارك وتعالى علوًّا كبيرًا ليس بالذي ينسى))[٥]، وقوله ردًا على أنّ هناك آيات ذكرَت أنّه لا يسمح لأحد بالحديث في مشهد القيامة وآيات أخرى دلّت على أنّهم يتحدّثون: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[النبا:٣٨]، و﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ

(١) الاحتجاج: ١/ ١٧٥- ١٧٦.
(٢) م. ن: ١/ ١٧٦.
(٣) ينظر: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: ٢٣٧ .
(٤) ينظر: شرح الكافية على النحو لابن الحاجب: ٢/ ٣٧٧.
(٥) الاحتجاج: ١/ ٢٤١ .

بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾[العنكبوت:٢٥]، و﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[يس:٦٥]، فقال عليه السلام: ((فإنّ ذلك في مواطن غير واحد من مواطن ذلك اليوم الذي مقداره خمسين ألف سنة... ثمّ يجتمعون في مواطن أُخر يبكون فيها، فلو أنَّ تلك الأصوات فيها بدت لأهل الدنيا لأزالت جميع الخلق عن معايشهم))[١]، فكلّ ما ورد من ردود جاءت بأسلوب مؤكّد بغية الإقناع والتأثير في المتلقّي بما يحمله التأكيد من إشارة إلى أنّ المؤكَّد أمر مهمّ يستدعي من المتلقّي تأملًا وإجالة فكر[٢]، فالمؤكِّدات التي وردت في جواب الإمام حوَّلت الكلام من مستوى الإخبار المجرَّد إلى مستوًى ذي طابع حجاجيّ بتأكيدها لها.

٢- روابط العطف الحجاجيّ: وهي مجموعة من الحروف التي تمتلك بُعدًا حجاجيًا مهمًّا بوساطة ربطها بين الحجج والنتائج والتنسيق بينها للتعليل وللتفسير، ومن هذه الروابط أحرف العطف (الواو، والفاء، ثُمّ)، إذ تقوم بدور حجاجيّ، مع قيامها بالربط بين الحجّتين لنتيجة واحدة، ووصفها سلمًّا حجاجيًا يُخضع هذه الحجج إلى تراتبيّة معيّنة بحسب قوّتها في دعم النتيجة النهائيّة، فلها أيضًا إسهام في بداعة المعنى المقصود، خاصّة عند استعمال كلّ حرف واستغلال وظيفته في الموضع المناسب، فذلك يزيد من الإثبات على المعنى من جهة، ويُلقي على الكلام نوعًا من التنظيم والانسجام من جهة أخرى[٣]، وقد وردت من روابط العطف الحجاجيّ (الواو- الفاء):

---

(١) الاحتجاج: ١/ ١٧٣- ١٧٤ .

(٢) ينظر: الحجاج في الخطابة النبويّة: ١ .

(٣) ينظر: الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير: ٩٣ .

الفاء: من حروف العطف التي لها وظيفة حجاجيّة، إذ ربطت بين الحجّة والنتيجة من أجل التعليل والتفسير فقال عليه السلام: ((نسوا الله في دار الدنيا... فنسيهم في الآخرة)) فكانت نتيجة تركهم العمل بما أمر به الله وعدم الامتثال لأوامره كانت نتيجته تركهم في الآخرة، فلا تشملهم رحمة الله، وأيضًا في قوله: ((لم يجعل لهم من ثوابه شيئًا فصاروا منسيّين من الخير))، وأمّا قوله: ((فإنّ ربّك تبارك وتعالى علوًا كبيرًا ليس بالذي ينسى)) فلم يسبقها بحجّة قبلها، وإنّما ذكر النتيجة بشكل مباشر كونها الحجّة والنتيجة الأولى التي لا نقاش ولا جدال فيها، والحجّة الثالثة: أنّه (صلوات الله وسلامه عليه) قد احتجّ عليهم بكلام العرب وهم أمّة الفصاحة والبلاغة وكلامهم حجّة عليهم بأنّهم يقولون: (نَسِينا فلان فلا يذكرنا) أي إنّه لم يذكرهم بخير، فخرج معنى النسيان هنا إلى معنى أنّه لم يكن لهم نصيب من الخير، وهذا المعنى يدلّ على الترك.

ومن ردّه أيضًا قال: ((وأمّا قوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:٢٢]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾[الأنعام:٩٤]، و﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾[الأنعام:١٥٨]، فذلك كلّه حقّ، وليست جيئته جلَّ ذكره كجيئة خلقه، فإنّه ربّ كلّ شيء، ومن كتاب الله عزَّ وجلَّ يكون تأويله على غير تنزيله، ولا يُشبَّه تأويله بكلام البشر، ولا فعل البشر، وسأنبئك بمثال لذلك تكتفي به إن شاء الله تعالى وهو حكاية الله عزَّ وجلَّ عن إبراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾[الصافات:٩٩] فذهابه إلى ربّه توجّهه إليه بعبادته واجتهاده، إلّا ترى أنّ تأويله غير تنزيله، وقال: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾[الحديد:٢٥]، فإنزاله ذلك: خلقه إيّاه))[1]، ففي ردّه استعمل حرف

(١) الاحتجاج: ١/ ١٨١.

العطف الفاء في (فذلك- فإنّه - فذهابه - فإنزاله)، فربط الحجّة بالنتيجة؛ ليُفسِّر له ما أخطأ في تفسيره من الآيات القرآنيّة، فابتدأ بقوله بأنّ ذلك كلّه حقٌ لا يأتيه الباطل أبدًا، فهي النتيجة الأولى الحتميّة التي لا شكّ فيها، ثُمّ يفسِّر بقيّة الآيات بأنّ مجيئه ليس كمجيء خلقه، فيظهر بأنّ تأويله ليس كتنزيله، ثُمّ استدلّ على ذلك بآيات قرآنيّة أخرى لتكون حجّة على مدّعي التناقض في القرآن، فذهاب إبراهيم هو توجّهه بالعبادة لخالقه، كذلك قوله أنزلنا الحديد فأُريد به خلقه وهذا غير تنزيله.

الواو: وهو حرف العطف الذي يخرج لمطلق الجمع فيعطف الشيء على صاحبه، ولكنّه لم يقف عند هذه الوظيفة وإنّما تعدّاها لوظيفة الربط الحجاجيّ التي تَستثمِر دلالتها في ترتيب هذه الحجج ونسجها في خطاب واحد متكامل[1]، ومن أمثلة مجيء الواو رابطًا حجاجيًا ردّ الإمام على الزنديق الذي ادّعى أنّ هناك اختلافًا في الآيات التي ذكرت مرّة: الله يتوفى الأنفس، ومرة أخرى: الملائكة، كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[الزمر:٤٢]، و﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ﴾[السجدة:١١]، و﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾[النحل:٣٢]، و﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾[الأنعام:٦١]، و﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾[النساء:٩٧]، فقال عليه السلام: ((سأنبّك بتأويل ما سألت... فهو تبارك وتعالى أجلّ وأعظم من أن يتولّى ذلك بنفسه، وفِعْلُ رسلِه وملائكته فِعلُه؛ لأنّهم بأمره يعملون، فاصطفى جلَّ ذكره من الملائكة رسلًا وسَفرة بينه وبين خلقه، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾[الحج:٧٥]، فمن كان من أهل الطاعة تولّت قبضَ روحه ملائكةُ الرحمة، ومن كان من أهل المعصية تولّت قبضَ روحه ملائكةُ النقمة، ولملك الموت أعوان من ملائكة الرحمة والنقمة، يصدرون عن أمره، وفعلهم فعله،

(١) ينظر: آليات الحجاج وأدواته ضمن كتاب: الحجاج ومفهومه ومجالاته: ١٠١ .

وكلّ ما يأتون منسوب إليه، وإذا كان فعلهم فعل ملك الموت، وفعل ملك الموت فعل الله؛ لأنّه يتوفّى الأنفس على يد من يشاء ويعطي ويمنع، ويثيب ويعاقب على يد من يشاء، وإنْ فعلَ أُمناؤه فعله فما يشاؤون إلّا أن يشاء الله))[1]، فنلحظ كيف وُظِّفَت أداة الربط الحجاجيّ في ربط الأفكار وترتيبها، فقد بدأ بالتمهيد للحجج بقوله: (فهو تبارك وتعالى أجلّ وأعظم من أن يتولّى ذلك بنفسه) بما يدعو السامع إلى قبولها، ثُمَّ تقديم العناصر الواحدة تلو الأخرى، فبدت متسلسلة مترابطة تُفضي في نهاية الكلام إلى نتيجة واحدة وهي (فما يشاؤون إلّا أن يشاء الله).

ثمَّ: أداة ربط نسقيّ حجاجيّ، وهذه الأداة تتميز بـ: التشريك في الحكم، والترتيب، والمهلة، وأنّها أداة حجاجيّة تجمع الحجج وتربطها في نسيج متكاتف على وفق تراتبيّة متراخيّة بين الحجج لتقوّيها بغية تحقيق الهدف من الخطاب الحجاجيّ، ومن أمثلة مجيئها في ردّ الإمام على دعوى الاختلاف في الآيات القرآنيّة التي تحدّثت عن أنّه يوم القيامة لا يُسمح بالحديث إلّا لمن ارتضى له الله عزّ وجلّ ذلك وقال صوابًا، وفي آيات أخرى ذكرت أنّهم يتحدّثون ويتخاصمون (وقد مرَّ ذكر هذه الآيات سورة: النبأ، العنكبوت، ويس)، فكان جواب الإمام: ((ثُمّ يجتمعون في مواطن أُخر يبكون فيها... ثُمّ يجتمعون في مواطن أُخر فيستنطقون فيه وهؤلاء خاصّة هم المقرّون في دار الدنيا بالتوحيد، فلا ينفعهم إيمانهم بالله لمخالفتهم رسله... فيختم الله على أفواههم ويستنطق الأيدي والأرجل والجلود فتشهد بكلّ معصية كانت منهم، ثُمّ يرفع عن ألسنتهم الختم فيقولون لجلودهم: لِمَ شهدتُّم علينا؟... ثُمّ يجتمعون في موطن آخر يستنطق فيه أولياءه الله وأصفياؤه، فلا يتكلَّم أحد إلّا من أذن له الرحمن وقال صوابًا... ثُمّ يجتمعون في موطن آخر يكون فيه مقام محمّد صلى الله عليه وآله هو

(١) الاحتجاج: ١/ ١٧٨- ١٧٩ .

المقام المحمود، فيُثني على الله بما لم يُثني عليه أحد قبله، ثُمّ يُثني على الملائكة كلّهم، ثُمّ يُثني على الأنبياء، ثُمّ يُثني على كلّ مؤمن ومؤمنة يبدأ بالصديقين والشهداء ثُمّ الصالحين))[1]، اعتمد الإمام الرابط الحجاجيّ (ثمَّ) لإفادة المهلة والتراخي بين الأحداث التي ذكرتها الآيات القرآنيّة، فضلًا على الترتيب بين الحجج، فذكر أنّ منعهم من الحديث له مواطن، وحديثهم له مواطن، وهذا ما أكَّده الرابط الحجاجيّ (ثم) الذي أفاد المهلة والتراخي، وهذه المهلة ترتبط بزمن قد يقصر وقد يطول بحسب واقع الحال، وقد أفادت تعزيز الحجاج أكثر من العطف؛ لأنّها رتَّبت الحجج والمعنى الأقوى بحيث لا تدع مجالًا لشكّ المعاند.

(١) الاحتجاج: ١/ ١٧٤- ١٧٥ .

الخاتمة:

توصّل البحث إلى نتائج عدة من أهمّها:

١-اعتمد الإمام الحجاج اللغويّ مقوّمًا أساسًا من مقوّمات الردّ على الزنادقة؛ لأنّهم اعتمدوا على اللغة في إظهار أنّ القرآن فيه تناقض واختلاف.

٢-بيان خطأ التفسير الذي ذهب إليه الزنادقة لمعاني المفردات القرآنيّة، وتفنيد دعواهم ببيان المعنى الصحيح للمفردات، محتجًّا له بحجج قرآنيّة أو لغويّة من لسان العرب وكلامهم.

٣-تنوع الآليّات الحجاجيّة التي وظّفها الإمام في كلامه لتحقيق الهدف المراد وهو التأثير في المتلقّي وإقناعه بالحجج والبراهين التي تُثبِتُ صحّة كلام الإمام عليه السلام.

٤-بوصف اللغة تمتلك إمكانات لا حصر لها استثمر الإمام في محاججته وفقًا لمقتضيات السياق، فوظّف لأجل ذلك (المستوى الخارجيّ) الذي يقدِّم الخطاب حجّة بالمركز الأوّل، ثُمّ (المستوى الداخليّ) الذي تضمَّن موجِّهات يقينيّة كالقصر والتوكيد، ومن روابط العطف الحجاجيّ؛ بغية لفت انتباه السامع لأهميّة تلك المضامين؛ لأنّ هذه المستويات أكسبَتِ الكلام طاقة حجاجيّة تؤدِّي للإقناع والتأثير.

المصادر:

***القرآن الكريم.**

١. الاحتجاج، أبو منصور أحمد بن عليّ أبي طالب الطبرسيّ، دار المرتضى، بيروت، د-ط، ٢٠٢٢م.

٢. الأحكام، ابن حزم، دار الكتب العلمية، بيروت، د-ت.

٣. استراتيجيّات الخطاب عند الإمام عليّ مقاربة تداولية، د- باسم خيري خضير، مؤسّسة الصادق الثقافية، العراق، ط١، ٢٠٢١م.

٤. أصول الكافي، محمّد بن يعقوب الكلينيّ، دار الكتب الإسلاميّة، مطبعة الحيدريّة، طهران، د-ط، ١٩٨٤م.

٥. آليّات الحجاج وأدواته ضمن كتاب الحجاج ومفهومه ومجالاته، عبدالهادي الشمريّ، إشراف: حافظ إسماعيليّ، عالم الكتب الحديث، إربد، ط١، ٢٠١٠م.

٦. بحار الأنوار، جمع: محمد باقر المجلسيّ، دار إحياء التراث، بيروت، د-ت.

٧. تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسيّ، دار العلوم، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

٨. التفكير البلاغيّ عند العرب، حمّادي صمود، منشورات الجامعة التونسيّة، تونس، ١٩٨١م.

٩. التكوثر العقليّ، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربيّ، الدار البيضاء، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

١٠. جامع البيان في تفسير القرآن، أبن جرير الطبري، تح: د. عبد الله بن عبد المحسن التركيّ، دار هجر للطباعة والنشر، مصر، ط١، ٢٠٠١م.

١١. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن عبدالله الأنصاري القرطبيّ، دار الكتب المصريّة، مصر، ١٩٣٥م.

١٢. الحجاج في الخطابة النبويّة، عبد الجليل العشراويّ، عالم الكتب الحديث، إربد، ط١، ٢٠١٢م.

١٣. الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبيّة، عبد الله صولة، دار الفارابيّ، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.

١٤. الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير، نعيمة يعمران، رسالة ماجستير، كليّة الآداب واللغات- جامعة مولود معمري- تيزي وزو، الجزائر، ٢٠١٢م.

١٥. الحجاج اللغويّ عند أبي بكر العزاوي، زينة بن لحرش- فوزية شراد، مجلّة الإحياء، الجزائر، ع٣١، ٢٠٢٢م.

١٦. دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر الجرجانيّ، تح: محمّد شاكر أبو فهر، مطبعة المدنيّ، القاهرة، ط٣، ١٩٩٢م.

١٧. شرح الكافية على النحو لابن الحاجب، الاستراباذي، تح: يوسف حسن عمر، جامعة قار يونس، ليبيا، د-ط، ١٩٧٥م.

١٨. علم المعاني، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥م.

١٩. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المركز العربيّ، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٠م.

٢٠. لسان العرب، ابن منظور، القاهرة، دار المعارف، د-ت.

٢١. اللسان والميزان، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربيّ، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٨م.

٢٢. المنحى الحجاجيّ للخطاب القرآنيّ وأثره في منهج الاستدلال الأصوليّ، د- الحسن بنعبو، الرابطة المحمديّة، المملكة المغربيّة، ٢٠٢٠م.

٢٣. الموافقات، للشاطبي، تح: عبدالله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، د-ت.

٢٤. الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د-ت.

٢٥. النكت في إعجاز القرآن، أبو الحسن علي بن عيسى الرمانيّ، تح: محمد خلف الله و محمد زغلول، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٦٨م.

٢٦. الوظيفة الإقناعيّة للحجاج في الدراسات العربيّة والغربية، فتحية لعلاوي، حوليّات جامعة الجزائر، ع٢٢، ٢٠١٢م.

المرويّاتُ التفسيريّة لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في حكم الطلاق

م.م. هدى محمّد رضا

الملخّص:

نظرًا لأهميّة حكم الطلاق؛ فقد جاء هذا البحث ليسلّط الضوء على موضوعاتٍ منه معتمدًا على أقوال الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، مبيّنًا أقوال بعضٍ من المفسّرين في كتبهم التفسيريّة، موضّحًا نقاط الموافقة والافتراق في هذه الأقوال مع قول الإمام عليه السلام، فيما يخصّ موضوع عدّة المطلّقة، ونفقة المطلّقة ثلاثًا، ونفقة الحامل المتوفّي عنها زوجها، وعدّة الحامل المتوفّي عنها زوجها.

وارتكز البحث على ذكر آراء مجموعة من المفسّرين من كتبهم التفسيريّة، وهي: تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن، والكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، والمحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ومجمع البيان في تفسير القرآن.

الكلمات المفتاحيّة: المرويّات التفسيريّة، الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، أحكام الطلاق.

Abstract:

Given the significance of divorce rulings، this research sheds light on specific related topics based on the narrations of Imam Ali ibn Abi Talib (PBUH). It highlights the views of several commentators in their exegeses، clarifying points of agreement and divergence between these views and the Imam's (PBUH) rulings. The study focuses on the waiting period (Iddah) for divorcees، maintenance for triply divorced women، maintenance for pregnant widows، and the waiting period for pregnant widows.

The research relies on the opinions of a group of commentators as presented in their works: Jami' al-Bayan (al-Tabari)، Al-Kashshaf (al-Zamakhshari)، Al-Muharrar al-Wajiz (Ibn Atiyyah)، and Majma' al-Bayan (al-Tabarsi).

Keywords: Exegetical Narrations، Imam Ali ibn Abi Talib (PBUH)، Divorce Rulings.

المقدّمة

ما أنعم الله على عبد بعد الإيمان بالله أفضل من العلم بكتاب الله والمعرفة بتأويله، هذه إضاءة من بحر علوم سيّد المرسلين وخاتم النبيّين والمرسلين محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله جدت الباحثة من باب الفرض التمعّن في بعض آيات الكتاب الجليل، إذ الكتاب العزيز فيه النور والهدى، والسنّة المطهرة فيها الفلاح والنجاح، وفيهما معًا خير العاجلة والآجلة، وعزُّ الدنيا والآخرة؛ لذا تشرّفت بجمع مرويّات أمير المؤمنين عليه السلام التي تفسّر آيات الكتاب المبين؛ ولضيق الوقت اخترت جمع مرويّات أمير المؤمنين عليه السلام في باب الأحكام، واخترت حكم (الطلاق).

وقد اشتمل البحث على تمهيد: تضمّن حياة الإمام عليّ عليه السلام، من ولادته حتّى استشهاده، وجملة من الأقوال في غزارة علمه، ثمّ تعرّض البحث في مطلبين إلى ذكر آيات الطلاق الواردة في سورة الطلاق، وهي الآية (١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧)، وكذلك سورة البقرة الآية (٢٢٩-٢٣٠)، وسرد المرويّات التفسيرية الواردة عن الإمام عليّ عليه السلام في الآيات المذكورة المنتقاة من مجموعة من الكتب أهمّها: أصول الكافي للكليني (ت ٣٢٩ هـ)، والكشف والبيان للثعلبي (ت ٤٢٧ هـ)، والتبيان في تفسير القرآن للطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، والدر المنثور لجلال الدين السيوطي (ت ٩٤١ هـ)، وتفسير أمير المؤمنين عليه السلام للقرآن الكريم جمع وترتيب السيد علي عاشور، وجامع مرويّات أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (٢٣ ق هـ - ٤٠ هـ) وأقواله في تفسير القرآن الكريم للدكتور علاء الدين هاشم الخفاجي، وارتكز البحث على ذكر آراء مجموعة من المفسّرين من كتبهم، وهي: تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، والكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم جار الله محمد بن عمر بن

محمد الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، والمحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطيّة الأندلسي (ت ٥٤٦ هـ)، ومجمع البيان في تفسير القرآن لأمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ). وقد ناقش البحث موضوعات: عدّة طلاق المرأة، ونفقة المطلّقة ثلاثًا (المبتوتة)، ونفقة الحامل المتوفّي عنها زوجها، وعدّة الحامل المتوفّي عنها زوجها.

التمهيد: نبذة عن حياة الإمام عليّ عليه السلام

هو الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم عليهم السلام، كان أبو طالب عليه السلام أخ لعبد الله والد النبيّ صلى الله عليه وآله لأمّه وأبيه من دون عبد المطلب عليه السلام.

وهو أوّل الأئمّة الاثني عشر وأوّل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، بل هو الحاكم الشرعي الفعلي وإن كان جليس الدار بعد ابن عمّه صلى الله عليه وآله وأخيه ووارث علمه ووزيره[١].

-ولادته:

ولد أمير المؤمنين عليه السلام بعد عام الفيل بثلاثين سنة، وقُتل عليه السلام في شهر رمضان لتسع بقين منه، ليلة الأحد سنة أربعين من الهجرة، وهو ابن ثلاث وستين سنة، بقي بعد قبض النبيّ صلى الله عليه وآله ثلاثين سنة[٢].

-أمّه:

هي فاطمة بنت أسد بن هاشم وكانت لرسول الله بمنزلة الأم، إذ رُبّي صلى الله عليه وآله في حجرها وكان صلى الله عليه وآله يسمّيها أمي، وقال عند وفاتها: اللهم أغفر لأمّي فاطمة بنت أسد[٣].

---

(١) ينظر: رفيق الصالحين: ٤٤٩-٥٠٠.
(٢) ينظر: أصول الكافي: ١/ ٥٢٤.
(٣) ينظر: م. ن:١/ ٥٢٥.

ونقل الكليني: عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((إنّ فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين، كانت أوّل امرأة هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من مكّة إلى المدينة على قدميها، وكانت من أبرّ الناس برسول الله صلى الله عليه وآله، فسمعتْ رسول الله وهو يقول: إنّ الناس يحشرون يوم القيامة عراة كما وُلدوا فقالت: وا سوأتاه، فقال لها رسول الله: فإنّي أسال الله أن يبعثك كاسية، وسمعته يذكر ضغطة القبر، فقالت: واضعفاه، فقال لها رسول الله: فإنّي أسأل الله أن يكفيك ذلك))[١].

-إسلامه:

((لا يقال في عليّ عليه السلام أنّه (أسلم)، بل هو (مسلم) منذ ولادته بالفطرة لا بالدعوة))[٢].

-في غزارة علمه:

قال النبيّ محمد صلى الله عليه وآله: ((أنا مدينة العلم وعليّ بابها))[٣].

قال تعالى: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة:١٨٩].

فمن أراد العلم فليأته من الباب، وهذا ما أورده الشيخ الأمجد شيخ سليمان القندوزي في ينابيع المودة[٤]، كذلك ورد عن الإمام عليّ عليه السلام من خطبة له: ((سلوني قبل أن تفقدوني فلأنا بطرق السماء أعلم منّي بطرق الأرض، قبل أن تشغر برجلها فتنة تطأ في حطامها وتذهب بأحلام قومها))[٥].

---

(١) أصول الكافي: ١/ ٥٢٥.
(٢) رفيق الصالحين: ٥٠٠.
(٣) ينابيع المودّة: ٧٧.
(٤) م. ن: ٧٧.
(٥) م. ن:٧٩.

وورد في الدرّ المنظوم: ((أعلم أنّ جميع أسرار الكتب السماوية في القرآن، وجميع ما في القرآن في الفاتحة، وجميع ما في الفاتحة في البسملة، وجميع ما في البسملة في باء البسملة، وجميع ما في باء البسملة في النقطة، التي تحت الباء، قال الإمام عليّ عليه السلام: أنا النقطة التي تحت الباء))[١].

ومن جملة ما روي بحقّه عليه السلام، هو ما أخرجه ابن المغازلي بسنده عن أبي الصباح عن ابن عبّاس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((لمّا صرت بين يدي ربّي كلّمني وناجاني، فما علمت شيئًا إلّا علّمته عليًّا، فهو باب علمي))[٢].

وأورد شيخ الطائفة الطوسي عن عليّ عليه السلام، قال: ((والله ما نزلت آية إلّا وقد علمت فيما أُنزلت؟ وأين أُنزلت؟ إنّ ربّي وهب لي قلبًا عقولًا ولسانًا سؤولًا))[٣].

ويقول الذهبي: ((جمع عليّ عليه السلام إلى مهارته في القضاء والفنون، علمه بكتاب الله وفهمه لأسراره، وخفي معانيه، فكان أعلم الصحابة بمواقع التنزيل، ومعرفة التأويل، فقد رُوِي عن ابن عبّاس أنّه قال: ما أخذت من تفسير القرآن فمن عليّ بن أبي طالب عليه السلام))[٤].

وقد أورد ابن حجر في الصواعق المحرقة، قول النبيّ محمد صلى الله عليه وآله في الإمام عليّ عليه السلام: ((هذا عليّ مع القرآن، والقرآن مع عليّ، لا يفترقان حتّى يردا عليَّ الحوض))[٥].

---

(١) ينابيع المودّة: ٨٢.
(٢) م. ن: ٨٢.
(٣) التبيان في تفسير القرآن: ١٨/ ١١٠.
(٤) م. ن: ١/ ١٠٩.
(٥) الصواعق المحرقة: ١٢٤، وينابيع المودة: ٢٨٥.

المطلب الأوّل: عدّة الطلاق، ونفقة المطلّقة ثلاثًا

-الطلاق في اللغة:

ورد في لسان العرب: ((وطلاق المرأة: بينونتها عن زوجها، وامرأة طالِق من نسوة طُلَّق وطالِقة من طوالق، وطَلَّق الرجل امرأته وطَلَقت هي، بالفتح، تَطلُق طلاقًا وطَلُقَت، الضم أكثر، (عن ثعلب)، طلاقًا، وأطلقها بعلها وطلّقها))[١].

-الطلاق في الشرع:

((عبارة عن تخلية المرأة بحلّ عقدة من عُقد النكاح، بأن يقول: أنتِ طالق، يخاطبها أو يقول هذه طالق، ويشير إليها، أو فلانة طالق بنت فلان، ولا يقع الطلاق إلّا بهذا اللفظ عند الشيعة))[٢].

-سورة الطلاق:

وتُعدّ سورة الطلاق من السور المدنيّة كما أورد ابن عبّاس وعطاء والضحّاك وغيرهم، وهي اثنا عشر آية في الكوفي والمدنيّين، وعشر في البصري[٣].

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق:١]، ورد في كتاب الكشف والبيان لأبي إسحاق: ((أخبرنا ابن فنجويه، حدّثنا ابن حبيش المقري، حدّثنا عليّ بن عبد الحميد العصاري بحلب،

(١) لسان العرب: ٥ / ٤٦٠.
(٢) التبيان في تفسير القرآن: ١١/ ٢٤٧..
(٣) ينظر: م. ن:١١/ ٢٤٦.

حدّثنا أبو إبراهيم الترجماني، ... عن النزال بن سمرة عن عليّ عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال: (تزوّجوا ولا تطلّقوا، فإنّ الطلاق يهتزّ منه العرش)))[١].

يقول الله تعالى مخاطبًا لنبيّه صلى الله عليه وآله والمراد به أمّته: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء﴾، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ [المائدة:٦]، وروي عن ابن عبّاس أنّه قال: ((نزل القرآن بإيّاك أعني واسمعي يا جارة، فيكون الخطاب للنبيّ صلى الله عليه وآله والمراد به الأمّة من ذلك، وقال قوم: تقديره يا أيّها النبيّ قل لأمّتك إذا طلّقتم النساء فعلى هذا القول النبيّ يكون خارجًا من الحكم، وقال آخرون: هو على خطاب الرئيس الذي يدخل فيه الأتباع، وبذلك يكون حكم النبيّ حكم أمّته في هذا الحكم، وأجمعت الأمّة على أنّ حكم النبيّ حكم الأمّة في الطلاق))[٢].

وقال الكلبي نزلت في النبيّ محمد صلى الله عليه وآله حين غضب على حفصة بنت عمر[٣].

وروي عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: ((لو أنّ الناس أصابوا حدّ الطلاق لما ندم الرجل على امرأته يطلّقها وهي طاهرة لم يجامعها فإن بدا أن يمسكها، وإن بدا له أن يخلّي سبيلها، خلّى سبيلها))[٤]، وبالعودة إلى قوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾، أي: أن يطلّقها طاهرًا من غير جماع، يقول: ((طلّقوهن لطهرهنّ الذي يحصينه من عدّتهنّ))[٥].

وأورد الطبري بقوله: ((قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: إذا طلّقتم نساءكم فطلّقوهن لطهرهنّ الذي يحصينه من عدّتهنّ، طاهرًا من غير جماع، ولا تطلّقوهن بحيضهنّ الذي لا يعتددن به من قرئهنّ))[٦].

---

(١) الكشف والبيان: ٩/ ٣٣٣.
(٢) التبيان في تفسير القرآن: ١١/ ٢٤٧.
(٣) ينظر: بحر العلوم: ٣٧٣.
(٤) م. ن: ٣٧٤.
(٥) الكشف والبيان: ٩/ ٣٣٢، والتبيان في تفسير القرآن: ١١/ ٢٤٨.
(٦) تفسير الطبري: ٢٣ / ٢٢.

أمّا الزمخشري فقد ذكر في الكشّاف ((فطلّقوهن مستقبلات لعدتهنّ، كقولك: أتيته لليلة بقيت من المحرّم، أي: مستقبلًا لها، وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله: في قبل عدتهنّ، وإذا طلّقت المرأة في الطهر المتقدّم للقرء الأوّل من إقرائها، فقد طلّقت لعدّتها))[١].

وذكر ابن عطية: ((أي: لاستقبال عدّتهنّ وقوامها وتقريبها عليهنّ، وقرأ عثمان وابن عبّاس وأبيّ بن كعب ومجاهد وعليّ بن الحسين وزيد بن عليّ وجعفر بن محمد: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾، وروي عن بعضهم وعن ابن عمر (لقبل عدّتهنّ) أي: لاستقبالها))[٢].

وقال الطبرسي: ((المعنى: إذا أردتم طلاق النساء، مثل قوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾، وقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ، فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾، أي: لزمان عدّتهنّ، وذلك أن يطلّقها في طهر لم يجامعها فيه، عن ابن عبّاس، وابن مسعود، والحسن ومجاهد، وابن سيرين، وقتادة، والضحّاك، والسدّي، فهذا هو الطلاق للعدّة))[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق:٢- ٣]:

---

(١) الزمخشري: ٤/ ٥٤٠.
(٢) المحرر الوجيز: ٥/ ٣٧.
(٣) مجمع البيان: ١٠/ ٢٨.

ففي ((قوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ﴾ قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: هي في معنى الطلاق، أي: ومن لا يتعدّى طلاق السنّة إلّا طلاق الثلاث، وغير ذلك، يجعل الله له مخرجًا إن ندم بالرجعة، ويرزقه ما يطعم أهله انتهى))[١].

وأورد ابن عاشور في تفسيرٍ لأمير المؤمنين عليه السلام: ((قال النحّاس: أجمع أهل التفسير على أنّ المعنى أنّه إن اتّقى الله جلّ وعزّ وطلّق واحدة فله مخرج إن أراد أن يتزوّج تزوّج، وإن لم يتّق الله جلّ وعزّ وطلّق ثلاثًا فلا مخرج له، وهذا قول صحيح عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام))[٢]، و((قول عليّ بن أبي طالب عليه السلام الذي لا تدفع صحّته أنّه قال في الحرام: إنّه ثلاث لا تحلّ له حتّى تنكح زوجًا غيره، قيل له عليه السلام: لو سُدَّ على رجل باب بيت وترك فيه، من أين كان يأتيه رزقه؟ قال: من حيث يأتيه أجله))[٣].

وكان ما أورده الطبري لا يختلف عمّا أورده أمير المؤمنين عليه السلام، إذ قال: ((حدّثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عليّة، قال: ثنا أيوب، عن عبد الله بن كثير، عن مجاهد، قال: كنت عند ابن عبّاس، فجاءه رجلٌ، فقال إنّه طلّق امرأته ثلاثًا، فسكت حتّى ظننّا أنّه رادُّها إليه، ثمّ قال: ينطلق أحدكم فيركب، الحموقة، ثمّ يقول: يا بن عباس يا بن عباس! وإنّ الله عزّ وجلّ قال: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾، وإنّك لم تتّق الله، فلا أجد لك مخرجًا، عصيت ربّك، وبانت منك امرأتك، قال الله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾))[٤].

وكذلك أورد الزمخشري في الكشّاف: ((ومن يتّق الله فطلّق للسنّة ولم يضارّ المعتدّة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فأشهد (يجعل) الله (مخرجًا) ممّا في شأن

(١) تفسير البحر المحيط: ٨/ ٢٧٩.
(٢) التحرير والتنوير: ٨/ ١٤٩.
(٣) م. ن:٨/ ١٥١.
(٤) تفسير الطبري: ٢٣/ ٢٤.

الأزواج من الغموم والوقوع في المضايق، ويفرّج عنه وينفّس ويعطه الخلاص (ويرزقه) من وجه لا يخطره بباله ولا يحتسبه إن أوفى المهر وأدّى الحقوق والنفقات وقلّ ماله))[١].

وقد أورد ابن عطيّة في كتابه المحرّر الوجيز قول أمير المؤمنين عليه السلام في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، ((قال عليّ بن أبي طالب وكثير من المتأوّلين هو في معنى الطلاق، أي: ومن لا يتعدّى في الطلاق السنّة إلى طلاق الثلاث وغير ذلك يجعل الله له مخرجًا إن ندم بالرجعة المباحة ويرزقه ما يطعم أهله ويوسّع عليه، ومن لا يتّق الله فربّما طلّق وبتَّ وندم، فلم يكن له مخرج وزال عنه رزق زوجته))[٢].

وقد ذكر الطبرسي ((في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ﴾ فيما أمره ونهاه عنه ﴿يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ من كلّ كرب في الدنيا والآخرة، فقد جعل تفسيره عامًّا، ثمّ أورد رأيًا آخر بقوله: وقيل: معناه ومن يطلّق للسنّة يجعل الله له مخرجًا في الرجعة))[٣].

الآية: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا * ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق:٤-٥]:

ذكر الطوسي في تفسيره: ((وعدّة الحامل وضع ما في بطنها إذا كانت عدّة الطلاق، فإن كانت عدّة الوفاة فأبعد الأجلين من وضع الحمل، أو مضيّ أربعة أشهر

(١) الكشاف: ٤/ ٥٤٣.
(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٥/ ٣٧١.
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن: ١٠/ ٣٢.

وعشر أيّام، وهو مذهب عليّ عليه السلام وابن عبّاس))[١]، وكذلك أورد الزمخشري في الكشّاف: ((وعن عليّ وابن عبّاس: عدّة الحامل المتوفّي عنها أبعد الأجلين))[٢].

وأشار السيوطي إلى ذلك في الدرّ المنثور بقوله: ((أخرج ابن أبي شيبة عن سعيد بن المسيّب أنّ عمر استشار عليّ بن أبي طالب وزيد بن ثابت، قال زيد: أرأيت إن كانت آيسًا؟ قال عليّ: فآخر الأجلين، قال عمر: لو وضعت ذا بطنها، وزوجها على نعشه، لم يدخل حفرته، لكانت قد حلّت))[٣]، و((أخرج ابن المنذر عن المغيرة قال: قلت للشعبي: ما أصدق أنّ عليّ بن أبي طالب كان يقول: عدّة المتوفّي عنها زوجها آخر الأجلين، قال: بلى، فصدّق به كأشدّ ما صدّقت بشيء، كان عليّ يقول: إنّما قوله: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ في المطلّقة))[٤].

وذكر الطبري في تفسيره: ((يقول تعالى ذكره: والنساء الحوامل إذا طُلِّقن، أجلهنّ في انقضاء عدّتهن أن يضعنَ حملهُنَّ، وذلك إجماع من جميع أهل العلم في المطلّقة الحامل، وأمّا المتوفّى عنها ففيها خلاف بين أهل العلم))[٥]، ثمّ استدرك رأيًا آخر بقوله: ((والصواب من القولِ في ذلك عندنا: أنّه عامٌّ في المطلّقات والمتوفّي عنهنّ))[٦].

أمّا الزمخشري فقد ذكر أنّ ((اللفظ مطلق في أولات الأحمال، فاشتمل على المطلّقات والمتوفّى عنهنّ، وكان ابن مسعود وأبيّ وأبو هريرة وغيرهم لا يفرّقون))[٧].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن:١١/ ٢٤٩.
(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل: ٤/ ٤٤، وكذلك الدر المنثور:٨/ ٢٠٣.
(٣) الدر المنثور: ٨/ ٢٠٦.
(٤) الدر المنثور:٨/ ٢٠٨.
(٥) تفسير الطبري: ٢٣/ ٥٤.
(٦) م. ن:٢٣/ ٥٨.
(٧) الكشاف: ٤/ ٥٤٤.

وقد ذكر الزمخشري رأي عليّ وابن عبّاس: عدّة الحامل المتوفّي عنها أبعد الأجلين، ثمّ ذكر الخلاف بين ابن عبّاس وأبي هريرة في قصّة سبيعة الأسلميّة(١).

أمّا ابن عطيّة فقد ذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾؛ ((وأكثر أهل العلم على إنّ هذه الآية تعمّ الحوامل المطلّقات والمعتدّات من الوفاة والحجّة، حديث سبيعة الأسلميّة، قالت: كنت تحت سعد بن خولّة فتوفّي في حجّة الوداع، ووضعت حملها قبل أربعة أشهر، فقال لها النبيّ صلى الله عليه وآله: (قد حللت) وأمرها أن تتزوّج))(٢).

ثمّ ذكر ابن عطية رأي الإمام عليّ بن أبي طالب في الآية ذاتها بقوله: ((إنّما هذه في المطلّقات، وأمّا في الوفاة فعدّة الحامل آخر الأجلين، فإن وضعت قبل أربعة أشهر وعشر تمادت الى آخرها))(٣)، ثمّ ذكر ابن عطيّة أنّ الرأي الأوّل أشهر وعليه الفقهاء(٤).

وأورد الطبرسي في قوله تعالى: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ قال: ((قال ابن عبّاس: هي في المطلّقات خاصّة، وهو المرويّ عن أئمّتنا عليهم السلام، فأمّا المتوفّي عنها زوجها إذا كانت حاملًا فعدّتها أبعد الأجلين، فإذا مضت عليها أربعة أشهر وعشر ولم تضع، انتظرت وضع الحمل، فأمّا إذا كانت قد توفّي عنها زوجها، فوضعت قبل الأشهر الأربعة والعشر، وجب عليها أن تستوفي أربعة أشهر وعشرًا))(٥).

---

(١) الكشاف: ينظر: ٤/ ٥٤٤.
(٢) المحرر الوجيز: ٥/ ٣٧٣.
(٣) م. ن: ٥/ ٣٧٣.
(٤) ينظر: م. ن: ٥/ ٣٧٣.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن: ١٠/ ٣٣.

وترى الباحثة أنّ رأي الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام هو الأصوب باعتبار أنّ حديث سبيعة الأسلميّة رواه مسلم والبخاري، والدليل على صحّة قول النبيّ محمد صلى الله عليه وآله: ((لمّا صرت بين يدي ربّي كلّمني وناجاني، فما علمتُ شيئًا إلّا علّمته عليًّا، فهو باب علمي))[١]، وما قيل بذلك الشأن كثيرٌ، ثمّ نستشهد بصحّة هذا الرأي بالحديث النبوي الذي أورده الطبري: ((قال أبو كريب: قال أبو أسامة: عن أمّ سلمة أنّ امرأةً توفّي عنها زوجها، واشتكت عينها، فأتت النبيّ صلى الله عليه وآله تستفتيه في الكحل فقال: لقد كانت إحداكنّ تكون في الجاهليّة في شرّ أحلاسها))[٢] ((فتمكث في بيتها حولاً إذا توفي عنها زوجها، فيمرّ عليها الكلب فترميه بالبعرةِ، أفلا أربعة أشهر وعشرًا))[٣].

وكذلك أورد الطبري: ((حدّثنا محمد بن بشار، قال: عن صفيّة ابنة أبي عُبيد، أنّها سمعت حفصة ابنة عمر زوج النبي صلى الله عليه وآله تُحدّثُ عن النبي صلى الله عليه وآله قال: (لا يحلّ لامرأةٍ تؤمن بالله واليوم الآخر أن تُحِدَّ فوق ثلاثٍ إلّا على زوجٍ، فأنّها تُحِدَّ عليه أربعة أشهر وعشرًا))[٤].

ورُبَّ قائل يقول: هذا الحديث قيل في المتوفّي عنها زوجها ولم يخصّ الحامل منها، فنردّ على ذلك، لماذا لم يستثنِ فيه الرسول صلى الله عليه وآله الحامل من النساء كأن يقول: (فإنّها تحدّ عليه أربعة أشهر وعشرًا إلّا أن تكون حاملًا)، هذا رأي، والرأي الآخر لماذا يؤخذ بحديث سبيعة الأسلميّة على الرغم من قلّة رواته وعدم اتّفاق جميع علماء التفسير عليه، ولا يؤخذ بحديث النبيّ صلى الله عليه وآله الذي ورد في جميع كتب التفسير، والذي أوجب أن تكون عدّة الوفاة أربعة أشهر وعشراً للمرأة في جميع حالاتها سواء كانت حاملًا أم غير حامل.

---

(١) ينابيع المودة: ٨٢.
(٢) الأحلاس: جمع حلس بكسر الحاء، والمراد فيها شر ثيابها.
(٣) تفسير الطبري: ٤/ ٢٤٩.
(٤) م. ن:٤/ ٢٥٠.

المطلب الثاني: نفقة الحامل المتوفّى عنها زوجها، وعدّتها

قوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ * لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق:٦- ٧]

روى أبو إسحاق الثعلبي قال: ((نفقة الحامل المتوفّى عنها زوجها، فقال عليّ وابن عمر وشريح والنخعي والشعبي وحمّاد وابن أبي ليلى وأصحابه: ينفق عليها من جميع المال حتّى تضع))[١]، وأورد السيوطي: ((وأخرج عبد بن حميد عن مجاهد في قوله: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ الآية قال عليّ: المطلّقة إذا أرضعت له))[٢].

وقال الطبري في الحامل المتوفّى عنها زوجها: ((وكذلك المرأة يموت عنها زوجها، فإن كانت حاملًا أنفق عليها الوارث حتّى تضع وتفطم ولدها، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة:٣٣]، فإن لم تكن حاملًا كانت نفقتها من مالها))[٣].

كذلك بيّن الزمخشري الخلاف حول نفقة الحامل المتوفّى عنها زوجها، ((فإن قلت: فما تقول في الحامل المتوفّى عنها؟ قلت: مختلف فيها، فأكثرهم على أنّه لا نفقة لها لوقوع الإجماع على أنّ من أجبر الرجل على النفقة عليه من امرأة أو ولد صغير لا يجب أن ينفق عليه من ماله بعد موته))[٤].

---

(١) تفسير الثعلبي: ٩/ ٣٤١، والتحرير والتنوير: ٨/ ١٥٢.
(٢) تفسير الثعلبي: ٩/ ٣٤١.
(٣) تفسير الطبري: ٢٣/ ٦٢.
(٤) الكشاف: ٤/ ٥٤٦.

وذكر ابن عطيّة ((هنالك من اختلفوا في نفقة الحامل المتوفّى عنها زوجها على قولين لعلماء الأمّة؛ فمنعها قوم، وأوجبها في التركة قوم، وكذلك النفقة على المرضع واجبة، وهي الأجر مع الكسوة وسائر المؤن))[١].

أمّا الطبرسي فلم يتطرّق لمصطلح (نفقة الحامل المتوفّى عنها زوجها).

وممّا ورد عن الإمام علي عليه السلام في تفسير الآية الكريمة: ((أي: لينفق الذي بانت منه امرأته إن كان ذا سعة من المال الذي بيده على امرأته لرضاعها ولدهُ))[٢].

وقد بيّن الثعلبي الخلاف في نفقة الحامل المتوفّى عنها زوجها بقوله: ((فأمّا الحامل المتوفّى عنها زوجها، فقال عليّ ... وأصحابه: ينفق عليها من جميع المال حتّى تضع، ثمّ ذكر الرأي الآخر، وقال ابن عبّاس وعبد الله بن الزبير وجابر بن عبد الله ومالك والشافعي وأبو حنيفة: لا ينفق عليها إلّا من نصيبها))[٣].

وتذهب الباحثة مع مذهب الإمام عليه السلام وأصحابه في نفقة الحامل المتوفّى عنها زوجها والحجّة في صحّة هذا الرأي هي الآية الكريمة ذاتها التي تقول: ﴿فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾، وكذلك لكثرة من ذهب بهذا المذهب من الرواة ما ذُكر عددهم آنفًا.

أمّا المطلّقة الحامل فلا خلاف في وجوب سكناها ونفقتها بتت أم لم تبت؛ لأنّها مبيّنة في الآية، وهذا ما اتّفقت عليه كتب التفسير[٤].

وأورد الطوسي في نفقة المبتوتة بقوله: ((يقول الله تعالى مخاطبًا لمن طلّق زوجته يأمره أن يسكنها حيث يسكنه، وقد بيّنا أنّ السكنى والنفقة يجب للرجعية بلا

---

(١) المحرر الوجيز: ٥/ ٣٧٣.

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية:١٢/ ٧٥٤٩.

(٣) تفسير الثعلبي:٩/ ٣٤١.

(٤) ينظر:تفسير الطبري:٢٣/ ٦٢،الكشاف:٤/ ٥٤٦،المحرر الوجيز:٥/ ٣٧٣،مجمع البيان:١٠/ ٣٥.

خلاف، فأمّا المبتوتة فلا سكنى لها ولا نفقة عندنا، وهذا مذهب الحسن، وقد روت فاطمة بنت قيس عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: لا نفقة للمبتوتة))[١].

أمّا الطبري فقد كان رأيه في المطلّقة ثلاثًا بقوله: ((فلها السكنى حتّى تنقضي عدّتها، ولا نفقة لها))[٢]، وأوجب الزمخشري الاثنين معًا بقوله: ((والسكنى والنفقة واجبتان لكلّ مطلّقة))[٣].

أمّا رأي ابن عطيّة في سكن المطلّقة ثلاثًا بقوله: ((وأمر الله تعالى بإسكان المطلّقات ولا خلاف في ذلك في التي لم تبتّ، وأمّا المبتوتة فمالكٌ (رحمه الله) يرى لها السكنى لمكان حفظ النسب، ولا يرى لها النفقة، وهو قول الأوزاعي والشافعي وابن أبي ليلى وأبي عبيد وابن المسيّب والحسن وعطاء والشعبي وسليمان بن يسار، وقال أصحاب الرأي والشورى: لها السكنى والنفقة))[٤].

وقال الطبرسي في بيان حال المطلّقة في النفقة والسكن: ((فأمّا المبتوتة (المطلّقة ثلاثًا) ففيها خلاف: فذهب أهل العراق إلى أنّ لها السكنى والنفقة معًا، وروي ذلك عن عمر وابن مسعود: وذهب الشافعي إلى أنّ لها السكن بلا نفقة.

وذهب الحسن، وأبو ثور إلى أنّه لا سكنى لها ولا نفقة، وهو المرويّ عن أئمّة الهدى عليهم السلام، وذهب إليه أصحابنا، ويدلّ عليه ما رواه الشعبي قال: دخلت عليَّ فاطمة بنت قيس بالمدينة، فسألتها عن قضاء رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالت: طلّقني زوجي البتّة، فخاصمته إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في السكنى والنفقة، فلم يجعل لي سكنى ولا نفقة، وأمرني أن أعتدّ في بيت ابن أم كلثوم))[٥].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن: ١١/ ٢٥٥.
(٢) تفسير الطبري: ٢٣/ ٦٢.
(٣) الكشاف: ٤/ ٥٤٥.
(٤) المحرر الوجيز: ٥/ ٣٧٣.
(٥) مجمع البيان: ١٠/ ٣٥، والكشاف: ٤/ ٥٤٥، والمحرر الوجيز: ٥/ ٣٧٣.

((وروى الزهري عن عبد الله أنّ فاطمة بنت قيس، كانت تحت أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي، أنّه خرج مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى اليمن، حين أمّره رسول الله صلى الله عليه وآله على اليمن، فأرسل إلى امرأته فاطمة بنت قيس بتطليقة كانت بقيت لها من طلاقها فأمر عيّاش بن أبي ربيعة، والحارث بن هشام أن ينفقا عليها، فقالا: والله! ما لكِ من نفقة، فأتت النبي صلى الله عليه وآله، فذكرت له قولهما، فلم يجعل لها نفقة إلّا أن تكون حاملًا))[1].

وهنا يتّضح اختلاف أهل الجماعة حول نفقة المبتوتة، أمّا رأي أهل البيت عليهم السلام فهو واضح كرأي النبيّ محمد صلى الله عليه وآله، وهذا ما ذهبت إليه الباحثة، والحجّة على ذلك حديث فاطمة بنت قيس ولإثبات الحجّة نذكر رواية القرطبي في الجامع لأحكام القرآن؛ ((ومذهب أحمد وإسحاق وأبي ثور: أن لا نفقة لها ولا سكنى، على حديث فاطمة بنت قيس، قالت: دخلتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ومعي أخو زوجي، فقلت: إنّ زوجي طلّقني، وإنّ هذا يزعم أن ليس لي سكنى ولا نفقة؟ قال: (بل لكِ السكنى والنفقة)، قال: إنّ زوجها طلّقها ثلاثًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إنّما السكنى والنفقة على من له عليها الرجعة)... فذكرت ذلك لرسول الله فقال: (لا نفقة لكِ ولا سكنى)))[2].

وعن الشعبي قال: ((لقيني الأسود بن يزيد فقال: يا شعبي، اتّق الله وارجع عن حديث فاطمة بنت قيس، فإنّ عمر كان يجعل لها السكنى والنفقة، قلت: لا أرجع عن شيء حدّثتني به فاطمة بنت قيس عن رسول الله صلى الله عليه وآله))[3].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن: ١٠/ ٣٥.
(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٩ / ٣٠٤.
(٣) م.ن: ٩ / ٣٠٤.

وبيّن الثعلبي الخلاف في نفقة المطلّقة ثلاثًا، بقوله: ((واختلف الفقهاء في هذه المسألة: فذهب مالك والشافعي والأوزاعي وابن أبي ليلى وأبو عبيدة ومحمد بن جرير إلى أنّ المبتوتة المطلّقة ثلاثًا لا نفقة لها، ولها السكنى، واحتجوا بأنّ الله تعالى عمَّ بالسكنى المطلّقات كلّهنّ، وخصّ بالنفقة أولات الأحمال خاصّة قال: ﴿فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾.

وقال أحمد وأبو ثور: ((لا سكنى لها ولا نفقة، واحتجّوا بحديث فاطمة بنت قيس أخت الضحّاك بن قيس حين أرسل زوجها المخزومي طلاقها))[١].

وممّا جاء في التبيان للشيخ الطوسي: ((والفدية الجائزة في الخلع – فعندنا – إن كان البغض منها وحدها وخاف منها العصيان جاز أن يأخذ المهر فما زاد عليه وإن كان منهما فيكون دون المهر، ورووا عن عليّ عليه السلام فقط ولم يفصّلوا، وبه قال الربيع وعطاء والزهري والشعبي))[٢].

وهذا الرأي أيّده الطبري في تفسيره[٣]، والزمخشري في الكشّاف[٤]، وابن عطيّة في المحرر الوجيز[٥]، والطبرسي في مجمع البيان[٦].

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٣٠].

---

(١) تفسير الثعلبي: ٩/ ٣٤٠.
(٢) التبيان في تفسير القرآن: ٣/ ٣٦١.
(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٤/ ١٤٦.
(٤) ينظر: الكشاف: ١/ ٢٧١.
(٥) ينظر: المحرر الوجيز:٥/ ٣٠٧.
(٦) ينظر: مجمع البيان: ٢/ ٨٧.

أخرج ابن المنذر ((عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ﴾، قال: هذه الثالثة))[١]. وأورد كذلك الطوسي في تفسيره بقوله: ((المعنى فيه التطليقة الثالثة على ما روي عن أبي جعفر عليه السلام، وبه قال السدّي والضحّاك والزجّاج والجبائي والنظّام. وقال مجاهد هو تفسير لقوله: ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة:٢٢٩] فإنّ التطليقة الثالثة))[٢]، وهو اختيار الطبري في تفسيره[٣]، والزمخشري في الكشّاف[٤]، وابن عطيّة في المحرّر الوجيز[٥]، والطبرسي في مجمع البيان[٦].

وكذلك أخرج ابن عدي والبيهقي عن الأعمش قال: ((بأنّ بالكوفة شيخ يقول: سمعت عليّ بن أبي طالب يقول: إذا طلّق الرجل امرأته ثلاثًا في مجلس واحد فإنّها يردّ إلى واحدة، والناس عنقًا واحدًا إذ ذاك يأتونه ويسمعون منه، قال فأتيته فقرعت عليه الباب فخرج إليّ شيخ فقلت له: كيف سمعت عليّ بن أبي طالب يقول فيمن طلّق امرأته ثلاثًا في مجلس واحد؟ قال: سمعت عليّ بن أبي طالب يقول: إذا طلّق الرجل امرأته ثلاثًا في مجلس واحد فإنّه تردّ إلى واحدة، قال: فقلت له: إنّي سمعت هذا من عليّ، قال: أخرج إليك كتابًا، فأخرج، فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، قال: سمعت عليّ بن أبي طالب يقول: إذا طلّق الرجل امرأته ثلاثًا في مجلس واحد فقد بانت منه ولا تحلّ له حتّى تنكح زوجًا غيره، قلت: ويحك هذا غير الذي تقول! قال: الصحيح هذا، ولكنّ هؤلاء أرادوني في ذلك))[٧].

(١) الدر المنثور: ١/ ٦٧٧.
(٢) التبيان في تفسير القرآن: ٣/ ٣٦١.
(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٤/ ١٧٤.
(٤) ينظر: الكشاف: ١/ ٢٧٢.
(٥) ينظر: المحرر الوجيز: ١/ ٣٠٨.
(٦) ينظر: مجمع البيان: ٢/ ٨٨.
(٧) الدر المنثور: ١/ ٦٦٩.

الخاتمة

وفيها نسأل الله السداد وحُسن التوفيق، ونجملها في عدّة نقاط:

٢٢. اتّفقت كتب التفسير موضع الدراسة، مع تفسير الإمام عليّ عليه السلام في قوله تعالى ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ ولم يكن هناك خلاف فيها.

٢٣. اتّفقت أغلب كتب التفسير مع تفسير الإمام عليّ عليه السلام لقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ أنّها في الرجل إذا طلّق امرأته ثلاثًا، وهذا ما ذكره الطبري والزمخشري وابن عطيّة، لكنّ الذي خرج عن هذا الرأي هو الطبرسي بقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ فيما أمره ونهاه عنه ﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ من كلّ كرب في الدنيا والآخرة، فقد جعل تفسيره عامًّا ولم يجعله في الطلاق خاصّة، ثمّ بعد ذلك قال: وقيل: إنّها في الطلاق.

٢٤. يبين خلاف تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ﴾ فرأي أمير المؤمنين عليه السلام هي في المطلّقة الحامل، أمّا في كتب التفسير عند بقية العلماء فهي في المطلّقات الحوامل والمعتدّات من الوفاة وجعلوا حجّتهم حديث سبيعة الأسلميّة.

٢٥. كذلك يظهر الخلاف في تفسيرهم لنفقة الحامل المتوفّي عنها زوجها، فكان رأي أمير المؤمنين عليه السلام: ينفق عليها من جميع المال حتّى تضع، أمّا آراء علماء التفسير فعند الطبري وجوب النفقة عليها، أمّا الزمخشري فكان رأيه بقوله: قلت مختلف فيها، فأكثرهم على أنّه لا نفقة لها، وأمّا ابن عطيّة فوافق الإمام عليّ عليه السلام.

٢٦. يتجلّى خلاف التفسير في نفقة المطلّقة ثلاثًا، فرأي أمير المؤمنين عليه السلام: أنّ لا نفقة لها ولا سكنى، وكان رأي الطبري أنّ لها السكنى حتّى تنقضي عدّتها، ولا نفقة لها، والزمخشري بالاثنين معًا، وابن عطيّة أيضًا يرى لها السكنى، ولا يرى لها النفقة ورأيه كرأي الطبري في ذلك.

٢٧. أمّا نفقة الحامل المطلّقة المبتوتة وغير المبتوتة فقد اتّفقت عليها جميع كتب التفسير.

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم.

١. أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩ هـ) ضبطه ونقّحه: محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت- لبنان، ١٤١١ هـ/ ١٩٩٠م.

٢. البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيّان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٤٢هـ/ ٢٠٠١م.

٣. التبيان في تفسير القرآن، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤١٣ هـ.

٤. تفسير أمير المؤمنين عليه السلام للقرآن الكريم، السيد علي عاشور، مركز الشرق الأوسط الثقافي، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٨م.

٥. تفسير السمرقندي المسمّى بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣.

٦. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، تح: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٤٢هـ/ ٢٠٠١م.

٧. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تح: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٨. جامع مرويّات أمير المؤمنين عليه السلام وأقواله في تفسير القرآن، الدكتور علاء الدين هاشم الخفاجي، ط١، ١٤٤١ هـ/ ٢٠٢٠م.

٩. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي (ت٩١١ هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
١٠. رفيق الصالحين، الحاج محمد الحلي، ط١١.
١١. الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، أبي العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتميّ (ت ٩٧٣ هـ)، دار الوطن، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
١٢. الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٤، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
١٣. الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي (ت ٤٢٧ هـ)، دراسة وتحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
١٤. مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ)، دار المرتضى، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
١٥. المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد بن عبد الحقّ بن غالب بن عطيّة الأندلسي (ت ٥٤٦ هـ)، دار التوفيقية للتراث، ٢٠٠١م.
١٦. الهداية إلى بلوغ النهاية، لأبي محمد مكّي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ)، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
١٧. ينابيع المودّة، العلّامة الفاضل الشيخ الأمجد والسيد السند شيخ سليمان بن شيخ إبراهيم المعروف بخواجة كلان بن الشيخ محمد معروف المشتهر به بابا خواجة الحسيني القندوزي (رحمه الله)، صحّحه وعلّق عليه: علاء الدين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٧٧م.

معاملة الآخر في حكومة الإمام علي عليه السلام بحسب المنظور القرآنيّ

م. أحمد راضي جبر
مديرية تربية بابل

الملخص:

تعالت الأصوات في هذه الأيّام والأقلام المأجورة لتشويه صورة الإسلام من طريق إبراز صورة مزيّفة جعلوها عنوانًا للدين الحنيف، فقد وسموا الشريعة السمحاء وصاحبها صلى الله عليه وآله بالإرهاب، وحبّه لسفك الدماء، وهذا ما يخالف صريح القرآن الكريم.

من هنا ارتأيت أنْ أكتبَ أوراقًا تبيِّنُ إنسانيّة الإسلام ورأفته وعدله وتسامحه المتمثّلة بفتى الإسلام الخالد، وترجمان القرآن وعدله أمير المؤمنين عليه السلام.

من النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث :

١-حاول البحث تسليط الضوء على موقف الإمام عليه السلام من السيّدة عائشة، فقد عاملها بما يناسب مكانتها كزوج للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، ولذلك ما إن وضعت حرب الجمل أوزارها حتّى حملها إلى المدينة المنورة تتوسّط جملة من النساء، صونا لعرض النبيّ الأكرم .

٢-موقفه عليه السلام الإنسانيّ حتّى مع أعدائه في حرب صفين، فعلى الرغم من منع الأمويّين الماء عن الجيش العلويّ، إلّا أنّه استولى على الفرات، وأمر جيشه بالسماح للعدو أن يستفيد من الماء .

٣-وبرَّز البحثُ تعامله عليه السلام مع قاتله أشقى الآخرين ابن ملجم، وكيف أنّه طيَّب مأكله ومنامه وسمّاه أسيرًا، وأمر بنيه أن يحاكموه طبقًا للشريعة الإسلاميّة التي تنصّ على العفو أو القصاص.

الكلمات المفتاحية: الإمام علي عليه السلام، المنظور القرآنيّ، معاملة الآخر.

Abstract:

Voices have risen in these days and paid pens to distort the image of Islam by displaying a false image، which they made a title for the true religion.

From here، I decided to write papers showing the humanity، compassion، justice and tolerance of Islam، exemplified by the immortal youth of Islam، the translator of the Qur'an and the justice of the Commander of the Faithful (peace be upon him).

Among the findings of this research:

1. The research tried to shed light on the position of the Imam (peace be upon him) towards Lady Aisha، for he treated her in a manner that suits her position as the husband of the Noble Messenger (may God bless him and his family)، and therefore، as soon as the Camel War laid down its burdens، he carried her to Medina، in the midst of a group of women، to protect her. To display the Noble Prophet.

2. His (peace be upon him) humanitarian position even with his enemies in the Siffin war، despite the Umayyads preventing water from the upper army، but he seized the Euphrates، and ordered his army to allow the enemy to benefit from the water.

3. The research highlighted his (peace be upon him) interaction with his murderer، the most wretched of others، Ibn Muljam، and how he fined his food and sleep and called him a prisoner، and ordered his sons to sue him according to Islamic law، which stipulates pardon or retribution.

Keywords: Imam Ali (PBUH)، Quranic Perspective، Treatment of the Other.

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمّد وآله الأطيبين الأطهرين، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى

أمّا بعدُ: فقد تعالت الأصوات في هذه الأيّام والأقلام المأجورة لتشويه صورة الإسلام من طريق إبراز صورة مزيّفة جعلوها عنوانًا للدين الحنيف، فقد وسموا الشريعة السمحاء وصاحبها صلى الله عليه وآله بالإرهاب، وحبّه لسفك الدماء، وهذا ما يخالف صريح القرآن الكريم الذي وصف النبيّ الكريم بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظيم﴾ [القلم:٤].

من هنا ارتأيت أنْ أكتبَ أوراقًا تبيِّنُ إنسانيّة الإسلام ورأفته وعدله وتسامحه المتمثّلة بفتى الإسلام الخالد، وترجمان القرآن وعدله أمير المؤمنين عليه السلام .

فكان هذا البحث الذي قسَّمته على مبحثين، سلطت الضوء في الأوّل على تعامله عليه السلام مع أهل الذمّة، وتناولت في الآخر، مواقفه مع مخالفيه، إبّان خلافته الظاهريّة، وسبق هذين المبحثين مقدّمة وتمهيد، وتلاهما جريدة بأهمّ نتائج البحث، وقائمة المصادر والمراجع التي استقيت منها مادّة بحثي .

أسأل الله تعالى أنْ يوفّقنا لما فيه الخير والصلاح، وأن نكون قد قدَّمنا ما ينفعنا في الدارين، وأن يعفو عمّا فينا من زلّات وهنات، إنّه سميع مجيب الدعاء، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة على محمّد وآله الطاهرين .

التمهيد

بيَّن القرآن الكريم الغاية التي بُعِث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله من أجلها بقوله تعالى: ﴿وَما أَرْسَلْناكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعالَمين﴾[الأنبياء: ١٠٧]، وتتضمّن هذه الآية المباركة مضامين عالية، فقد بيَّنت أنّ هناك طرفين، طرفًا أعلى وهو الله تعالى، وطرفًا أدنى فقير ومحتاج إلى الأوّل بكلّ شيءٍ، يحتاج إلى ما ينظمُ أموره ويلبّي حاجاته، فهم حيارى يذهبون ذات اليمين وتجرّهم ذات الشمال يريدون حلولًا لكلّ مشاكلهم بأنواعها المختلفة، فمنَّ الله تعالى بأن بعث إليهم من يقضي حاجاتهم، وينظّم شؤونهم، وهو الرسول الأكرم .

وقد استعمل القرآن في هذه الآية أسلوب الحصر، وهو من الأساليب البليغة في العربيّة، إذ حُصِرت الغاية من بعث النبيّ الخاتم بالرحمة، ومن بديع القول (للعالمين)؛ فإنّها تشمل كلَّ ما خلق الله، أي تشمل المؤمن والكافر، ولكنّ الكافر قد حَرَم نفسه من الفيض الإلهيّ، فمثل هذه الرحمة مثل ((أنْ يفجّرَ اللهُ عينا غديقة، فيسقي ناس زروعهم ومواشيهم بمائها فيفلحوا، ويبقى ناس مفرطون عن السقي فيضيعوا، فالعين المفجّرة في نفسها، نعمة من الله ورحمة للفريقين، ولكنّ الكسلان محنة على نفسه؛ حيث حرمها ما ينفعها))[1] .

وهذه الآية المباركة على قصرها قد اشتملت على معانٍ كثيرة وكبيرة، إذ أفصحت عن ((الرسول، ومرسله، والمرسَل إليهم، والرسالة، وأوصاف هؤلاء الأربعة، مع إفادة عموم الأحوال، واستغراق المرسل إليهم، وخصوصيّة الحصر، وتنكير (رحمة) للتعظيم، إذ لا مقتضى لإيثار التنكير في هذا المقام غير إرادة التعظيم، وإلا لقيل: إلّا لنرحم العالمين، أو إلّا أنّك الرحمة للعالمين. وليس التنكير للإفراد

(١) الكشاف ، الزمخشري: ٤/ ٢٦٧ .

قطعًا، لظهور أنّ المراد جنس الرحمة وتنكير الجنس هو الذي يعرض له قصد إرادة التعظيم))[1].

وهذه الغاية التي برَّزتها هذه الآية الكريمة، طبَّقها النبيّ الأكرم في حياته، فقد دخل الناس أفواجًا في دين الله لا بقوّة السيف أو القهر، وإنّما بما استشعروه من اللطف الإلهيّ بهم المتمثّل بسيرة الخاتمصلى الله عليه وآله، وقد عبَّرت عنها الآية الكريمة: ﴿لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَريصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنينَ رَؤُفٌ رَحيم﴾[التوبة:١٢٨] .

إنَّ غاية الرسالة الإسلاميّة – إذن – الرحمة للعباد كلّهم، وإخراجهم من الظلام بكلّ أنواعه، إلى نور الإيمان والعلم والمعرفة، ولتحقيق آدميّة الإنسان، وليكون سيّد مخلوقات الله كلّها، فمَن شاء أن يُرَقي نفسه أعلى من الملائكة فليؤمن بهذه الرسالة، ومن رضيَ لنفسه أن تظلّ بوحل الجهل والظلم فله ما شاء، إذ ﴿لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[البقرة: ٢٥٦] .

والسؤال الذي سيُجيب عنه بحثنا هذا: كيف تعامل الإسلام مع مَن لمْ يؤمن به، واصطلحنا عليه بـ(الآخر) ؟ سوف نجيب عن هذا السؤال ببيان موقف الإسلام من الآخر عمليًّا من سيرة الإمام عليّ بن أبي طالب (صلوات الله عليه) فتى الإسلام الخالد، الذي كان المثال العمليّ للمفاهيم الإسلاميّة كلّها .

عليٌّعليه السلام الذي تولّت اليد الإلهيّة العناية به وتربيته منذ ولادته، وأعدّته إعدادًا يتناسب وحجم المهمّة الملقاة على عاتقه، يقولعليه السلام: ((وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اَللَّهِ بِالْقَرَابَةِ اَلْقَرِيبَةِ وَاَلْمَنْزِلَةِ اَلْخَصِيصَةِ، وَضَعَنِي فِي حَجْرِهِ وَأَنَا وَلِيدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ وَ يُمِسُّنِي جَسَدَهُ وَ يُشِمُّنِي عَرْفَهُ، وَكَانَ يَمْضَغُ اَلشَّيْءَ

(١) التحرير والتنوير ، ابن عاشور: ٩ / ٢١٩ .

ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَما وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ ولاَ خَطْلَةً فِي فِعْلٍ))[1]، فهذا النصّ يبينِّ تربية أمير المؤمنين على يد النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، ولا حاجة إلى التوسّع في هذا الأمر؛ فحالي فيه حال الناقل تمرًا إلى هجر، وإنّما أريد أن أسلّط الضوء على أنَّ عليًّا عليه السلام هو من يمثّل الإسلام كما نزل تمثيلًا لا شبهة فيه ولا زلل، فهو القرآن الناطق والمترجم العمليّ لكتاب الله المحصور بين الدفّتين .

المبحث الأوّل : معاملة الآخر الذمّيّ

الذمّيّ النسب إلى الذمّة، وهي بمعنى ((العهدُ، الذمّة و الذمام، بمعني العهد و الأمان، و أهل الذمّة سُمُّوا بذلك؛ لأنّهم دخلوا في ضمان المسلمين و عهدهم))[2]، وهو مصطلح يطلق على غير المسلمين الذين يدينون بدياناتٍ غير الإسلام ويسكنون في بلاد الإسلام، ومن دلالات (الذمّة) الأمان، فكأنّ غير المسلمين الذي عاهدهم ويعيش بينهم في أمن وأمان وفي كفالتهم[3]، وقد فصَّل الفقهاء أحكامًا كثيرة تنظّم حياة أهل الذمّة في الإسلام، لا يسع المقام للحديث عنها .

وقد تعامل الإسلام معهم معاملةً تُفصح عن مدى الرحمة الإلهيّة بالبشر جميعًا، أمّا من لم يُوفَّقْ للإيمان بهذا الدين العظيم فقد حُرِمَ خير الدارين، ولكن يبقى فردًا من أفراد المجتمع وعلى المسلمين التعامل معه بكلّ إنسانيةٍ، وخلقٍ بذلك أمر الله تعالى، وقد طبّق أمير المؤمنين عليه السلام ذلك عمليًّا في حكومته المباركة؛ فالناس عنده سواء، ومن ذلك ما ورد في عهده لمالك الأشتر(رضوان الله عليه) : ((**وأشعر قلبك الرحمة للرعيّة والمحبّة لهم، ولا تكوننّ عليهم سبعًا ضاريًا تغتنم أكلهم، فإنّهم**

(١) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: ١/ ١٣٩ .
(٢) مجمع البحرين: ٥٢٩ .
(٣) ينظر: تاج العروس ، فصل الذال: ٣/ ٢٤٥ .

صنفان، إمّا أخٌ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق))[١]، فالإمام في هذا العهد يوصي عامله على مصر بخدمة الرعيّة كلّها، بقطع النظر عن هويّتهم، فالخلق كلّهم إخوة لك، إمّا تتحقّق هذه الأخوة بالدين، أو نتشارك بأخوّة الدم. ولذلك وصّاه بأن ينظر إلى الرعية بعين (الرحمة والمحبة) قبل عقوبتهم أو محاسبتهم؛ لأنّهم بشرٌ يصدر منهم الخطأ أو الزلل، ولعمري هذه نظرة الإسلام في كيفية التعامل مع الناس، ولذلك يحذّر أمير المؤمنين عامله بألّا يظلمَ العباد أو يجور عليهم، فإنّ **((من ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومَن خاصمه الله أدحض حجّته، وكان لله حربًا حتّى ينزعَ أو يتوبَ))**[٢] .

ولا تجد في هذا العهد أو سواه، أنّ أمير المؤمنين عليه السلام يفرّق في المعاملة بين الناس بحسب معتقدهم أو جنسهم أو عرقهم، امتثالًا لقول الله تعالى: ﴿يا أيُّها الناسُ إنَّا خلقْناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائلَ لِتعارفوا إنَّ أكرمَكم عندَ اللهِ أتقاكُمْ إنَّ اللهَ عليمٌ خبيرٌ﴾[الحجرات: ١٣]، فالناس في المجتمع الإسلاميّ متساوون بكلّ شيءٍ، وأمّا المعتقد فالله حسيب عليه يوم الورود، ومن لطيف القول وبديعه قوله تعالى: ﴿إنَّ أكرمَكم عندَ اللهِ أتقاكُمْ﴾[الحجرات: ١٣]، أي الذي يحقّ له المفاضلة ووضع الناس في درجات هو الحقّ تبارك وتعالى لا غيره، فأهل الديانات الأخرى يعيشون في أمن وأمان ما لم يعتدوا على الناس، فالضابط في إقامة العقوبات على الناس في الحكومة الإسلاميّة هو الاعتداء على الآخرين بقطع النظر عن عقائدهم، فللعامّة حقوق على الحاكم، ومن ضمنهم غير المسلمين، فمن حقوقهم ((أن تقبل منهم ما قَبِل تعالى منهم، و لا تظلمهم ما وفّوا اللّه عزّ و جلّ بعهده))[٣].

(١) نهج البلاغة ، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية د. صبحي الصالح: ٥٩٠ .
(٢) م.ن: ٥٩٢ .
(٣) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: ١/ ٤٣٩ .

فالإمام عليه السلام كان يتعامل معهم كمواطنين من الدرجة الأولى بالمصطلح الحديث، فقد كتب إلى أحد ولاته كتابًا جاء فيه ((أمّا بعد فإنّ رجالًا من أهل الذمّة من عملك ذكروا نهرًا في أرضهم قد عفى و ادّفن، و فيه لهم عمارة على المسلمين، فانظر أنت و هم و أعمر و أصلح النهر، فلعمري لئن يعمروا أحبّ إلينا من أن يخرجوا و أن يعجزوا أو يقصّروا في واجب من صلاح البلاد))[1]، فهو عليه السلام يفرح بأن يشترك غير المسلمين في عمارة البلاد، أمّا الإيمان بالله تبارك وتعالى فهو عائد إليهم تطبيقًا لقوله تعالى: ﴿وقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شاءَ فَلْيُؤْمِن ومَن شاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[الكهف: ٢٩]، فكان يوصي ولاته بأن يطبّقوا الشريعة السمحاء على الناس، حتّى يسود العدل والرحمة بين الخلق، فممّا جاء في وصيّته لبعض ولاته: ((يا معقل بن قيس اتّق اللّه ما استطعت، فانّه وصيّة اللّه للمؤمنين لا تبغ على أهل القبلة ولا تظلم على أهل الذّمة ولا تتكبّر، فإنّ اللّه لا يحبّ المتكبّرين))[2].

وقد بلغت الرحمة العلويّة أن جعل للذمّي المحتاج راتبًا من بيت مال المسلمين، فقد ورد أنّه ((مرّ شيخ مكفوف يسأل، فقال أمير المؤمنين عليه السلام ما هذا؟ قالوا يا أمير المؤمنين نصرانيّ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : استعملتموه، فإذا كبر وعجز منعتموه، أنفقوا عليه من بيت المال))[3].

وفي هذه الرواية الشريفة نكتة لغويّة لطيفة في قوله: (ما هذا) ومن المعلوم أنّ الاستفهام عن العاقل يُستعمل الاسم (مَن)، فما العلّة التي جعلت أمير الفصاحة يستفهم بـ(ما) الدالّ على غير العاقل في هذا الموضع ؟!

---

(١) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: ١/ ٥٦٧ .
(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، حبيب الله الخوئي: ٢/ ٢٣٦ .
(٣) وسائل الشيعة ، الحر العاملي: ١١ / ٤٩ .

الذي نراه أنّه عليه السلام لم يكن مستفهِمًا عن شخص السائل، وإنّما تعجّب من حالة الاستعطاء في دولته، وكأنّه يقول: ما هذا العمل المسيء للإنسانيّة؟ رجل كبير وأعمى يسأل الناس، ولذلك استفهم بـ(ما) بدلًا من (مَن) ليكون الكلام أبلغ وأشدّ تأثيرًا في المخاطب.

فمن الغايات التي ينشدها الإسلام المساواة والعدالة بين الخلق أيًّا كانوا، فلم ينتشر ويسود بقاع المعمورة بقوّة السيف، وإنّما بالخلق الحسن ومخاطبته العقل، فقارئ القرآن الكريم يجد أنَّه ((يُخصّص مساحة وافية من آياته الكريمة للتحاور مع الرأي الآخر، إنّما ليكون مدرسة للمسلمين والبشريّة جمعاء، يتتلمذون من خلاله على أسلوب الحوار والتعامل الفكريّ والعقائديّ بعيدًا عن تبادل البطش والإرهاب))[1]، وخير من يطبّق هذه التعليمات عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام ، فممّا روي عنه أنّه كان يقصد ((الكوفة فصاحب رجلًا ذميًّا فقال له الذمّي: أين تريد يا عبد الله؟ قال: أريد الكوفة، فلمّا عدل الطريق بالذمّي عدل معه علي عليه السلام ، فقال له الذمّي: أليس زعمت تريد الكوفة؟ قال: بلى، فقال له الذميّ: فقد تركت الطريق، فقال عليه السلام : قد علمت، فقال له: فلِمَ عدلت معي وقد علمت ذلك؟ فقال له علي عليه السلام : هذا مِن تمام الصُّحبةِ أَن يُشيِّعَ الرّجلُ صاحِبهُ هُنيئةً إذا فارَقَهُ وَكَذلِكَ أَمرنا نَبيُّنا، فقال له الذميّ: هكذا أمركم نبيّكم؟ فقال: نعم، فقال له الذمّي: لا جرم إنّما تبعه من تبعه لأفعاله الكريمة، وأنا أشهد على دينك، فرجع الذمّي مع الإمام عليّ عليه السلام ، فلمّا عرفه أسلم))[2] .

المبحث الثاني : معاملته (عليه السلام) الآخر المخالف :

سيسلط البحث هنا – بحول الله – على موقفه (صلوات الله عليه) ممَّن

(١) التعددية والحوار في الإسلام: ٦٢ .
(٢) سفينة البحار: ٢/ ٦٩٢ .

رفضوا بيعته وخرجوا على سلطانه، وسنبرِّز الغاية التي سعى إلى تحقيقها بواسطة تولّيه كرسي الحكم .

وقبل الخوض في خضم هذا المعترك ينبغي أن نعرف ما المغانم التي كسبها عليه السلام نتيجة تربّعه على عرش الدولة الإسلاميّة سياسيًّا ؟

والحقيقة التي لا ينكرها إلّا جاهل معاند أنّ الخلافة لم تزدْه أيّ شيءٍ، فقد روى ابن أبي الحديد ما يؤيّد هذا المعنى بقوله : ((وروى بكر بن عيسى قال: كان علي عليه السلام يقول: يا أهل الكوفة إذا أنا خرجت من عندكم بغير راحلتي و رحلي وغلامي فلان فأنا خائن، فكانت نفقته تأتيه من غلّته بالمدينة بينبع و كان يطعم الناس منها الخبز و اللحم و يأكل هو الثريد بالزيت))[1] . فلم يكن معتمدًا على عطاء الدولة في معيشته حتّى، بل كان يأكل من أرباح أرض له في الحجاز .

ووصل الأمر أنّه لم يترك إرثًا ماديًّا يُذكَر لأولاده، فهذا الإمام الحسن عليه السلام يقول: ((ما ترك على ظهر الأرض صفراء ولا بيضاء، إلّا سبعمائة درهم فضلت من عطائه، أراد أن يبتاع بها خادمًا لأهله))[2] . فلم يكنْ همّه من الدنيا إلاّ إحقاق الحقّ، وإنصاف المظلوم، وهذه غايته التي سعى إليها وكانت سببًا في قبوله الخلافة الظاهريّة، فقد روى ابن عبّاس قوله: ((دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار وهو يخصف نعله، فقال لي ما قيمة هذا النعل؟ فقلت: لا قيمة لها، فقال عليه السلام : والله لهي أحبّ إلي من إمرتكم إلّا أنْ أقيم حقًا أو أدفع باطلًا))[3] .

والعجيب أنَّ حاكمًا تحت يديه دولة مترامية الأطراف، ويُجبى إليه خراجها،

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٤/ ٢٠١ .
(٢) شرح أصول الكافي ، المازندراني: ٢٠ / ١٦٨ .
(٣) نهج البلاغة: ٧٥ .

وهو على تلك الحال وبذلك المنصب جالسٌ يُصلحُ نعله، الذي يراه أعلى قيمة من التربع على عرش امبراطورية وصلت حدودها إلى الصين شرقًا، والى المحيط الأطلسيّ غربًا، مع ذلك لم تغرْه هذه الدنيا وزينتها؛ لأنّه يعرف أنّه ملك زائل لا يدوم، وقد اتّخذه وسيلة لإقامة الحقّ ولدفع الباطل . فإذا كانت رؤيته للحكم هذه، فكيف يتعامل مع رعيّته إذن؟

وقد بيَّن عليه السلام تلك المعاملة في عرضه برنامجه الحكومي عند تولّيه الخلافة الظاهرة بعد مقتل عثمان، معرِبًا عن كراهيّته لتولّي هذا الأمر بعدما آلت إليه الأمور، فقَبِل بهذه الخلافة مضطرًّا بعد إجماع المسلمين على بيعته، قال: ((ألا و إنّ اللهَ عالمٌ من فوق سمائه و عرشه أنّي كنت كارهًا للولاية على أمّة محمّد حتّى اجتمع رأيكم على ذلك، لأنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول أيّما والٍ ولي الأمر من بعدي أقيم على حدّ الصراط و نشرت الملائكة صحيفته، فإن كان عادلًا أنجاه الله بعدله، و إن كان جائرًا انتفض به الصراط حتّى تتزايل مفاصله ثمّ يهوى إلى النار فيكون أوّل ما يتّقيها به أنفه و حرّ وجهه، و لكنّي لمَّا اجتمع رأيكم لم يسعني تركككم))[1] .

فهو عليه السلام يصوِّرُ لنا حال الحاكم الظالم يوم القيامة بصورة مهولةٍ مخيفة، تتزايل مفاصله، أي: يرتبك ويختلُّ حتّى لا يسيطر على نفسه، ثمّ يسقط في النار، فأوّل ما يلتقي منها أنفه الذي كان شامخًا ويكبُّ على وجهه في النار . لهذا السبب وغيره من الأسباب التي دفعته إلى أن يزهد في إمرة المسلمين، ولكن من جانبٍ آخر هناك علل أخرى تدفعه إلى سدّة الحكم أبرزها تطبيق الشريعة الإسلاميّة بأصولها على الناس عامّةً، ودفع الظلم ورفعه عنهم، وذلك لمَّا اجتمعوا على إمرته، وطالبوه جهارا بالولاية الظاهريّة .

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: ٧/ ١٧١ .

فلذلك نراه عليه السلام لم يداهنْ أحدًا على حساب الإسلام، فالخلق عنده سواء كأسنان المشط، تطبيقًا لقوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ﴾[الحجرات: ١٣]، وقد دفع عليه السلام ثمنا باهضًا نتيجة تمسُّكه بالتعاليم الإلهيّة .

فأوّل أمرٍ فعله بعد تسنّمه الحكم أنّه استردّ الأموال التي وهبها الخليفة الثالث إلى بعض القوم، وكان عليه السلام مُصِرًّا على هذا الأمر، حتّى قال: ((والله لو وجدته قد تزوّج به النساء، ومُلِّك به الإماء لرددتّه، فإنّ في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدلُ، فالجور عليه أضيق))[١] .

وإذا أنعمنا النظر في هذا الكلام المبارك لأمير المؤمنين، نستشفّ منه إصراره وعزيمته على تطبيق هذا الأمر، فافتتح كلامه بالقسم، والقسم أعلى مراتب التوكيد، فالقسم: ((جملة يؤكّد بها جملة أخرى كلتاهما خبريّة))[٢] .

فأتى بالقسم الصريح، ومن ثمَّ أتى بمؤكِّدٍ آخر وهو حرف التحقيق (قد) الداخلة على الفعل الماضي (قد تزوج)، والصورة الثالثة للتوكيد في هذا النصّ الشريف (إنَّ) الحرف المشبّه بالفعل الذي يفيد التوكيد، فاستعماله عليه السلام صور متعدّدة للتوكيد في هذا النصّ – على صغره – يستشفّ منه القارئ عناية المتكلّم بالمعنى المراد بيانه للمخاطب .

وقد انتقد موقف الخليفة الثالث بتقريبه عشيرته للحكم، وتوليتهم أمور الرعية بما يخالف حكم الله تعالى، حتّى صاروا ينهبون موارد الدولة الإسلاميّة، فقال في خطبته الشقشقيّة: ((إلى أن قام ثالث القوم نافجًا حضنيه بين نثيله ومعتلفه،

---

(١) نهج البلاغة: ٤٠ .

(٢) شرح جمل الزجاجي: ١/ ٥٤٤ .

وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع إلى أن انتكث فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته))[١]، فقد أرجع مال المسلمين إلى بيتهم، بعدما كان دُولةً بين قلّة من الناس .

وقد قام بهذا العمل في اليوم الثاني من تولّيه الخلافة، فلم يهدأ له بالٌ حتّى أرجع الحقوق المسلوبة إلى مكانها، روى ابن عباس: ((أنّ عليًا خطب ثاني يوم من بيعته في المدينة، فقال: ألا إنّ كلّ قطيعة أقطعها عثمان وكلّ ما أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال، فإنّ الحقّ القديم لا يبطله شيء))[٢] .

والعمل الثاني الذي قام به عليه السلام هو التسوية بالعطاء بين المسلمين جميعًا، فلا فرق عنده بين السابقين بالإسلام واللاحقين، ولا فرق بين الرجل والمرأة، ولا الحر والعبد، فكلّهم كأسنان المشط، والذي يؤسف منه حقًا أنّ من المسلمين من جاء إليه عليه السلام يعاتبه على عدله وتسويته بين الناس، فكان جوابه: ((أ تأمرونّي أن أطلب النصر بالجور فيمن ولّيت عليه، والله ما أطور به ما سمر سمير، وما أمَّ نجم في السماء نجما، لو كان المال لي لسويّت بينهم، فكيف وإنّما المال مال الله، ألا وإنّ إعطاء المال في غير حقّه تبذير وإسراف، وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة، ويكرمه في الناس ويهينه عند الله، ولم يضع امرؤ ماله في غير حقّه ولا عند غير أهله إلّا حرمه الله شكرهم، وكان لغيره ودّهم، فإن زلت به النعل يومًا فاحتاج إلى معونتهم فشرّ خدين، وألأم خليل))[٣] .

فعجيبٌ أمر هؤلاء يرون فعلَ عليٍّ عليه السلام وهو الحقّ، بنصّ رسول الله صلى الله عليه وآله:

---

(١) نهج البلاغة: ٢٨ . والمراد بـ(نافجا حضنيه) رافعا لهما، وهي المنطقة ما بين الإبط والكشح، وهو مثل يضرب للمتكبر، والنثيل الروث وفضلات الدواب، والخضم أكل الشيء الرطب .

(٢) م.ن: ٤٧ .

(٣) م.ن: ٢٤٠ .

((عليّ مع الحقّ، و الحقّ مع عليّ))[1]، والقرآن بين ظهرانيهم يُتلى آناء الليل وأطراف النهار، الذي يؤكّد المساواة والعدالة بين المسلمين، فلمَّا طبَّق عليٌّ آيات القرآن، رأوا ذلك شيئًا عجبًا، فقد تعوّدوا على غير ذلك خلاف سنيّ حكم الثلاثة الأُوَل، حتّى صارت أفعال هؤلاء هي المظهر الحقيقيّ للكتاب والسنّة، فلمّا جاء عليٌّ وعمل على ترجمة كتاب الله تعالى وسنّة الرسول الأكرم، عاتبوه على ذلك الفعل، فأيُّ غربةٍ كان يعيشها الإسلام آنذاك؟ وأيّ معاناةٍ كان يقاسيها عليٌّ عليه السلام؟ لكنّه أثبت قدمه على موقفه هذا، فهو صاحب رسالة فلا يعنيه الكرسي شيئًا، ولا تغرّه الدنيا بمفاتنها كلّها، يريد تطبيق الإسلام المحمّديّ الإلهيّ كما نزل؛ ليخرج الناس من ظلمات الجهل والظلم إلى نور الإيمان والعدل والسعادة .

دفعت أعمال أمير المؤمنين عليه السلام هذه جملةً ممّن تضرّرت مصالحهم إلى الخروج عن سلطانه، وبحجج وأعذار هم أولى بها، فكانت حصيلة أفعال هؤلاء القوم الحروب الثلاثة التي نشبت في خلافته عليه السلام، ولا أريد الخوض في هذه الحروب، وإنّما أسلّط الضوء على معاملته للمعارضين له ومَن شهرَ السيف بوجهه، وهو إمام مفترض الطاعة، فإنّه لم يكن لينظر للأمور بمنظار شخصيّ، وهو القائل: ((ووالله لأسلمنّ ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلّا عليّ خاصّة؛ التماسا لأجر ذلك وفضله، وزهدًا فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه))[2]، من تلك المواقف التي تُفصِح عن عظمة عليٍّ، وترجمته للكتاب الكريم ما يأتي:

---

(١) من لا يحضره الفقيه ، الصدوق: ١/ ٥ . والحديث الشريف أشهر من نار على علم ، رواه جملة كبيرة من علماء المسلمين من الفريقين ، ينظر: بحار الأنوار ، الشيخ المجلسي: ٤٠ / ٢٦ ، والخصال: ٤٩٦/ ٥، والأمالي للصدوق: ١٤٩/ ١٤٦، وبشارة المصطفى: ١٩، وجامع الأخبار: ٥١/ ٥٦ .

(٢) نهج البلاغة: ١١٠ .

١ – موقفه من عائشة:

لا أريد التوسّع بالحديث عن السيدة عائشة، ومواقفها من أمير المؤمنين عليه السلام، وإنّما أريد تسليط الضوء على موقفه منها بعد انتهاء حرب الجمل التي ذهب ضحيّتها آلاف القتلى والجرحى، واختلف الرواة في تحديد هذه الخسائر في صفوف المسلمين، فمنهم مَن أوصلهم إلى عشرين ألفًا، والمُقِلُّ ذهب إلى العشرة آلاف ضحية، ومهما يكن من أمر فالخسارة كبيرة استطاعت أن تخيِّم الحزن واليتم والثكل على بيوتات العراقَين (الكوفة والبصرة) زمنًا طويلًا.

هذه الحرب التي كانت عائشة ممَّن أضرموا نارها، فما موقف عليٍّ عليه السلام من هذه المرأة لمّا أظفره الله بها؟! في رواية المسعوديّ في مروجه، بعد انتهاء موقعة الجمل، وقُتِل مَن قُتِل، ذهب أمير المؤمنين عليه السلام إلى بيت عائشة، ((ودخل عليها ومعه الحسن والحسين وباقي أولاده وأولاد إخوته وفتيان أهله من بني هاشم ...، فلمّا بصرت به النسوان صحنَ في وجهه، وقلن: يا قاتل الأحبّة! فقال: لو كنتُ قاتل الأحبّة لقتلت مَن في هذا البيت، وأشار إلى بيت من تلك البيوت قد اختفى فيه مروان بن الحكم، وعبد اللَّه بن الزبير، وعبد اللَّه بن عامر، وغيرهم))[1].

فالرواية تبيِّن أنّه عليه السلام لم يكن راغبًا في سفك الدماء – أيًّا كانت – ، ولم يكن النصر الذي حقّقه في القضاء على الناكثين يعني له شيئًا، وإنّما كان عنوان الرأفة والرحمة، وفي الوقت نفسه لا يسمح أن تنتهك حرمة المسلمين، وأن يكونوا سلعة للوصول إلى تحقيق المنافع الشخصيّة .

فبعد انتهاء هذه الحرب الظالمة، يروي المؤرّخون أنّه عليه السلام جمع القتلى من الطرفين، ((فصلى على القتلى جميعًا من شيعته ومن خصمه، وأذن للناس في دفن

(١) مروج الذهب: ٢/ ٣٧٧ .

موتاهم، وجمع الأطراف الكثيرة فاحتفر لها قبرًا كبيرًا ودفنها فيه))[1] . فلم تكن أفعاله ردّةَ فعلٍ على عصيانهم وخروجهم عن طاعته أو يكون منتقمًا منهم، بل عمل بكتاب الله تعالى وسنّة النبيّ الأكرم، فعاقب المسيء على فعله، وأثاب المحسن على إحسانه، أمّا أهل البصرة فسار فيهم ((سيرة الرجل الكريم الذي يقدِر فيعفو، ويملك فيسجح، وكان يقول: سرت في أهل البصرة سيرة رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم في أهل مكّة))[2] .

وأمّا مواقفه ممَّن بقي من المعارضين له فيفصح عنه المؤرّخون[3]، أنّه عليه السلام ذهب إلى البيت الذي كانت تسكن فيه أمّ المؤمنين، فوجد النساء يبكين على عبد اللَّه وعثمان- ابني خلف - مع عائشة، وصفيّة ابنة الحارث مختمرة تبكي، فلمّا رأته قالت: يا عليّ، يا قاتل الأحبّة، يا مفرّق الجمع! أيتمَ اللَّه بنيك منك كما أيتمت ولد عبد اللَّه منه! فلم يردّ عليها شيئًا، ولم يزل على حاله حتّى دخل على عائشة، فسلّم عليها، وقعد عندها، وقال لها: جبهتنا صفيّة، أما إنّي لم أرَها منذ كانت جارية حتّى اليوم، فلمّا خرج عليّ أقبلت عليه فأعادت عليه الكلام، فكفّ بغلته وقال: أما لَهَمَمْتُ -وأشار إلى الأبواب من الدار- أن أفتح هذا الباب وأقتل من فيه، ثمّ هذا فأقتل من فيه، ثمّ هذا فأقتل من فيه-وكان أناس من الجرحى قد لجؤوا إلى عائشة، فأُخبر عليّ بمكانهم عندها، فتغافل عنهم-فسكتت.

فخرج عليٌّ فقال رجل من الأزد: واللَّه، لا تفلتنا هذه المرأة! فغضب وقال: صه! لا تهتكنّ سترًا، ولا تدخلنّ دارًا، ولا تهيجنّ امرأة بأذى، وإن شتمن أعراضكم،

---

(١) علي وبنوه ، د. طه حسين: ٥١ .

(٢) المصدر نفسه: ٥٣ .

(٣) ينظر : تاريخ الطبري: ٤/ ٥٣٩، الكامل في التاريخ: ٢/ ٣٤٧ ، و البداية والنهاية: ٧/ ٢٤٦ .

وسفّهن أمراءكم وصلحاءكم؛ فإنّهنّ ضعاف، ولقد كنّا نؤمر بالكفّ عنهنّ، وإنّهنّ لمشركات، وإنّ الرجل ليكافئ المرأة ويتناولها بالضرب، فيعيَّر بها عقبه من بعده، فلا يبلغنّي عن أحد عَرَض لامرأة، فأُنكّل به شرار الناس .

فعادت سيرة النبيّ العطرة بشخص عليٍّ عليه السلام فهو الامتداد الطبيعيّ للرسالة السماويّة، فلم يكن راغبًا في سفك الدماء أبدًا، وإنّما غايته الأولى والأخيرة صون البلاد والعباد من الظلم، وتطبيق حكم الله تعالى على عباده .

أمّا تعامله مع السيدة عائشة فقد عمل بوصية النبيّ الأكرم له في ذلك الأمر، فقد روى أحمد بن حنبل عن ((أُبي رافع: أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه وآله قال لعليّ بن أبي طالب: إنّه سيكون بينك وبين عائشة أمر، قال: أنا يا رسول اللَّه؟ قال: نعم، قال: أنا؟ قال: نعم، قال: فأنا أشقاهم يا رسول اللَّه؟ قال: لا، ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمَنِها))[1] .

فنفّذ الوصيّة النبويّة، وطلب من محمد بن أبي بكر وهو أخو عائشة أن يصطحبها إلى المدينة[2]، وأنفذ معها أربعين امرأة قد ألبسهن العمائم والقلانس، وكانت تلهج بسبِّ عليٍّ، والدعاء عليه؛ لأنّه هتك حرمتها، وجعلها تسافر مع رجال أجانب!!!

فلمَّا وصلت المدينة، وعلمت أنّ المرافقين لها كُنَّ نساءً ندمت على ما فرّطت بذمّ أمير المؤمنين عليه السلام وسبّه، وقالت: جزى اللَّه ابن أبي طالب خيرًا، فلقد حفظ فيَّ حرمة رسول اللَّه صلى الله عليه وآله[3]، ولكن بقيت الأضغان في قلب هذه المرأة ونار الحقد على عليٍّ

---

(١) مسند ابن حنبل: ١٠/ ٣٤٣ رقم الحديث (٢٧٢٦٨) ، وينظر في: المعجم الكبير: ١/ ٣٣٢ رقم الحديث (٩٩٥) ، و فتح الباري: ١٣/ ٥٥ ، و شرح الأخبار: ١/ ٣٩٥ .

(٢) ينظر : الأخبار الطوال: ١٥٢ .

(٣) ينظر : الإمامة والسياسة: ١/ ٩٨، و مروج الذهب: ٢/ ٣٧٩ .

تستعر، فما أن سمعت بخبر قتله (صلوات الله عليه) حتى تمثّلت بقول الشاعر:

وألـقـت عـصـاهـا واسـتـقـر بهـا الـنـوى
كـمـا قـرَّ عـيـنًـا بـالإيـابِ الـمـسـافـرُ

فكأنّها تريد ((أنَّ عليًّا قد أراح بموته واستراح، وليس من شك في أنّه استراح بموته من شقاء كبير، ولكنّ الشكّ كلّ الشكّ في أنّه أراح، بل اليقين كلّ اليقين هو أنّ موت علي (رحمه الله) لم يُرِحْ أحدًا، وإنّما أورث المسلمين عناءً وخلافًا لم ينقضيا بعدُ))[1] .

هذا خلق عليٍّ، وهذا نبلُ عليٍّ، يسير في عباد الله كما أمر الله تعالى، وله في رسول الله صلى الله عليه وآله أسوة حسنة، ففعل النبيِّ في فتح مكة، وفعل علي في البصرة واحد، يعامل الناس بما يمليه عليه دينه وإنسانيّته، وليوازن الناظر في الوقت نفسه إلى فعل أعداء الإسلام بذريّة النبيّ الأكرم، ولا عجب في ذلك، فكلُّ إناءٍ بالذي فيه ينضحُ .

٢- موقفه من معاوية

وأمّا موقفه من معاوية بن أبي سفيان فمختلف تمامًا، فما أن بويع بالخلافة حتّى عزل معاوية عن الشام، وعزل قومًا آخرين، فلم يكن هذا الرجل ليصلح أن يمثّل أمير المؤمنين عليه السلام في الحكم، إذ غاية عليٍّ عليه السلام في حكم الناس تختلف عن غاية معاوية، فعليٌّ يريد بسط العدل بين العباد، ولذلك لم يعنِ له المنصب شيئًا، ولم يبخلْ بنصحٍ عمَّن سبقوه من الخلفاء، فكانوا يستشيرونه فيصدق لهم؛ لأنّ غايته خدمة دين الله تعالى في خلقه .

أمّا معاوية ومن على شاكلته فكانوا يسعون إلى تثبيت حكمهم بأيّ شكل من

(١) علي وبنوه: ١٦٨ .

الأشكال، ولو على حساب هدم الكعبة المشرّفة، وفعلها ابنه يزيد والحادثة معروفة لا تحتاج إلى دليل. ولذلك فإنّ عليًّا كان ((يدبّر خلافة، وكان معاوية يدبّر ملكًا))[١]، عليٌّ يريد أن يمثّل النبيَّ خير تمثيل، وأمّا معاوية فكان يريدها دولة أمويّة يتوارثها الأبناء عن الآباء، والأدهى باسم الرسول والإسلام، فكان – بزمن الأمويين ومن تبعهم – يُقْتَل عبادُ الله باسم دين الله، فكان قتلًا مشرّعًا لهم .

فلم يكن معاوية مهتمًّا بأيّ وسيلة يتوسّل بها للوصول إلى سدّة الحكم، ولذلك فما أن استلم عليٌّ مقاليد الحكم حتّى باشر بعزله، وقد بيَّن ذلك بقوله: ((والله ما معاوية بأدهى منّي، ولكنّه يغدر ويفجر، ولولا كراهيّة الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن كلّ غدرة فجرة، وكلّ فجرة كفرة، ولكلّ غادر لواء يُعرف به يوم القيامة))[٢].

فقد اتّخذ معاوية من حادثة مقتل عثمان وسيلة لتأليب الناس على أمير المؤمنين عليه السلام، وللأسف الشديد صدَّق الكثير منهم هذه اللعبة من معاوية، وأدّت إلى سفك دماء أخرى بموقعة صفّين تضاف إلى الدماء التي سالت بموقعة الجمل، والواقعتان مردّهما سبب واحد وهو جهل عامّة المسلمين، ولذلك كان يتوجّع ممَّن يقتدي بمعاوية ويتركه، يقول عليه السلام : ((يا ويحهم، مع من يميلون ويدَعونني! فو الله ما أردتُهم إلّا على إقامة حقّ، ولا يريدهم غيري إلّا على باطل))[٣] .

ولذلك كان مجتهدًا في القضاء على معاوية وفكره الذي تغلغل إلى جسد الأمّة الإسلاميّة، فقد كان معاوية يسعى جاهدًا إلى إفراغ الإسلام من محتواه، وخلق مجتمع

(١) علي وبنوه: ١٦٥ .
(٢) نهج البلاغة: ٤٣٢.
(٣) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٨٤.

إسلاميّ أمويّ بعيد كلّ البعد عن الإسلام المحمّديّ الأصيل، وهذا المعنى يوضّحه ما روي من محادثة جرت بين أمير المؤمنين وأحد الأمويّين الذي خاطب الإمام بقوله: ((انصرف عنّا يا بن أبي طالب، فإنّا ننشدك اللَّه في دمائنا ودمك، نخلّي بينك وبين عراقك، وتخلّي بيننا وبين شامنا، وتحقن دماء المسلمين، فقال عليّ: هيهات يا بن أُمّ ظليم! واللَّه لو علمت أنّ المداهنة تسعني في دين اللَّه لفعلت، ولكان أهون عليّ في المؤونة، ولكنّ اللَّه لم يرضَ من أهل القرآن بالإدهان والسكوت واللَّه يُعصى))[1] . فهذا النصّ يوضح لنا غاية أمير المؤمنين التي يبتغي تحقيقها، وهي أنّه ضدّ معصية الله تبارك وتعالى، والمتمثّلة بالظلم والعدوان وأكل حقوق الناس، ولذلك فلا تراه يقبل على نفسه أن يداهن على حساب دين الله ولو كلّفه ذلك المعاناة التي كان يقاسيها، وأخيرًا حياته التي قدّمها في سبيل رفعة الإسلام المحمّديّ الأصيل .

ولكن كيف تعامل عليٌّ مع الجيش الأمويّ في موقعة صفّين، أذكر في هذا المضمون روايتين تبيِّنانِ الخلق العلويّ الذي كان ينضحُ كرامة ومروءة وإنسانيّة، ذلك الخلق الذي يعكس صورة الإسلام الربّانيّ الذي أراد الله تعالى أن يترقّى الناس باتّباعه، غير أنّ أكثرهم أخلدوا إلى الأرض ودونيّتها .

فممّا رويَ أنّ معاوية في حرب صفين، قد نزل عند الفرات قريبًا من صفِّين أوّلًا، ومن ثَمّ وصل الجيشُ العلويُّ، فأرسل أمير المؤمنين عليه السلام : ((صعصعة بن صوحان، فقال: ائت معاوية فقل: إنّا سرنا مسيرنا هذا، وأنا أكره قتالكم قبل الإعذار إليكم، وإنّك قد قدمت بخيلك، فقاتلتنا قبل أن نقاتلك، وبدأتنا بالقتال، ونحن من رأينا الكفّ حتّى ندعوك ونحتجّ عليك، وهذه أخرى قد فعلتموها، حتّى حلتم بين الناس وبين الماء، فخلّ بينهم وبينه حتّى ننظر فيما بيننا وبينكم، وفيما قدّمنا له

(١) حلية الأولياء: ١/ ٨٥، وينظر : أسد الغابة: ٢/ ٩٢ ، و الاستيعاب: ١/ ٤٥٧ .

وقدّمتم، وإنْ كان أحبّ إليك أن ندع ما جئنا له وندع الناس يقتتلون على الماء حتّى يكون الغالب هو الشارب فعلنا. فقال معاوية لأصحابه: ما ترون؟ قال الوليد بن عقبة: امنعهم الماء كما منعوه ابن عفّان: حصروه أربعين يومًا يمنعونه برد الماء ولين الطعام، اقتلهم عطشًا قتلهم الله! قال عمرو: خلّ بين القوم وبين الماء، فإنّهم لن يعطشوا وأنت ريّان، ولكن لغير الماء فانظر فيما بينك وبينهم. فأعاد الوليد مقالته، وقال عبد الله ابن أبى سرح – وهو أخو عثمان من الرضاعة –: امنعهم الماء إلى الليل، فإنّهم إن لم يقدروا عليه رجعوا، وكان رجوعهم هزيمتهم. امنعهم الماء منعهم الله يوم القيامة. فقال صعصعة بن صوحان: إنّما يمنعه الله يوم القيامة الكفرة الفجرة شربة الخمر، ضربك وضرب هذا الفاسق – يعنى الوليد ابن عقبة – فتواثبوا إليه يشتمونه ويتهدّدونه، فقال معاوية: كفّوا عن الرجل فإنّه رسول... ثمّ إن صعصعة رجع إلينا فحدّثنا بما قال معاوية وما كان منه وما ردّ عليه، فقلنا: وما ردّ عليك معاوية؟ قال: لمّا أردت الانصراف من عنده قلت: ما ترد عليّ؟ قال: سيأتيكم رأيي، قال: فو الله ما راعنا إلّا تسوية الرجال والخيل والصفوف، فأرسل إلى أبي الأعور: امنعهم الماء، فازدلفنا والله إليهم، فارتمينا واطعنا بالرماح، واضطربنا بالسيوف فطال ذلك بيننا وبينهم، فضاربناهم فصار الماء في أيدينا، فقلنا: والله لا نسقيهم، فأرسل إلينا عليّ: خذوا من الماء حاجتكم، وارجعوا إلى عسكركم، وخلّوا بينهم وبين الماء، فإنّ الله قد نصركم ببغيهم وظلمهم))[1].

ومن هذا النصّ – على طوله – يتبيّن لنا أمورٌ عدّة، منها:

١. أنّ البادئ بالقتال يومئذ هو الجيش الأمويّ، فهو من جاء من الشام إلى العراق ليقاتل الإمام المفترض الطاعة، وعلى الرغم من ذلك لم يبتدئهم أمير المؤمنين

(١) وقعة صفين: ١٦١-١٦٢.

بقتال أو أذيّة، على العكس من ذلك فقد أرسل إليهم رسولًا من خُلَّص أصحابه لينصحهم وينبّههم من غفلتهم .

٢. منعُ معاوية الجيش العلويَّ من ورود الماء، بعد سيطرته على الفرات، وفي هذا الفعل يتبيّن لنا طبيعة الخلق الأمويّ المملوء حقدًا وتعطّشًا للدماء، متى ما سنحت له الفرصة، فهو لا يجد حرجًا من فعل أيِّ شيءٍ للقضاء على خصومه من دون مراعاة لحرمة أو عرف أو تقليد .

٣. أنّ الأمويّين جعلوا من قميص عثمان حجّة ودعاية للوصول إلى سدّة الحكم، بعد أن اتّهموا أمير المؤمنين عليه السلام بقتل الخليفة الثالث، فهم يمنعون الماء عن الجيش العلويّ ليموت عطشًا، كما منع عثمان الماء، وهذه الصور تبيّن لنا بُعْد المسافة بين الفكر الأمويّ، وبين الشريعة السمحاء والخلق المحمديّ الأصيل .

٤. وأمّا موقف أمير المؤمنين عليه السلام من هذا الفعل، فكان على شقّين، الأوّل: أراد عليه السلام أن يبيّن للعدوّ قوّة الجيش الإسلاميّ وقدرته على البطش بالعدو من جانب، وحماية نفس من جانب آخر، والشقّ الآخر: بيان عطف الإسلام ورحمته حتّى مع العدو، فلا يعاملهم بأخلاقهم، وإنّما تعامل معهم عليه السلام بما أمر به الشارع المقدّس، ولذلك بمجرد أن سيطر على الفرات، أمر أصحابه أن يأخذوا حاجتهم من الماء، ويتركوا الأمويّين والماء، وهذا قمّة النبل والخلق الإلهيّ .

٥. وهناك نكتة لطيفة بقول أمير المؤمنين عليه السلام لأصحابه بعد سيطرتهم على الفرات: (فإنّ الله قد نصركم ببغيهم وظلمهم)، فيه بيان علّة نصر الله تعالى للجيش العلويّ، هو بسبب بغي العدو وظلمهم، فلا تغترّوا وتكونوا سواءً في الظلم؛ لأنّ جماعة من جيشه رأوا أن يمنعوا الشاميّين من الماء، كما صنعوا معهم ، فإنّ الإمام ينبّههم إلى أنّ انتصارهم لهم لم يكن بفضل منهم، وإنّما لأنّ العدوان كانوا ظالمين ومعتدين،

فنصركم لذلك.

وأمّا الرواية الأخرى: ما روي أنَّ عمرًا بن العاص قد حمل مُعَلِّمًا، وهو يقول:

شـــــدّوا عـــلى شـكـتـي لا تـنـكـشـف
بـعـد طـلـيـح والـــزبـــير فـأتـلـــف
يـــوم لهـــمـــدان ويـــــوم لـلـصـــدف
وفي تـمـيـم نـخـوة لا تـنـــحـرف

فاعترضه أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو يقول:

قـــد عـلـمـت ذات الـــقـــرون الميـل
والـــخـــصر والأنـــامـــل الـطـفـول
أني بـنـصـل الـسـيـف خـنـشـلـيـل
أحمـــي وأرمـــــي أوّل الـرعـيـل
بـــصـــارم لـيـــس بـــذي فـلـــول

ثمّ طعنه فصرعه واتقاه عمرو برجله، فبدت عورته، فصرف عليٌّ عليه السلام وجهه عنه، فقال القوم: أفلت الرجل يا أمير المؤمنين، فأجابهم: وهل تدرون من هو؟ قالوا: لا، قال: فإنّه عمرو بن العاص تلقّاني بعورته فصرفت وجهي عنه.

ورجع عمرو إلى معاوية فقال له: ما صنعت يا عمرو؟ قال: لقيني على فصرعني، قال: أحمد الله وعورتك، أمَا والله أن لو عرفته ما أقحمت عليه.

وقال معاوية في ذلك :

ألا لله مـــن هـــفـــوات عـمـــرو
يـعـاتـبـنـي عـــلى تـركـــي بـــرازي

فـقـد لاقـى أبـا حسـن عـليـًا
فـآب الـوائـلي مـآب خـازي

فـلـو لم يـبـد عـورتـه لـلاقـى
بـه لـيـثًـا يـذلِّـلُ كـلَّ نـازي

لـه كـف كـأنَّ بـراحـتـيـهـا
مـنـايـا الـقـوم يخـطـف خـطـف بـازي[1]

فانظر أيّها القارئ مدى حبِّ هؤلاء للحياة، وغايتهم البقاء على قيد الحياة بأيّ ثمن كان، ولو كان على حساب كرامتهم وإنسانيّتهم، بالوقت نفسه تعرف الهيبة العلويّة ووقار هذه الشخصيّة المقدّسة، وهذه الأفعال ليست غريبة على الإمام عليه السلام، فقد روى الطبريّ بتاريخه بموقعة أحد أنّه ((خرج طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين وقال: يا معشر أصحاب محمّد إنّكم تزعمون أنّ الله يعجّلنا بسيوفكم إلى النار، ويعجّلكم بسيوفنا إلى الجنّة، فهل أحدٌ منكم يعجّله سيفي إلى الجنّة أو يعجّلني سيفه إلى النار؟ فبرز إليه عليّ بن أبي طالب، فضربه عليّ فقطع رجله، فسقط وانكشفت عورته، فناشده الله والرحم فتركه، فكبَّر رسول الله صلى الله عليه وآله وقال لعلي: ما منعك أن تجهز عليه؟ قال: إنّه ناشدني حين انكشفت عورته فاستحييت منه))[2] ، فهذه السيرة العلويّة الطاهرة في السرّاء والضرّاء واحدة لا تتغيّر، يتخلّق بأخلاق الإسلام ويتّخذها برنامجًا لحياته المباركة، كيف لا وهو ربيب سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله الذي خلَّقه بخلقه وربَّاه تلك التربية التي أنتجت فتى الإسلام الخالد.

---

(١) تنظر هذه القصة في: وقعة صفين: ٤٠٧ ، ومروج الذهب: ١ / ٣٢٨ .
(٢) تاريخ الأمم والملوك: ٢/ ٦٣ .

٣- معاملته لعبد الرحمن بن ملجم :

من مناقب أمير المؤمنين هذا الرجل المتفرّد بصفات لا تجدها إلّا بالنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله كيفيّة تعامله مع قاتله قبل أن يُقدِمَ هذا الشقي على جريمته الكبرى وبعدها، فكان عليه السلام يعرف أنّ هذا الرجل قاتله – كما تُشير إلى ذلك جملة من الروايات – وعلى الرغم من علمه هذا كان ينصحه ويعتني به كبقيّة المسلمين، فممّا ورد من ذلك:

ما رواه اليعقوبيّ بقوله: ((وضربه – ابن ملجم – على رأسه، فسقط وصاح: خذوه، فابتدره الناس، فجعل لا يقرب منه أحد إلّا نفحه بسيفه، فبادر إليه قثم بن العبّاس، فاحتمله وضرب به الأرض، فصاح: يا عليّ، نحّ عنّي كلبك، وأتى به إلى عليٍّ، فقال: ابن ملجم؟ قال: نعم، فقال: يا حسن شأنك بخصمك، فأشبع بطنه، واشدد وثاقه، فإن متّ فألحقه بي أخاصمه عند ربّي، وإن عشتُ فعفو أو قصاص))[1].

والذي يُستفاد من هذه الرواية أنّ الإمام عليه السلام كان يعرف قاتله، ولذلك سأله: ابن ملجم؟ فأجابه الشقي: نعم، وعلى الرغم من معرفته به لم يتّخذ به أيّ إجراء أو يعاقبه أو يسجنه، وإنّما كان ابن ملجم حرًّا طليقًا له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، فالناس أحرارٌ في دنياهم ما لم يعتدوا على الآخرين، ولذلك لمَّا فعل ابن ملجم جريمته الكبرى، أمر الإمام ابنه الحسن عليه السلام بسجنه، ومعاملته بالحسنى والحكم عليه بما أمرت به الشريعة المقدّسة، وهذا الفعل قمّة التسليم للإرادة الإلهيّة المتمثّلة بقوله تعالى: ﴿وسلِّموا تسليما﴾[الأحزاب: ٥٦] .

وفي تعامله مع ابن ملجم صورتان، إحداهما بوصيّته الخاصّة للإمامين الحسنين عليهما السلام بقوله: ((احبسوا هذا الأسير وأطعموه واسقوه وأحسِنوا أساره، فإن

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٢١٢.

عشتُ فأنا أولى بما صُنع بي؛ إن شئت استقدتُ وإن شئت عفوت وإن شئت صالحت، وإن مُتّ فذلك إليكم، فإن بدا لكم أن تقتلوه فلا تمثّلوا به))[1] .

وتُفصِح هذه الرواية عن الترجمة الفعليّة للقرآن الكريم التي مثّلها أمير المؤمنين عليه السلام في تعامله مع قاتله، فقد سمَّاه (أسير) على الرغم من أنّه مجرم وشقيّ ولا تنطبق عليه ملامح الأسير، إلّا أنّ الإمام عليه السلام عامله كمعاملة أسير الحرب، من حيث حسن معاملته وتقديم المأكل والمشرب له، أمّا عن الحكم بحقّه فله وجهان، فإن عاش الإمام عليه السلام فهو وليُّ دمه وحقّه، إن شاء اقتص منه وإن شاء عفا، بل وذهب بجوده وكرمه إلى أبعد من العفو، هو أن يصالحه وهو – لعمري – قمّة الإيثار ونكران الذات، وإن مات عليه السلام بسبب تلك الضربة وليس بعلّة غيرها فلولي دم الإمام بعده الحكم في ما يرى، إمّا القصاص وإمّا العفو، وإن رأى وليّ الدم بعده بأن يقيم القصاص بحقّ ذلك الشقي، فضربة بضربة، ولا يمثّلوا به؛ لأنّ المثلة حرام .

وأوصى بني عبد المطّلب بوصيّته الأخيرة بقوله: ((يا بني عبد المطّلب لا ألفينَّكم تخوضون دماء المسلمين خوضًا، تقولون: (قُتِل أمير المؤمنين)، ألا لا تقتلُنَّ بي إلّا قاتلي، انظروا إذا أنا متُّ من ضربته هذه، فاضربوه ضربة بضربة، ولا تمثّلوا بالرجل، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إيّاكم والمُثلَة، ولو بالكلب العقور))[2] .

وفي هذه المقطع من وصيّته المباركة أمور لا بدّ من تبيانها، لتنبيه الغافل والمتغافل عن السيرة العطرة لفتى الإسلام الأوحد، وترجمان القرآن وعدله أمير المؤمنين عليه السلام ، فمن هذه الأمور، أنّه نهى بني عبد المطّلب بقوله: (لا ألفينَّكم) فقد

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب: ٣/ ٣١٢ ، وينظر : روضة الواعظين: ١٥٣ ، و السنن الكبرى: ٨/ ٣١٧.
(٢) نهج البلاغة: ٥٨٣ .

استعمل (لا) النافية وضَّمنها معنى النهي، وجاء بالفعل المضارع المؤكّد بنون التوكيد الثقيلة، لتنبيه القوم عن عظم الأمر المنهيِّ عنه، فقد نبّههم مرّتين، مرّة بالنداء وأخرى بهذا الطلب، فلمَّا تنبّهوا وتوجّهوا بقلوبهم قبل أبدانهم لسماع وصيّة الإمام عليه السلام جاء بالفعل (تخوضون دماء المسلمين)، وفي هذا التركيب ردعٌ لبني عبد المطّلب أن يقتلوا الناس بحجّة الاقتصاص لقتل الإمام عليه السلام ، فمن دلالات الخوض: ((الاشتغال بالباطل قولًا أو فعلًا و الغور فيه))[١]، ومنه: ((خاضوا في الحديث، وتخاوضوا فيه، وهو يخوض مع الخائضين، أي: يبطل مع المبطلين ﴿الذينَ هم في خَوْضٍ يَلعبونَ﴾[الطور:١٢]))[٢] .

فدلالات (الخوض) القرآنيّة تُشير إلى الباطل في أكثر المواضع، ولذلك استعملها أمير المؤمنين عليه السلام لكي ينبِّه عشيرته ألَّا يقعوا في فخّ الباطل عن طريق الثأر له، ولعلّ فيه إشارة إلى حادثة مقتل الخليفة الثاني وفعل ابنه عبيد الله بن عمر الذي قتل مجموعة من الناس لا سهم لهم بقتل أبيه[٣] .

ثمّ استعمل أداة أخرى لتنبيههم مرّة ثالثة وهي (ألا) أداة الاستفتاح، وهي ((مركّبة من همزة الاستفهام وحرف النفي، لإعطاء معنى التنبيه على تحقّق ما بعدها))[٤]، فإذا تحصَّل الانتباه جاء بالأمر الذي يريد أن ينهاهم عنه وهو قتل غير القاتل، فإذا هو عليه السلام قد مات بسبب ضربة الشقيّ لا بغيرها فاضربوه ضربةً واحدةً؛ لأنّه (لعنه الله) قد ضرب أمير المؤمنين عليه السلام ضربة واحدة، ونهاهم أن يمثّلوا بجثّة الرجل؛ لأنّه أمر محرَّم في الشريعة المقدّسة .

---

(١) الميزان في تفسير القرآن: ٢٠ / ٥٣
(٢) أساس البلاغة: ١/ ١٢٥ .
(٣) ينظر: الفتنة الكبرى: ٦٥ .
(٤) الكشاف: ١/ ٦١ .

والناظر بهذا النصّ المبارك تتجسّد لديه عظمة أمير المؤمنين وعدله وذوبانه في دين الله العظيم، فختم حياته الكريمة واعظًا وداعيًا لتطبيق أحكام الشريعة بهذا الأسلوب البليغ الذي بلغ ((قمّة الجمال في المواقف الخطابيّة، أي في المواقف التي تثور بها عاطفته الجيّاشة، ويتّقد خياله فتعتلج فيه صورٌ حارة من أحداث الحياة التي تمرّس بها، فإذا بالبلاغة تزخر في قلبه وتتدفّق على لسانه تدفُّق البحار، ويتميّز أسلوبه في مثل هذه المواقف بالتكرار بغية التقرير والتأثير))[1] .

(١) روائع نهج البلاغة ، جورج جرداق: ٣٠ .

نتائج البحث :

بعد هذه الرحلة في خطب أمير الكلام عليه السلام ، التي جعلتني أعيش أيّامه المباركة، التي ما أراد شيئا من دنياه إلّا خدمة الشريعة السمحاء، توصّلتُ إلى نتائج عدّة، أختصرها بما يأتي:

١ – بيَّن البحث بعضًا من مواقف الإمام عليه السلام من الآخر بحسب المنظور الإسلاميّ، فكان تعامله معهم ينضح نبلًا وكرمًا، بما تقتضيه الشريعة، فلم يفرِّق بين أبناء الوطن في حكومته على أساس الدين أو العرق، وإنّما تعامل معهم على أنّهم بشرٌ، لهم حقوق وعليهم واجبات. زد على ذلك أنّه طلب من أهل الذمّة أن يشتركوا في عمارة البلاد، وما ذلك إلّا لأنّهم أبناء تلك الأرض .

٢– حاول البحث تسليط الضوء على موقف الإمام عليه السلام من السيدة عائشة، فقد عاملها بما يناسب مكانتها كزوج للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، ولذلك ما إن وضعت حرب الجمل أوزارها حتّى حملها إلى المدينة المنورة تتوسّط جملة من النساء، صونًا لعرض النبيّ الأكرم .

٣– موقفه عليه السلام الإنساني حتّى مع أعدائه في حرب صفين، فعلى الرغم من منع الأمويّين الماء عن الجيش العلويّ، إلّا أنّه استولى على الفرات، وأمر جيشه بالسماح للعدوّ أن يستفيد من الماء .

٤– وبرَّز البحثُ تعامله عليه السلام مع قاتله أشقى الآخرين ابن ملجم، وكيف أنّه طيَّب مأكله ومنامه وسمّاه أسيرًا، وأمر بنيه أن يحاكموه طبقًا للشريعة الإسلاميّة التي تنصّ على العفو أو القصاص .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد الأنام محمّد بن عبد الله وآله الأطيبين الأطهرين .

مصادر البحث ومراجعه :

*القرآن الكريم.

١.الأخبار الطوال : الدينوري (أبو حنيفة أحمد بن داوود) ، مطبعة السعادة ، مصر، ط١ ، ١٣٣٠هـ .

٢.أساس البلاغة : الزمخشري (جار الله محمود بن عمر بن أحمد ت ٥٣٨ هـ) ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م .

٣.الاستيعاب في معرفة الأصحاب : بن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد) ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٢م .

٤.أسد الغابة في معرفة الصحابة : ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت٦٣٠ ه) ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠١٢م .

٥.أمالي الصدوق : الشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي ت ٣٨١ه) ، قدم له الشيخ حسين الأعلمي ، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت ، لبنان ، (د. ت) .

٦.الإمامة والسياسة : ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ت ٢٧٦ هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٦م .

٧.البداية والنهاية : ابن كثير (إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي) مكتبة المعارف، بيروت ، ١٩٩٠م .

٨.بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار : المجلسي (محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي ت ١١١٠ هـ) مؤسسة الوفاء ، بيروت ، ١٤٠٣هـ .

٩.بشارة المصطفى لشيعة المرتضى : الطبري (محمد بن ابي القاسم من أعلام

القرن السادس الهجري) ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، ١٣٦٩هـ .

١٠.بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة : التستري (محمد تقي بن كاظم ت ١٤١٥هـ) ، منشورات مكتبة الصدر ، طهران ، (د . ت) .

١١.تاج العروس من جواهر القاموس : الزَّبيدي (السيد محمد مرتضى الحسيني ت ١٢٠٥ هـ) ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٦٥م .

١٢.تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) : الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٢٩هـ .

١٣.تاريخ اليعقوبي : اليعقوبي (احمد بن اسحاق بن جعفر البغدادي ت ٢٩٢ هـ)، تحقيق خليل المنصور ، دار الزهراء ، ايران ، قم ، ١٤٣٩هـ .

١٤.التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد : ابن عاشور (محمد الطاهر ت ١٩٧٣م) ، الدار التونسية للنشر ، تونس ط١ ، ١٩٨٤م .

١٥. التعددية والحوار في الإسلام (بحث حول حرية المعتقد وتعدد المذاهب): حسن الصفار ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ، بيروت ، ط٤ ، ٢٠١٠ م.

١٦.جامع الأخبار ، الشيخ الصدوق ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، (د.ت) .

١٧.حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : الأصفهاني (أبو نعيم أحمد بن عبد الله ت ٤٣٠ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦م .

١٨.الخصال : الشيخ الصدوق ، صححه وعلق عليه على أكبر الغفارى ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم المقدسة ١٤٠٣هـ .

١٩.روائع نهج البلاغة : جورج جرداق ، مؤسسة دائرة معارف الفقه الاسلامي ، قم المقدسة ، ط٣ ، ٢٠٠٥ م .

٢٠.روضة الواعظين : الفتال النيسابوري ، تقديم محمد مهدي الخرسان ، منشورات الرضي ، قم ، (د . ت) .

٢١.سفينة البحار: عباس القمي (ت ١٣٥٩هـ) ، تحقيق مجمع البحوث الإسلامي، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للاستانة الرضوية المقدسة ، ط٣ ، ١٤٣٠هـ .

٢٢.السنن الكبرى: البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي ت٤٥٨هـ) ، مجلس دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد ، الهند ، ط١ ، ١٣٤٤ هـ .

٢٣.شرح أصول الكافي : المازندراني (محمد صالح ت ١٠٨١هـ) ، ضبط وتصحيح علي عاشور ، دار التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٠م .

٢٤.شرح جمل الزجاجي (الشرح الكبير) : ابن عصفور الاشبيلي (ت ٦٦٩ هـ)، تحقيق د. أنس بديوي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ط١ ، ٢٠٠٣م .

٢٥.شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد المعتزلي (عز الدين عبد الحميد بن محمد ت ٦٥٦هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مؤسسة إسماعيليان ، طبعة قم ، (د .ت).

٢٦.علي وبنوه: د. طه حسين ، دار المعارف ، مصر ، ط ٦ ، ١٩٦٦ م .

٢٧.فتح الباري بشرح صحيح البخاري : الحافظ ابن حجر (أحمد بن علي بن حجر العسقلاني) ، تحقيق : محب الدين الخطيب ، دار الريان للتراث ، مصر ، ط٢ ، ١٤٠٩هـ.

٢٨.الفتنة الكبرى : د. طه حسين ، دار المعارف ، مصر ، ط ٦ ، ١٩٦٦ م .

٢٩.الكامل في التاريخ : ابن الأثير (علي بن محمد الشيباني الجزري) تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، ط١ ١٤٠٧هـ .

٣٠.الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : الزمخشري (جار الله أبو القاسم محمود بن عمر ت ٥٣٨ هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٤٧م .

٣١.مجمع البحرين ومطلع النيرين : فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٧هـ) ، تحقيق السيد أحمد الحسيني ، نشر مكتبة النشر الثقافية الإسلامية ، طهران ، ١٤٠٨هـ.

٣٢.مروج الذهب ومعادن الجوهر : المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ت ٣٤٦ هـ) ، تحقيق د. يوسف البقاعي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٧٣م .

٣٣.مسند الإمام أحمد : أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) ، شرحه وصنع فهارسه أحمد محمد شاكر ، دار الحديث ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٥م .

٣٤.المعجم الكبير : الطبراني (سليمان بن أحمد بن أيوب ت٣٦٠هـ) ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ، ط ٢، ١٩٨٣م.

٣٥.من لا يحضره الفقيه : الشيخ الصدوق ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٨٦م.

٣٦.منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : الخوئي (حبيب الله بن السيد محمد الموسوي ت١٣٢٤هـ) ، تصحيح إبراهيم الميانجي ، منشورات المكتبة الإسلامية طهران ، ط ٤ ، (د . ت)

٣٧.نهج البلاغة : جمع الشريف الرضي ، تحقيق الدكتور صبحي الصالح ، دار الاسرة للطباعة والنشر ، طهران ، ط٦ ، ١٤٢٩هـ .

٣٨.وسائل الشيعة : الحر العاملي (محمد بن الحسن ت ١١٠٤هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٣هـ .

٣٩.وقعة صفين : المنقري (نصر بن حازم ت ٢١٢هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، المؤسسة العربية الحديثة ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٨٢هـ .

٤٠.مناقب آل أبي طالب : ابن شهرآشوب (محمد بن علي ت ١١٩٢هـ) ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، ١٩٥٦م .

٤١.الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي(ت ١٤٠٢ هـ) ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٧ م .

السلوكُ التهذيبيُّ في الأثرِ القرآنيِّ (نهج البلاغة أنموذجاً)

دراسةٌ تطبيقيّةٌ على موظّفي دائرةِ صحّةِ بابل للعام ٢٠٢٤

أ.حسنين صادق عبكه

دبلوم طبي، اختصاص علم النفس

مدرب مستشار معتمد في تنمية بشرية

ضي عبد الحسين مكي بقلي

بكالوريوس تربية علم النفس

مرشدة تربوية وباحثة علمية ونفسية ومؤلفة

الملخّص:

أجريت الدراسة على مجموعة مشاركين من حملة شهادة الدبلوم الطبيّ فما فوق (ذكورًا وإناثًا) في المؤسّسات الصحيّة للقطّاع العام، ممّن تتراوح أعمارهم من ٢٠ سنة فما فوق، والبالغ عددهم (٢٠٠) مشارك (١٠٠ ذكر و١٠٠ أنثى) تبعًا لمختلف المتغيّرات الديمغرافيّة (الجنس، التحصيل الدراسي، سنوات الخدمة) في محافظة بابل، طبّقت في الدراسة استبانة مقياس السلوك التهذيبيّ (الاتكيت الوظيفي أو الاجتماعي) ٢٠٢٢م، المعدّلة، وتمّ توزيعها عبر برنامج (الكوكل فورم) الكترونيًا من أجل الإجابة على فقراتها، للمدة من ١- ٢/ ٥/ ٢٠٢٤، بعدها قسّمت فقرات الاستبانة تبعًا لأحاديث الإمام عليّ عليه السلام من حيث السلوك التهذيبيّ (الحوار والاتصال، الأخلاق والعلاقات العامّة) .

هدفت الدراسة إلى قياس أثر السلوك التهذيبيّ عند المشاركين .

أدوات الدراسة: برنامج SPSS، النسبة المئويّة، الانحراف المعياريّ، معاملات ارتباط سبيرمان براون .

Abstract

The study was conducted on a sample of (200) participants (100 males and 100 females) holding a medical diploma or higher، employed in public sector health institutions in Babylon Province. The participants، aged 20 years and older، were selected based on various demographic variables (gender، educational attainment، and years of service. A modified version of the Etiquette Behavior Scale (Occupational and Social Etiquette) 2022 was applied. The questionnaire was distributed electronically via Google Forms to collect responses during the period from May 1st to May 2nd، 2024. Subsequently، the ques-

tionnaire items were categorized according to the Hadiths of Imam Ali (pbuH) regarding refined behavior، specifically focusing on (Dialogue & Communication، and Ethics & Public Relations).

The study aimed to measure the impact of refined behavior (etiquette) among the participants.

Study Tools: SPSS software، Percentages، Standard Deviation، and Spearman-Brown correlation coefficients.

Keywords: Etiquette Behavior، Imam Ali's Hadiths، Health Institutions، Statistical Analysis.

أمّا نتائج الدراسة:

١. حسب الجنس: لم يظهر وجود فرق معتدّ إحصائيًا عند الذكور و الإناث .

٢.حسب التحصيل الدراسي: لا توجد علاقة إحصائيّة بين مستوى التحصيل الدراسيّ وبين محورَي السلوك التهذيبيّ .

٣.حسب سنوات الخدمة:

أ. لم تظهر علاقة دالّة إحصائيًا بين تهذيب الأخلاق والعلاقات العامّة مع سنوات خدمة المشاركين، إذ كان معامل ارتباط P- Value (٠,١٦٦) عند مستوى دلالة (٠,٠٥).

ب. وجدت علاقة دالّة إحصائيًا بين علاقة تهذيب الحوار والتواصل مع سنوات خدمة المشاركين، إذ كان معامل ارتباط P- Value (٠,٠٤٩) عند مستوى دلالة (٠,٠٥)، أي كلّما زادت سنوات الخدمة زاد مؤشّر تهذيب الحوار و التواصل .

المقدمة

تتقدّم السيرة العطرة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أبجديّة المنظومة الأخلاقيّة للسلوك التهذيبيّ لكلّ المجتمعات بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله على وفق مفاهيم التشريعات الربانّية عنوانًا أساسيًا فوق كلّ العنوانات ومن دون منازع، بل تصدّرت ملامح شخصيّته الفذّة كقدوة حسنة تتربع على عرش على تلك المنظومة، وعلى النواحي الثقافيّة والأدبيّة والعلميّة والتربويّة والاقتصاديّة وغيرها، و كما أن السلوك التهذيبيّ بحدّ ذاته يستحسن وجوده كمؤثّر قويّ في ساحة الحياة لتُنتج لنا دروسًا معطاء وعبرة سمحاء، حتّى بات عطرها يشمّها الرائح والغادي والحاضر والغائب، ودليل ذلك نتاجاتها وآثارها القرآنيّة البلاغيّة التي كانت ومازالت البصمة الذهنية المرسّخة عند الأجيال، فضلًا على أنّها متنوّعة من حيث المعارف والسلوكيّات والمهارات، لغاية مثلى في أنْ تكون عِبرة ودروسًا إيجابيّة لكلّ القوميّات والطوائف.

ومن أهمّ الإنجازات التي حدثت في العصر الحديث هي ثورة المبادئ والقواعد الأخلاقيّة، إذ إنّ قادة تلك الثورات يمثّلون مجتمعاتهم وأصحاب رؤية ورسالة قيميّة عُليا عدّت فيما بعد الركن الأساسيّ لصقل شخصيّة الفرد نتيجة تطوّر العلاقات العامّة بين الأفراد والمجتمعات، ومن حيث تطوّر وسائل التكنلوجيا الحديثة وتعدد آفاقها ومستوياتها أصبح للإتكيت بابًا للذوق العامّ والسلوك المهذّب يُحتذى به أو ما يطلق عليه بالبروتوكول بمفهوم آخر.

والذوق الرفيع، أو السلوك الجيّد، والتعامل الحسن، ...الخ، تصبّ في معنى واحد وهو (الإتكيت)، وهو مصطلح حديث له أصل وجذور فرنسيّة[1]، ويعني البطاقة أو الرسالة أو الطرد في التعاملات الفرنسيّة (السلوك المهذّب) من أجل

(١) ينظر: فن الأتكيت والبروتوكول: ٢٠١٢.

التقيّد بالتعليمات المدونّة عليها من باب آداب اللياقة في حضرة الملك أو الوزراء أو الشخصيّات، لذا عدّ من المهارات الهامّة التي يمكن من طريقها إعطاء انطباع حسن وجيّد عن ذات الشخصيّة التي تطبّق مفرداتها، لذا يمكن أن نعرّفها بانها ((مجموعة من القواعد والمبادئ التي تنظّم المجاملات))[١].

ومن هذا المنطلق اتّجهت الدول المتحضّرة والمتطوّرة علميًّا و ثقافيًّا إلى تطوير منتسبي مؤسّساتها والشروع في تطبيق برامج تنمويّة تهذيبيّة لرفع قدراتهم وإمكانيّاتهم، وهذا يُسهم في إنجاح رسالتها وأهدافها بوجه جيّد وحسن، وبسبب تطوّر قواعد المنظمّة للعلاقات الدبلوماسيّة بين الأفراد، فقد جعلت من السلوك التهذيبيّ موضوعًا قيميًا هامًّا و حيويًا مستدامًا[٢]، باعتباره ينضمّ إلى البروتوكول الذي هو مجموعة من الضوابط أو القواعد التي تحدّد كيفيّة القيام بنشاط، كما عدّ ذا قيمة تنمويّة مثلى، حتّى بدأ يستقلّ بقواعده شيئا فشيئا ليصبح نظامًا رصينًا أو مجموعة أنظمة مستقلّة عن غيرها من الأعراف، مستمدّة التشريع من رسائل السماء وكذلك أحاديث القدوة الصالحة من الأنبياء أو أئمّة أهل البيت عليهم السلام أو الصالحين (رض)، ممّن وصلت إلينا آثارهم ومنجزاتهم بفضل عمليّة التدوين التتابعيّة و الذاكرة التاريخيّة، فضلًا على الكتب السماويّة، ففي القرآن الكريم كان محور موضوع بحثنا عن أثر أمير المؤمنين عليه السلام القرآنيّ، وهو من أهل البيت الذين اصطفاهم وطهّرهم ربّ العزّة بقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[الأحزاب: ٣٣].

ولم يعُد ذكرهم كنموذج تهذيبيّ مجرّد صدفة بل حتّى في يوم المباهلة تمّ

(١) الأتكيت فن السلوك الإنساني: ٢٠٠٨.
(٢) ينظر: فن الاتكيت: ٢٠١١.

التأكيد عليهم، قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[آل عمران: ٦١] .

لذا فإنّ خاتم النبيّين محمّد صلى الله عليه وآله هو القدوة في كلّ قول وفعل، وتهذيب شخصيّته وفق تجليّات ربّانية، إذ جعلت فيه أسمى خلاصة الصفات الحميدة فيه، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ((أنا أديب الله وعليّ أديبي))[1]، وهنا جاء اعتقادنا قناعة وجزمًا لا يختلف عليه اثنان لا من المخالفين ولا المؤالفين عن مركز الصّفاء والنّقاء والسموّ والخُلق الرفيع عند أهل البيت عليهم السلام .

فكلّ ما ذكر من الذوقيّات العامّة التي التزم أهل البيت عليهم السلام بها هي من مسمّيات مختلفة للسلوك التهذيبيّ (الإتكيت) في عصرنا الحالي، فلم يعد مجرّد موضوع ثانويّ أو وسيلة لا غاية لها أو آلة تطبيق لبرنامج محدّد، بل تعدّى ذلك ليشمل جميع المزايا النفسيّة والأسريّة والتربويّة والتعليميّة والاقتصاديّة والسياسيّة والثقافيّة بين المجتمعات والدول، وأصبح ضرورة ملحّة جدًّا في تنظيم بنود وقواعد وأسس صحيحة للقيم، حتّى بات سلوكًا إنسانيًّا عاليًا لتنظيم العلاقات والتواصل وحسن المعاشرة .

منهجيّة البحث:

بما أنّ منهجية بحثنا هي دراسة حالة تطبيقيّة تنمويّة لأدبيّات أمير المؤمنين عليّ عليه السلام مقترنة في أحاديثه الشريفة كنموذج حيّ معزّزة بآيات قرآنيّة، و تمّ تطبيق استبانة السلوك التهذيبيّ (الإتكيت) على عيّنة من موظّفي دائرة صحّة بابل للعام ٢٠٢٤، ولمعرفة نتائج الفروقات الإحصائيّة، وبصورة شموليّة أنّ ترجمة سلوك الأفراد والمجتمعات العامّة في معاملاتهم تعكس صورة اجتماعيّة سيّئة أو حسنة

(١) مكارم الأخلاق: ١٧ .

أمام الآخرين، لذا عليهم أن يهذّبوا أفعالهم وتصرّفاتهم وأقوالهم؛ لأنّها جزء من مكوّنات شخصيّاتهم، حتّى باتت فيما بعد أن تكون قواعد عامّة مفروضة عليهم أو يتأقلمون معها تنطبع بها ذواتهم وتجذب من بيئاتهم المكتسبة، سواء كانت من المحيط الداخليّ الذي يعيشون في كنفه مثل الأسرة أو المحيط الخارجي مثل الأصدقاء أو المجتمع، أو تكون وراثية عبر جينات الآباء والأجداد في سلسلة وراثيّة.

علمًا أنّ دافعيّة الفرد المهذّب لم تأت اعتباطًا أو من فراغ، وإنّما جاءت بفضل اكتساب تعلّمه عادات أو سلوكيّات جيّدة من محاكاة بعض الشخصيّات القدوة، منها تربويّة أو اجتماعيّة أو دينيّة أو سياسيّة أو علميّة... ألخ، علمًا أنّ السلوك التهذيبيّ نؤكّد ذكر بمصطلحات عديدة أهمّها (الإتكيت، البريستيج، الآداب العامّة، الذوقيّات، البروتوكول، المبادئ، الخصال الحميدة، آداب اللياقة، آداب المجالسة، حسن التصرّف ... إلخ)، ذلك كلّه يدخل ضمن معنى أو مفهوم واحد والخارج عن مألوفها يعدّ مشكلة جذريّة ومن الشواذّ و المخلّ بالآداب العامّة، وإن لم تعالج تصبح فيما بعد ظاهرة مستديمة تؤثّر سلبًا على سمعة الفرد أو الأسرة أو المجتمع أو الدولة، ومن الأمثلة الواقعيّة على الساحة الاجتماعيّة في تجسيد المهارات التهذيبيّة لدى بعض المشاهير من السياسيين والقادة في القرن العشرين اقتداءً بأدبيّات الأئمّة عليهم السلام: الزعيم الروحي للهند (غاندي)، ورئيس الوزراء الماليزي الأسبق (مهاتير محمّد)، والفيلسوف الفرنسيّ (روجيه غارودي)، والأمين العام للأمم المتّحدة (ستافان دي ميستورا)، والبابا فاتيكان الكنيسة الكاثوليكية (فرنسيس)، وغيرهم.

مشكلة البحث:

إنّ منظومة السلوك التهذيبيّ عمومًا ليست مشكلة كي نقف عندها لإصلاح خلل ما، لا أبدًا، بل إنّ المشكلة هي في السلوكيّات الغريبة (الدخيلة) عن خطّ القدوة المتّبعة والموروثة من السلف الصالح، التي أخذت منحًى آخر عن الذوق العام أو المنظومة القيميّة، فضلًا عن الأعراف والتقاليد الأصيلة.

لذا فإنّ ظهور مشكلة في السلوك الصحيح يقلق كلّ صاحب رسالة أخلاقيّة مهما انتمى إلى قومية أو دين أو مذهب أو بلد ما، باعتبار أنّ الإنسان الذي يفتقر إلى عدم معرفة قواعد السلوك الإنسانيّ القويم الممنهج الذي أوصى به ربّ العزّة في المنظور القرآنيّ وأكّده أئمّتنا الأطهار عليهم السلام ، يؤدي إلى ظهور مشاكل نفسيّة وتربويّة وأسريّة واجتماعيّة بين الجماعات والمجتمعات لا تحمد عقباها وتنذر بنذير شؤم في البلاد و العباد، و خير دليل على ذلك وصول الحال إلى ظواهر عديدة، ومن الأمثلة على ذلك كثرة الانفصال والطلاق والهجران بين الأزواج والتفكّك الأسريّ والحروب والصراعات بين الدول، وكلّها نذير شؤم و غضب الخالق للإنسان الذي هجر القرآن وترك العترة الطاهرة، وفي النتيجة سفك الدماء وانتهاك الحرمات وسلب الأموال وهدم الحضارات[1]، حتّى بات لعلماء الغرب القول الفصل في هذا الصدد، ومنهم روجرز كمفهوم يؤكّد ما سبق بأنّ غياب الإتكيت يهدّد بُنية الذات الإنسانيّة التي قد لا تتوافق مع سلوك الفرد، وهو رأي يحظى بإجلال وإكرام بإجماع العقلاء.

ومن هنا تبلورت مشكلة البحث الحالي إذ تظهر بالإجابة عن السؤال الآتي:
ما درجة السلوك التهذيبيّ لدى موظّفي دائرة صحّة بابل للعام ٢٠٢٤ ؟

(١) ينظر: الاتكيت فن السلوك الإنساني: ٢٠٠٨.

أهميّة البحث:

من أجمل السلوكيّات التهذيبيّة تحيّة الإسلام وفتح الحوارات بين الجماعات البشريّة عند عقد اللقاءات فيما بينها، وجاء في الخطاب القرآني ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾[النساء: ٨٦]، وهذا يطابق قول الإمام علي عليه السلام: ((إِذَا حُيِّيتَ بِتَحِيَّةٍ فَحَيِّ بِأَحْسَنَ مِنْهَا، وإِذَا أُسْدِيَتْ إِلَيْكَ يَدٌ فَكَافِئْهَا بِمَا يُرْبِي عَلَيْهَا، والْفَضْلُ مَعَ ذَلِكَ لِلْبَادِئِ))[١].

ومن هنا تبلورت فكرة تهذيب السلوك البشريّ في التعامل مع التحيّة أوّلًا وهي بوابة فتح الحوار والتعامل مع الآخرين، ناهيك عن المعاملة واللباقة في الحديث وإدارة الذات والوقت والمأكل والمشرب والمسكن وغير ذلك، كلّ هذه الجوانب الإنسانيّة تندرج تحت حقل (السلوك التهذيبيّ)، وذكر أيضًا في دراسة د. الراوي عن فنّ الإتكيت في القرآن الكريم[٢].

ومن محاسن الصدف لموضوع السلوكيّات بوجه عام اقترانها مع سلوكيّات (القائد الخادم)، إذ يمثّل قمّة الهرم تهذيبًا ممّن تتجلّى عنده صفات قيميّة مثلى في مستويات القيادة الخمسة التي تبدأ من المنصب الوظيفيّ، والقبول، والإنتاجية، وتنمية الأفراد، وتنتهي بالقمّة (القيادة) التي تعني بأن يتبعك الآخرون بسبب ما أنت عليه وما تمثّله[٣]، و ستترك إرثًا وأثرًا باعتبار صفات القائد التي هي التحليّ بالجوهر الثمين من الخلق الرفيع وليس بالمنصب، فما بالك بعليّ عليه السلام، فقد جسّد مضمون الآية قولًا وفعلًا ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي

(١) نهج البلاغة، حكمة ٦٢.
(٢) ينظر: فن الأتكيت في القرآن الكريم: ١١١٥.
(٣) ينظر: المستويات الخمسة للقيادة: ٢٣٤.

الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[القصص: ٨٣]، وكما قال عليه السلام : ((أمّا بعد، فقد جعل الله سبحانه لي عليكم حقًّا بولاية أمركم، ولكم عليّ من الحقّ مثل الذي لي عليكم، فالحقّ أوسع الأشياء في التواصف وأضيقها في التناصف، لا يجري لأحد إلّا جرى عليه، ولا يجري عليه إلّا جرى له))[١].

ورسالتنا قِيَمِيّة لكلّ متّعظ ((أنّ ما يمثّله كيانه هو التزامه الأخلاقي كجزء من المنظومة السلوكيّة أو الإتكيت والبروتوكول وهو المعيار الجوهريّ (أسلوب المعاملة) الذي تلتزم به تجاه الآخرين (الدين المعاملة)، وهذا يؤثّر سلبًا أو إيجابًا من الناحية الوظيفيّة حتّى على المؤسّسة التي ينتمي لها الشخص، أو العائلة التي يحمل سمعتها أو المنصب الذي يمثّله، أو العمل الذي يديره، أو يشرف عليه، أو يتابعه، وتعزيزًا لما سبق فقد ذكر ماكسويل في كتابه))[٢]، ما نوضّحه في المخطّط الآتي:

شكل رقم (١) يوضح المستويات الخمسة للقيادة عند ماكسويل.

(١) القيادة في الإسلام: ٣٤٣.
(٢) المستويات الخمسة للقيادة: ٢٣٤.

لذا أصبح القول الفصل في توضيح معالم من يتحلّى بالقيم الأخلاقية من غيره، باعتباره ملكة الفهم والوعي والادراك والاختيار والمعرفة [١]، كلّ ما ذكر يدخل في حيّز التأثير المرن عند الإنسان ذي السلوك الأكثر تأثيرًا في النتيجة، فكلّما كان تأثيره عالٍ بالآخرين كانت إنتاجيّته واستجابته أكثر[٢].

أمّا على مستوى البيئة الخارجيّة فهي ليست من ضمن سيطرة إدارة الأسرة، لها نصيب آخر، بحيث تدخل دور التدريب الإيجابيّ خارج المنظومة البيتيّة لتحتلّ آفاقًا واسعة في قياس آثر الإتكيت للمنظمات والدوائر الحكومية وغيرها، وكلّ ما هو ذو مصلحة ونفع عام للإنسان، حتّى بات يصبّ في فاعليّة الأداء المؤسّسي من أجل الحفاظ على سمعتها وجودة إنتاجها وتحقيق أهدافها وإلزام المنتمين إليها بتطبيق رسالتها باعتبارها أهميّة تنمويّة مثلى. فضلًا على أنّها تعدّ ذات منافع اقتصاديّة واجتماعيّة وتربويّة من جهة أخرى، وكذلك اهتمّت المؤسّسات بأن تكون جزءًا أساسيّا من معايير إدارة الجودة الشاملة للارتقاء بالاستثمار البشريّ على نحوٍ صحيح من طريق إقامة دورات وبرامج تدريبيّة تأهيليّة[٣]، و جوهر القول في نهاية المطاف أنّ من جملة مفاهيم التنمية البشريّة العامّة هو ما يستند على القواعد أو المبادئ؛ لأنّها اهتمّت بالإنسان وفي برمجة جوهره[٤]، وبمستوى تطوّر سلوكه في المراحل والمجالات كافّة، وفي نموّ قدراته وإمكاناته وطاقاته البدنيّة والعقليّة والنفسيّة و التربويّة والاجتماعيّة بوصفه الهدف الأسمى[٥]، وفي الختام تناولنا هذا

(١) ينظر: طاقة العقل الباطن: ٢٨.
(٢) ينظر: التأثير والاقناع: ٩٦.
(٣) ينظر: فن الاتكيت والبروتوكول: ١٠.
(٤) ينظر: دليل البرمجة اللغوية والعصبية: ١٤.
(٥) ينظر: التنمية البشرية في القرآن الكريم: ٦٣ .

الموضوع لأنّه يعدّ بحقّ مطلبًا علميًا و تربويّا و اجتماعيّا و وظيفيّا و تنمويّا فوق كلّ اعتبار آخر[١].

السلوك التهذيبيّ (الإتكيت) عند الإمام علي عليه السلام :

باتت الحاجة ملحّة وضروريّة حاضرًا ومستقبلًا من حيث تهذيب العنصر البشريّ تهذيبًا قويمًا ومطلبًا صحيحًا بوصفه القطب الرئيس الذي يعوّل عليه الآخرون في تحقيق غايات أخلاقيّة عُليا، إذ يحرص المختصّون ومنهم ما لمّح له د. طلال الكمالي [٢] على تحقيق مخرجات تنمويّة ((عند قياس نتائج الثقافة التنمويّة التي تعتمد اعتمادًا وثيقًا على مصاديق تحقيق مخرجات البروتوكول والتي تكون مبنيّة على تهذيب السلوك))[٣].

علمًا أنّه ذكر في إشارة واضحة للتهذيب السلوكيّ الأمثل مع نبيّ الرحمة والقدوة محمّد صلى الله عليه وآله كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[الحجرات: ٢] .

ومن هنا جاءت أهميّة الاتكيت ومفهومه بالنسخة الحديثة على أنّه مجموعة قواعد السلوك الرسميّة وغير الرسميّة المتحضّرة التي تستخدمها المجتمعات والدول في التعامل مع نظيراتها.

وفي اعتبار آخر نرى أنّ الأشخاص يحبّون أن يُعاملوا بتقدير واحترام من قبل الآخرين، وكسب ثقتهم لا يختلف عليه اثنان، بل عزّز من قبل الدين الإسلامي، فقد

(١) ينظر: مراحل العملية التدريبية: ٧٢ .
(٢) مؤلف كتاب التنمية البشرية في القرآن الكريم.
(٣) كن إنسانا مبرمجا ناجحا: ٧٤ .

أمر منطقيّا بكلّ ما تستحسنه العقول وتستسيغه، ونهى عن كلّ شيء تستقبحه العقول الذكيّة، كما أنّ الدين أمر بالآداب والأخلاق الإسلاميّة، التي من شأنها التأليف بين قلوب البشر وإزالة البغضاء والشحناء عنهم، قال رسول اللهﷺ: ((إنّما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق))[١] .

وربّما يعتقد بعض الناس اعتقادًا خاطئًا أنّ الدين الإسلامي مجرّد من الأسلوب (البروتوكولي) أو فنّ التعامل على وفق مفاهيم الإتيكيت السائدة والمعروفة في المجتمعات، بل ذهب الظنّ عند بعضهم بعيدًا ليقول إنّ مجتمعاتنا خالية من الالتزام في الإتيكيت، ولكن في الحقيقة هذا الكلام ظالم وباطل، إذ إنّ هنالك من الأحاديث النبوية وأئمّة أهل البيتعليهم السلام الكثير في هذا المضمار، إذ أكّدت وأشبعت مفهوم الأسلوب فنًّا وسلوكًا.

وهنا سنسلّط الضوء في دراستنا على جملة من السلوكيّات، منها وصايا ونصائح في أحاديث الإمام عليّعليه السلام معزّزة بالمنظور القرآنيّ، وهي بمثابة رسالة واضحة وقواعد ذهبيّة في التعاملات التربويّة والأسريّة والاجتماعيّة والمؤسّساتيّة، وسنتناول بعضها فيما يأتي:

١. في آداب التعامل مع الشخص المغرور:

الإمام عليّعليه السلام حريص جدًّا على مصلحة البشريّة، وهنا قال: ((وما المغرور الذي ظفر من الدنيا بأعلى همّته كالآخر الذي ظفر من الآخرة بأدنى سهمته))[٢]، وهذا يؤكّد سلوكيًّا ما جاء في كثير من الآيات القرآنيّة، منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[لقمان:١٨]،

(١) ميزان الحكمة: ٨٠٤.

(٢) موسوعة أحاديث أهل البيتعليهم السلام : ٩٥.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[فاطر: ٥].

٢. في آداب الصدق:

ومن أبلغ التعاملات بين البشريّة نجاةً هو حينما يكون التعامل مبنيّ بصدق قولًا وفعلًا، إذ عدّ هذا النوع من التعامل جزءًا من المنظومة الأخلاقيّة في السلوكيّات الحميدة التي أكّد عليها الشارع المقدّس، قال الإمام عليّ عليه السلام: ((الصدق أمانة، الكذب خيانة))[١]، وفي السياق ذاته يقابله المنطق القرآنّي، إذ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[التوبة: ١١٩].

٣.في تهذيب الأخلاق والعلاقات:

وفي هذا الجانب اهتم الإمام عليه السلام كثيرًا، وكان واضحًا في أحاديثه الشريفة عن مساعدة أحدنا للآخر وإبداء المساعدة والتعاون والعمل بروح الفريق، إذ قال: ((خير إخوانك من واساك، وخير منه من كفاك، وإذا احتاج إليك أعفاك))[٢]. وقد ذُكِر في القرآن الكريم من باب التعاون على فعل الخير وكلّ ما هو حسن، ونبذ التفرقة والعداوة والبغضاء، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[المائدة: ٢].

٤. في إدارة الوقت:

اهتمّ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في إدارة الوقت وأعطاه خصيصة في برمجة الحياة العامّة والخاصة، حتّى أظهره من أولويات العمل به، ودليل ذلك من كتابه لمالك الأشتر لمّا ولّاه مصر: ((وأمض لكلّ يوم عمله، فإنّ لكل يوم ما فيه، واجعل

(١) ميزان الحكمة: ١٥٧٣.
(٢) م.ن: ٤٦ .

لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت، وأجزل تلك الأقسام، وإن كانت كلّها لله إذا صلحت فيها النيّة، وسلمت منها الرعيّة))[١]. وفي المضمون نفسه ذكرت آيات قرآنيّة الوقت واهتمّت به وأكّدت الالتزام بالعمل الصالح، نذكر منها قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[العصر: ١-٣].

٥. في إتكيت إكرام الضيف:

ليس غريبًا عن تنظيم المعاملات بين المجتمع، ومنها المعاملات ذات الخصال التهذيبيّة في التعامل مع الضيف وإكرامه، وهذه بحدّ ذاته يُثاب المرء عليها؛ لأنّها من الحسنات المحمودة والطيبات المشكورة في الإسلام، إذ قال عليه السلام: ((من آتاه الله مالًا فليصل به القرابة، وليُحسن منه الضيافة))[٢]، وأيضًا قال الإمام الصادق عليه السلام: ((المكارم عشرة، فإن استطعت أن تكون فيك فلتكن: إقراء الضيف...))[٣].

وبالمعنى نفسه ذكر القرآن الكريم قصّة ضيف نبيّ الله إبراهيم عليه السلام، وكيف قدّم لهم الطعام إكرامًا لهم، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ* إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ* فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ* فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ﴾[الذاريات: ٢٤-٢٧].

٦. في آداب الحديث والحوار:

لا يتوقّع الكثير أنّ الكلام و الحديث بين الناس يخلو من المشاكل و المتاعب،

---

(١) ميزان الحكمة: ٣٤١٩.

(٢) نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد: ٩/ ٧٤.

(٣) موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام: ١١٨.

بل حتّى ذمّ اللسان في كثير من الأحيان لعدم التورّع، ومن هنا قال الإمام عليّ عليه السلام : ((الْكَلاَمُ فِي وَثَاقِكَ مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ، فَإِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ فِي وَثَاقِهِ، فَاخْزُنْ لِسَانَكَ كَمَا تَخْزُنُ ذَهَبَكَ وَوَرِقَكَ، فَرُبَّ كَلِمَة سَلَبَتْ نِعْمَةً وَجَلَبَتْ نِقْمَةً))[١]، وأيضًا قال عليه السلام: ((لا تَقُلْ مَا لاَ تَعْلَمُ، بَلْ لاَ تَقُلْ كُلَّ مَا تَعْلَمُ، فَإِنَّ اللهَ سبحانه قد فَرَضَ عَلَى جَوَارِحِكَ كُلِّهَا فَرَائِضَ يَحْتَجُّ بِهَا عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[٢].

أمّا في القرآن الكريم فقد حذّر من الكلام السيّء من باب أدب اللياقة في الحوار وانتقاء الألفاظ مع الآخرين، إذ قال تعالى: ﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾[النساء: ١٤٨]، وكذلك في مورد آخر قال تعالى: ﴿وَلا تَقفُ ما لَيسَ لَكَ بِهِ عِلمٌ إِنَّ السَّمعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنهُ مَسئولًا﴾[الإسراء: ٣٦].

٧. في إتكيت التعامل مع الأمل والاطمئنان:

وهذا الإتكيت يدخل ضمن الأطر النفسيّة والتربويّة والاجتماعيّة، وكذلك الوظيفيّة في التعاملات مع المهارات الحياتيّة كافّة، وقد قال عليه السلام: ((الأمل رفيق مؤنس»[٣]، وفي مورد آخر ((الآمال لا تنتهي))[٤].

أمّا على الصعيد القرآنيّ فقد قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنّ الْقُلُوبُ﴾[الرعد: ٢٨]، وقال: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾[الحجر: ٥٦].

---

(١) نهج البلاغة: ٣٢٢.
(٢) ميزان الحكمة: ٢٤٠٤.
(٣) غرر الحكم:١٠٤٢.
(٤) ميزان الحكمة: ١٠٢.

٨. في إتكيت التعامل مع الأكل والطعام:

في خاطرة اجتماعيّة مهذّبة تدخل ضمن دستور التعاملات مع الطعام والولائم والعزائم بين النسيج الاجتماعيّ، حيث قال عليه السلام: ((من كثر أكله قلّت صحّته، وثقلت على نفسه مؤنته))[١].

أمّا أثره في القرآن الكريم فنجد قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[المائدة: ٣١] .

٩. في آداب التعامل مع الزوجة:

ومن وصيّة أمير المؤمنين لابنه الإمام الحسن عليه السلام أنّه قال: ((إنّ المرأة ريحانة، وليست بقهرمانة، فإيّاك والتغاير في غير موضع غيرة، فإنّ ذلك يدعو الصحيحة إلى السقيم، والبريئة إلى الريب))[٢] ، ومن آداب حسن المعاملة بالمعروف في الخطاب القرآني قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فعسى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء:١٩] .

١٠. في آداب التعامل مع تنظيم الأمور:

في صورة بهيّة لتهذيب الإنسان سلوكيًّا في التعامل الأمثل مع تنظيم الحياة العامّة وأمورها أوصى عليه السلام قائلًا: ((أوصيكما، وجميع ولدي وأهلي، ومن بلغه كتابي، بتقوى الله ونظم أمركم))[٣]. وكذلك أشار الباري إلى تنظيم الحياة العامّة في قوله:

---

(١) ميزان الحكمة: ٨٨ .

(٢) بحار الأنوار: ٢٥٢ .

(٣) ميزان الحكمة: ٣٥٣٩ .

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[البقرة: ١٨٩].

١١. في آداب التعامل مع المجتمع (التعايش السلميّ).

في خاطرة اجتماعيّة ومحاكاة عمليّة لتهذيب السلوك الإنسانيّ في التعامل مع الآخرين قال الإمام علي عليه السلام: ((وضع أمر أخيك على أحسنه، حتّى يأتيك منه ما يغلبك، ولا تظنّنّ بكلمة خرجت من أخيك سوءًا وأنت تجد لها في الخير محملًا، وعليك بإخوان الصدق فأكثر من اكتسابهم، فإنّهم عدّة عند الرخاء، وجُنّة عند البلاء، وشاور في حديثك الذين يخافون الله، وأحبب الإخوان على قدر التقوى))[1]، وأمّا في الأثر القرآنيّ فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[الحجرات: ١٣]. لذا سنلخّص (السلوك التهذيبيّ) عند الإمام عليّ عليه السلام، كما في المخطّط الآتي:

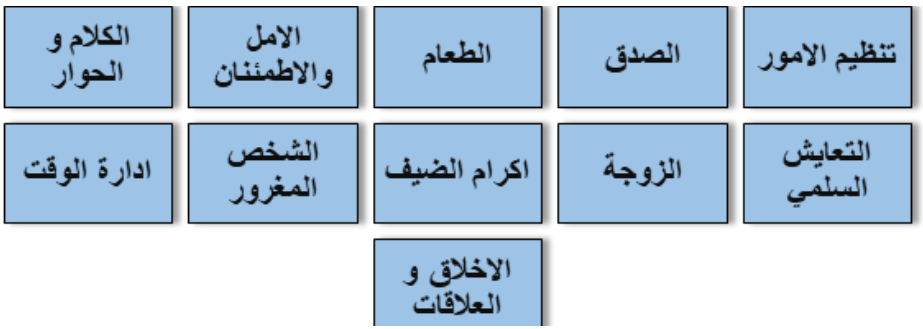

شكل رقم (٢) يوضّح آداب السلوك التهذيبيّ عند الإمام عليّ عليه السلام

وممّا تقدّم آنفًا من الأحاديث الشريفة للإمام علي عليه السلام، نجد أنّها تمثّل عنوانات

(١) بحار الأنوار: ١٨٧.

متنوّعة لاستبانات تنمويّة عن السلوك التهذيبيّ تنشقّ منها العديد من الأسئلة والفقرات، وتصلح كلّ واحدة منها أن تكون مرجعًا قِيَميًّا وأنموذجًا يُحتذى به، تدخل في دراسات وبحوث مستفيضة، كلّ ذلك من أجل تشخيص المشاكل التربويّة والاجتماعيّة والوظيفيّة وعلاجها، أمّا الآن فإنّنا سنقارن بين ما ورد سلفًا مع دراستنا الحاليّة معزّزة بالدراسات السابقة و نبيّن للمتتبّع وجه الارتباط مع الأثر القرآنيّ في سلوك أمير المؤمنين عليه السلام .

المصطلحات والتعريفات:

عُرّف السلوك التهذيبيّ أو الإتكيت بعدة تعاريف أهمّها: ما عرّفه الباحث د. كريم الموسويّ» هو الأداء او التصرف بمنتهى التهذيب والحساسية، أو هو آداب المعاشرة وقواعد التشريفات والاحترام» [١].

وفي سياق آخر تجسّدت المؤشّرات الأخلاقيّة كجانب أساسيّ إضافيّ للإتكيت، وكذلك ذكر في مجلة الإدارة والاقتصاد في كلية العلوم السياحية لجامعة المستنصرية من قبل الدكتور المشهدانيّ[٢] على أنّه: ((التغيرّات الحركيّة واللفظيّة الشعوريّة واللاشعوريّة الناتجة عن وجود مؤثّرات اجتماعيّة تحمل الفرد على القيام بنشاط سلوكيّ مرضيّ أو غير مرضي؛ لإشباع حاجات نفسيّة واجتماعيّة لموقف معيّن، كالبحث عن الراحة والمتعة، وهو كردّ فعل لسلوك العمل أو أعباء الحياة)) . أمّا المدرسة الفرنسيّة حسب مصدرهم الأجنبي فقد عرّفوه بأنّه: ((قواعد اللطف والرقّة والاحترام))[٣] .

---

(١) المراسم والاتكيت والتفاوض: ٣.

(٢) مجلة الإدارة والاقتصاد، العدد ١٠٩: ٢٠١٦.

(٣) xu et al: 18.

الإطار النظريّ:

سنستعرض أهمّ النظريّات التي تناولت في أدبيّاتها السلوك التهذيبيّ، ومنها:

١. النظريّة القرآنيّة[١]:

وهي أسمى وأهمّ النظريّات التي اهتمّت بصقل شخصيّة الإنسان أخلاقيًّا وتهذيبها سلوكيًّا، ووضعت منهاجًا وقواعد قِيَمية في كثير من مباني الآيات القرآنيّة الكريمة، مستمدّة التعاليم الربانيّة كمصاديق متعدّدة منها تربويّة وشخصيّة عُليا، حتّى بات الأمر مؤكّدًا في سور قرآنيّة من جرّاء تكرار مضامينها، وإن دلّ هذا على شيء فإنّه يدلّ على اهتمام الشرائع السماويّة جميعها بالثروة البشريّة كافّة من أجل تنظيم أمورهم، وتحثّهم على العمل الصالح والحسن، والاجتناب عن فعل المحرّمات والابتعاد عن الشبهات، والمحصّلة النهائيّة لعمل الإنسان هو الابتغاء في رضا الباري ورسوله على وفق تعاليمه وقوانينه كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[الإنسان: ٣].

٢. النظريّة الإسلاميّة[٢]:

من المسلّمات المعروفة في الشارع المقدّس أنّ المكوّن الأخلاقيّ يعدّ أحد مكوّنات الكتب السماويّة الأصل، بل يسعى للارتقاء بالنفس الإنسانيّة إلى درجة الكمال، فكذا الحال بالنسبة للشريعة الإسلاميّة في تعميق الأخلاق وإتمام مكارمها، حتّى صرّح النبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله بقوله: ((إنّما بعثت لأتمّم مكارم الاخلاق))[٣].

وفي السياق ذاته حرص الإسلام على إسعاد البشريّة عبر تهذيبها وتسليمها

---

(١) نظرية الهيمنة في القرآن الكريم: ٥٦٩ .

(٢) م.ن: ٥٨٢ .

(٣) بحار الأنوار: ١٦/ ٢١٠ .

كغاية ارتقاء عموديّة مع الخالق وأفقية التعامل مع المجتمع، باعتبار الأولويّة في دين الإسلام والمعاملات الإنسانية منها السلام والسماحة والمحبّة والاحترام والسمع والطاعة والتخطيط والتنظيم... إلخ، خدمة للبشريّة جمعاء، إضافة إلى أنّه دين تهذيبيّ حيويّ يرتّب علاقات الإنسان مع باقي الموجودات، وليس دينًا يدعو إلى إشاعة الفوضى والتمرّد وتهميش الآخر.

٣. النظريّة البنائيّة[١]:

وهي من إحدى نظريّات التعلّم الحديثة التي فسّرت سلوك الإنسان وحلّلت جذوره، إذ إنّ كلمة البنائيّة مشتقّة من البناء أو البنية، بمعنى الطريقة التي يُقام بها مبني، ويمكن معرفتها برؤية في نظريّة التعلّم ونموّ الطفل، لمعرفة نتيجة تفاعل قدراته الفطريّة مع الخبرة، إذ كانت محطّة أنظار المهتمّين في الشأن التربويّ في إعداد الاستراتيجيّات و النماذج التدريسيّة في كيفيّة توظيفها للطلبة في مراحل مختلفة، ومن أبرز المفكّرين والمؤسّسين لهذه النظريّة في المفهوم الحديث هو السويسري جان بياجيه، والروسي ليف فيغو تسكي، إذ ساهما في تطوير علم النفس التربويّ و التطوّر الإدراكيّ للطفولة .

٤. نظريّة السلوك المخطّط:

وهي نظريّة عامّة للسلوك البشريّ في أدب علم النفس الاجتماعيّ، تفترض أنّ السلوك البشريّ يمثّل الاختيار المعقول الواعي، ويتمّ تشكيله من طريق كلٍّ من (التفكير الإدراكيّ والضغوط الاجتماعيّة)،إذ توضّح أنّ السلوكيّات تعتمد على نيّة الفرد تجاه السلوك، وهنا يتمّ تعريف النيّة على أنّها المشاعر الإيجابيّة أو السلبيّة الكليّة للفرد فيما يتعلّق بالأداء أو التصرّف، ناتجة من محصّلة معتقدات في

(١) النظرية البنائية: ٢٠١٤.

مخيلة الفرد في ظروف ما بشأن العواقب المختلفة المترتّبة على هذا السلوك المشين أو التعزيز للدافع المعنويّ الحسن للسلوك الجيّد، ومن أبرز من فسّروا السلوك البشريّ وأسّس مدرسته النفسيّة الخاصّة به هو العالم الأمريكيّ جون واطسون.

٥. النظرية الوراثيّة(١):

وهي من النظريّات المركّبة علميًّا والحديثة، يؤمن أصحابها بتنوّع العلوم، وقد فاقت ما قبلها في كشف توارث الصفات الإيجابيّة أو السلبيّة من الآباء إلى الأبناء، كما تعدّ أكثر النظريّات قبولًا واستحسانًا من المهتمّين في مجال الطبّ والتربية والاجتماع؛ لأنّها تدرس علم الإنسان وعلم الفسلجة وعلم النفس وعلم الكيمياء الحيويّة وعلم البيئة، كما أنّها وضعت اللبنات الأولى للتفسيرات العلميّة الدقيقة عبر دراسة الجينات الوراثيّة وما تحملها من تراكم المعلومات والبيانات الكامنة، بشكل تفصيليّ، وقد أسهمت في مجال تفسير سلوك الإنسان وتشخيص أمراضه ومعالجة مشاكله.

٦. النظريّة الاجتماعيّة(٢):

تعدّ النظريّة الاجتماعيّة من النظريّات التي تدرس النتائج المترتّبة من سلوكيّات الفرد والمجتمع، بغضّ النظر عن اختلاف العقيدة والمذهب والعرق والدين، وتدعو إلى إعادة النظر بشأن السلوكيّات الدخيلة التي تُنذر بنذير شؤم على العباد والبلاد، فهي تدرس احتمالات المشاكل التي قد تواجه مجتمع ما في الحياة اليوميّة ويعاني منها، وتؤثّر على ديمومة التعايش السلميّ ولم تحافظ على طبيعته السلوكيّة، وتثمّن القيم والمبادئ التي يلتزم بها مجتمع آخر، وعلى سبيل المثال فقد

(١) الاكتئاب وعلاقته بصنف الدم: ٢٤.
(٢) النظرية الاجتماعية: ١٩٩٩.

اشتهرت بعض القبائل ولا سيما عشيرة طيّ (نسبة إلى عدي بن حاتم الطائيّ) قديما بالكرم والضيافة وتجسيد مكارم الأخلاق كجزء لا يتجزّأ من سلوكيّات نسيجها الاجتماعيّ، لذا فإنّ هذه النظريّة تؤمن بالعمليّات التنظيميّة في التعامل بين أبناء الجنس الواحد، وتعالج الظواهر غير المرغوبة في التهذيب السلوك المجتمعيّ عبر توصيات واستنتاجات تُرفع إلى المختصّين في هذا الشأن من أجل دراستها ووضع الحلول الناجعة للسيطرة عليها عن طريق إشاعة روح الثقافة القِيَمية، وسنّ بعض القوانين اللازمة، ولا ننسى بعض المشاهير من الشعراء الذين كتبوا عن مكارم الأخلاق وأخذت جزءًا من أدبيّاتهم ومآثرهم الثقافية و العلمية.

٧. النظريّة البيولوجيّة(١):

تعدّ هذه النظريّة من النظريّات التي حلّلت السلوك الإنسانيّ منذ القدم، وعلّلت تبيان نتائجه في اضطرابات النوم والطعام والسلوك، حتّى ذُكِر في نصائح ابن سينا كيفية مقاومة الهموم والمزاج السيّء وتقلّبات السلوك عند الإنسان، وقد رآها الفيلسوف هيبوقراط من قبل بمئات السنين كنتاج سوداويّ، باعتبار يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالسلوك أو بالفروق المزاجيّة نتيجة المؤشّرات السلبيّة البدنيّة (أعراض سلوكيّة)، وهذا يفسّر تفسيرًا وراثيًا من جهة، ومن جهة أخرى تفسيرًا فسيولوجيًا كيميائيًا، للذين يتصرّفون بسلوكيّات غير محمودة.

وسنوضّح مختصرًا لهذه النظريّات في المخطّط الآتي:

(١) الاكتئاب وعلاقته بصنف الدم:٢٦.

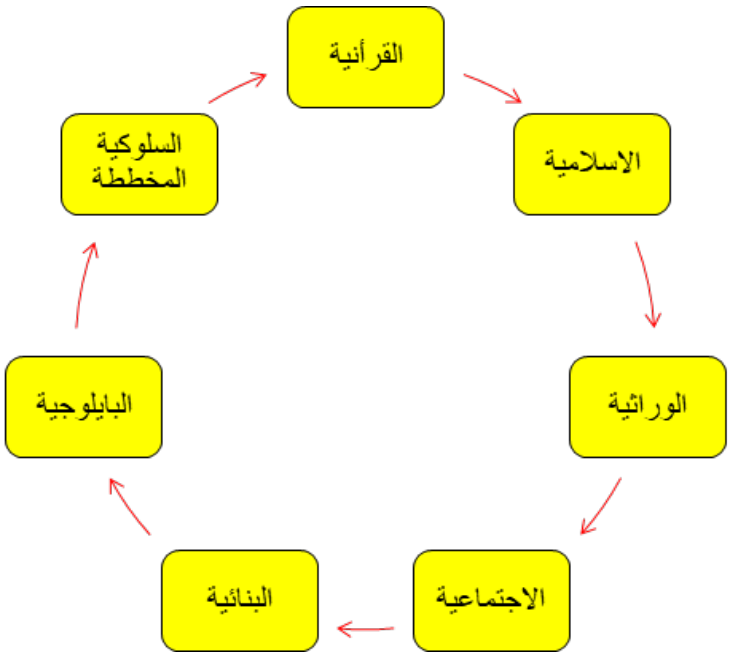

شكل رقم (٣) يوضّح أهم النظريات التي فسّرت السلوك التهذيبي

دراسة تطبيقيّة:

وبهذا الصدد دأبنا في عمل دراسة حالة عن الإتكيت الوظيفيّ أو الاجتماعيّ (السلوك التهذيبيّ) لعيّنة مسحيّة عشوائيّة تبعًا لبعض المتغيّرات (الجنس والفئة العمريّة والتحصيل العلميّ أو الـدراسيّ)، لمعرفة القواعد التي استندت إليها الدراسة في اختيار محاور الذوق العام، وكانت كالآتي:

هدف البحث:

يستهدف البحث ما يلي:

ما درجة السلوك التهذيبيّ لدى موظّفي المؤسّسات الصحيّة لدائرة صحّة بابل للعام ٢٠٢٤م، تبعًا للجنس والفئة العمريّة والتحصيل الدراسي وسنوات الخدمة.

الطرائق: مجتمع البحث

مجموعة موظفين من حملة شهادة الدبلوم الطبيّ فما فوق (ذكورًا وإناثًا) في المؤسّسات الصحيّة، ممّن تتراوح أعمارهم من ٢٠ سنة فما فوق، والبالغ عددهم (٢٠٠) للفترة من ١-٢/ ٥/ ٢٠٢٤، تمّ أخذ العيّنات إجابات الاستبيان عبر الكوكل فورم في محافظة بابل.

عيّنة البحث

عيّنة مسحيّة من حملة شهادة الدبلوم الطبيّ فما فوق (ذكـورًا وإناثًا) في المؤسّسات الصحيّة لدائرة صحّة بابل للعام ٢٠٢٤م، ممّن تتراوح أعمارهم من ٢٠ سنة فما فوق، والبالغ عددهم (٢٠٠) مشارك (١٠٠ ذكر و١٠٠ أنثى) لمختلف مراحل التحصيل الدراسيّ وسنوات الخدمة الوظيفيّة في محافظة بابل، إذ تمّ توزيع استبانة مقياس الإتكيت الوظيفيّ أو الاجتماعيّ المعدّلة لهم إلكترونيًا من أجل الإجابة على فقراتها.

التحليل الإحصائيّ

تمّ إدخال البيانات إلكترونيًا باستخدام برنامج SPSS، إذ تمّ تطبيق الوسط الحسابيّ والانحراف المعياريّ وكذلك تحليل التباين بين المتغيّرات؛ لمقارنة درجات المتدرّبين والجنس والفئة العمريّة ومستوى التحصيل الدراسي وسنوات الخدمة.

أداة البحث

تمّ تطبيق استبانة مقياس الإتكيت الوظيفيّ أو الاجتماعي وهي تحتوي على ٢٠ فقرة، لتبيان الحالة المعنويّة والسلوكيّة التي يتحلّى بها مجتمع العيّنة، على أن تكون الإجابة بصدق وشفافيّة وما يتوافق مع شخصيّة المُستَبين، إذ تمّ إعدادها عام

٢٠٢٢ م، من قبل د. ماجد عبد جواد كاظم – جامعة بغداد/ كليّة الآداب[١]، وتمّ التعديل عليها لتتناسب مع نوع العيّنة ... وهي كالآتي:

مقياس الاتكيت الوظيفي أو الاجتماعي

الجنس: التحصيل الدراسي :

العمر: الحالة الاجتماعية :

السكن: سنوات الخدمة :

اختر ما يتوافق مع شخصيتك بصدق وشفافية، مع وضع علامة (√) امام الفقرة المناسبة مع الاحترام

ت	الفقرة	دائما	غالبا	أحيانا	نادرا	أبدا
١	أشعر أنّني إيجابي في التعامل مع الآخرين					
٢	أحرص على عدم استعمال اساليب التعالي والغرور					
٣	أستخدم السلوك الإيجابي بحل مشكلات المجتمع					
٤	أشعر أن الاتكيت فن السلوك الانساني					
٥	أسعى لتحسين مهامي المجتمعية					
٦	أشارك الاخرين افراحهم وتقديم التهاني لهم					
٧	أهتم بسعادة المجتمع					
٨	انظر للحياة نظرة ايجابية					
٩	الصدق يؤدي الى الانسجام مع الاخرين					
١٠	لديّ القدرة على تقبل الاخرين كما هم					
١١	أهتم بالإتكيت لأنه فن العمل					
١٢	أهتم بحسن التصرف في الظروف المفاجئة					
١٣	أهتم بالجلسة الاجتماعية مهما تكن الظروف					
١٤	أشعر انني مقبول من الاخرين					

(١) مجلة كلية الاداب، المجلد (٢)، العدد ١٤١، ٢٠٢٢ م.

١٥	أحافظ على تنظيم الوقت					
١٦	اهتم بتقدير الضيوف وأرحب بهم					
١٧	لديّ شعور بالأمان					
١٨	احافظ على مواعيد الاتصال بالهاتف					
١٩	أهتم بالصور والمخططات لإيصال الفكرة					
٢٠	أهتم بتوجيه الحديث الى الهدف المنشود					

***إتكيت قليل = ٢٠ -٤٦**

***إتكيت متوسط = ٤٧ ــ ٧٣**

***إتكيت عال = ٧٤ ــ ١٠٠**

حيث ان:

دائما = ٥ درجات

غالبا = ٤ درجات

أحيانا = ٣ درجات

نادرا = ٢ درجة

أبدا = ١ درجة

النتائج:

١. من حيث متغيّر الجنس

شملت الدراسة المسحيّة (٢٠٠) مشاركًا (١٠٠ ذكر و١٠٠ أنثى)، نسب المشاركين من حيث الجنس كما موضّح في المخطّط (١).

مخطّط (١): نسب المشاركين حسب الجنس

شكّلت الإناث النصف بين المشاركين، إذ بلغت نسبة الذكور إلى الإناث:[1]، علمًا أنّه تم احتساب درجات المتدرّبين من (١٠٠) نقطة، وتمّت مقارنة الدرجات بين الذكور والإناث من خلال الإحصائيّات ولم يظهر وجود فرق معتدّ إحصائيًا عند الذكور وكذلك الإناث إذ إنّ:

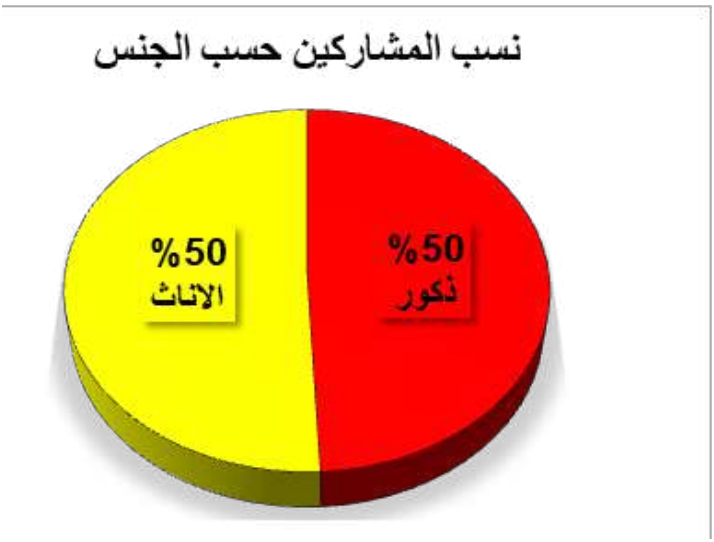

وكما في الجدول (١).

جدول (١): درجات المشاركين حسب مفاتيح التصحيح

تقسيم المشاركين حسب مفاتيح التصحيح والدرجات، كما في الجدول الآتي:

المفاتيح	الدرجات	العدد	النسبة
اتكيت ضعيف	٢٠ -٤٦	٣	٪١،٥
اتكيت متوسط	٤٧ – ٧٣	١٢	٪٦
اتكيت عالي	٧٤ – ١٠٠	١٨٥	٪٩٢،٥
		٢٠٠	٪١٠٠

(١) الاحصائي زيد ستار عبد العباس، دائرة صحة بابل.

المخطط رقم (٢)

الذي يمثل تقسيم المشاركين حسب مفاتيح التصحيح والدرجات.

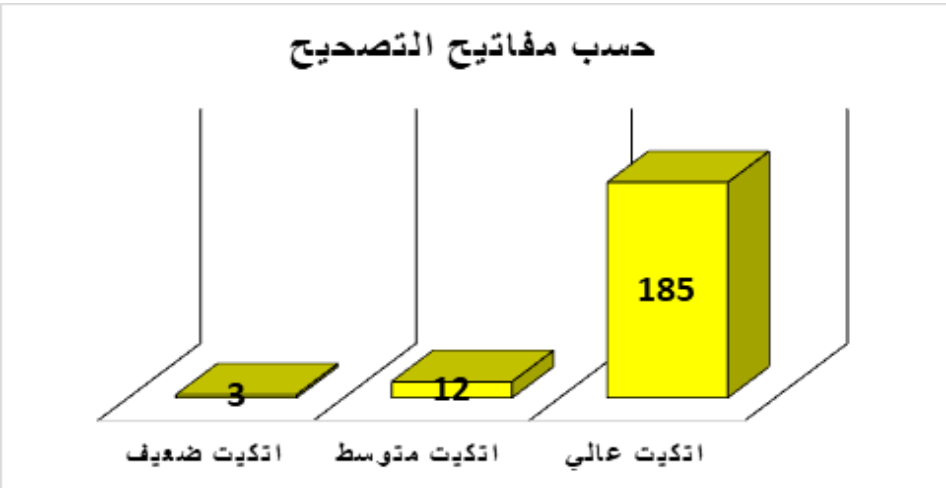

٢-متغير العمر

بصورة عامّة فقد كشفت دراستنا أن لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متغيّر العمر ودرجات مؤشّر السلوك التهذيبيّ، بمستوى دلالة (٠,٧٥٦).

وكما في الجدول رقم (٢)، حسب الفئة العمريّة وكالآتي:

الفئة العمرية	العدد	النسبة
٢٠-٣٠ سنة	٥٠	٪٢٥،٥
٣١-٤٠ سنة	٦١	٪٣٠
٤١-٥٠ سنة	٤٩	٪٢٤،٥
٥١-٦٠ سنة	٣٠	٪١٥
اكبر من ٦١ سنة	١٠	٪٥
المجموع	٢٠٠	٪١٠٠

المخطّط رقم (٣) يبين نسب الفئة العمريّة مع عدد المشاركين

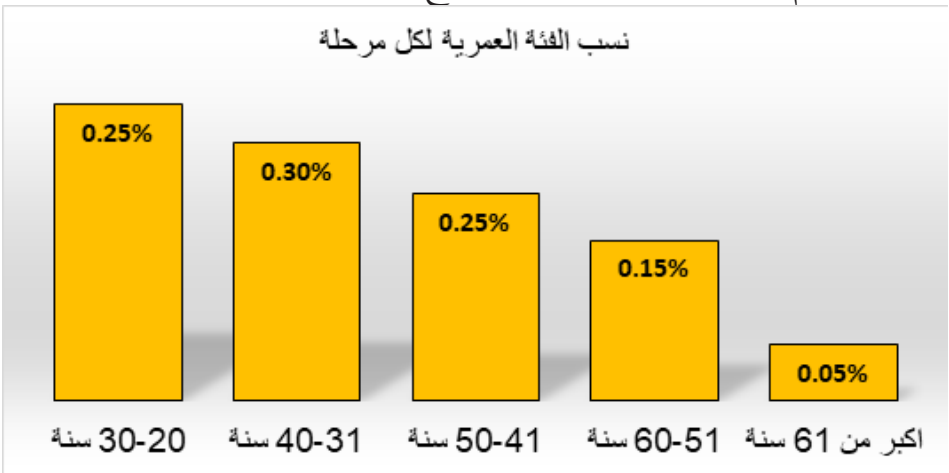

٣. التحصيل الدراسي

التحصيل الدراسي للمشاركين في القطاع العام وكما في الجدول (٣):

التحصيل الدراسي	العدد	النسبة
دبلوم	٥٠	٢٥٪
بكالوريوس	٧٠	٣٥٪
دراسات عليا	٨٠	٤٠٪
المجموع	٢٠٠	١٠٠٪

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين محوري السلوك التهذيبي، عند مستوى دلالة (٠,٢٥٨).

والمخطط رقم (٤) يمثل نسب التحصيل الدراسي للمشاركين:

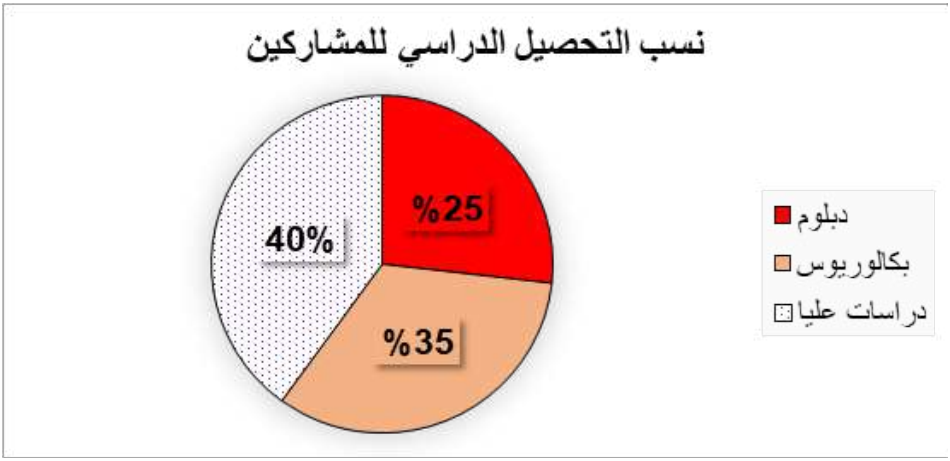

٤. تبعًا لسنوات الخدمة للمشاركين (الموظفين) في المؤسّسات الصحيّة

كما في الجدول رقم (٤):

سنوات الخدمة	العدد	النسبة
١-٥ سنوات	٦٣	٪٣١،٥
٦-١٥ سنة	٥٢	٪٢٦
١٥-٢٥ سنة	٤٤	٪٢٢
اكثر من ٢٦ سنة	٤١	٪٢٠،٥
	٢٠٠	٪١٠٠

أ. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائيّة بين تهذيب الأخلاق والعلاقات العامّة مع سنوات خدمة المشاركين، في مستوى دلالة (٠,١٦٦).

ب. توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين علاقة تهذيب الحوار والتواصل مع سنوات خدمة المشاركين، في مستوى (٠,٠٤٩) عند مستوى دلالة (٠,٠٥)، فكلّما زادت سنوات الخدمة زاد مؤشّر تهذيب الحوار والتواصل.

المخطّط ادناه رقم (٥) يمثل نسب سنوات الخدمة لكل المشاركين

(الموظفين) في المؤسّسات الصحية:

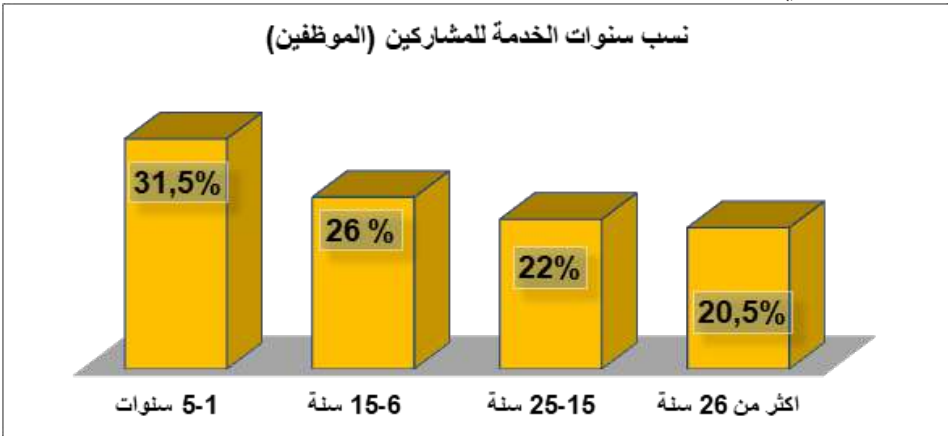

٥. تبعاً للسلوك التهذيبي في أحاديث الامام علي عليه السلام من حيث محور تهذيب الحوار والتواصل وكذلك محور تهذيب الأخلاق والعلاقات العامة وكما يلي:

جدول رقم (٥)

المحور	فقرات الاستبيان
تهذيب الحوار والتواصل	٤،٥،٦،٩،١٠،١٣،١٥،١٨،١٩،٢٠
تهذيب الأخلاق والعلاقات العامة	١،٢،٣،٧،٨،١١،١٢،١٤،١٦،١٧

أ. تهذيب الأخلاق والعلاقات العامة مع سنوات خدمة المشاركين

سنوات الخدمة	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى دلالة
١-٥	٦٣	٣٠,٥	٣,٦	
٦-١٥	٥٢	٢٩,٧	٤,٨	
١٥-٢٥	٤٤	٣٠,٧	٢,٩	٠,١٦٦
٢٦ فما فوق	٤١	٣١,٢	٢,٤	
المجموع	٢٠٠	٣٠,٥	٣,٦	

ب. تهذيب الحوار والتواصل مع سنوات خدمة المشاركين

سنوات الخدمة	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى دلالة
١-٥	٦٣	٥٤,٧	٧,٢	
٦-١٥	٥٢	٥٢,٤	٨,٧	
١٥-٢٥	٤٤	٥٥,٦	٤,٤	٠,٠٤٩
٢٦ فما فوق	٤١	٥٥,٠	٥,٤	
المجموع	٢٠٠	٥٤,٤	٦,٩	

الاستنتاجات:

في ضوء ما سبق فقد استنتجنا ما يلي:-

١. أنّ المشاركين من مختلف الفئة العمريّة ليس لهم فروق ذات دلالة مع السلوك التهذيبي.

٢. أنّ المشاركين من مختلف التحصيل الدراسي (العلمي) ليس لهم فروق ذات دلالة مع السلوك التهذيبي.

٣. أنّ المشاركين من مختلف سنوات الخدمة الوظيفية ليس لهم فروق ذات دلالة مع محور تهذيب الأخلاق والعلاقات العامة.

٤. أنّ المشاركين من مختلف سنوات الخدمة الوظيفية وجدت لهم فروق ذات دلالة مع محور تهذيب الحوار والتواصل فقط بدرجة عالية، فكلّما زادت سنوات الخدمة زاد مؤشّر تهذيب الحوار والتواصل.

التوصيات

وعلى ضوء ما جاء من نتائج البحث، يوصي الباحثان بما يلي:

١. أنّ ظهور النتائج الإيجابيّة بين سنوات الخدمة الوظيفيّة وبين مؤشّر السلوك التوكيديّ لتهذيب الحوار والتواصل، تبيّن الحاجة الماسّة لدعم المحاور السلوكيّة الأخرى معنويًا ومهاريًا، وتجسيدها وظيفيًا مع الحفاظ على تلك القيم وديمومتها.

٢. ضرورة فتح آفاق مهنيّة مع مؤسّسات تدريبيّة أو منظّمات المجتمع المدنيّ لتدريب الموظّفين على تعزيز السلوك التوكيديّ.

٣. تشجيع الموظّفين المتميّزين بالسلوك التوكيديّ العالي على برمجة أقرانهم معرفيًا ومهاريًا.

٤. دعم الموظّفين على إجراء بحوث علميّة نفسيّة، أو تربويّة، أو إسلاميّة، ورفع نتائجها وتوصياتها إلى الجهات ذات العلاقة، بغية النهوض في موضوعات التنمية المستدامة.

٥. منح الموظّفين المتميّزين سلوكيًا من قبل مؤسّساتهم بهدايا عينيّة أو ماديّة عند ارتفاع مؤشّر أداء الجودة الوظيفيّ في التعامل المهنيّ أو الاجتماعي.

المقترحات:

استكمالًا للبحث يقترح الباحثان ما يأتي:

١. إضافة متغيّرات أخرى لمؤشّر التهذيب السلوكيّ من أجل عمل بحوث شاملة تضمّ عوامل ديمغرافية أخرى مثل الحالة الاجتماعيّة ومحلّ السكن، لمعرفة العلاقة الإحصائيّة فيما بينها.

٢. بناء استبانة لمؤشّر التهذيب السلوكيّ شاملة لكلّ أحاديث الإمام عليّ عليه السلام في نهج البلاغة، كونها تمثّل مركزيّة الإنسان بالنسبة لتهذيب سلوكه.

٣. بناء استبانات مقنّنة عن أنواع السلوك ومنها (الأسري والاجتماعي و التربوي ... إلخ)، من قبل مختصّين في علم الاجتماع أو علم النفس أو العلوم الإسلاميّة أو التنمية البشريّة ... إلخ، متضمّنة فقرات تفصيليّة من أحاديث الإمام عليّ عليه السلام معزّزة قرآنيًا، مثل السلوك التهذيبيّ (التحيّة، الطعام، التواصل، الحوار، الأسرة، الجار، الوصية، الأصدقاء، المعاملات، القضاء .. إلخ).

٤. نشر البحوث والدراسات التطبيقيّة (الإجرائيّة) الخاصّة بالسلوك في مجلات علميّة مهنية محكّمة ويكافئ أصحابها بجوائز ماديّة، كونها تستهدف جوهر الإنسان سلوكيًا وفكريًا، ونفسيًا وتربويًا، وتحديد مشاكله والبحث عن حلولها الناجعة.

المصادر:

أ. العربية:

*القرآن الكريم.

١. الأتكيت فن السلوك الإنساني، رفعت عارف الضبع، دار الفكر، عمان، ط١، ٢٠٠٨.

٢. الاكتئاب وعلاقته بصنف الدم، حسنين صادق عبكه، دار الصفاء للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٠.

٣. بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠١٧.

٤. التأثير والإقناع، دي ماكلاناتشان، مكتبة جرير، الرياض، ط١، ٢٠١٧.

٥. تجاوز مستويات الوعي، ديفيد هاوكينز، دار الخيال للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٧.

٦. التدريب القيمي، مهدي العلمي، دار يافا العلمية النشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١٥.

٧. تفسير الأمثل، مكارم ناصر الشيرازي، مؤسسة الأعلمي للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٦.

٨. التنمية البشرية في القرآن الكريم، طلال فائق الكمالي، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، كربلاء، ط١، ٢٠١٥.

٩. دليل المدرب البرمجة اللغوية والعصبية، محمد صالح حسوني، مطابع دائرة العيادات الطبية الشعبية للطباعة والتصميم، بغداد، ٢٠١٢.

١٠. دليل مقيم جودة التدريب، اتحاد المدربين العرب، عمان، ٢٠١٧.

١١. شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن هبة الله، شرح ابن أبي الحديد، مكتبة المرعشي النجفي، قم، ١٩٨٥.

١٢. طاقة العقل الباطن، خالد فرحات، دار هلا للنشر والتوزيع، الجيزة، ط١، ٢٠١٥.

١٣. فن الأتكيت في القرآن الكريم، محمد رافع لابد الراوي، بحث كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة الفلوجة،٢٠٢٣.

١٤. فن الأتكيت والبروتوكول، عبد الفتاح محمد رضوان، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١٢.

١٥. فن الأتكيت، المعهد التطويري للموارد البشرية، النجف، ٢٠١١.

١٦. كن إنسانا مبرمجا ناجحا، حسنين صادق عبكه، دار الصفاء للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٢٢.

١٧. مجلة الإدارة والاقتصاد، د. خليل إبراهيم المشهداني وآخرون، جامعة المستنصرية، كلية العلوم السياحية، بغداد، العدد ١٠٩، ٢٠١٦.

١٨. مراحل العملية التدريبية، مدحت أبو نصر، المجموعة العربية للتدريب والنشر، ٢٠١٨.

١٩. المستويات الخمسة للقيادة، جون سي ماكسويل، مكتبة جرير الرياض، ط١، ٢٠١٥.

٢٠. مقياس الأتكيت الوظيفي أو الاجتماعي، ماجد عبد جواد كاظم، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٢٢.

٢١. مكارم الاخلاق، الشيخ رضي الدين أبي نصر الحسن بن المفضل الطبرسي، مكتبة الالفين للطباعة والنشر، الكويت، ١٣١٤ هـ.

٢٢. موسوعة أحاديث أهل البيت، الشيخ هادي النجفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٣. ميزان الحكمة، محمد الريشهري، دار الحديث، قم المقدسة، ط١، ١٩٨٣.

٢٤. النظرية الاجتماعية، أيان كريب، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط١، ١٩٩٩.

٢٥. النظرية البنائية، عادل بن مساعد الرشيدي، بحث كلية التربية، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٥ .

٢٦. نظرية الهيمنة في القرآن الكريم، طلال فائق الكمالي، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، كربلاء ط١، ٢٠١٦.

ب. المصادر الأجنبية:

1. Xu، G.، Chen، Y.، & Xu، L. (2018). A Concise History of WesternCultures. In Introduction to Western Culture (pp. 1-24) Palgrave Macmillan،Singapore .

عَلِيٌّ عليه السلام.. قَيِّمُ القرآن

الشيخ محمد مصطفى مصري العاملي

الملخّص:

لقد اتَّفقت كلمةُ المسلمين على نقل وَصِيَّة النبيِّ صلى الله عليه وآله بالكتاب المنزَل عليه، وبعترتِه الطاهرة، أهل بيته عليهم السلام.

هي وصيةٌ مشهورةٌ معروفةٌ يحفظها الصِّغار والكبار، ينقلُ بعضَ فقراتها مُسلمُ في صحيحه: ((أَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ الله.. وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ الله فِي أَهْلِ بَيْتِي))[1].

وقد تكرَّرَت وصيَّته صلى الله عليه وآله بالثَّقلين مرارًا، حتّى قبيل انتقاله إلى ربّه تعالى، حين خاطبَ صلى الله عليه وآله أصحابَه فقال: ((إِنِّي مُخَلِّفٌ فِيكُمْ كِتَابَ الله (عَزَّ وَجَلَّ) وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَرَفَعَهَا فَقَالَ: هَذَا عَلِيٌّ مَعَ القُرْآنِ، وَالقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ، خَلِيفَتَانِ بَصِيرَانِ، لَا يَفْتَرِقَانِ حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ، فَأَسْأَلُهُمَا مَا ذَا خُلِّفْتُ فِيهِمَا))[2].

إنَّ المعيَّةَ هنا مُتبادَلَةٌ بين عَلِيٍّ والقرآن، فكلٌّ منهما مع الآخر، حيثُ أنَّ كلَّ واحدٍ منهما يُمَثِّلُ الحقَّ المطلق، والحقُّ لا يفارقُ الحقَّ بحال.

وفي هذا البحث نعرض لمحاور أربعة، تُبَيِّنُ التلازُمَ بين عليٍّ عليه السلام والقرآن،

---

(١) صحيح مسلم: ٧ / ١٢٢ ح٢٤٠٨.

(٢) الأمالي للطوسّي: ٤٧٩ .

وتكشف عن انحصار الهداية وحياة القلوب بالأخذ عنهما معًا، مع التحذير من هجرانهما، وبيان الوجه في توقُّف فهم القرآن بأبعاده الواسعة على تَرجُمانه: عليٍّ عليه السلام.

الكلمات المفتاحية: عليّ، قيّم القرآن.

Abstract:

Muslims have unanimously reached a consensus on narrating the Prophet's (pbuh) testament regarding the Revealed Book and his pure progeny، the Ahl al-Bayt (pbut). This well-known testament، memorized by young and old alike، is partly narrated in Sahih Muslim: "I am leaving among you two weighty things: the first of them is the Book of Allah... and the members of my household (Ahl al-Bayt); I remind you of Allah concerning the members of my household."

The Prophet (pbuh) repeatedly emphasized this testament of the "Thaqalayn" (the two weighty things)، even shortly before his passing، when he addressed his companions saying: "I am leaving behind among you the Book of Allah (Az-za wa Jal) and my progeny، my Ahl al-Bayt." Then، taking Ali (pbuh) by the hand and raising it، he said: "Ali is with the Qur'an، and the Qur'an is with Ali; they are two insightful successors that shall not separate until they return to me at the Pond (Al-Hawd)، and I shall ask them how they were treated after me."

This "conjunction" (Ma'iyyah) is reciprocal between Ali and the Qur'an; each is with the other، as both represent Absolute Truth، and truth never parts from truth. This research presents four themes demonstrating the inseparability between Ali (pbuh) and the Qur'an. It reveals that guidance and the "life of hearts" are exclusive to adhering to both together، while warn-

ing against abandoning them and clarifying why understanding the vast dimensions of the Qur'an depends on its interpreter and spokesperson (Tarjuman): Ali (pbuh).

Keywords: Ali (pbuh)، Values of the Qur'an (Qayyim al-Qur'an).

المحور الأوّل: عليٌّ والكتاب خليفتان بصيران

إنَّ في حديث النبيِّ صلى الله عليه وآله المتقدِّم ما يستحقُّ التأمُّل، فَعَليٌّ والقرآن في كلامه صلى الله عليه وآله: (خَلِيفَتَانِ بَصِيرَانِ، لَا يَفْتَرِقَانِ)! يُدركُ المؤمنُ بعقله الذي جعله الله زينةً لهُ ونورًا امتناع اجتماع خليفتين معًا، فكيف تَرَكَ النبيُّ صلى الله عليه وآله -وهو أعظم العقلاء وسيِّدُهم- للنَّاس خليفتين معًا؟ ولو كانا بصيرين؟!

يتأمَّلُ المؤمنُ فيفهم أنَّ المانع من اجتماع الخليفتين معًا هو تزاحُمُهُما عندَ فعليَّة خلافتهما، ويتيقَّن من لزوم انحصار الرئاسة والقيادة بواحدٍ ولو كانا معصومَين مُطَهَّرين، لضمان انتظام الإمامة. أمَّا لو كان أحَدُهُما ناطقًا، والآخرُ صامتًا، كان الناطق الذي أُمِرَ النَّاسُ باتِّباعه هو الإمامُ باطنًا وظاهرًا، وارتفعت غائلة التناقض.

لذا أجاب الإمام الصادق عليه السلام لمّا سئل: تَكُونُ الأَرْضُ وَفِيهَا إِمَامَانِ؟

بقوله: ((لَا، إِلَّا إِمَامٌ صَامِتٌ لَا يَتَكَلَّمُ))[1]، أي لا يتصدّى، وهكذا كان الحسينُ إمامًا في حياة الحسن عليه السلام، لكنَّ النُّطقَ كان للحسن عليه السلام، وإنْ أُمِرَ الناسُ بالإيمان بهما معًا. وهكذا ساغَ للنبيِّ صلى الله عليه وآله أن يترُك خليفتين بَصيرين معًا: عَليٌّ.. والقرآن، حيثُ يلزم أن يكون أحدُهُما صامتًا والآخر ناطقًا.

---

(١) بصائر الدرجات:١ / ٤٨٦ .

الكتاب الصامت

إنَّ في القرآن الكريم ما في الصُّحُفِ الأولى، وما يحتاجُ النّاس إليه من حلالٍ وحرام، إلا أنَّهُ ليس كتابًا ناطقًا، وقد قال عليٌّ عليه السلام: ((ذَلِكَ القُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ، وَلَنْ يَنْطِقَ لَكُمْ! أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ: إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا مَضَى وَعِلْمَ مَا يَأْتِي إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَحُكْمَ مَا بَيْنَكُمْ، وَبَيَانَ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ، فَلَوْ سَالتُمُونِي عَنْهُ لَعَلَّمْتُكُمْ))[1].

كلُّ ذلك في القرآن، لكنَّهُ لا يُنطَق به، بل الناطق به عليٌّ عليه السلام! والكاشف لأسراره صِنوُه في الخلافة، إمامُ الحقّ، وخليفة الرحمان. لقد قال عليه السلام في القرآن الكريم: ((هَذَا كِتَابُ الله الصَّامِتُ، وَأَنَا المُعَبِّرُ عَنْهُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ الله النَّاطِقِ، وَذَرُوا الحُكْمَ بِكِتَابِ الله الصَّامِتِ، إِذْ لَا مُعَبِّرَ عَنْهُ غَيْرِي))[2].

لقد أشارَ عليه السلام هنا إلى معنىً دقيق، وهو أنَّ القرآن الكريم يحتاجُ إلى مَن يكشفُ مبهماته، ويُظهِرُ علومَه، ويُعَبِّر ما فيه ويُبَيِّنَه للناس، وليس سوى عليٍّ عليه السلام، وعليه يُحمَلُ كون القرآن صامتًا.

أمّا ما روي عنه عليه السلام في كون القرآن ناطقًا: ((وَكِتَابُ اللهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، نَاطِقٌ لاَ يَعْيَا لِسَانُهُ))[3]، وأنَّه: ((يَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْض))[4]، وأنَّه كلام الله: ((الصَّادِق النَّاطِق))[5]، فمحمولٌ على المحكَمات التي لا تحتاجُ إلى تبيين، ففي القرآن مُحكمٌ بَيِّنٌ يلهجُ بالحقِّ جليًا، ومنه ما يحتاجُ إلى تبيين، فلا يكونُ القرآنُ صامتًا في المُحكمات، ولا يكون ناطقًا في غيرها. وعلى هذا المعنى يُحمل قوله عليه السلام :

---

(١) الكافي:١ / ٦١ .
(٢) العمدة لابن بطريق: ٣٣٠ .
(٣) نهج البلاغة الخطبة: ١٣٣ .
(٤) المصدر نفسه: ١٣٣ .
(٥) الكافي: ٢ / ٥٩٧ .

((فَالقُرآنُ آمِرٌ زَاجِرٌ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ))[١]، ويشهدُ لهذه المعاني ما ورد في كتب اللغة حول معاني النُّطق والصمت، بحيث يتضح أنَّ أقرب المعاني لتفسير القرآن بأنّه صامتٌ هو تضمّنه للمتشابهات، ففي معجم مقاييس اللغة: ((الصاد والميم والتاء أصلٌ واحد يدلُّ على إبهامٍ وإغلاق))[٢]، فالإبهام والإغلاق، أي: عدم إمكان الوصول إليه بيُسرٍ هو صفةٌ قريبةٌ من المتشابه، الذي لا يمكن معرفة المراد منه لكلّ أحدٍ كيفما اتّفق، إلّا بِرَدِّه إلى المحكم. وأقرب المعاني لتفسير الناطق هو البَيِّن، وهو الآيات المحكمات: ففي كتاب العين: ((نَطَقَ النَّاطِقُ يَنْطِقُ نَطْقاً، وهو مِنْطِيقٌ بليغ. والكتاب النَّاطِقُ: البيّن))[٣]، وفي المحيط في اللغة: ((الناطِقُ: البَيُنِّ))[٤].

وبهذا يتّضح أنّ القرآن صامتٌ من جهة متشابهاته، ناطقٌ من جهة محكماته، وأنّ متشابهاته التي كان فيها صامتًا، يبينها عليٌّ عليه السلام، فيكون بها ناطقًا، فصار عليٌّ عليه السلام كتاب الله الناطق.

إنَّ علمَ ما مضى وما يأتي مودَعٌ في القرآن الكريم، لكنَّه يحتاجُ إلى مُعَبِّرٍ هو عليٌّ عليه السلام، فيكون القرآن الكريم صامتًا عن ذلك، ولقد كان القرآن صامتًا في كثيرٍ ممّا اختلف فيه الناس أيضًا، بمعنى احتياجه لمن يوضّح لهم ما اختلفوا فيه، كما كان ناطقًا فيما اتَّفقوا عليه، وفيما كان جليًّا بَيِّنًا وإن لم يعمَلوا به، كلزوم طاعة أولي الأمر المعصومين عليهم السلام.

---

(١) نهج البلاغة الخطبة: ١٨٣ .
(٢) مقاييس اللغة: ٣ / ٣٠٨ .
(٣) العين: ٥ / ١٠٤ .
(٤) المحيط في اللغة: ٥/ ٣٢٨ .

عليٌّ قيِّمُ القرآن

مِن ههنا أدرَكَ أعاظمُ فقهاء الشيعة النسبة بين عَليٍّ والقرآن، حتّى عَرَضَ الشيخ الجليل الفقيه منصور بن حازم (رحمه الله) مناظرته مع المخالفين على الإمام الصادق عليه السلام، فترَجَّمَ الإمام عليه مقرًّا له على أقواله.

لقد أدرك رحمه الله أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله كان حجّة الله، وأنَّه ترك بعده حجةً لهم، وهذا الحجّة إن كان هو القرآن بنفسه فهذا لا يستقيم مع اختلاف الناس في الاستدلال بالقرآن، قال رحمه الله: ((فَنَظَرْتُ فِي القُرْآنِ فَإِذَا هُوَ يُخَاصِمُ بِهِ المُرْجِئُ وَالقَدَرِيُّ وَالزِّنْدِيقُ الَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِهِ حَتَّى يَغْلِبَ الرِّجَالَ بِخُصُومَتِهِ، فَعَرَفْتُ أَنَّ القُرْآنَ لَا يَكُونُ حُجَّةً إِلَّا بِقَيِّمٍ، فَمَا قَالَ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ كَانَ حَقّا... فَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيّا عليه السلام كَانَ قَيِّمَ القُرْآنِ، وَكَانَتْ طَاعَتُهُ مُفْتَرَضَةً))[1].

أي إنَّ أصحاب العقائد الباطلة قد يحتجّون بالقرآن الكريم على عقيدتهم، ثمّ يعجزُ مَن يقابلُهم عن ردِّ دعواهم مع بطلانها، وما ذاك إلّا لعجزه عن فهم القرآن، ولأنَّ القرآن صامتٌ لا يمكنُ له أن يبيِّن المراد من آياته حقًا، بل يحتاجُ إلى من يدفع عنه تلبيسات الأبالسة. ولمَّا لم يَكُن عندَ أحدٍ معرفةٌ بكلِّ القرآن سوى عليٍّ عليه السلام، بل لم تُدَّعَ مِثلُ هذه المعرفة التامَّة لأحدٍ سواه في طول التاريخ، ثبت أنَّ هذا المنصب له.

فهو عليه السلام قَيِّمُ القرآن، أي مُقيمُ أمره، ومُبَيِّنُ علمه، وهو المحيط بشؤونه، والكاشف لغوامضه، والمبيّن لمتشابهه، وناسخه ومنسوخه، وهو الدالّ على بطونه، والمظهر لعلومه، فليس القرآن مع تمام عظمته بمستغنٍ عن الإمام المعصوم.

---

(١) الكافي: ١ / ١٦٩ .

الاحتجاج بالقرآن

ظهر بما تقدَّم أنّ هذين الخليفتين (عليٌّ والقرآن) وإن كانا (خَلِيفَتَانِ بَصِيرَانِ) فإنَّهما ليسا على سَمتٍ واحد، وطَرزٍ فارد، فأحدُهما لا ينطق إن استُنطِقَ إلّا بالآخر، وقد أوصى الخليفةُ الآخر وهو عليٌّ عليه السلام ابنَ عباس عندما أرسله للاحتاج على الخوارج، فقال: ((لاَ تُخَاصِمْهُمْ بِالقُرْآنِ، فَإِنَّ القُرْآنَ حَمَّالٌ ذُو وُجُوه، تَقُولُ وَيَقُولُونَ))[1].

ولمّا كان القرآن صامتًا يحتملُ وجوهًا، ولو بعيدةً، ولا يمكنه أن يدفع عن نفسه التوجيهات الفاسدة، إلا بِقَيِّمٍ، وكان الخوارجُ ممَّن لا يقبلون قيموميَّة القيِّم، لم يصلح الاستدلال عليهم بالقرآن، بل لزم الاستدلال عليهم بالسنّة الشريفة إن قبلوها، والناطق بهما عليٌّ عليه السلام. نعم لا يُخاصَمُ القومُ بالقرآن لمكان جحودهم، أمّا المنصفُ منهم فيقرُّ بفضل الأئمّة عليهم السلام من القرآن.

وهذا مختصٌّ بالمتشابه، الذي يحتمل الأوجه المختلفة، أمّا المحكم فممّا خاصَمَ به الأئمّة عليهم السلام وأمروا الشيعة بذلك، كما روي عن الباقر عليه السلام : ((يَا مَعْشَرَ الشِّيعَةِ خَاصِمُوا بِسُورَةِ (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ) تَفْلُجُوا، فَوَ الله إِنَّهَا لحُجَّةُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى الخَلْقِ بَعْدَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله، وَإِنَّهَا لَسَيِّدَةُ دِينِكُمْ، وَإِنَّهَا لَغَايَةُ عِلْمِنَا، يَا مَعْشَرَ الشِّيعَةِ خَاصِمُوا بِـ ﴿حم وَالكِتابِ المُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾، فَإِنَّهَا لِوُلَاةِ الأَمْرِ خَاصَّةً بَعْدَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله، يَا مَعْشَرَ الشِّيعَةِ يَقُولُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيها نَذِيرٌ﴾... لَمْ يَمُتْ مُحَمَّدٌ إِلَّا وَلَهُ بَعِيثٌ نَذِيرٌ.. فَإِنْ قُلْت: لَا، فَقَدْ ضَيَّعَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله مَنْ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ مِنْ أُمَّتِهِ، قَالَ: وَمَا يَكْفِيهِمُ القُرْآنُ؟ قَالَ عليه السلام: بَلَى إِنْ وَجَدُوا لَهُ مُفَسِّرًا، قَالَ: وَمَا فَسَّرَهُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله؟ قَالَ عليه السلام:

(١) نهج البلاغة الخطبة: ٧٧ .

بَلَى قَدْ فَسَّرَهُ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ، وَفَسَّرَ لِلْأُمَّةِ شَأْنَ ذَلِكَ الرَّجُلِ، وَهُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ))[1].

فمَن زعمَ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله لم يوصِ لأحدٍ أن يكون إمامًا من بعده فقد نُسب له صلى الله عليه وآله التفريط في هداية الأمَّة، وتضييع الأجيال القادمة؛ لأنَّ أحدًا لا يزعمُ أنَّ عنده تفسيرُ تمام القرآن، ولا يكون ذلك إلّا لإمامٍ منصوبٍ من الله تعالى يُبيِّنُ للناس، من بعد أن يكون النبيُّ صلى الله عليه وآله قد أرشد إليه وسمّاه وبيَّن أمره.

دلالة متبادلة بين القرآن والإمام

إنَّ بين الإمام والقرآن علاقةٌ بالغةُ الدلالة، بحيث يهدي كلٌّ منهما للآخر، ويُرشدُ إليه، ويدلُّ عليه.

أوّلاً: القرآن يهدي للإمام

لقد كشفَت آيات الكتاب عن هذه العلاقة، بحيث أنَّ الكتابَ نفسَه يهدي للخليفة البصير الناطق، قال تعالى: ﴿إِنَّ هذَا القُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[الإسراء:٩]، وقال فيها الصادق عليه السلام: ((يَهْدِي إِلَى الإِمَامِ))[2].

ولمّا سُئلَ عليه السلام عن وجه معرفة الإمام وبما يُعرَف، قال: ((بِكِتَابِ الله المُنْزَلِ))[3]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ الله﴾[الأحزاب:٦]، وقوله تعالى: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[الأنبياء:٧] بل إنَّ رُبع القرآن أو ثلثه نزل في آل محمد عليهم السلام، فما أكثر الآيات الدالّة عليهم، والمرشدة إليهم، والآمرة بالأخذ منهم.

بل إنَّ معرفة أمر الأئمّة عليهم السلام من القرآن من أوجب الواجبات، حِفظًا للنفس

(١) الكافي: ١ / ٢٥٠ .
(٢) م.ن: ١ / ٢١٦ .
(٣) م.ن: ١ / ٣٧٩ .

من السقوط في الفتن التي توالت على المسلمين، إذ لا شكَّ عند أحدٍ من المسلمين بصحّة الكتاب المنزل وحجيَّته، فمَن عرفَ أمرَهم من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل كان آمنًا من الهزاهز، ومَن جَهِلَ ذلك كان عرضةً لأن تُسقطه مضلّات الفتن، حتّى ورد عنهم عليهم السلام : ((مَنْ لَمْ يَعْرِفْ أَمْرَنَا مِنَ القُرْآنِ لَمْ يَتَنَكَّبِ الفِتَنَ))[1]، أي لم يجتنبها ويتباعد عنها، فيلزم أن يكون المؤمن على بيّنة من أمره في الإمامة، وأن يتمكَّنَ من معرفتها من القرآن الكريم، كمعرفتها من ليلة القدر وسواها من الأدلّة الجليَّة.

ثانيًا: الإمام يهدي للقرآن

لمَّا كان الإمام هو الناطق عن القرآن، والمُبَيِّنُ لأحكامه، كان دالًّا ومرشدًا إليه، حتّى ورد عنهم عليهم السلام : ((وَلِكُلِّ أَهْلِ زَمَانٍ هَادٍ وَدَلِيلٌ وَإِمَامٌ، يَهْدِيهِمْ وَيَدُلُّهُمْ وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى كِتَابِ رَبِّهِمْ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ))[2]، والإمام من آل محمدٍ: ((يُنْذِرُ بِالقُرْآنِ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ رَسُولُ الله))[3]، وقد قال الصادق عليه السلام في عليٍّ والقرآن: ((صَاحِبَانِ مُؤْتَلِفَانِ يَشْهَدُ كُلُّ وَاحِدٍ لِصَاحِبِهِ بِتَصْدِيقٍ))[4].

بهذا ثبت التلازم بين هذين الخليفتين، أحدُهما لا يفارقُ الآخر، وكلٌّ منهما يُرشِدُ إلى صاحبه، ولكنَّ أحدَهما لا ينطق إلّا بالآخر، فصار الناطقُ قَيِّمًا، وهو عليٌّ عليه السلام، وبنوه من بعده، الذين طهَّرَهم الله تعالى وعَصَمَهم وجعلهم مع القرآن، لا يفارقهم ولا يفارقوه، فمَن آمَن بالقرآن آمن بهم، ومَن كفر بهم كفر بالقرآن، ولهذا التلازم صحَّ أن يصفَ عليٌّ عليه السلام حال الأشقى فيقول: ((فَأَنَا الذِّكْرُ الَّذِي عَنْهُ ضَلَّ،

(١) الكافي: ١ / ٧ .
(٢) كتاب سليم: ٢/ ٨٨٥ .
(٣) الكافي: ١ / ٤١٦ .
(٤) بصائر الدرجات:١/ ٤١٣ .

وَالقُرْآنُ الَّذِي إِيَّاهُ هَجَرَ))[1]، فمَن ضلَّ عن عليٍّ وهجره كان الأشقى، وهكذا صار عَليٌّ قَيِّمَ القرآن، بل صار عَليٌّ هو القرآن حقًا.

المحور الثاني: عليٌّ والقرآن: سبيل الهداية وحياة القلوب

تعيشُ الأمَّةُ اليومَ في ظَلامٍ حالِكٍ، جَهلٌ وظُلاماتٌ وأحزانٌ وهمومٌ، لا تُفارِقُ الناس بحال، كيف ما نَظَرتَ على وجه الأرض ترى ظُلمًا وقَهرًا واضطهادًا واستعبادًا للعباد، حتّى يكاد يصير بعضُهم عبيدًا للظالم المقتَدِر، وقد جعلهم الله أحرارًا، ولا تشذُّ أمَّةُ الإسلام عن هذه الحالة المقيتة، وهي الأمة التي تؤمن بكتاب الله تعالى، كتاب الهدى والرشاد، فأين الهدى الذي تدَّعيه هذه الأمة؟ وبين أيديها كتاب الله، معجزة الرسول، وفيه أخبار السماء والأرض وأحكام الله تعالى. إنَّ كتاب الله نورٌ وهُدى، يأخذ بيد العباد، رغم ذلك لا نرى مصابيح نَيِّرَة في سماء المسلمين اليوم كما ينبغي! فأين مَكمَن الخلل؟!

الثقلان من أنوار الله!

يقول أمير المؤمنين عليه السلام وفي وصيّته لأصحابه: ((اعْلَمُوا أَنَّ القُرْآنَ هُدَى اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَنُورُ اللَّيْلِ المُظْلِمِ عَلَى مَا كَانَ مِنْ جَهْدٍ وَفَاقَةٍ))[2]. بالقرآن يسترشدُ المؤمنون، حيث ينتشلهم ممّا هم فيه من فاقةٍ وتَعَب، والمؤمن يتوجَّه إلى الله تعالى داعيًا طالبًا: أَنْ تَجْعَلَ القُرْآنَ:

١. نُورَ بَصَرِي
٢. وَرَبِيعَ قَلْبِي
٣. وَجَلَاءَ حُزْنِي
٤. وَذَهَابَ هَمِّي[3].

(١) الكافي: ٨ / ٢٨ .
(٢) م.ن: ٢ / ٢١٦ .
(٣) م.ن: ٢ / ٥٦١ .

لكنَّ **عمى البصيرة حَطَّ رحاله بين المسلمين**، وخريف القلوب السوداء يسيطر عليهم، والأحزان والهموم لا تفارقهم.

أمير المؤمنين يقول عن القرآن بأنَّه: جَعَلَهُ اللهُ.. نُورًا لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ، لكنَّ كثيرًا من حَمَلَةِ القرآن اليوم في ظَلام دامس! ويقول أنَّ الله أنزل الكتاب: نُورًا لاَ تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ، وأنَّه: لاَ تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إلاَّ بِهِ، ويأمر بالاستشفاء بنوره: وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ، ولا يرى جُلُّ الناس لهذا الأثر نورًا، فما السرُّ في ذلك يا تُرى؟!

في القرآن ﴿شِفاءٌ لِما فِي الصُّدُور﴾[يونس: ٥٧]، لكنَّ صدور المسلمين لم تُشفَ، وحاشى أن يخطئ الله تعالى في كلماته، يبحث المؤمن عن السرِّ في ذلك، فالقرآنُ كتابٌ في غاية العظمة، به تُكشَفُ الظلمات لا بسواه، فلماذا ما تزال الأمّة في ظلمات الجهل وهي تتلوه ليلَها ونهارَها؟! لماذا لم تهتدِ بأنواره؟ إنَّ السرَّ في مكانٍ غَفِلَت عنه الأمة أو تغافلت، وعَمِيَت أو تَعَامَت، إنَّ القرآن اليوم ليس حِكرًا على فئةٍ من الناس، فكلُّ مَن على وجه البسيطة يقدرُ على الانتفاع به، لكنَّ من استَنَارَ به واهتدى واسترشد هم أقلُّ القليل، ومَن أذهبَ القرآنُ همَّه هم قِلَّةٌ كالكبريت الأحمر. فما السبيل إلى بلوغ تلك المنزلة؟ والحظوة بهذه المنقبة؟ لا ريب أن القرآن نورٌ للبصر، إن استرشدنا به واهتدينا، ولكنَّ القرآن نفسه يرشد إلى نورٍ آخر هو الإمام، فمَن اهتدى به اتَّبَعَ النورين: نور القرآن ونور الإمام، ومَن جَحَدَ الإمام كان كمن أغمض عينيه عن نور القرآن. إنّ القرآن يهدينا للإمام، فكيف نتنوَّرُ به إذا ما رفضنا دلالته؟

إنَّ الأئمة في كتاب الله أنوارٌ أنزلها الله تعالى لتضيء للأمَّة ظُلُمَات الجهل، فقال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَه﴾[الأعراف: ١٥٧]، وعن الصادق عليه السلام :

((النُّورُ فِي هَذَا المَوْضِعِ عَلِيٌّ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ وَالأَئِمَّةُ))[1]، هم اثنا عشر إمامًا، يمثِّلون الكمال المطلق في عالم الوجود، هم أنوارٌ إلهيةٌ تأخذ بيد الناس إلى الله تعالى، لكنَّ الناس أعرضَت عنهم! قال تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِالله وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾ [التغابن:٨]، وعن الباقر عليه السلام: ((النُّورُ والله الأَئِمَّةُ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ))[2].

إنَّ على وجه الأرض اليوم نوران: نورُ القرآن، ونورُ الإمام، والقرآن يأمر باتّباع الإمام، فمَن لم يتَّبعه كان قد أغمضَ عينًا عن نور الإمام، ثمّ أغمض الأخرى بعدم اتّباع أمر القرآن، فصار في ظلامٍ دامس وجهلٍ مطبق.

شروط الهداية بالقرآن

كيفَ تسترشدُ الأمَّة بالقرآن؟ سؤالٌ يطرحه العاقل فيقول: إذا كانت أمَّة الإسلام اليوم غير مسترشدة بالقرآن وهو بين ظهرانيها، فما السبيل إلى كشفِ الظلمات به؟ وجلاءِ الأحزان وذهابِ الهموم؟ ما الطريق إلى حياة القلوب بالقرآن؟ لقد كشفَ النبيّ صلى الله عليه وآله وهو حاملُ القرآن خريطةً لذلك، وأبان المنهج جليًّا، وذلك في أمورٌ منها:

أولاً. اتّخاذ القرآن دليلًا واتّباعُه

قال صلى الله عليه وآله: ((فَإِذَا التَبَسَتْ عَلَيْكُمُ الفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ فَعَلَيْكُمْ بِالقُرْآنِ، مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ، وَهُوَ الدَّلِيلُ يَدُلُّ عَلَى خَيْرِ سَبِيلٍ))[3].

---

(١) الكافي: ١ / ١٩٤ .
(٢) م.ن: ١ / ١٩٤ .
(٣) م.ن: ٢ / ٥٩٩ .

إنَّ شرط الاستفادة من القرآن هو أن نجعله أمامنا، أي أن نتَّبعه فيما يقول، لكنَّ الأمّة جعلته خلفها، وأعرضت عنه وهو دليلُها إلى خير سبيل، ولقد روي بالمضمون نفسه عن النبيّ صلى الله عليه وآله في عليٍّ والأئمّة من بعده عليهم السلام، فقال صلى الله عليه وآله: ((تَعَلَّمُوا مِنْهُ وَمِنْ أَوْصِيَائِهِ، وَلَا تُعَلِّمُوهُمْ، وَلا تَتَقَدَّمُوا عَلَيْهِمْ، وَلَا تَتَخَلَّفُوا عَنْهُمْ، فَإِنَّهُمْ مَعَ الحَقِّ، وَالحَقُّ مَعَهُمْ لَا يُزَايِلُهُمْ وَلَا يُزَايِلُونَه))[1]. وقد حادَت الُأمَّةُ عنهما معًا، فأَخَّرَت من قدَّمَ الله، وقدَّمَت من أَخَّر الله، واستبدلَت أولياء الله بأعدائهم، فبايَنَت الحقَّ وحادَت عنه، وما اهتدَت بالقرآن الكريم.

ثمَّ وقعَ بعضُ المؤمنين بالأئمة عليهم السلام في هذا الشِّرك المُخيف، فتقدَّمَ بعضُهم على آل محمّد وتخلَّفَ آخرون، أمّا المتقدِّمُ، فهو المستعجل الذي يُريد بَعثَ دولة الحقّ قبل أوانها، وقد هلك المستعجلون وأهلكوا، حيثُ ينقلبُ فعلُهم زيادةً في مكروه الشيعة والمؤمنين، وكان حريًّا بهم أن يمتثلوا أمر الإمام بِتَرَقُّبِ أمره عليه السلام، والجدَّ والورع والاجتهاد، وأمّا المتخَلِّف، فذاك الذي يقول في الدين بهواه، وما أكثر هؤلاء اليوم، من القائلين في دين الله بغير عِلم، وكأنَّهم شركاء النبيِّ صلى الله عليه وآله في نبوته، ولعلَّ منهم العصاة، حيثُ تخلَّفوا بأعمالهم عن آل محمّدٍ عليهم السلام، وما أكثر المعاصي في أيّامنا، بعدما انتشر الفسادُ في كلِّ مفصلٍ من مفاصل الحياة، وتَخَلَّفَ الناسُ عن أمر آل محمّدٍ عليهم السلام باجتناب المعاصي، فأنَّى يسترشد هؤلاء بأنوار القرآن والعترة؟ وأنّى لهم النجاة من الفتن المقبلة كقطع الليل المظلم، وهم لم يعملوا بالقرآن ولا امتثلوا أمر أولياء الأمر؟!

ثانياً. التعرّف على القرآن وعلى أسراره

قال النبي صلى الله عليه وآله في وصف القرآن: ((فِيهِ مَصَابِيحُ الهُدَى، وَمَنَارُ الحِكْمَةِ، وَدَلِيلٌ

(١) الغيبة للنعماني: ٧٢ .

عَلَى المَعْرِفَةِ لِمَنْ عَرَفَ الصِّفَةَ))[1]، وفي بعض المصادر (النَّصَفَة)، فعلى الأوّل، يكون المراد أنَّ من يستفيد من القرآن كمصباحٍ ودليلٍ على الحقّ هو الذي يعرف صفة القرآن أو وصف القرآن للحقائق، أي من يتعرَّف عليه حقًا ليُدرك معانيه، وعلى الثاني، تنحصر الإستفادة بالمنصِفِ لا المكابر.

ولعلّ المراد بالصفة صفة القرآن من حيث احتوائه على المحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، والعام والخاص، والتنزيل والتأويل، والظهور والبطون، وغير ذلك. وعلى كلّ تقدير فلا تخلو العبارةُ من إشارةٍ إلى آل بيت العصمة، فربع القرآن أو ثلثه فيهم، وربعه في عدوهم، فمن عرف الصِّفة منه عرفهم بها بلا ريب.

وكما غُيِّبَ آلُ محمدٍ عن الأمّة، وجهلت الأمّة قدرَهم، كذلك جَهِلَت حقيقة القرآن وما فيه من علومٍ ومعارف، حتّى في مثل أوصاف الله تعالى، فكيف بسائر الصفات والعلوم؟ فَمِن مُشَبِّهَةٍ إلى مُجَبِّرَةٍ ثمَّ متصوفةٍ وعُرَفاء يصفون الله تعالى بصفات المخلوقين، وغيرهم ممّن جهلوا القرآن وزعموا القرب من الله تعالى.

ثالثاً. التفكّر بالقرآن والتعقُّل والتدبّر

قال الإمام الصادق عليه السلام : ((فَلْيَجْلُ جَالٍ بَصَرَهُ، وَلْيُبْلِغِ الصِّفَةَ نَظَرَهُ يَنْجُ مِنْ عَطَبٍ، فَإِنَّ التَّفَكُّرَ حَيَاةُ قَلْبِ البَصِيرِ))[2]، لا تحصل الهداية بلقلقة اللسان، ولا بحفظ ألفاظ الكتاب وتضييع معانيه، بل بتدبُّر آياته والتفكُّر فيها، فإنَّ النظر والفكر هو طريق الله تعالى، وبه الخلاص من العَطَب والهلاك، ولا يُصغى إلى من زعم أن لا دور للعقل في الدين، إنّ العقل عقلان:

---

(١) الكافي: ٢/ ٥٩٩ .
(٢) م.ن: ٢/ ٦٠٠ .

١. عقلٌ قطعي يُستدلُّ به على الله تعالى ورسله.

٢. وظنونٌ وأوهامٌ تُنسَبُ للعقل، يبرأُ منها الفِكرُ السليم، وتنهى عن اتِّباعها شرائع السماء.

ومَن خَلَطَ بين الأمرين وزَعَمَ أنَّ العقل حجَّةٌ في ظنونه وقع في المحذور، وأسوأ منه من أخرَجَ أحكام العقل القطعيَّة عن دائرة الحُجَّة فأفقَدَ الإنسانَ رأسَ ماله، وسَلَبَهُ ثمرةَ العقل الذي به يمتاز عمّا سواه.

إنَّ من مصائبنا أنَّ غالبَ مَن في الأمَّةَ قد أوكَلَ أمر التفكير إلى سواه! فاتَّبَعَ مَن خالفَ القرآن، وأعرض عن التفكُّر فيه.. فمات قلبه بموت عقله! حتى أنَّ رجلًا قال لأمير المؤمنين عليه السلام يومًا: ((إِنِّي قَدْ شَكَكْتُ فِي كِتَابِ الله المُنْزَلِ، لِأَنِّي وَجَدْتُ الكِتَابَ يُكَذِّبُ بَعْضُهُ، فقال له عليه السلام: إِنَّ كِتَابَ الله لَيُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَلَا يُكَذِّبُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَلَكِنَّكَ لَمْ تُرْزَقْ عَقْلًا تَنْتَفِعُ بِهِ، فَهَاتِ مَا شَكَكْتَ فِيهِ مِنْ كِتَابِ الله عَزَّ وَجَل))[1].

ولقد أجابه الإمام عن كلّ شبهاته، في أبوابٍ شتّى، وأثبَتَ أنَّ الفكر السليم هو طريقُ فَهم القرآن، وأنَّ التعقُّل هو سبيل الاستفادة منه، إنَّ من صفات الكتاب: أَنَّ الكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضًا، وَأَنَّهُ لاَ اخْتِلافَ فِيهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾[النساء: ٨٢]، وهكذا يتفكّر المؤمن في الكتاب، وفي كلام العترة الطاهرة، فيُرجِعُ المتشابه من كلام الله وكلامهم للمحكم، ويتيقن أنّ كلامهم يصدّق بعضه بعضًا، فيصيرُ من المهتدين.

رابعاً. عدم المغالاة في القرآن

لقد ابتُلِيَ القرآن الكريم كما العترة الطاهرة بقومٍ غالوا في حقيقته، فذهب

---

(١) التوحيد للصدوق: ٢٥٥.

بعضُهُم إلى أنَّ كلام الله أزليٌّ، كما ذهب النصارى إلى أن عيسى كلمة الله أزليٌّ، فاشترك القرآن مع آل محمدٍ في أنَّهُ أحد أبواب الامتحان الإلهيّ، وقد زعم المغالون من العامَّة أنَّه غير مُحْدَثٍ بل قديمٌ أزليٌّ كالله تعالى! حتّى قال الصادق عليه السلام: ((إِنَّ القُرْآنَ كَلَامُ الله مُحْدَثٌ.. غَيْرُ أَزَلِيٍّ مَعَ الله، تَعَالَى ذِكْرُهُ وَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً، كَانَ الله عَزَّ وَجَلَّ وَلَا شَيْءَ غَيْرَ الله))[1].

فمَن غالى بالقرآن الكريم ونفى عنه الحدوثَ خَرَج عن حقيقة التوحيد؛ لأنَّه زَعَم أنَّ القرآن قديمٌ كالله تعالى، ثمَّ غالى قومٌ بالأئمة عليهم السلام كما غالى قومٌ في القرآن، ونسبوهم إلى الألوهيَّة وانتقصوا من الله تعالى، فتبرَّأَ المؤمنُ من هؤلاء وهؤلاء، إذ لا ريب في أنَّ آل محمدٍ عبيدٌ لله تعالى، مخلوقون مربوبون.

خامساً. الإقرار بعظمة القرآن

ثمّ إنَّ الفئة التي غالت من هذه الجهة بالقرآن الكريم انتقصت منه من جهاتٍ أخرى، فلم تقرَّ بعظمته، إذ جعلته ككلام البشر في التفسير والفَهم، ففسّرته برأيها، لذا قال الإمام عليه السلام: ((إِيَّاكَ أَنْ تُفَسِّرَ القُرْآنَ بِرَأْيِكَ حَتَّى تَفْقَهَهُ عَنِ العُلَمَاءِ، فَإِنَّهُ رُبَّ تَنْزِيلٍ يُشْبِهُ كَلَامَ البَشَرِ وَهُوَ كَلَامُ الله، وَتَأْوِيلُهُ لَا يُشْبِهُ كَلَام البَشَرِ، كَمَا لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ يُشْبِهُهُ كَذَلِكَ لَا يُشْبِهُ فِعْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى شَيْئاً مِنْ أَفْعَالِ البَشَرِ، وَلَا يُشْبِهُ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِهِ كَلَامَ البِشْرِ.. فَلَا تُشَبِّهْ كَلَامَ الله بِكَلَامِ البَشَرِ فَتَهْلِكَ وَتَضِل))[2]. فإنَّ كلامَ الله تعالى وإن تركَّبَ مِن حروف كسائر الكلام، إلّا أنَّه لا يُقاسُ به شيءٌ من كلام الناس، ولا يشبهه شيء منه.

والقرآن مع كونه حجَّةً في ظواهره، إلّا أنَّ تفسيره بالآراء يخرجه عمَّا أراده الله

(١) التوحيد للصدوق: ٢٢٧ .
(٢) م.ن: ٢٦٥-٢٦٦ .

تعالى منه، ولقد انحرفت فئةٌ أوَّلَت كلام الله على هواها بعدما فسَّرته برؤاها، وغفلت عن أنّ بواطن القرآن لا تؤخذ إلّا من معادن العلم والحكمة، وكيف لها أن تأخذه من معدنه وقد ضَلَّت عنهم واستهانت بهم واستضعفتهم.

بعليٍّ والكتاب.. تحيا القلوب!

((تَعَلَّمُوا القُرْآنَ، فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الحَدِيثِ،وَتَفَقَّهُوا فِيهِ، فَإِنَّهُ رَبِيعُ القُلُوبِ))[١]، هذا حديثٌ للقرآن الناطق عليٍّ عليه السلام، يأمر فيه بتعلُّم القرآن الصامت، فالقرآن الكريم ليس كتابًا يُتلى فقط، إنَّهُ كتاب يُتَعَلَّم، ويُتَفَقَّه فيه، فيصير بذلك ربيعًا للقلوب، أي بمنزلة الربيع، والربيع هو الغيث والمطرُ، أو ما يحيا وينبتُ عند نزول الغيث، وكون القرآن كالغيث، يعني أنَّه به تحيا وتنتعش القلوب، ودونه تقسو وتموت، يقول عليه السلام في خطبة أخرى: ((فِيهِ رَبِيعُ القَلْبِ، وَيَنَابِيعُ العِلْمِ، وَمَا لِلْقَلْبِ جَلاَءٌ غَيْرُهُ))[٢]، وفي ثالثةٌ عنه عليه السلام: ((جَعَلَهُ اللهُ رِيّاً لِعَطَشِ العُلَمَاءِ، وَرَبِيعاً لِقُلُوبِ الفُقَهَاءِ، وَمَحَاجَّ لِطُرُقِ الصُّلَحَاءِ، وَدَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ))[٣]، يتأمَّلُ العاقلُ في هذه الأحاديث الشريفة، فيُدرك شيئًا من عظمة القرآن الكريم، لكنَّه لا يرى هذه الآثار عند كلِّ أحد؛ لأنَّها مخصوصةٌ بأهلِها، ومشروطةٌ بأخذ علم القرآن عن أهله، فليس كلُّ أحدٍ يفقه القرآن ويرتوي منه، إلّا أن يأخذه من أهله.

١. من هم أهل القرآن؟

عن أمير المؤمنين عليه السلام : ((إِنَّ عِلْمَ القُرْآنِ لَيْسَ يَعْلَمُ مَا هُوَ إِلَّا مَنْ ذَاقَ طَعْمَهُ، فَعَلِمَ بِالعِلْمِ جَهْلَهُ، وَبَصُرَ بِهِ عَمَاهُ، وَسَمِعَ بِهِ صَمَمَه، وَأَدْرَكَ بِهِ عِلْمَ مَا فَاتَ، وَحَيِيَ

(١) نهج البلاغة: ١٦٤ .
(٢) م.ن، الخطبة: ١٧٦ .
(٣) م.ن: ١٩٨ .

بِهِ بَعْدَ إِذْ مَاتَ، فَاطْلُبُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ خَاصَّةً قُرَّاءُ، فَاطْلُبُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ خَاصَّةً، وَأَئِمَّةٌ يُقْتَدَى بِهِمْ، وَهُمْ عَيْشُ العِلْمِ وَمَوْتُ الجَهْلِ، فَاعْقِلُوا الحَقَّ إِذَا سَمِعْتُمُوهُ عَقْلَ رِعَايَةٍ، وَلَا تَعْقِلُوهُ عَقْلَ رِوَايَةٍ، فَإِنَّ رُوَاةَ الكِتَابِ كَثِيرٌ، وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ))[1].

قرّاء القرآن اليوم كُثُرٌ، وليس جميعُهم ممَّن علم بواطنه، ولا ممّن حيا قلبه به، فلقد اسوَّدت قلوب كثيرٍ منهم وماتت؛ لأنَّهم ما أخذوا القرآن عمَّن ينبغي الأخذ عنه، ما عرفوا طعم القرآن وإن رَتَّلوه بألسنتهم. إنَّ من ذاقَ طعم القرآن يعرف كيف يُبَيِّنُه للناس، ومَن تعلَّمَهُ من المعصومين كان حقّا أن يُطلب القرآن منه، إذ لا يُطلب القرآن من عند كلِّ أحد، وليس صحيحًا أنَّ أصحاب النبيّ كالنجوم بأيّهم اقتدينا اهتدينا، فليس الجميعُ أنوارًا في سماء الهداية، بل هو خاصٌّ بأهل القرآن، فلايعقَلُ أن تحيا وتستنيرَ قلوبُ المؤمنين دون الأئمة الأطهار عليهم السلام؟ فإنَّ الأخذ منهم شرطٌ ليصير القرآن بابًا للهدى، وكما أنَّ القرآن نورٌ، فإنَّ الإمامَ نورٌ لقلوب المؤمنين، يقول الصادق عليه السلام: ((وَالله يَا أَبَا خَالِدٍ، لَنُورُ الإِمَامِ فِي قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ أَنْوَرُ مِنَ الشَّمْسِ المُضِيئَةِ بِالنَّهَارِ، وَهُمْ وَالله يُنَوِّرُونَ قُلُوبَ المُؤْمِنِينَ... وَالله يَا أَبَا خَالِدٍ، لَا يُحِبُّنَا عَبْدٌ وَيَتَوَلَّانَا حَتَّى يُطَهِّرَ الله قَلْبَهُ، وَلَا يُطَهِّرُ الله قَلْبَ عَبْدٍ حَتَّى يُسَلِّمَ لَنَا، وَيَكُونَ سِلْماً لَنَا، فَإِذَا كَانَ سِلْماً لَنَا سَلَّمَهُ الله مِنْ شَدِيدِ الحِسَابِ، وَآمَنَهُ مِنْ فَزَعِ يَوْمِ القِيَامَةِ الأَكْبَرِ))[2].

يحبُّ المؤمن آل محمّدٍ عليهم السلام، لكنَّ حبَّه ليس مُجَرَّدًا، بل حُبٌّ يستبطنُ موالاةً وطاعةً وتسليمًا مطلقًا وانقيادًا لهم عليهم السلام، إنَّ المؤمن يُسلِّمُ للمعصوم عليه السلام كما سَلَّمَ

(١) الكافي: ٨ / ٣٩٠-٣٩١.
(٢) م.ن: ١/ ١٩٤.

لله تعالى، فلا يحتجُّ على أمره، والمؤمن يُنزِلُ المعصوم في محلِّه، ولا يرفع سواهُ إلى منزلته، ولا يعامل غير المعصوم كما يعامل المعصوم مهما عظم شأن غيره، فإنَّ جميع المؤمنين مَوَالٍ لهم في الطاعة، شركاء في لزوم امتثال أمرهم، وكلَّما ازدادت معرفة المؤمن بآل محمد خلا من الحقد والحسد والاعتراض على الله تعالى، فصار من المُسَلِّمين لأمر الله، الراضين بقضائه، حينها تنقلبُ كلُّ شدَّةٍ عند المؤمن إلى راحة، ويثمرُ كلُّ أذىً طمأنينةً، فإنّه بعين الله الذي يرعى المؤمنين.

إنَّ صعوبات الأيّام ومشاكلها لا تنقضي، ولا يخلو منها عبدٌ لله، مؤمنًا كان أم كافرًا، لكنَّ المؤمن يصبر على بلاء الله، ويعلم أنَّ له عاقبةً طيِّبة فيرضى بقضاء الله وقدره، ويورثه ذلك سكينةً وراحةَ بالٍ مع كلِّ ما يصيبه من بلاء.

وغيرُ المؤمن يجزع لحوادث الليالي والأيام، ويخشى من يومه كخشيته من غده، ويسعى للخلاص بما يراه من أسباب مادية محضة، وتبزغ فيه نزعة الأنانية جليةً، وتزداد يومًا بعد يوم حتى يصير من أهل القلوب القاسية.

٢. الشيعة والإيمان

لقد استقرَّ الإيمان في قلوب الشيعة، بعد أخذهم القرآن من أهله، وتسليمهم لأولياء الله، إن قلب المؤمن: ((قَلْبٌ مَفْتُوحٌ، فِيهِ مَصَابِيحُ تَزْهَرُ، وَلَا يُطْفَأُ نُورُهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ))[1]، أيُّ مصابيح هذه؟ الأمرُ صار أوضح من الشمس في رابعة النهار، بالثقلين معًا، بالإمام والقرآن أزهرت قلوب المؤمنين.

إنَّ الأئمة ينوّرون قلوب الشيعة، فلا يُكتفى لنور القلب بالقرآن وحده ما لم يقترن مع عِدله، مع آل محمّد، لذا قست قلوب المخالفين، وانفرد المؤمن بأن صار من أهل القلوب النَيِّرة وحده، لا يشاركه فيه سواه.

(١) الكافي: ٢ / ٤٢٣ .

ظَلَّ الشيعة ينتظرون إمامهم، ويترقَّبون فرج الإمام الغائب، ولولا ترقُّبهم للإمام (لَقَسَتِ القُلُوبُ)، فبالأماني التي بذرها النبيّ والإمام فيهم، بعد الإيمان بالثقلين، حَيَّت قلوب الشيعة.

لقد ترك الثقلان أثرًا في الشيعة دون سواهم، فهم أهل هذه الآية: ﴿الله نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ الله﴾[الزمر: ٢٣]، إنَّهم يخافون الله تعالى، حتى تقشعرَّ جلودهم من خشيته، وإنهم يرجونه تعالى حتى تلين قلوبهم لذكره.

المؤمنون هم أصحاب القلوب المطمئنة اللَّينة، وغيرهم أصحاب القلوب القاسية، وقد قست قلوبهم لكثرة الذنوب، وأيُّ ذنبٍ أعظمُ من الإعراض عن إمام الزمان، الذي بيُمنه رزق الورى، وبوجوده ثبتت الأرض والسماء.

تَلينُ قلوب الشيعة لذكر الله تعالى، ثمَّ تلين لما وقع على آل محمد، بل تحترق جزعًا عليهم، فيترحم عليهم الإمام الصادق عليه السلام ويخاطب ربه قائلًا: ((وَارْحَمْ تِلْكَ القُلُوبَ الَّتِي جَزِعَتْ وَاحْتَرَقَتْ لَنَا))[1].

جَزِعَ الشيعة على آل محمّد كجزعهم على أنفسهم بل أشدّ، واحترقت قلوبهم ألمًا لما جرى على العترة الطاهرة، فأحياها الله تعالى برحمته، وأنارها بنور محمَّدٍ وآله، فصار المؤمنون من أهل القلوب الحيَّة، لمّا جمعوا بين الثقلين: كتاب الله وآل الرسول.

فالكتاب ربيع القلب، وبه جلاؤه، والإمام نور القلب، وبه حياته.

---

(١) الكافي: ٤ / ٥٨٣ .

المحور الثالث: عليٌّ.. قرآنٌ الله المهجور!

عن الإمام الصادق عليه السلام: ((إِنَّ الله جَعَلَ وَلَايَتَنَا أَهْلَ البَيْتِ قُطْبَ القُرْآنِ، وَقُطْبَ جَمِيعِ الكُتُبِ، عَلَيْهَا يَسْتَدِيرُ مُحْكَمُ القُرْآنِ، وَبِهَا نَوَّهَت الكُتُبُ، وَيَسْتَبِينُ الإِيمَانُ))[1]، كلماتٌ تأسُر الألباب، وتكشفُ عن سرٍّ من أسرار القرآن الكريم، بحيث صارت ولاية آل محمّد عليهم السلام (قُطبَه)، ويدورُ مُحكَمُ القرآن حولها!

إنَّ القُطبَ هو الأمر الذي يدلُّ على الجمع أو الاجتماع، لذا قيلَ (قُطب الرَّحَى) لما يَجمَعُ أمرَها وتدورُ حولَه، ويقال قطبُ القوم لسيِّدِهم الذي يلوذون به، والولاية لآل محمّدٍ هي قُطبُ القرآن والتوراة والإنجيل وسائر كتب السماء معًا، فكيف ذلك؟

قَد يُفسَّرُ ذلك، أو يُلازمه ما دلَّ على أنَّ إكمال الدين إنّما تمَّ بالولاية، فهي التي تَجمَعُ وتختزلُ أحكام الشريعة، وهي التي أخذ الله تعالى بها المواثيق على الأنبياء ليقرُّوا بها، ثمّ يبشِّروا بها أقوامهم ويأمروهم بتصديقها، وما دلَّ على أنّ القرآن بِهِم تُعرَفُ متشابهاته، وتُستجلى غوامضه، ويُكشفُ عن بطونه، وقد تتضمّن إشارة إلى أنَّ ما دلَّ على ولايتهم من القرآن هو آياتٌ محكماتٌ لا تحتمل اللبس والتأويل، بلغت الغاية من الوضوح وإن لم تُذكر أسماؤهم عليهم السلام فيه، أو أنّ التارك لإمامتهم تاركٌ للقرآن فعلًا، لأنَّ القرآن بمحكماته يأمر باتِّباعهم، فغير المتَّبع لهم غير متَّبعٍ للقرآن، فيدور الإيمانُ بالقرآن مدارَ ولايتهم وتصديقهم واتِّباعهم.

وَقَدْ أَمَرَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله أَنْ يُقْتَدَى بِالقُرْآنِ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَذَلِكَ حَيْثُ قَالَ فِي آخِرِ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا: ((إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ، الثَّقَلَ الأَكْبَرَ، وَالثَّقَلَ الأَصْغَرَ، فَأَمَّا الأَكْبَرُ فَكِتَابُ رَبِّي، وَأَمَّا الأَصْغَرُ فَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، فَاحْفَظُونِي فِيهِمَا، فَلَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا))[2].

---

(١) تفسير العياشي: ١ / ٥ .

(٢) م.ن: ١/ ٥ .

فكان القرآن والعترةُ بابين للهدى فتحهما الله تعالى لخلقه، وأرشدهم إلى لزوم اتِّباعهما، لينالوا بذلك المعالي في الدُّنيا والآخرة، لكنَّ المؤمنَ يتعجَّبُ من كثرة الناس الذين لم يستنيروا بنور القرآن الكريم، ولم يتَّبعوا آل محمدٍ عليهم السلام، أنوار الله تعالى في أرضه وسمائه، فيخالُ بعضُ الأحبَّة أنّ العيبَ في العلماء، حمَلَةِ رسالة الأئمّة عليهم السلام إلى الناس، ويبالغ ويغالي بعضهم حتّى يقول: لو كان هؤلاء العلماء قد أحكموا علومَهم، وأصلحوا أنفسهم، ونشروا تراثَ آل محمّدٍ عليهم السلام كما ينبغي لاتَّبَعَهم الناس، ولكنّهم أهل القصور والتقصير! حتّى أنَّ من المؤمنين من يتحامل على أهل العلم ويُحَمِّلُهم مسؤولية كلِّ انحرافٍ وخطأ ورِدَّةٍ في المجتمع.

وأهلُ العِلم وإن كانوا لا يُخرجون أنفسهم من حدِّ التقصير كما هو حال كلِّ مؤمن، إلّا أنّهم لا يتحمَّلون المسؤوليّة في كفر الكافرين، فإنَّ الناس على قسمين:

١. أهلُ الحق، أو الذين يطلبونه، وهم الذين يستنيرون بنور القرآن الكريم، حين فتحوا له عقولهم وقلوبهم فاستفادوا منه.

٢. أهلُ الشِّقاق والنفاق، الذين لا يطلبون الحقّ، وما صار هؤلاء من أهل الهداية بالقرآن ولا بالعترة، بل ازدادوا نفورًا وطغيانًا وكفرًا ورجسًا!

والقسم الثاني لا يُريد الهداية مهما رأى من آيات الله تعالى، ومنهم من قال عنه تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذينَ أُوتُوا الكِتابَ بِكُلِّ آيَةٍ ما تَبِعُوا قِبْلَتَك﴾[البقرة: ١٤٥].

وهؤلاء ليسوا ممَّن يُرتجى منهم خير، ولقد ظهر من آيات الكتاب ما يُبرزُ موقفَ هؤلاء ونظرائهم من القرآن الكريم والعترة الطاهرة ويُبيِّنُ حقيقتهم، فَهُم: أهل النفور من القرآن الكريم، والجحود للعترة الطاهرة.

١. النفور من القرآن الكريم

أمّا القرآن الكريم، فقد قال تعالى عنهم: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنا في هذَا القُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَما يَزيدُهُمْ إِلاَّ نُفُوراً﴾[الإسراء: ٤١]، إنَّ الغرض من إنزال الله تعالى للكتاب هو التذكير، والعود إلى الله عزّ وجلّ، لكنَّ هؤلاء يزدادون نفورًا! وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنينَ وَلا يَزيدُ الظَّالِمينَ إِلاَّ خَساراً﴾[الإسراء:٨٢]، والغرضُ أيضًا هو الشفاء والرحمة، شفاءٌ للنفوس والأبدان، ورحمةٌ إلهيةٌ عميمةٌ للمؤمنين، لكنَّ الظالمين جحدوا فكانت خسارتهم أعظم.

وقال تعالى: ﴿وَإِذا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زادَتْهُ هذِهِ إيماناً فَأَمَّا الَّذينَ آمَنُوا فَزادَتْهُمْ إيماناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذينَ في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَماتُوا وَهُمْ كافِرُونَ﴾[التوبة:١٢٤-١٢٥]، أي شكًّا إلى شكِّهم[1]، فالآيات الكريمةُ لا يتأتّى منها إلاّ الهدى والإيمان، لكنَّ الجاحدَ يزداد كُفرًا كلَّما نزلت آيةٌ جديدةٌ وكان بها من الكافرين، ومن شَكَّ يزداد شكًا، ومَن نفرَ يزداد نفورًا، وهكذا يزداد أصحاب القلوب المريضة مَرَضًا كلَّما أنزل الله تعالى سورةً، فأيُّ معادلةٍ غريبةٍ هذه؟

الله تعالى ينزل آياتٍ للهداية، فيزداد المرضى مَرَضًا! لا يتوهَّمَنَّ متوهِّمٌ أنّ الآية نفسها أمرَضَتهُم، بل لا يتأتّى من الآية إلّا الهدى، لكنَّ جحودَهم لها أو شكَّهم وكفرَهم بها (وهو مِن أفعالهم) أدّى بهم إلى أن يزدادوا عن الله بُعدًا كلَّما أنزل عليهم آية! قال تعالى عن القرآن الكريم: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفاء وَالَّذينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾[فصّلت:٤٤].

وورد في الدعاء عن لسان الإمام الصادق عليه السلام في القرآن الكريم: ((اللهمَّ وَكَمَا

(١) ينظر:الباقر عليه السلام في تفسير العياشي:٢/١١٨ .

أَنْزَلْتَهُ شِفَاءً لِأَوْلِيَائِكَ، وَشَقَاءً عَلَى أَعْدَائِكَ، وَعَمًى عَلَى أَهْلِ مَعْصِيَتِكَ، وَنُوراً لِأَهْلِ طَاعَتِكَ، اللهمَّ فَاجْعَلْهُ لَنَا حِصْناً مِنْ عَذَابِك))[1]، إنَّ على العبد أن يفتحَ قلبَه للقرآن الكريم، ويستعدَّ لتلقّي الإيمان والرحمة الإلهيّة، فيصير الكتاب له نورًا وحِرزًا ودليلًا.

أمّا إن كان من أهل الشكِّ أو الجحود أو المعصية، ووطَّنَ نفسه على المعاندة، فإنَّه يعمى عن آيات الكتاب الكريم، ولا يهتدي إلى اتباعها سبيلًا، فيزداد عن الله بُعدًا كُلَّمَا توالَت وتَتَالَت آيات السماء.

٢. الكفر بالعترة الطاهرة

إنَّ ممّا يلفت العاقلَ هو أنَّ موقف أهل الشكِّ والكفر والنفاق والمعاصي كان واحدًا تجاه القرآن الكريم، وتجاه العترة الطاهرة، فإنَّ مَن ازداد من القرآن نفورًا ازداد بالعترة الطاهرة كفرًا! والسبب هو السبب، فهو لا يريد الإيمان، وكلَّما أنزل الله تعالى آية ازداد رجسًا، فكيف بأعظم آيات الله: عليٍّ وآله الأطهار، قال تعالى: ﴿قُلْ يا أَهْلَ الكِتابِ لَسْتُمْ عَلى شَيْءٍ حَتَّى تُقيمُوا التَّوْراةَ وَالإِنْجيلَ وَما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزيدَنَّ كَثيراً مِنْهُمْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْياناً وَكُفْراً فَلا تَأْسَ عَلَى القَوْمِ الكافِرينَ﴾[المائدة: ٦٨]، وفسَّرها الباقر عليه السلام بقوله: هِيَ وَلَايَةُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عليه السلام[2].

فكلُّ من كفر بالولاية كان من أهل هذه الآية، يستوي في الانضمام لمصاديقها الملحدون والكافرون والمشركون والمخالفون، وأشدُّهم أعداءُ آل محمدٍ من الأوائل، وبنو أميَّة، ومن سار على نهجهم.

وقد كان لهؤلاء موقفٌ واضحٌ من ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، فما إن نزل أمرُ الله تعالى بها حتى ازدادوا طُغيانًا وكُفرًا.

---

(١) الكافي: ٢/ ٥٧٤ .

(٢) ينظر: بصائر الدرجات: ١/ ٧٤ .

وههنا يُلاحَظُ أنَّ ما فعلوه مع القرآن والعترة فعلوه مع سائر أنبياء الله تعالى، فهذا نوح عليه السلام: ﴿قالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمي لَيْلاً وَنَهاراً * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائي إِلاَّ فِراراً * وَإِنِّي كُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ في آذانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْباراً﴾[نوح: ٥-٧]، فازدادوا فرارًا منه كلّما دعاهم ليلًا بعد نهار، وقد بذل غاية مجهوده قَرنًا بعد قرنٍ، وما كان عليه السلام مقصِّرًا، لكنَّهم أصرّوا واستكبروا، ولا ينفعُ مع الإصرار دليلٌ ولا بُرهان.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جاءَهُمْ نَذيرٌ ما زادَهُمْ إِلاَّ نُفُوراً﴾[فاطر: ٤٢]، لقد أنذرَ الله تعالى عبادَه، فجاءهم الأنبياء والرسل بأمره عزّ وجلّ، فازدادوا نفورًا وكفرًا، حتّى وصل الأمر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فما تغيَّرت سيرتهم، ثمّ من بعده ساروا على النهج نفس فكفروا بوصيِّه: بعليٍّ عليه السلام، والقرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبيلاً * يا وَيْلَتى لَيْتَني لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَليلاً * لَقَدْ أَضَلَّني عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جاءَني وَكانَ الشَّيْطانُ لِلْإِنْسانِ خَذُولاً * وَقالَ الرَّسُولُ يا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هذَا القُرْآنَ مَهْجُوراً﴾[الفرقان: ٢٧-٣٠]، لقد أعرَضَ قومُ النبيِّ صلى الله عليه وآله عن الكتاب، وضلُّوا عن (الذِّكر)، وهجروا (القرآن)، فصار كتاب الله المنزل خلفَ ظهورهم، ثمَّ تلاه الكتاب الناطق!

ولقد فسَّر الباقر عليه السلام (الذِّكر) الذي عنه ضلّوا بـ (الولَايَةَ)[1]، وفي حديثٍ آخر عن الباقر والصادق عليهما السلام حول الذِّكر قالا: يعني عليًّا عليه السلام[2].

وقد سبقهم أميرُ المؤمنين عليه السلام إلى ذلك حين قال: ((فَأَنَا الذِّكْرُ الَّذِي عَنْهُ ضَلَّ،

(١) ينظر: تفسير القمي: ٢ / ١١٣ .
(٢) ينظر: البرهان: ٤ / ١٣١ .

وَالقُرْآنُ الَّذِي إِيَّاهُ هَجَرَ))[1]، وهكذا أعرضت الأمّة عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام من يومها الأوّل إلى هذا اليوم، والولاية هي قطب القرآن، بها يستبين الإيمان، فلا بالقرآن عملوا، ولا بالإيمان تمسَّكوا، فحقَّ على أكثرهم العذاب حقّاً.

لكنَّ هنا مفارقةً في غاية الأهميَّة، وهي أنَّ القوم منذ اليوم الأول ضَيَّعوا الثقل الأصغر تمامًا، فغيَّبوه ظاهرًا وباطنًا، وحافظوا على الثقل الأكبر ظاهرًا، وإن ضيَّعوا حدوده، واكتفوا بحفظ حروفه، وأكثروا من استماعها وقراءتها دون فَهمٍ وتدبُّر.

فمنذ أيّام الإسلام الأولى ظلَّ القرآن مَتلُوّاً، غير معمول فيه، أمّا آل محمّدٍ فغُيِّبَ اسمُهم ونهجهم معًا، إلّا بمقدارٍ عجزت الأمَّة عن تغييبه، لتظلَّ حجَّة الله تامَّة.

لكن، هناك مرحلةٌ قبل مجيء أمر آل محمّد عليهم السلام، أي قبل ظهور الإمام صاحب العصر والزمان، حين يموت الحقُّ ويذهب أهلُه، ويشمل الجورُ البلاد، وتتغيَّر المعالم، حتى يحين وقتُ اختلاف الأمَّة مع القرآن حتى في الظاهر، يقول الصادق عليه السلام عن ذلك الزمان: ((وَرَأَيْتَ القُرْآنَ قَدْ ثَقُلَ عَلَى النَّاسِ اسْتِمَاعُهُ! وَخَفَّ عَلَى النَّاسِ اسْتِمَاع البَاطِلِ! فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ، وَاطْلُبْ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ النَّجَاةَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ فِي سَخَطِ الله عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّمَا يُمْهِلُهُمْ لِأَمْرٍ يُرَادُ بِهِمْ!))[2].

يحذر المؤمن ويخشى من أن يقع من حيث لا يشعر، فيُشرِك هؤلاء في الإعراض عن آيات الله، أو يرضى بفعالهم، بهذا تبيَّن أنّ ولاية آل محمّدٍ عليهم السلام هي قطب القرآن، وعليها يدورُ رحى مُحكماته، وأنَّ من لم يؤمن بولايتهم عليهم السلام واتَّخَذَ كتاب الله الناطق مهجورًا فهو لم يؤمن بالقرآن حقًا.

وأنَّ أهل النفاق يزدادون نفورًا وكفرًا وطغيانًا كلَّما نزلت عليهم آيات الله،

---

(١) الكافي: ٨ / ٢٨ .

(٢) م.ن: ٨ / ٣٩-٤٢ .

وهذا كان حالهم مع ما أتى به الأنبياء والأوصياء، ومع القرآن الكريم، لذا عَلِمَ المؤمنُ أنَّ هؤلاء ليسوا ممَّن يُرتجى منهم الخَير، فأعرض عنهم.

ثمَّ لم يتألّم المؤمن بعد ذلك على ما أصابهم، وقد قال تعالى: ﴿فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ﴾[فاطر: ٨]، يعمل المؤمن بتكليفه، وقد قال الإمام: ((لَا عَلَيْكَ إِنْ آنَسْتَ مِنْ أَحَدٍ خَيْراً أَنْ تَنْبِذَ إِلَيْهِ الشَّيْءَ نَبْذًا))[1]، فإن قَبِلَهُ بقبول الحقّ اهتدى، وإلاّ كان ممَّن تَعَمَّدَ هُجران القرآن الناطق، عليّ عليه السلام أعظم مظلومٍ في هذه الأمّة.

المحور الرابع: عليٌّ.. تَرجُمَان القرآن

يؤمنُ المسلمون جميعًا بأنَّ في القرآن الكريم تبيانًا لكلِّ شيء، فقد قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[النحل: ٨٩]، ويعتقدون أنَّه كتابٌ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لكنَّهم يواجهون جملةً من الأسئلة التي تحتاجُ إلى جواب، وكلُّ جوابٍ عليها يستدعي سؤالًا آخر.

١. أين علوم القرآن؟ وما هي؟

نبدأ مع سؤال سائلٍ يقول: كيف يحوي القرآن الكريم الذي بين أيدينا (كَلَّ شيء)؟ ونحن نرى كثيرًا من العلوم غائبةً عنا، ونجزم أنَّ ما لا يُحصى كثرةً منها ظلَّ مجهولَ الحال والمآل لدينا، وهذا ثابتٌ بالوجدان، فَمِنَ الجَليِّ إذًا أنَّ الكتاب المجموع بين الدَّفتين لا يحوي كلّ العلوم، فكيف ذلك؟!

إنَّ أصحابَ الأئمّة عليهم السلام كانوا يسألونهم عن تفسير القرآن الكريم، وكانوا عليهم السلام يجيبون في الآية الواحدة بتفاسير عدّة، ولمّا سئل الباقر عليه السلام عن ذلك أجاب بقوله: ((يَا جَابِرُ إِنَّ لِلْقُرْآنِ بَطْناً، وَلِلْبَطْنِ بَطْناً، وَلَهُ ظَهْرٌ، وَلِلظَّهْرِ ظَهْرٌ.. وَهُوَ

(١) المحاسن: ٢ / ٢٣٢ .

كَلَامٌ مُتَّصِلٌ، مُنْصَرِفٌ عَلَى وُجُوه))[١]، دَلَّ هذا النصُّ الشريف على أنَّ للقرآن الكريم وجوهًا متكثِّرَة، وكَشَفَ نَصٌّ آخر أنَّ وجوه القرآن لا تُحصى، فعن الصادق عليه السلام : ((وَإِنَّمَا الِاسْمُ الوَاحِدُ فِي وُجُوهٍ لَا تُحْصَى))[٢]، وعدمُ إحصاء هذه الوجوه يتناسب وشمولها لكلِّ العلوم، فقد أودَعَ اللهُ تعالى كلَّ علوم السماء والأرض في الكتاب العزيز، ولكن على نَحوٍ خاصٍّ لا يُدرِكُه كلُّ أحد.

وقد بيَّن الإمام الصادق عليه السلام ما يضمُّ القرآن فقال: ((فِيهِ بَدْءُ الخَلْقِ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَفِيهِ خَبَرُ السَّمَاءِ وَخَبَرُ الأَرْضِ، وَخَبَرُ الجَنَّةِ وَخَبَرُ النَّارِ، وَخَبَرُ مَا كَانَ وَخَبَرُ مَا هُوَ كَائِنٌ))[٣]، فإنَّ ما غابَ في السماء والأرض، وما كان وما يكون من أحداثٍ، مخزونٌ في الكتاب.

وقد تضمَّن القرآن الكريم كلَّ علمٍ يحتاجه الناس إلى آخر الدَّهر، فعن الصادق عليه السلام: ((إِنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْزَلَ فِي القُرْآنِ تِبْيَانَ كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى وَالله مَا تَرَكَ الله شَيْئاً يَحْتَاجُ إِلَيْهِ العِبَادُ، حَتَّى لَا يَسْتَطِيعَ عَبْدٌ يَقُولُ لَوْ كَانَ هَذَا أُنْزِلَ فِي القُرْآنِ إِلَّا وَقَدْ أَنْزَلَهُ الله فِيهِ))[٤]، غايةُ الأمر أنَّ إيداعَهُ في الكتاب لم يكن على نَحو النصِّ الجليِّ الظاهر كي يتمكَّنَ كلُّ أحد من الوصول إليه، فعن الصادق عليه السلام : ((مَا مِنْ أَمْرٍ يَخْتَلِفُ فِيهِ اثْنَانِ إِلَّا وَلَهُ أَصْلٌ فِي كِتَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ، وَلَكِنْ لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُ الرِّجَالِ))[٥]، وعن الباقر عليه السلام: ((يَا جَابِرُ، لَيْسَ شَيْءٌ أَبْعَدَ مِنْ عُقُولِ الرِّجَالِ مِنْ تَفْسِيرِ القُرْآنِ))[٦].

---

(١) المحاسن: ٢/ ٣٠٠ .
(٢) بصائر الدرجات:١ / ١٩٦ .
(٣) الكافي: ١ / ٦١ .
(٤) م.ن: ١ / ٥٩ .
(٥) م.ن: ١ / ٦٠ .
(٦) المحاسن: ٢/ ٣٠٠ .

دلَّت هذه الروايات على أنَّ العلوم الواسعة التي لا تُحصى كثرةً موجودةٌ في القرآن الكريم حقًا، لكن لا يمكن لأيِّ أحدٍ اكتِنَاهُهَا، فهي ليست من النصوص الواضحة الجليَّة، ولا من الظواهر، بل هي معانٍ يستبطِنها النصُّ على هيئة خاصّة أرادها الله تعالى، وما لم يكن الإنسان مُعَلَّمًا من قبل الله تعالى على آلية الاستخراج منه، لم يكن له أن يبلغ ذلك بعقله، بل إنَّ الإخبار عن هذه العلوم وكشفها يكون مدعاةً للتَّعَجُّب عند ظهورها، كما في الحديث عن الصادق عليه السلام: ((إِنَّ الله أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ كِتَابَهُ الصَّادِقَ النَّازِلَ فِيهِ خَبَرُكُمْ وَخَبَرُ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَخَبَرُ السَّمَاءِ وَخَبَرُ الأَرْضِ، فَلَوْ أَتَاكُمْ مَنْ يُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ لَعَجِبْتُمْ))[1]، أي إنَّ كشفَ هذه العلوم للناس يدعوهم للعَجَب، إمّا لعظمة هذه العلوم وكثرتها، أو لخفاء آليّة استخراجها عندهم واختصاصها بمَن يُخبرُهم بها. ثمَّ ينقلنا هذا الحديث إلى السؤال الثاني.

٢. من هو الكاشف لعلوم القرآن؟

إذا تبيَّنَ أنّ كلَّ شيءٍ مخزونٌ في القرآن فعلًا، ولكن لا سبيل للعقول إلى معرفة كلّ تلك العلوم، تنقدح في البال أسئلة أخرى، ومن أهمِّها: كيف يمكن معرفة تلك العلوم؟ وما السبيل إلى بلوغها والاستفادة منها؟ يقول أميرُ المؤمنين عليه السلام في نهجه: ((هذَا القُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْتُورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ، لاَ يَنْطِقُ بِلِسَان، وَلاَ بُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَان، وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ))[2]، فمَن هو تَرجُمان القرآن؟ إنَّهُ عَليُّ بن أبي طالب بلا ريب، وما ادُّعِيَت هذه المنقبة عند عموم المسلمين لأحدٍ بعد النبيّ صلى الله عليه وآله بحقٍّ سواه عليه السلام والأئمّة من ذريته، فإنَّ أحدًا غيره لا يقدر أن يثبت إحاطته بما في الكتاب من علومٍ وأنه ترجمانه.

---

(١) المحاسن: ١/ ٢٦٧ .

(٢) نهج البلاغة الخطبة ١٢٥ .

والمخالف الذي يعجز كما نعجز عن (استخراج كلِّ شيء) من القرآن الكريم، يَحارُ في تفسير هذه الآية، ويتخبَّط يمينًا وشمالًا، حتّى يزعم بعضهم أنَّ القرآن يتضمَّن بيانَ كلِّ شيء لدلالته على حجيَّة القياس! الذي به تُعلَمُ الأحكامُ عندهم! فتُنسَب حينها للقرآن!(١).

أمّا الشيعة، فإنَّهم علموا أنّ هذا الاستخراج مقصورٌ على من علَّمه الله تعالى ذلك، وهو الرسول صلى الله عليه وآله، ومن بعده الإمام المعصوم، وهذا الباقر عليه السلام يقول: ((مَا ادَّعَى أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّهُ جَمَعَ القُرْآنَ كُلَّهُ كَمَا أُنْزِلَ إِلَّا كَذَّابٌ، وَمَا جَمَعَهُ وَحَفِظَهُ كَمَا نَزَّلَهُ الله تَعَالَى إِلَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، وَالأَئِمَّةُ مِنْ بَعْدِهِ))(٢)، فهم الذين عندهم علم الكتاب كلُّه دون سواهم: وَالله عِنْدَنَا عِلْمُ الكِتَابِ كُلُّهُ(٣).

وعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: مَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَدَّعِيَ أَنَّهُ جَمَعَ القُرْآنَ كُلَّهُ ظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ غَيْرُ الأَوْصِيَاءِ(٤).

وليس يطَّلع على كلّ حقائقه أحدٌ إلّا أهل البيت كما في الحديث: ((لَا يَنَالُهُ كُلَّهُ إِلَّا المُطَهَّرُونَ، إِيَّانَا عَنَى، نَحْنُ الَّذِينَ أَذْهَبَ الله عَنَّا الرِّجْسَ وَطَهَّرَنَا تَطْهِيرا))(٥)، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: ((لَا يُوَضِّحُ لَكُمْ تَفْسِيرَهُ إِلَّا الَّذِي أَنَا آخِذٌ بِيَدِهِ، وَهُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ))(٦)، ومن الجليِّ أنّه لا تنافي بين احتوائه على كلّ شيء، وبين احتياج الناس للمُبَيِّن، وعدم قدرتهم على استخراج كلّ ما فيه رغم وجوده.

---

(١) تفسير الرازي: ٢٠ / ٩٩ .
(٢) الكافي: ١/ ٢٢٨ .
(٣) بصائر الدرجات: ١/ ٢١٣ .
(٤) م.ن: ١/ ١٩٣ .
(٥) كتاب سليم: ٢ / ٨٤٧ .
(٦) روضة الواعظين: ١ / ٩٤ .

٣. لماذا أخفى الله بعض علوم القرآن؟

إذا تبيَّنَ أنّ القرآن حاوٍ لكلِّ العلوم، وأنَّه بعيدٌ عن عقول الرجال، وأنَّ معرفة هذه العلوم مختصةٌ بالمعصومين عليهم السلام، وإذا تبيَّنَ أنَّ القرآن ليس على نمطٍ واحد، بل يتضمّن المحكمات والمتشابهات: ﴿هُوَ الَّذي أَنْـزَلَ عَلَيْكَ الكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهات﴾[آل عمران: ٧]، تنقدح تساؤلات عدة:

لماذا خصَّصَ الله سبحانه وتعالى علم القرآن بأكمله بالمعصومين عليهم السلام؟ ولَم يُشرِك معهم الخلق في ذلك؟ ثمَّ لماذا جعل الله سبحانه وتعالى في القرآن متشابهات؟ أليس في هذين الأمرين إخفاءٌ لما ينبغي إظهاره بحسب الظاهر؟ فما السرُّ في ذلك؟ إنَّ لوجود المتشابه في القرآن، وإخفاء الأسرار فيه على نحوٍ لا يدركه كلُّ أحد وجوهًا شتّى منها:

الوجه الأوّل: امتحان العباد

لقد أشار القرآن الكريم إلى سبب احتوائه على محكمٍ ومتشابه، حين قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧]، إنَّ الله تعالى عالمٌ بأنَّ المتشابه يفتحُ بابًا لمن في قلوبهم زيغٌ، رغم ذلك ضَمَّنَ كتابه المتشابهات، استكمالًا لامتحان العباد.

إنَّ الله تعالى قادرٌ على أن يُنزِلَ قرآنًا مقصورًا على محكماتٍ لا تحتملُ وجوهًا، ولا يمكن حملُها على أكثر من معنى، ولكنَّ هذا يغلق أبواب اختبار الخلق من هذه الجهة، ويصير الإمتحان مقصورًا على قبول النصّ وَرَدِّه، ولكنَّ الله تعالى أراد زيادةً في امتحان العباد، ففتح عزَّ وجلّ هذا الباب، وامتحنهم بالمحكم والمتشابه، حين أمرهم بالإيمان بهما معًا، والعمل بأوّلهما دون الآخر. روي عن الصادق عليه السلام : ((إِنَّ القُرْآنَ فِيهِ مُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ، فَأَمَّا المُحْكَمُ فَنُؤْمِنُ بِهِ، فَنَعْمَلُ بِهِ وَنَدِينُ بِهِ، وَأَمَّا المُتَشَابِهُ

فَنُؤْمِنُ بِهِ، وَلَا نَعْمَلُ بِهِ))[1]، كيف لا نعملُ بالمتشابه؟ لا نعمل بما دلَّ عليه دلالةً بدويَّة، بل نَرُدُّه إلى المحكم، فنكون قد عملنا بالمحكم لا بالمتشابه، أو نفسِّرُهُ بناءً على المحكم إن كان مُجملًا، وقاعدة الامتحان هذه ليست عزيزة، بل هي قاعدةٌ سيّالةٌ تجري في سائر ما ابتلى الله به عباده.

إنَّ الأنبياءُ لم يكونوا أهل غلبةٍ دائمة، ولا أصحاب مالٍ لا ينفد، رغم سَعَةِ قدرة الله تعالى، ورغم أن لا حدَّ لسلطانه تعالى، وأن ليس في ساحته عزَّ وجلّ بُخلٌ على أنبيائه، حاشاه ربنا عزَّ وجلّ، ولكن، لو كان الله تعالى قد فتح للأنبياء خزائنه، لتعجَّبَ الناس من قدرتهم وممّا أعطاهم، ولسهُل عليهم الانقياد لهم لعظيم ما عندهم، لكنَّه تعالى يريد أن يمتحن العباد، ويريد أن تكون طاعتهم خالصةً له، لا لأجل ما أعطى الأنبياء، لذا قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ((وَلَكِنَّ الله أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الِاتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ، وَالتَّصْدِيقُ بِكُتُبِهِ، وَالخُشُوعُ لِوَجْهِهِ، أُمُوراً لَهُ خَاصَّةً، لَا تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ، وَكُلَّمَا كَانَتِ البَلْوَى وَالِاخْتِبَارُ أَعْظَمَ كَانَتِ المَثُوبَةُ وَالجَزَاءُ أَجْزَلَ))[2].

تكشف هذه العبارة من الحديث (يَكُونَ.. التَّصْدِيقُ بِكُتُبِهِ) أنَّ الله تعالى أراد من العباد أن يصدِّقُوا كتابه لأنَّه كتابُه، لا لشيء آخر! أي إنَّ عليهم الإيمان به سواءٌ تضمَّنَ متشابهًا أم لم يتضمَّن، لا أن يؤمنوا به لأنَّه محكمٌ فقط، وقد فتح الله لهم بابًا للتصديق من طريق إعجاز الكتاب، ثم اختبرهم بتضمينه المتشابه إتمامًا للاختبار لهم.

هي رحمةٌ من الله تعالى إذًا بالعباد، فإنَّ الثواب يتناسبُ مع الامتحان صعوبةً وسهولةً، وكلَّما اشتدَّ الامتحان والاختبار عَظُم الثواب والجزاء، فيكون في اختبار

---

(١) بصائر الدرجات: ١ / ٢٠٣ .
(٢) الكافي: ٤/ ١٩٩ .

الله تعالى للعبادِ نوعُ رحمةٍ وتفضُّلٍ منه عزَّ وجل، بحيث يفتح لهم أبوابًا أوسع لنيل الثواب والجزاء الطَّيب.

ومن نماذج ذلك أيضًا امتحانُ الله تعالى للخلق بالحجّ إلى بيتٍ صُنِعَ من أحجارٍ، كما الأصنام التي أُمِروا بهَدمها، ثمّ جعله الله في أوعر البقاع، وأمَرَهُم بالتذلُّل له عند البيت في عبادةٍ من نوعٍ خاص، وكان تعالى قادرًا على أن يمتحنهم بالحجِّ إلى بَيتٍ عظيمٍ من زمرد وياقوت ونور، ولو فعل، يقول الإمام: ((لَخَفَّفَ ذَلِكَ مُصَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ، وَلَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ القُلُوبِ، وَلَنَفَى مُعْتَلَجَ الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ: وَلَكِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يَخْتَبِرُ عَبِيدَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ، ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ*وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ الله الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكاذِبِينَ﴾[العنكبوت: ٢-٣]))[1].

نعم لو شاء الله تعالى أن لا يُبقي شكًّا في النفوس لفعل، ولأعدَمَ كلّ ما يدعو للريبة، ويَصعُب على القلوب تقبُّلُ أمره، لكنَّ ذلك يتنافى مع إرادة الله اختبار عباده، وهو ما فيه خيرُهم وصلاحُهم، إنَّ الله تعالى عالمٌ بما كان وما يكون، لكنَّ حكمته اقتضت أن يختبر الناس فعلًا، فتظهر حقائق العِباد بأعمالهم، ويتبيّن المطيع والعاصي، فيستحقّ بذلك كلٌّ منهما جزاءه.

الوجه الثاني: الرجوع إلى أبواب الله

على أنَّ هناك وجهًا آخر لِتَضَمُّن الكتاب المتشابهات، وعدم تمكُّن عموم الناس من استخراج كلِّ العلوم منه، واحتياجهم إلى من يكشف لهم بطونه، والوجه هو التدليل على هؤلاء الذين عَلَّمَهم البطون، فإنَّ الله تعالى جعل أشخاصًا بأعينهم أبوابًا له، وطُرُقًا تدلُّ عليه، وترشد إليه، وأمرَ باتِّباعهم، ثم أنزلَ كتابًا فيه المحكم

(١) الكافي: ٤/ ٢٠٠.

والمتشابه، فصار المتشابَه خَفيًا على الناس، فاحتاجوا إلى أبواب الله، وأُمِرُوا بالرجوع إليهم.

قال الإمام عليه السلام : ((إِنَّمَا القُرْآنُ أَمْثَالٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ دُونَ غَيْرِهِمْ، وَلِقَوْمٍ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ، وَهُمُ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَعْرِفُونَهُ، فَأَمَّا غَيْرُهُمْ، فَمَا أَشَدَّ إِشْكَالَهُ عَلَيْهِمْ، وَأَبْعَدَهُ مِنْ مَذَاهِبِ قُلُوبِهِمْ: وَإِنَّمَا أَرَادَ الله بِتَعْمِيَتِهِ فِي ذَلِكَ أَنْ يَنْتَهُوا إِلَى بَابِهِ وَصِرَاطِهِ))[1] .

إن لم يتمكن عبدٌ من تمييز المتشابه عن المحكم، وَرَدِّهِ إليه، وقع في عظيم البلاء: (فَمَا أَشَدَّ إِشْكَالَهُ عَلَيْهِمْ)، وسقطَ في الامتحان؛ لأنَّ فهم هذا القرآن يحتاج إلى مفاتيح وأدلّة، وهي عندَهم دون سواهم، فلا بدَّ من العَود إليهم. وهكذا أنزل الله تعالى آياتٍ متشابهات كي يعرف الناس أبواب الله وأدلائه فيرجعوا إليهم، فسرُّ في (تَعمِيَتِهِ) أي عدم جعل كلِّ علومه واضحةً جليَّةً لكلِّ أحد، أن يستدل الناس بذلك على الأئمة المعصومين المطهَّرين.

إنَّ مَن آمن بأنَّ الكتاب معجزةُ الله لعباده، ثمَّ نظر فيه، فوجده يُصَرِّحُ باحتوائه على تبيان كلّ شيء، ثم نظر فيه بعقله وقلبه فعجز عن استخراج كلِّ ما يحتاج إليه، لا بدّ أن يبحث عمَّن أودعهم الله علومه، وهم الأئمّة عليهم السلام حصرًا، إذ لم يُدَّع لأحدٍ من الخلق سواهم مثل هذه المرتبة، إلّا حفنة من الكذابين الذين يظهر بطلان دعواهم جلياً بأدنى تأمل.

إنَّ الله تعالى قادرٌ أن يُنزِلَ الوحي على كلِّ العباد، ثمَّ لا يرسل لأحدٍ رسولًا، لكنَّ البلوى بذلك تسقط، والله تعالى يريد اختبار عباده، وليس يُعقل أن يجعلهم جميعًا ولاةً! فعلى أيّ أحد يكون الجميعُ ولاةً؟ وإذا كان الجميع ولاةً وكانت طاعة

(١) المحاسن: ١/ ٢٦٨ .

الوالي والوليّ واجبةً فمَن هم الذين أمروا بطاعته وكلُّ الناس ولاة؟ لذا كان مقتضى الحكمة الإلهيّة أن يخصَّ عزّ وجلّ الكُمَّل بذلك المنصب، فجعلهم أهل علم القرآن، تفسيرًا وتأويلًا، ظاهرًا وباطنًا، وجعلهم بابه الذين منهم يؤتى، وصار السبب في إخفاء علوم القرآن عن كلِّ أحدٍ هو الإضطرار إلى الرجوع لآل محمّد عليهم السلام، قوّام القرآن الكريم. فما أعظمَ آل محمّدٍ عليهم السلام، حيثُ كان الإرشادُ إلى ولايتهم، والتدليل عليهم، سببًا في أن يجعل الله تعالى كتابَه على ما هو عليه!

٤. هل يَفهم القرآن.. غير الإمام؟

إذا تبيَّنَ أنَّ تمام علوم القرآن مختصةٌ بالمعصومين عليهم السلام، وأنَّ الله تعالى قد أودعها لديهم ليرجع الناس إليهم، وإذا انكشف أنّه تعالى أودعَ الكتاب محكمًا ومتشابهًا لامتحان الخلق بذلك، فهل يعني هذا أنَّ القرآن الكريم لا يكون حجةً مطلقًا؟ أو أنّه لا يصحّ العمل بشيء من آياته إلّا بعد العودة إلى المعصومين عليهم السلام؟

وهل يدلُّ على هذا المعنى قول الإمام الباقر عليه السلام: ((وَيْحَكَ يَا قَتَادَةُ إِنَّمَا يَعْرِفُ القُرْآنَ مَنْ خُوطِبَ بِهِ))[1].

إنَّ الأمَّةَ كلُّها قد خوطبت بالقرآن، لكنَّها لو اجتمعت بأَسرِها سوى المعصوم ما أمكنها أن تعرف القرآن كلَّه بتمامه وكماله، فلا جرم أنّ يكون المخاطب المباشِر به هو الذي يعرفه، وهو الرسول صلى الله عليه وآله، ثمَّ مَن نُزِّل منزلته وهم الأئمّة الأطهار عليهم السلام، فهل يصير القرآن كتابًا لا يمكن العمل به إلّا بعدَ العودة إلى النبيِّ والإمام عليهما السلام؟ فيسقط عن الحجيّة بنفسه؟! إنَّ ههنا معنىً في غاية الأهميّة، وهو أنّ الآيات التي يجبُ الإيمان بها ولا يصحُّ العملُ بها هي المتشابهات فقط، وليس من المتشابه ما يكونُ ظاهرًا في معنى، ثمَّ لا تقوم قرينةٌ على صرفه عنه، فإنَّ هذا الظاهر ممّا يجبُ العملُ به

(١) الكافي: ٨ / ٣١٢.

بلا شكٍّ وشبهة، أي إنَّ ظواهرَ القرآن لا بدَّ أن تكون حجَّةً بنفسها، إلّا في مواردَ يقوم الدليل على لزوم صرفِها عن ظهورها، بعبارة أخرى: إنَّ آيات القرآن على أصناف، فمنها: النَّصُّ، والظاهرُ، والمُجمَل.

١. **النَّصُّ**: هو العبارةُ التي يُفهَمُ منها معنى ولا تَحتَمِلُ خلافه. ولا شك بلزوم العمل به، والنصوصُ مِنَ المحكمات التي أُمِرنَا بالعمل بها.

٢. **الظاهرُ**: هو العبارةُ التي ظَهَرَت في معنى، لكنَّها تحتَمِلُ معنى آخر. وهنا لا يُصار إلى العدول عن الظاهر إلّا بقرينة، ومَعَ فقدها لا شكّ بلزوم العمل بالظاهر.

نعم قد يكون كلامُ الإمام قرينةً على لزوم حَمل الظاهر على خلاف ظهوره، فلا يصحُّ العمل بظاهر هذه الآيات إن وُجِدَت تلك القرينة أو سواها من القرائن، أمّا مع بقائها على ظهورها، وعدم وجود قرينةٍ صارفةٍ لها، يكون حكمها حكم النصّ وهو لزوم العمل بها جزمًا.

وقد يقال بأنَّ الظاهر الذي قامت قرينة على صرفه عن ظهوره، كان من المتشابه، وببركة القرائن عرفنا كيفيّة التعامل معه بردِّه إلى المحكم.

٣. **المجملُ**: وهو من المتشابه، حتى قيل أنَّه هو المتشابه، وفي المجمل يكون لِلَّفظ معنَيان أو أكثر، مع تساوي النسبة إلى هذه المعاني، ويلزم النظر في القرائن التي تُعَيِّنُ المعنى المراد حقًا، ويكون ذلك عبر الآيات المحكمات، أو عبر أدلّة العقل القطعيّ، أو عبر نصوص الأئمّة المعصومين عليهم السلام، أمّا ما يقال: أنَّ القرآن ليس حجَّةً أبدًا! فهذا ممّا لا يمكن الالتزام به، فهو وإن تَضَمَّنَ المتشابهات، إلّا أنّه ليس كتابًا مبهمًا، وإن كان تمام علمه عند المعصوم عليه السلام، إلّا أنّ ما يظهر منه يكون حُجَّةً بلا شك، إلّا أن تقوم القرينة على خلاف ذلك.

بل إنّ من زعم أنّ القرآن لا يمكن أن يُفهَمَ شيء منه، وأنّه مُبهَمٌ غامضٌ بتمامه فقد أحال، إذ كيف يكونُ كتابٌ أنزله الله للهداية غامضًا مُبهَمًا؟! وأيُّ ثمرةٍ تترتب عليه حينها؟ ولو كان كذلك لصارَ لغوًا لا حاجة له بحالٍ من الأحوال!

وقد نبَّه الإمام الباقر عليه السلام على خطورة هذا الأمر حين قال: ((مَنْ زَعَمَ أَنَّ كِتَابَ الله مُبْهَمٌ فَقَدْ هَلَكَ وَأَهْلَكَ))[1]، هلك لأنَّه أسقط القرآن عن الحجيّة، فلم يعد يصحّ الاستدلال به بحال، وبهذا لا يبقى حجرٌ على حجر، وكيف يسقط وقد جعله الأئمّة دليلًا لهم على مَن خاصمهم، وقد استدلَّت به الزهراء (عليها السلام) على من سلبها حقّها.

لقد استدلّوا بمحكماته لا بمتشابهاته، بل أمروا بعرض رواياتهم المشكوك بأمرها على القرآن، أي على محكمات القرآن الكريم، وَرَدِّ ما عارضه معارضةً مستقرَّة، فإنَّهم لا يخالفونه ولا يخالفهم، وكما أنّ القرآن يوافق بعضه بعضًا، ولا يخالف شيءٌ منه شيئًا آخر، كذلك كلامُهم كُلُّه مُتَّسِقٌ لا يختلف، ولا يُخالفُ القرآنَ بحال.

ثمَّ إنَّ النصوص صريحةٌ في حرمة مخالفة ما في ظهر القرآن وبطنه، فيكون الظاهر والباطن حجَّة معًا، والظاهر يعرفه كلُّ أحد، والبطنُ يكشفه الإمام عليه السلام، فقد ورد عنهم: ((وَإِيَّاكُمْ وَالإِصْرَارَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا حَرَّمَ الله فِي ظَهْرِ القُرْآنِ وَبَطْنِه))[2].

وصفوة القول، إنَّ القرآن الكريم حجةٌ في ظواهره وبطونه، وفي تنزيله وتأويله.

ولا مجال لِرَدِّ الظواهر والكُفر بها؛ لأنّه يعني سقوط القرآن عن الحجيّة، وقد قال أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: ((إِنَّ قَوْماً آمَنُوا بِالظَّاهِرِ وَكَفَرُوا بِالبَاطِنِ، فَلَمْ يَنْفَعْهُمْ شَيْءٌ، وَجَاءَ قَوْمٌ مِنْ بَعْدِهِمْ فَآمَنُوا بِالبَاطِنِ وَكَفَرُوا بِالظَّاهِرِ، فَلَمْ يَنْفَعْهُمْ ذَلِكَ شَيْئاً، وَلَا

(١) المحاسن: ١ / ٢٧٠ .
(٢) الكافي: ٨/ ١٠ .

إِيمَانَ بِظَاهِرٍ [إِلَّا بِبَاطِنٍ] وَلَا بِبَاطِنٍ إِلَّا بِظَاهِرٍ))[1].

المؤمنون إذًا يؤمنون بظاهر القرآن وباطنه، وظاهرُهُ ومحكماتُهُ تُرشدُ إلى المعصومين عليهم السلام، فما كشفوا لنا عن بطونه أخذنا به، وما ستروه عنّا عرفنا أنَّ في إخفائه حكمةٌ بالغة. هكذا تثبت الثنائية بين القرآن الكريم وبينهم عليهم السلام، فَعِلمُ تمام القرآن محصورٌ بهم، والقرآن يدلُّ عليهم، ويرشد إليهم، ويأمر باتِّباعهم، ولا اتّباعَ لأمر القرآن دون اتّباع أمرهم، فوِلايتهم قطب القرآن، وعليها تدورُ مُحكماته، بل إنَّ ولايتهم وإمامتهم أسُّ الإسلام النامي، وفرعه السامي.

جعلنا الله من أوليائهم حقًا وصدقًا، وعَجَّلَ فَرَجَ وليهم، كي ننعم ببركة الثَّقلين ظاهرَين غيرَ مُستَتِرَين، ونحتجب بهما عن الضلالة، ونسترشد بهما إلى طريق الله. والحمد لله رب العالمين

(١) بصائر الدرجات: ١/ ٥٣٧ .

مصادر البحث

*القرآن الكريم.

١. الأمالي، محمّد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠ هـ)، تح: مؤسّسة البعثة، دار الثقافة، قم، ط١، ١٤١٤هـ.

٢. البرهان في تفسير القرآن، هاشم الحسينيّ البحراني (ت١١٠٧ هـ)، مؤسّسة البعثة، (د.ت).

٣. بصائر الدرجات، محمّد بن الحسن الصفار (ت٢٩٠ هـ)، تح: ميرزا حسن كوجة، ١٤٠٤هـ.

٤. تفسير العياشي، محمّد بن مسعود العياشيّ (ت٣٢٠ هـ)، تح: السيد هاشم المحلاتي، المطبعة العلمية، طهران، ١٣٨٠هـ.

٥. تفسير القمي، علي بن إبراهيم القميّ (ت٣٢٩ هـ)، تح: طيّب موسويّ، دار الكتاب، قم، ١٤٠٤هـ.

٦. التوحيد، الشيخ الصدوق (ت٣٨١ هـ)، تح: هاشم الطهرانيّ، جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة، قم، (د.ت).

٧. روضة الواعظين، محمّد بن أحمد فتال النيسابوري (ت ٥٠٨ هـ)، انتشارات الرضا، قم، ط١، ١٣٧٥هـ.

٨. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوريّ (ت٢٦١ هـ)، تح: محمّد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابيّ وشركائه، القاهرة، ١٩٥٥م.

٩. صفات الشيعة، محمّد بن عليّ الصدوق (ت٣٨١ هـ)، مؤسّسة الأعلميّ، بيروت، (د.ت).

١٠. العمدة، ابن بطريق (ت٦٠٠ هـ)، ١٤٠٧هـ.

١١. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، تح: مهدي المخزوميّ وإبراهيم السامرائيّ، دار ومكتبة الهلال، (د.ت) .

١٢. الغيبة، محمّد بن إبراهيم النعماني (ت٣٦٠ هـ)، تح: علي أكبر غفاري، دار الصدوق، طهران، ط١، ١٣٩٧هـ .

١٣. الكافي، الشيخ الكليني (ت٣٢٩ هـ)، تح: علي أكبر غفاريّ، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ط٤، ١٤٠٧هـ .

١٤. كتاب سليم بن قيس الهلاليّ (ت٧٦هـ)، تح: محمّد باقر الزنجانيّ، نشر الهادي، قم، ط١، ١٣٧٨هـ .

١٥. المحاسن، أحمد بن محمّد البرقي (ت٢٧٤ هـ)، تح: جلال الدين الحسينيّ، ١٣٧٠هـ .

١٦. المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد (ت٣٨٥ هـ)، تح: محمّد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٩٤م .

١٧. مفاتيح الغيب، محمّد بن عمر الرازيّ (ت٦٠٦ هـ)، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ .

١٨. مقاييس اللغة، ابن فارس (ت٣٩٥ هـ)، تح: عبد السلام محمّد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م .

١٩. نهج البلاغة للشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ).

المتطلباتُ الوظيفيّة والرقابة عليها بين عهد الإمام عليّ عليه السلام لمالك الأشتر والتنظيم القانونيّ العراقيّ

الباحث: قيصر حمد مؤنس

الملخّص:

رسم عهد الإمام عليّ عليه السلام لمالك الأشتر سياسة وظيفيّة عميقة تجسّدت في إيجاد قواعد عامّة وخاصّة في الشخص الذي يتولّى الوظيفة العامّة، وسار على هذا المنهج العديد من التشريعات القانونيّة ومنها العراقيّة. ومن أبرز أوجه المقارنة بين ذلك العهد والتشريعات القانونيّة العراقيّة هو التقارب الكبير في شروط تولّي الوظيفة كذلك من حيث الخبرة والمقدرة المعرفيّة، وقد مالت تلك الوثيقة التاريخيّة إلى إيجاد شروط جدّيّة خاصّة لم تُنظَّم في التشريعات المقارنة بل سارت على وفق منهج دينيّ ينظر إلى طبيعة المواضيع من جانب الثواب والعقاب، وهذا جعل المساحة للحاكم مقيّدة في اختيار الموظّفين العاملين في مفاصل الدولة .

في الجانب الآخر فإنّ التشريعات الإداريّة وتحديدًا المتعلّقة بالوظيفة العامّة قد جاءت متأثّرة بالشيء الكثير في برامج التنمية الاجتماعيّة ومتطلّبات العصر والنزعة الحداثويّة التي حاولت بشتّى الطرق إيجاد استقلاليّة في المفهوم القانونيّ عن الواقع الدينيّ الغزير بالتجربة، لكن مع ذلك بقيت الشريعة الإسلاميّة هي مصدر رئيس من مصادر القانون، بل قد ذهب دستور جمهوريّة العراق لعام (٢٠٠٥) إلى أبعد من ذلك في عدم تشريع قانون يتعارض ومبادئ الشريعة السمحاء، ومنها هذه الوثيقة محلّ

الدراسة، والتي تشابهت العديد من نصوصها لما يعمل به حاليا في قانون الخدمة المدنيّة العراقيّ رقم (٢٤) لسنة١٩٦٠ المعدل وقانون انضباط موظّفي الدولة والقطّاع العام رقم (١٤) لسنة ١٩٩١ المعدّل وغيرها من القوانين الإداريّة العراقيّة .

الكلمات المفتاحية: الإمام علي عليه السلام، مالك الأشتر، الوظيفة العامة، التشريع العراقي، القانون الإداري.

Abstract:

The covenant of Imam Ali (pbuH) to Malik al-Ashtar established a profound occupational policy، embodied in the formulation of general and specific rules for individuals holding public office. Numerous legal systems، including Iraqi legislation، have followed this approach. One of the most prominent points of comparison between that covenant and Iraqi laws is the significant convergence in the conditions for assuming office، as well as in requirements regarding expertise and cognitive ability. Furthermore، this historical document leaned towards establishing rigorous specific conditions that were not organized in comparative legislations، following instead a religious methodology that views subjects through the lens of reward and punishment. This، in turn، restricted the ruler's discretion in selecting officials for various state apparatuses.

On the other hand، administrative legislations—specifically those related to public service—have been heavily influenced by social development programs، modern requirements، and the trend of modernism، which sought to establish legal independence from religious tradition. Nonetheless، Islamic Sharia has remained a primary source of law. In fact، the 2005 Constitution of the Republic of Iraq went further by prohibiting any legislation that contradicts the principles of Sharia، includ-

ing the document under study. Many of its texts bear a striking resemblance to current provisions in the Iraqi Civil Service Law No. 24 of 1960 (as amended)، the State and Public Sector Employees Discipline Law No. 14 of 1991 (as amended)، and other Iraqi administrative laws.

Keywords: Imam Ali (PBUH)، Covenant of Malik al-Ashtar، Public Office، Iraqi Legislation، Administrative Law.

المقدّمة:

أوّلًا: التعريف بالموضوع وبيان أهميّته:

شهد العالم مجموعة من التحوّلات السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة أدّت بطبيعة الحال إلى الحاجة الماسة لتطوّر القطّاع الإداريّ وإدخال النهج الحداثويّ في نطاقها، واليوم تواجه المؤسّسات العامّة بيئة معقّدة شملت العديد من المتطلّبات لديمومة عملها ولتواكب متطلّبات الحياة المعاصرة وسرعة التحوّلات الرقميّة، ومن أبرز ما شهدته تلك التحوّلات والحاجات هو تطوّر الفكر الإداريّ الذي رافقه تطوّر الموارد البشريّة التي تُعدّ الركيزة الأساسيّة في القطّاعات المؤسّسيّة، التي تعني الأفراد الذين يقومون بدور تسيير العمليّة الإداريّة والفنيّة في تلك المؤسّسات.

لذلك حرص المشرِّع الإداريّ على اتّباع السلوك الديمقراطيّ في استقطاب هؤلاء الأفراد ومنحهم مهمّة أدارت ذلك المرفق مبتغيًا إيجاد أفضل العناصر الفعّالة من ذوي الخبرة والكفاءة، ناهيك من تحقيق غاية أخرى هو حسن سير المرفق العام والتي تعدّ المبتغى النهائيّ.

والتشريع العراقيّ قد مرّ بمراحل عديدة لإيجاد أفضل استراتيجيّات اختيار الموظّفين والعاملين في المؤسّسات العراقيّة، وكان آخرها قانون الخدمة المدنية رقم (٢٤) لسنة ١٩٦٠ المعدل وكذلك العديد من القوانين ذات الصلة كقانون

انضباط موظّفي الدولة والقطّاع العام رقم (١٤) لسنة ١٩٩١ المعدّل وقرارات مجلس قيادة الثورة وقرارات مجلس الوزراء، وليس بعيدًا من ذلك فقد اعتنى دستور جمهوريّة العراق الاتّحاديّ لعام (٢٠٠٥) بموضوع القطّاع الإداريّ في المؤسّسات والحصول على وظائفها بصورة متساوية بين أفراد الشعب .

وبالرجوع إلى موضوع البحث ومعرفة ماهيّة المتطلّبات الوظيفيّة بين عهد الإمام عليّ عليه السلام لمالك الأشتر وبين القوانين العراقيّة، نجد أنّ ثمّة تشابه كبير بين تلك الوثيقة التاريخيّة العظيمة وبيّن النهج الإداريّ المتّبع اليوم في مجمل التشريعات القانونيّة المعاصرة ومنها التشريعات العراقيّة، إذ حرص أمير المؤمنين عليه السلام على توفير جملة من المواصفات أو الشروط لتولّي الولاة والعاملين في كيان الدولة لضمان حسن استقامتها ولتجنُّب الانحرافات السابقة في عهد الخليفة الثالث (عثمان) والذي أدّى تصرُّف ولاته إلى ظهور ثورة أهل الأمصار بسبب عدم الدقّة في اختيار العاملين .

من المنطق السابق سوف ندرس هذه الدراسة على مبحثين يذهب المبحث الأوّل في دراسة مفهوم التوظيف ومعرفة أهم المتطلّبات لها مقارن بين التشريعات العراقيّة وعهد أمير المؤمنين عليه السلام وفي المبحث الثاني نقف على الرقابة لتلك المتطلّبات .

ثانيًا: إشكاليّة البحث:

إلى أيّ مدى أسهم عهد الإمام عليّ عليه السلام لمالك الأشتر في التأثير على منهج التشريع العراقيّ في متطلّبات الوظيفة العامّة .

ثالثًا: فرضيّات البحث:

١. هنالك تأثير كبير من قبل المشرِّع العراقيّ في استقطاب متطلّبات التوظيف الواردة في عهد الإمام عليّ عليه السلام لمالك الأشتر .

٢. إدراك الحكمة (الفلسفة) في فكر أمير المؤمنين عليه السلام في تبنّي أفكار قد تكون

نادرة في زمانه وتستخدم كمنهج في العديد من التشريعات المعاصرة ومنها التشريع العراقيّ.

رابعًا: منهجيّة البحث:

للوصول إلى الجزئيّات البسيطة في البحث العلميّ لا بدّ من دراسة الكليّات الظاهرة في النصّ التاريخيّ والنصّ القانونيّ محلّ الدراسة، وهنا لا بدّ من استخدام المنهج التحليليّ في تقيم الوقائع القانونيّة .

خامسًا: تقسيم البحث:

المبحث الأوّل: ماهيّة المتطلّبات الوظيفيّة ومبادئها.

المطلب الأوّل: مفهوم الوظيفة العامّة .

المطلب الثاني: المبادئ الحاكمة للوظيفة العامّة .

المطلب الثالث: المتطلّبات الوظيفيّة بين عهد الإمام عليّ عليه السلام والتشريع العراقيّ.

المبحث الثاني: الرقابة على المتطلّبات الوظيفيّة .

المطلب الأوّل: الرقابة القضائيّة على المتطلّبات الموضوعيّة للتوظيف .

المطلب الثاني: الرقابة القضائيّة على المتطلّبات الشخصيّة للتوظيف.

المطلب الثالث: الرقابة في عهد الإمام عليّ عليه السلام لمالك الأشتر .

المبحث الأوّل: ماهيّة المتطلّبات الوظيفيّة ومبادئها.

للتعريف بموضوع المتطلّبات الوظيفيّة لا بدّ من المرور على معرفة مفهوم الوظيفة العامّة والسير لكشف أهمّ نقاط الإبهام في التعريفات المتعدِّدة لها، وبعد ذلك لا بدّ من معرفة أهمّ تلك المتطلّبات في عهد الإمام عليّ عليه السلام لمالك الأشتر وبين التشريع العراقيّ . ندرس في هذا المبحث على ثلاثة مطالب يُخصَّص الأوّل لدراسة

مفهوم الوظيفة العامّة، والثاني في دراسة أهمّ المبادئ، والثالث سيذهب في دراسة أهمّ تلك المتطلّبات، وكالآتي:

المطلب الأوّل: مفهوم الوظيفة العامّة والمبادئ الحاكم لها:

تعدَّدت المصادر التي تناولت شرحًا علميًا حول الوظيفة العامّة وكذلك أساليب التوظيف ومتطلّباته، فنجد التشريع قد أخذ جانبًا من تلك التعاريف على الرغم من كون التشريعات غير معنيّة في وضعها تعريفًا لكلّ مصطلح أو موضوع تتناوله، وحصل ذلك في الأحكام القضائيّة في العديد من القرارات فقد اتّجهت في وضع تعريف للوظيفة العامّة عندما تجد المحاكم نفسها في موضع يتطلّب منها ذكر التعريف، أمّا الشقّ الثالث فقد اتّجه الفقه في وضع العديد من التعريفات للوظيفة العامّة كونه المعنيّ الحقيقيّ بذلك .

أوّلًا: تعريف الوظيفة في اللغة:

ذهب المختصّون في اللغة إلى القول بأنّ أصلها مشتقّ من الفعل الثلاثيّ (وظف)، أي وظف يظيف وظفًا، وهي كلمة تشير إلى تقدير الشيء، ما يقدّر له في كلّ يوم من رزق أو طعام، وجمعها وظائف[1]. ووظّف الشيء على نفسه توظيفًا: أي ألزمها إيّاه، وجاءت بـ (يظفه) : أي يتبعه، ويقال كلّ يوم وظيفة من رزق أي كلّ يوم من عمل، وبذلك يقال وظيفة المحاسبة وصاحبها محاسب[2].

ثانيًا: الوظيفة العامّة في الاصطلاح:

هنالك مجموعة من التعاريف قد أُوردت في موضوع الوظيفة العامّة ومنها ما ذكرته القوانين و الأحكام القضائيّة والأخرى تعريفات فقهيه وسنمرّ عليها.

---

(١) ينظر: لسان العرب: ٩ / ٣٥٨ .

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٦/ ١٢٢ .

١. التعريف القانونيّ للوظيفة العامّة: كما سلف ذكره أنّ القوانين تنأى من وضع تعاريف للمصطلحات التي تنظّمها خشية السقوط أمام النقد القانونيّ للنقص الذي يطالها، فتترك موضوع التعاريف للقضاء والفقه، وعلى الرغم من ذلك نجد العديد من القوانين قد عرّفت الوظيفة العامّة، لكن من اللافت أنّ التشريعات العراقيّة قد عرّفت الموظّف العام أكثر منه في تعريف الوظيفة العامّة، إذ عُرِّف الموظف أنّه ((كلّ شخص عُهِدت إليه وظيفة دائمة داخلة في الملاك الخاصّ بالموظّفين))[١]، وأنّ قانون العقوبات العراقيّ قد دمج في تعريف المكلَّف بخدمة عامّة وبين الموظّف، إذ أشارت المادّة ((المكلّف بخدمة عامّة: كلّ موظّف أو مستخدَم أو عامل أُنيطَت به مهمّة عامّة في خدمة الحكومة ودوائرها الرسميّة وشبه الرسميّة))[٢]، في حين جاء قانون التقاعد الموحَّد بتعريف واضح للموظّف، إذ أشار إلى أنّه ((كلّ شخص عُهِدت إليه وظيفة مدنيّة أو عسكريّة أو ضمن قوى الأمن أو مكلَّف بخدمة عامّة والذي يتقاضى راتبًا أو أجرًا أو مكافأة من الدولة وتستقطع منه التوقيفات التقاعديّة))[٣]، نجد أنّه ميّز بين الموظّف والمكلَّف بخدمة عامّة من جهة، وبين المستخدِم من جهة أخرى على عكس قانون العقوبات سابق الذكر.

وهذا لا يعني أنّ القوانين لم تُعرِّف الوظيفة العامّة وإنّما تمّ تعريفها على أنّها ((تكليف وطنيّ وخدمة اجتماعيّة يستهدف القائم بها المصلحة العامّة وخدمة

---

(١) المادة (الثانية) من قانون الخدمة المدنية رقم (٢٤) لسنة ١٩٦٠ المعدل والمنشور في جريدة الوقائع العراقية بالعدد (٣٠٠) في ٢/ ٦/ ١٩٦٠ .

(٢) المادة (١٩) الفقرة (٢) من قانون العقوبات العراقي رقم (١١١) لسنة ١٩٦٩ المعدل والمنشور في جريدة الوقائع العراقية بالعدد (١٧٧٨) في ١٥/ ١٢/ ١٩٦٩ .

(٣) الفقرة (سابعا) المادة (١) من قانون التقاعد الموحد رقم (٩) لسنة ٢٠١٤، والمنشور على الوقائع العراقية بالعدد(٤٣١٤) في ١٠/ ٣/ ٢٠١٤ .

المواطنين في ضوء القواعد القانونيّة النافذة))[١]، وبذلك فإنّ المشرِّع العراقيّ قد وضع تعريفًا جامعًا مانعًا للوظيفة العامّة، والمتتبِّع لمسار القوانين الإداريّة يجد المشرِّع قد استخدم العديد من المرّات لمصطلح (الوظيفة، الوظيفة العامّة، التوظيف)[٢].

٢. التعريف القضائيّ للوظيفة العامّة: من الواضح أنّ القضاء قد وجد القانون قد سبقه في تعريف الوظيفة العامّة فلا طائل من وضع تعريف طالما يتحدَّد في منطق نصّ القانون فاكتفى بذلك . ومن طريق بحثنا في الأحكام القضائيّة لم نجد هنالك تعريفًا للوظيفة العامّة وإنّما توجد تعاريف حول الموظّف العامّ، وهو ((كلّ من يعمل في دائرة أو مؤسّسة تديرها الدولة وتكون أموالها عامّة))[٣]، وهذا الأمر دعا القاضي لاستخدام مصطلح الوظيفة العامّة والموظّف العامّ في العديد من القرارات القضائيّة في العبارة الآتية: ((حيث سبق أن تمّ تعيين المدّعي بصفة «مدرس مساعد» وباشر بالوظيفة العامّة))[٤]، وذهب القرار ذات الاتجّاه في ذكر مصطلح الوظيفة العامّة ((إنّ سبب الانقطاع أنّ الموظّفة قد أصابها مانع صحيّ أجبرها على ترك الوظيفة العامّة بتاريخ ٦/ ١٠/ ٢٠٢٣ وطالما أنّ الموظّفة قدّمت سببًا لذلك الانقطاع إمكانيّة إلغاء قرار الإدارة))[٥].

---

(١) المادة (٣) من قانون انضباط موظّفي الدولة والقطاع العام رقم (١٤) لسنة ١٩٩١ المعدل.

(٢) ينظر: المادة (٧ ، ٨) من قانون الخدمة المدنية العراقيّ رقم (٢٤) لسنة ١٩٦٠ المعدل، والمادة (١) من قانون الملاك رقم (٢٥) لسنة ١٩٦٠ المعدل ، والمنشور في جريدة الوقائع العراقية بالعدد (٣٠٠) في ٦/ ٢/ ١٩٦٠.

(٣) ينظر: في فتوى ديوان التدوين القانوني رقم (٩٦) في ٥/ ٦ / ١٩٥٩، مجلة التدوين القانوني ، العدد الثالث ، السنة الاولى، ص٢٦.

(٤) قرار المحكمة الإدارية العليا العراقية المرقم (٤٢٢/ ٢٠٢٤) في ١٤/ ٢/ ٢٠٢٤ قرار غير منشور.

(٥) قرار محكمة قضاء الموظفين العراقية المرقم (٣٧٨٩) في ٥/ ٢/ ٢٠٢٣، قرار منشور على موقع الفيس بك، صفحة المحامي مصطفى عدنان الأنباري، تاريخ الزيارة ٢٠/ ٩/ ٢٠٢٤.

٣. التعريف الفقهيّ للوظيفة العامّة: منذ ظهور فكرة الوظيفة العامّة كان هنالك ترابط مع فكرة المرفق العامّ، ومن الطبيعيّ أن تكون كذلك كونها بحاجة للتكيّف مع نشاط ذلك المرفق العام لتسيير أعماله، وقد اصطلح عليها الفقه الفرنسيّ بفكرة القوّة العموميّة[١] . وعلى الرغم من أنّ الدول قد أخذت بمفهوم الوظيفة العامّة إلاّ أنّ ذلك المعنى قد يختلف من بلد إلى آخر، فقد يقصد بها معنى خاصّ غير المعنى الشائع ولا محلّ لشرح هذا الموضوع في هذا البحث.

ومن هذا يمكن تعريف الوظيفة العامّة من خلال انصرافه إلى معنيين مختلفين وفقا للمعيار المستخدم: المعنى الماديّ (الموضوعيّ) : ويقصد به نشاط الإدارة المؤدّي بواسطة عمّالها، وبمعنى آخر مجموعة الاختصاصات والصلاحيّات القانونيّة التي يجب أن يمارسها صاحبها لتحقيق المصلحة العامّة[٢] . أمّا المعنى الآخر فهو المعنى العضويّ (الشكليّ) : الذي يذهب إلى نظام قانونيّ خاصّ يحكم أعوان الدولة كافّة في مختلف الإدارات العموميّة[٣] .

ومن التعريفات الفقهيّة تُعرَّف الوظيفة العامّة بأنّها ((كيان قانونيّ قائم في إدارة الدولة، وهي تتألّف من مجموعة أعمال محدّدة، ويُطلق على شاغلها اسم الموظف العام))[٤]. أمّا الدكتور سليمان الطماوي فيذهب للقول: ((تكون الوظيفة العامّة على أنواع: دائمة أو مؤقّتة، وهي مشغولة أو شاغرة، ولكلّ واحدة منها تعريفها

---

(١) ينظر: Frederic Coliin، L، aptitude dans le droit de la function publique p٥،L.G.D،paris٢٠٠٠

(٢) سياسات التوظيف في المؤسسات العمومية: ٢١ .

(٣) ينظر: الوظيفة العامة في التشريع الجزائري: ٨ .

(٤) الموظف العام وحقوقه وواجباته: ١٩ .

الخاصّ))[١]، وقد ذهب الأستاذ رفعت عبد الحليم إلى تعريفها قائلاً: ((الوظيفة هي توفير الكوادر البشريّة التي تحتاجها المنظّمة واللجوء إلى مصادر توفِّر هذه الموارد بمختلف الوسائل لتتمكّن من اختيار وتعيين الأشخاص للعمل))[٢]. وبذلك يمكننا تعريف الوظيفة العامّة بأنّها: النشاط الذي يقوم به العاملون لتحقيق سياسات الإدارة الرامية لتحقيق المصلحة العامّة وإحاطة ذلك النشاط بالنظم التشريعيّة التي تسير عليها .

المطلب الثاني: المبادئ الحاكمة للمتطلّبات الوظيفيّة

أوّلًا: المساواة في تولّي الوظيفة العامّة:

يعنى عدم وجود مانع أمام التقديم للحصول على الوظيفة العامّة بسبب الدين أو العرق أو المعتقد أو الجنس أو الوضع الاجتماعيّ، بمعنى آخر أنّ الوظائف العامّة تتوقّف على توفّر شروط التعيين فقط من دون وضع عراقيل أمام استحقاق الأفراد؛ لذا سعت النظم الحديثة كافة إلى تبنّي مبدأ المساواة في تولّي الوظائف العامّة من دون تمييز يذكر، وهذا يعدّ من أساسيّات الديمقراطيّة الإداريّة[٣]، وهذا جاء بعد نزف طويل من الزمن في تحكّم الطبقات المسيطرة وهيمنتها على الوظائف كافّة واستبعاد الطبقات الفقيرة في فرنسا وغيرها من البلدان، لذلك ظهر أواخر القرن الثامن عشر مبدأ المساواة الذي لم يكن لولا ظهور حركة المفكّرين أمثال جان جاك روسو المعروف بنظريّة العقد الاجتماعيّ و مونتسكيو صاحب كتاب روح القوانين وغيرهم[٤]. وهذا ما تمّ توثيقة في العديد من الإعلانات العالميّة ومنها وثيقة

(١) الوجيز في الادارة العامة: ٢٩٠ .
(٢) إدارة الإبداع التنظيمي: ٢٠٥ .
(٣) ينظر: إدارة شؤون موظفي الدولة وأصولها وأساليبها: ٤٥ .
(٤) ينظر: طرق اختيار الموظفين (دراسة مقارنة) : ٣ .

الإعلان العالميّ لحقوق الإنسان الفرنسيّ سنة ١٧٨٩، إذ أشار إلى ((أنّ جميع الأفراد يولدون أحرارًا، وبالتالي هم متساوون أمام القانون))[١]، وهذا ما انسحب لتبنّي دساتير فرنسا اللاحقة للأخذ بمبدأ المساواة ومنها دستورها لعام (١٧٩١، ١٨٧٣)، الأمر ذاته في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر في ١٠/ ١٢/ ١٩٤٨ [٢]. وقد أخذت العديد من المواثيق الدوليّة والدساتير للدول الأخرى بهذا المبدأ ولا يوجد مجال لذكرها في هذا البحث . أمّا على المستوى المحلّي نجد أنّ الدساتير العراقيّة قد أخذت به منذ الدستور الأساس لسنة ١٩٢٥ [٣]، الذي فتح الباب أمام الدساتير العراقيّة اللاحقة لتضمينها هذا المبدأ[٤] .

وفيما يتعلّق بالدستور الحالي لجمهورية العراق لعام (٢٠٠٥) فقد تضمّن هذا المبدأ، إذ نصّ ((العراقيّون متساوون أمام القانون دون تمييز بسبب الجنس أو العرق أو القوميّة أو الأصل أو اللون أو الدين أو المذهب أو المعتقد أو الرأي أو الوضع الاقتصادي أو الاجتماعيّ))[٥] .

لو أردنا إسقاط هذا المفهوم على عهد الإمام عليّ عليه السلام لمالك الأشتر لوجدناه متحقّق بوضوح، إذ أراد الإمام عليّ عليه السلام من وضع حدّ للأسلوب السائد في اختيار الموظّفين سابقًا، فجاء قوله: ((ثمّ انظر في أمور عمّالك، فاستعملهم اختبارًا، ولا

---

(١) المادة الأولى من وثيقة الإعلان الفرنسي لحقوق الإنسان والمواطن في ٢٦/ آب/ ١٧٨٩.
(٢) ينظر: المادة (٦-٢١ - ٢٣) ذات المعنى من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام ١٩٤٨.
(٣) نصت المادة (٦) من القانون الأساسي العراقي لعام ١٩٢٥ (لا فرق بين العراقيين في الحقوق أمام القانون وإن اختلفوا في القومية والدين واللغة) ، دستور العراق ، تاريخ التشريع ، ١/ ١/ ١٩٢٥.
(٤) ينظر: التشريعات الدستورية في العراقي: ٣٤ .
(٥) المادة (١٤) من دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥ ، منشور في جريدة الوقائع العراقية بالعدد(٤٠١٢) في ٢٨/ ١٢/ ٢٠٠٥.

تولِّهم محاباة وإثـره))[١]، وهذا القول يُستدَلّ منه على اختيار العاملين بعيدًا عن الأهواء أو الرغبات والعلاقات والمصالح، أي التأكيد على مبدأ المساواة والمفاضلة وهو تطبيق لقول الرسول صلى الله عليه وآله : ((من وَلِيَ أمر المسلمين شيئًا فأمّر عليهم أحدًا محاباة فعليه لعنة الله، لا يقبل منه صرفًا ولا عدلًا حتّى يدخله جهنّم))[٢]، وبذلك فإنّ الإمام عليّ عليه السلام قد سار مع الفكر الإداري الإسلامي الذي جاء باختيار الموظّفين على أسس موضوعيّة بعيدًا عن المحاباة والإثـرة، بحيث لا يكون الاختيار على أساس الجور بل على نسق من العدل والمساواة[٣] .

ثانيًا: أسلوب اختيار الموظّف:

من الطبيعيّ أن تعمل الإدارات على اختيار أجود العاملين لديها وأفضلهم بسعي واضح لتسيير أعمالها بنجاح، وهذا الاختيار يكون مختلفًا بين بلد وآخر بحسب الوقائع الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة وحتّى القانونيّة التي تحكم البلد، وبالبحث في طرق اختيار الموظفين وأساليبها يمكن حصرها بأربعة أساليب: الاختيار الحرّ، الإعداد والتأهيل، الاختيار الديموقراطيّ، وأسلوب المسابقة والامتحان[٤] .

١ . أسلوب الاختيار الحرّ: سادت قديمًا طريقة اختيار الموظّفين وخاصّة الموظّفين الكبار من طريق منح الإدارة الحريّة الكاملة في اختيار العاملين لديها من دون أن تتقيّد بأيّ معيار تشريعيّ أو ضوابط معيّنة ومن دون أن تكون ملزمة بالإعلان عن تلك الوظائف، وبذلك مُنح الحكّام سلطة في ذلك لتقريب الأفراد الموالين لهم أو ذوات القرابة من الحاكم، والمرجع التاريخيّ لهذا الأسلوب هي الولايات المتّحدة

(١) عهد الإمام علي عليه السلام لواليه مالك الاشتر حين ولاه مصر ، سنة ٣٧هـ ٦٥٦م.
(٢) الترغيب والترهيب: ١٢٥ .
(٣) ينظر: النظم الإدارية والمالية في عهد الإمام علي عليه السلام : ١٣٤ .
(٤) ينظر: القانون الإداري: ١٣٠ .

الأمريكيّة التي انتشر فيها لحدّ عام ١٨٨٣ وكانت تسمّى بمصطلح (نظام الأسلاب والغنائم) الذي يقوم على مسك أنصار الحزب الفائز للمناصب والوظائف[١] .

٢. أسلوب الإعداد والتأهيل: هذا الأسلوب يعتمد على إنشاء كليّات ومعاهد تعمل على تأهيل الأفراد وتقويمهم لخلق خبرة نوعيّة لديهم قبل زجّهم في سوق العمل، وهذا يتطلّب أموالًا كبيرة لمثل ذلك العمل.

٣. أسلوب الاختيار الديمقراطيّ: هذا الأسلوب يتوقّف على اختيار شاغلي المناصب الوظيفيّة من طريق انتخابهم من قبل الأفراد في الدوائر أو الوحدات الإداريّة، و يسهم في شعور الأفراد بأنّهم على أهميّة كبيرة في تسيير الإدارات العامّة، لكنّ هذا يحمل بعض العيوب منها أنّ يُسيَّس هذا الأسلوب بنطاق حزبيّ ضيّق ويختار الموظّفين على أساس الولاء لذلك الحزب من دون الجودة والكفاءة .

٤. أسلوب المسابقة والامتحان: يُعدّ هذا الأسلوب من أفضل أنواع اختيار الموظّفين كونه يحقّق مبدأ تكافؤ الفرص والمساواة بين الأفراد، ويسهم بوصول أفضل المتقدّمين لشغل تلك الأعمال بعيدًا عن ميولات السياسة والأهواء الشخصيّة والمحسوبيّة، وقد انتشرت هذه الطريقة بصورة كبيرة حتّى باتت اليوم من أكثر الطرق انتشارًا في بلدان العالم[٢].

ونجد العراق قد أخذ هو الآخر بهذه الطريقة في اختيار الموظّفين بموجب قانون الخدمة المدنيّة وقانون مجلس الخدمة العامّة الاتّحاديّ، إذ نصّت المادّة (للمجلس اختبار مؤهّلات الأشخاص المراد تعيينهم...))[٣].

---

(١) ينظر: القانون الإداريّ: ١٤٥ .

(٢) ينظر: م. ن: ١٣١ .

(٣) المادة (٩) الفقرة خامسة عشر من قانون الخدمة العامة الاتحادي رقم (٤) لسنة ٢٠٠٩، والمنشور على جريدة الوقائع العراقية بالعدد (٤١١٦) بتاريخ ٦/ ٤/ ٢٠٠٩.

وعند مقارنة أسلوب اختيار الموظّفين والعاملين في مفاصل الدولة للتشريع العراقيّ مع عهد الإمام عليّ عليه السلام لمالك الأشتر نجده قد استعمل أسلوب الاختبار منذ ذلك الحين، إذ يوصّيه (... ثم انظر في أمور عمّالك، فاستعملهم اختبارًا ...)، هنا نجد الإمام عليّ عليه السلام يضع معيارًا مهمّا في اختيار العاملين والموظّفين في هيكل الدولة كونه يدرك جيّدًا أنّ الاختبار وحسن اختيار الموظّفين على أساس الكفاءة سيسهم في تحسين واقع الإدارة للدولة ومن ثَمّ يُعدّ انعكاسًا لتحسين معيشة الرعيّة[1].

وعند أخذ النصّ المذكور آنفًا وتحليله نجد أنّ الأسلوب العامّ في ذلك الوقت يكون على أسس عامّة منها الأسبقيّة بالإسلام أو التفقّه بالدين وغيرها، ولكنّ الإمام عليّ عليه السلام يضع معيارًا آخر وهو الاختبار الذي لم يكن معهودًا في زمانه، وهنا تكمن حكمة أمير المؤمنين عليه السلام في جذب الأشخاص الجيّدين وضمان كفاءتهم .

المطلب الثالث: المتطلّبات الوظيفيّة بين عهد الإمام عليّ والتشريعات العراقيّة

توجد العديد من المتطلّبات الوظيفيّة قد وضعها التشريع العراقيّ وكذلك تلك التشريعات المقارنة، فمنها متطلّبات شخصيّة ومنها متطلّبات عامّة (موضوعيّة)، ومن هذا وذاك نجد أنّ عهد الإمام عليّ عليه السلام لمالك الأشتر الذي ولّاه مصر قد وضع العديد من المتطلّبات الوظيفيّة بعض منها يُشعرك بوجود تناص بين الاثنين وهذا يعود إلى فلسفة أمير المؤمنين عليه السلام وحكمته التي سبقت كلّ النظريّات الحديثة في موضوع الوظيفة العامّة .

سوف نبيّن في هذا المطلب أهمّ تلك المتطلّبات الوظيفيّة في التشريع العراقيّ مع مقارنتها بالمتطلّبات في عهد الإمام عليّ عليه السلام محلّ الدراسة.

---

(١) ينظر: البرنامج الأمثل لإدارة الدولة وقيادة المجتمع في عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر: ٢٦٩ .

المتطلّب الأوّل: شرط التمتُّع بالجنسيّة العراقيّة:

يَشترِط المشرِّع العراقيّ في قانون الخدمة المدنيّة رقم (٢٤) لسنة ١٩٦٠ شرط تمتُّع الموظّف بالجنسيّة العراقيّة، إذ ينصّ ما يأتي: ((لا يُعيّن لأوّل مرّة في الوظيفة الحكوميّة إلّا من كان: ١- عراقيًا أو متجنِّسًا مضى على تجنُّسه مدّة لا تقلّ عن خمس سنوات))[١]، وهذا الشرط هو تطبيق للسيادة الدوليّة التي تحرص جميع الدول على حمايتها وضمان الولاء لها، وكذلك المجنّس الذي اشتُرِط إتمام مدّة الخمس سنوات على تمتُّعه بالجنسيّة، وهذا طبيعيّ جدًّا حتّى يضمن ولاء ذلك الشخص للبلد، غير أنّ المشرِّع العراقيّ لم يكتف بذلك وإنّما قد وضع شرطًا آخر وهو تمتّعه بالحقوق المدنيّة، فقد يفقد بعض الأشخاص تمتُّعهم بتلك الحقوق كعقوبة تبعيّة لارتكابهم بعض الجرائم التي نصّ عليها قانون العقوبات العراقيّ رقم (١١١) لسنة ١٩٦٩ المعدّل[٢].

لكن على الرغم من ذلك نجد أنّ المشرِّع العراقيّ قد واجه هذا المتطلّب بالعديد من التعديلات، ومن أمثلة ذلك:

أوّلًا: ((يُحرَم العراقيّ الذي يتزوّج من أجنبيّة بعد ٣١/ ١٢/ ١٩٦٨ من التوظيف في دوائر الدولة ولا تعتبر المرأة العربيّة من أبوين عربيّين أجنبيّة لهذا الغرض))[٣].

ثانيًا: ((يجوز تعيين المواطن العربيّ موظفًا في دوائر الدولة ومؤسّساتها إذا توافرت فيه الشروط ذاتها التي تتطلّبها قواعد الخدمة بالنسبة للعراقيين))[٤].

---

(١) الفقرة (١) المادة (٧) من قانون الخدمة المدنية العراقي رقم (٢٤) لسنة ١٩٦٩ المعدل.

(٢) ينظر: القانون الإداري: ١٢٨.

(٣) القرار المرقم (١٩٧) لسنة ١٩٦٨، نشر في جريدة الوقائع العراقية بالعدد (١٦٢٦) في ٢٢/ ٩/ ١٩٦٨.

(٤) الفقرة (أولا) من القرار المرقم (٣٨٤) لسنة ١٩٧٧، نشر في الوقائع العراقية بالعدد (٢٥٨٠) في ٤/ ٤/ ١٩٧٧.

ثالثًا: ((يعامل الفلسطينيّ المقيم إقامة دائمة في العراق معاملة العراقيّ في جميع الحقوق والواجبات باستثناء الحقّ في الحصول على الجنسيّة العراقيّة))[١] .

رابعًا: توجد العديد من القرارات التي عُدّلت من هذا المتطلّب[٢] .

خامسًا: ((لا يجوز للعراقيّ الذي يحمل جنسيّة أخرى مكتسبة أن يتولّى منصبًا سياديًا أو أمنيًا رفيعًا إلّا إذا تخلّى عن تلك الجنسيّة))[٣] .

لو أردنا مقارنة هذا المتطلّب مع عهد الإمام عليّ عليه السلام لوجدنا هنالك تشابهًا كبيرًا من حيث أنّ قصر المناصب والأعمال بأشخاص كثر ضمانًا لصون سيادة البلد وحرصهم على إدارته بصورة صحيحة، إذ يقول عليه السلام ((وتوخّ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام المتقدّمة، فإنّهم أكرم أخلاقًا وأصحّ أعراضًا وأقلّ في المطامع إشراقًا وأبلغ في عواقب الأمور نظرًا))[٤]، وهنا نجد أنّ هنالك فلسفة عميقة في اختيار هذه الفئة، إذ تكون لهم رؤية لعواقب الأمور ويتحسبّون لها كذلك الأمر في عدم انجرارهم للمخالفات الشرعيّة والقانونيّة التي قد تؤدّي إلى التأثير في كينونة المؤسّسة ومن ثَمّ الدولة، فالمشرّع عندما وضع شرط الجنسيّة كان يقابله الشرط أعلاه في عهد أمير المؤمنين عليه السلام .

المتطلّب الثاني: حُسن السيرة والسلوك:

اشترط المشرِّع العراقيّ في قانون الخدمة المدنيّة على أن يتمتَّع المتقدِّم

---

(١) الفقرة (أولا) من القرار المرقم (٢٠٢) لسنة ٢٠٠١، مع الإشارة إلى أن مجلس الدولة العراقي قد أصدر قرار رقم (٣٦) سنة ٢٠١٠ بأن قرار مجلس قيادة الثورة أعلاه نافذ المفعول.

(٢) قرار رقم ١٥٠ لسنة ١٩٨٠، قرار رقم ٥٣٦ لسنة ١٩٧٤ ، قرار رقم ٨٣٧ لسنة ١٩٧١.

(٣) الفقرة (٤) من المادة (٩) من قانون الجنسية العراقية رقم (٢٦) لسنة ٢٠٠٦ ، والمنشور بجريدة الوقائع العراقية بالعدد (٤٠١٩) في ٧/ ٣/ ٢٠٠٦.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧/ ٦٨ .

للتعيين بحسن السيرة والسلوك، إذ أشار إلى ((حسن الأخلاق وغير محكوم بجناية غير سياسيّة أو بجنحة تمسّ الشرف كالسرقة والاختلاس والتزوير والاحتيال))[١]، وحسن السلوك والسيرة الجيّدة: هي عبارة عن مجموع من المواصفات أو الصفات الحميدة والخصال الجيّدة في المجتمع التي يكون على أساسها صاحبها محلّ ثقة لدى الآخرين. وفي كلّ الأحوال فإنّ عبء إثبات غير حسن السيرة للشخص المتقدِّم يقع على عاتق الإدارة التي سيُسبِّب قرارها الإداريّ باستبعاد ذلك المتقدِّم لإشغال الوظيفة العامّة، ومن ثَمّ يكون قرارها عرضة للطعن أمام القضاء[٢] .

أمّا الشقّ الثاني من الفقرة القانونيّة السابقة فهو عدم المحكوميّة، وهذا واضح بعدم المحكومية في تلك الجرائم كونها وردت على سبيل الحصر لا المثال، وقد وردت العديد من التعديلات على هذا الشرط منها نصّ القرار المرقم (١٧٣٠) لسنة ١٩٧٩ فيما نصّه ((يُلغى كلّ نصّ يشترط للتعيين أو لإعادة التعيين في دوائر الدولة ومؤسّسات القطّاع الاشتراكيّ... تقديم شهادة عدم محكوميّة أينما وردت في القوانين والأنظمة والتعليمات، ويُعفى المواطنون من تقديم تلك الشهادات))[٣]، ويوجد قرار معدّل لهذا الشرط منها تعديل قانون ردّ الاعتبار رقم (٣) لسنة ١٩٦٧ [٤] . ويذهب الدكتور مازن ليلو إلى أنّ هذا الشرط نسبيّ يختلف من مجتمع إلى آخر.

المتطلّب الثالث: إتمام الأهليّة القانونيّة:

يذهب قانون الخدمة المدنيّة رقم (٢٤) لسنة ١٩٦٠ المعدّل إلى اشتراط

(١) الفقرة (٤) من المادة (٧) من قانون الخدمة المدنية رقم (٢٤) لسنة ١٩٦٠ المعدل.

(٢) ينظر: الوسيط في القانون العام: ٣٣٦ .

(٣) الفقرة (أولا) من القرار المرقم (١٧٣٠) الصادر في ١١/ ١٢/ ١٩٧٩، والمنشور في الوقائع العراقية بالعدد(٢٧٤٨) في ٣١/ ١٢/ ١٩٧٩.

(٤) القرار المرقم (٩٩٧) في ١٩٧٨، إلغاء قانون رد الاعتبار رقم (٣) لسنة ١٩٦٧ ، والمنشور في الوقائع العراقية بالعدد(٢٦٦٧) في ٧/ ٨/ ١٩٧٨.

الأهليّة، إذ تكون الأهليّة في كلّ من ((أكمل الثامنة عشر من العمر وللممرضة السادسة عشرة))[١]، وهذا المتطلّب يعدّ ضروريًّا جدًّا؛ لأنّ الإنسان يصل إلى سنّ معيّن يكون قادرًا على تحمّل المسؤوليّات وأكثر نضجًا في أعماله وأفكاره، والأهليّة المطلوبة هي إكمال الثامنة عشر أي صبيحة اليوم الأول من عامه (١٩)، وحسب النصّ قد أورد استثناء للممرّضات هو إكمال سنّ (١٦) .

والسؤال هنا: هل يوجد سنّ أعلى طالما حدّ القانون أقلّ سنّ ممكن للتعيين؟ والجواب: نعم هو (٦٠) عام وهو سنّ التقاعد[٢]، إذ لا تستطيع الإدارة رفض تعيين الفرد الذي يصل إلى سنّ التقاعد وكذلك إعادة تعيينه قبل تخطّيه ذلك السنّ[٣].

لو وضعنا هذا الشرط تحت مجهر التحليل القانونيّ لوجدنا أنّ الإمام عليّ عليه السلام أخذ به بصورة ضمنيّة في قوله لمالك (وتوخ منهم أهل التجربة ... فإنّهم ... أبلغ في عواقب الأمور نظرًا)، وهنا يؤكّد على أهل التجربة، ومن المؤكّد أنّ تلك التجربة لا تأتي من صغير السنّ الذي لم يدرك الحياة بعد، وإنّما من هؤلاء الذين خاضوا صراع التجربة، أمّا الشطر الثاني من الاقتباس (يكونوا أبلغ في عواقب الأمور نظرًا) فيدلّ على أنّ الإنسان يُدرك عواقب الأمور بسنّ كبير ونضج عقليّ لا ينطبق على صغار السنّ .

المتطلّب الرابع: المؤهّل العلميّ:

قد حرص المشرِّع على ((حائز شهادة دراسية معترف بها))[٤]، بذلك عند

---

(١) الفقرة (٢) المادة (٧) من قانون الخدمة المدنية رقم (٢٤) لسنة ١٩٦٠ المعدل .

(٢) الفقرة (اولا) من المادة (١٠) من قانون التقاعد الموحد رقم (٩) لسنة ٢٠١٤المعدل ، والمنشور بالوقائع العراقية بالعدد (٤٣١٤) في ١٠/ ٣/ ٢٠١٤.

(٣) ينظر : قرار مجلس الدولة العراقي المرقم (٧٢/ ٢٠٠٥) الصادر في ١٦/ ١١/ ٢٠٠٥، علما أنّ القرار كان تطبيقا لقانون التقاعد الملغي والذي يحدد سنّ التقاعد بـ(٦٣) عام .

(٤) الفقرة (٥) المادة (٧) من قانون الخدمة المدنية رقم (٢٤) لسنة ١٩٦٩ المعدل .

طلب التعيين لا بدّ من توفُّر المؤهّلات العلميّة التي تحفظ كفاءة معيّنة للقيام بالوظيفة[1] . وفي زمن أمير المؤمنين عليه السلام لم تكن الأمور كذلك في الحصول على شهادات معترف بها، وإنّما كانت الدراسات الدينيّة وتعلُّم القرآن الكريم هي السائدة، كذلك الخبرة من جرّاء التجربة الطويلة في النظم الإداريّة، ولذلك نجد أنّ الإمام يقول: (وتوخ منهم أهل التجربة والحياء ... والقدم في الإسلام المتقدم ...)، وهنا يقصد بأهل التجربة كونهم أكثر كفاءة لأداء الأعمال الموكلة إليهم، إذ إنّها تُعادل المؤهّل العلميّ.

المبحث الثاني: الرقابة على المتطلّبات الوظيفيّة:

قد تذهب الإدارة إلى أبعد من ذلك في انحرافها عن جادّة الصواب وعدم تطبيق تلك المتطلّبات الوظيفيّة التي وضعها القانون والتعليمات مستغِلّة الثغرات الموجودة في النصّ التشريعيّ، أو أنّها تستغلّ السلطة التقديريّة الممنوحة للإدارة في غير الغاية التي رسمها التشريع أو قد تستغلّ الإدارة عدم وجود ضوابط محدّدة لتعيين الأفراد، أو قد يكون الأمر ضعف الرقابة العامّة على متطلّبات التعيين، وبذلك نكون بحاجة إلى رقابة فعّالة على تلك المتطلّبات، فنجد أنّ التشريع العراقيّ قد رسم مجموعة من وسائل الرقابة فمنها إداريّة وسياسيّة وأخرى قضائيّة، وبمقارنة الموضوع مع عهد الإمام عليّ عليه السلام نجد أنّه فعل كذلك، فقد وضع نوعًا من الرقابة على الموظّفين الذين يتمّ اختيارهم لضمان عملهم بصورة جيدة .

ومن المعروف أنّ الرقابة تكون على أشكال عدّة، منها رقابة سياسيّة وقضائيّة وإداريّة ومنها رقابة سابقة ومنها رقابة لاحقة. وحيث أنّ الرقابة القضائيّة تكون متميّزة من بقيّة الأنواع لما تملكه من فعّاليّة واستقلاليّة في عملها من دون أيّ تأثير

(١) ينظر: أصول القانون الليبي: ٢/ ٣٣ .

في قراراتها لغير القانون فيقتصر البحث على دراسة الرقابة القضائيّة للمتطلّبات الوظيفيّة، فسوف ندرس المبحث على ثلاثة مطالب، يختصّ الأوّل في دراسة الرقابة القضائيّة على المتطلّبات الموضوعيّة للتعيين، بينما ينصرف الثاني لدراسة الرقابة القضائيّة على المتطلّبات الشخصيّة، والمطلب الثالث في دراسة الرقابة في عهد الإمام عليّ عليه السلام :

المطلب الأوّل: الرقابة القضائيّة على المتطلّبات الموضوعيّة للتعيين

إنّ المتتبِّع لسير التشريع العراقيّ يجد أنّ هنالك متطلّبات عامّة تسبق قرار التعيين، وهذه المتطلّبات تكون عامّة بحيث تنطبق على جميع المتقدّمين للوظيفة، في حين لا بدّ للإدارة مراعاتها قبل إصدار قرار التوظيف وفي خلافه يكون لسلطة القضاء الفصل في ذلك، وهذه المتطلّبات العامّة تُسمّى (المتطلّبات الموضوعيّة)، ومن أهمّها وجود درجة وظيفيّة، والإعلان عنها، كذلك صدور قرار التعيين، والإخطار بقرار التعيين.

أوّلًا: وجود درجة وظيفية شاغرة:

يعدّ هذا المتطلّب من أهمّ المتطلّبات الموضوعيّة، إذ يُشترط وجود درجة خالية في الموازنة الماليّة حتّى يمكن أن يتمّ التعيين على قرارها، ومن البديهيّ في القانون الإداريّ أنّ القرار الإداريّ حتّى يكون منتجًا لا بدّ أن يكون ممكنًا من الناحية القانونيّة والواقعيّة وفي حالة عكس ذلك يكون القرار ليس عرضة للإلغاء أو السحب فقط وإنّما يكون منعدمًا وغير منتجًا لآثاره مثلما يتمّ تعيين موظّف في وظيفة ويتبيّن أنّها مشغولة من موظّف آخر بالفعل [1] .

ويعلّق المشرّع العراقيّ صحّة قرار التعيين على وجود الدرجة الوظيفيّة الخالية

(١) ينظر: أوجه الطعن بإلغاء القرار الإداري: ٣٣٧ .

وكذلك توفّر الاعتماد الماليّ، إذ يعدّهما من المتطلّبات الضروريّة[١]، وقد اتجّه مجلس الدولة العراقيّ ومن طريق الهيأة العامّة التي تعدّ الهيأة التمييزيّة آنذاك إلى القول: ((وُجِد أنّ المدّعي سبق أن رشّح لتعيينه بوظيفة مدير عام في وزارة العمل والشؤون الاجتماعيّة ولم يصدر أمرًا بالتعيين لعدم وجود وظيفة شاغرة، وبناء على طلبه نُقل إلى وزارة التعليم العالي ثُمّ قدّم طلبًا إلى وزارة العمل يطلب فيه تعيينه بوظيفة المدير العام، وحيث أنّ الوظيفة غير متوفّرة في وزارة العمل فيكون الترشيح لها معدومًا من الناحية القانونيّة لافتقاره ركنًا أساسيًا، ولأنّ مجلس الانضباط قد اعتمد هذا الاتّجاه وردّ الدعوى عليه تقرّر تصديق الحكم المميّز وردّ الطعون التمييزيّة))[٢].

وبعطف الموضوع على عهد الإمام عليّ عليه السلام بما يتعلّق بوجود درجة شاغرة، فمن البديهيّ بعد انهيار الدولة في عهد الخليفة عثمان والاضطراب المعروف الذي حدث كانت هنالك مهمّة على الخليفة الذي يأتي بعده، وبالفعل كانت مهمّة الإمام عليّ عليه السلام شاقّة ومتمركزة على تثبيت الولاة ومنها مصر، فقد كلّف الصحابيّ مالك الأشتر بها، وهذا يعني أنّ هنالك وظائف شاغرة في الدولة لأشغالها، على الرغم من قلّة تلك الوظائف كون الدولة كانت حامية وليست متدخّلة. وما نفهمه أنّ هذا المتطلّب الموضوعيّ يكون بديهيًّا وكلّ الوظائف القديمة والحديثة تعمل على هديه.

ثانيًا: الإعلان عن الوظيفة:

أغلب التشريعات القانونيّة تشترط ضرورة الإعلان عن الوظيفة العامّة قبل مدّة معقولة ليتسنّى للعامّة الاطّلاع عليها، وبذلك يحقّق أكبر ضمانة ألَا وهي

(١) الفقرة(١) من المادة (٨) من قانون الخدمة المدنية العراقي رقم (٢٤) لسنة ١٩٦٠ المعدل.
(٢) قرار الهيأة العامة لمجلس الدولة، رقم (٢٨)/ انضباط / تمييز/ ٢٠١٢، بتاريخ ١٥/ ٣/ ٢٠١٢، منشور في مجموعة قرارات وفتاوى مجلس الدولة لعام ٢٠١٢، وزارة العدل، جمهورية العراق، ص٢٢٩-٢٣٠.

المساواة بين الأفراد للحصول على الوظيفة، ولو تتبّعنا المسار القضائيّ في العراق نجده قد أخذ بالإعلان عن الوظيفة العامّة قبل البدء بترويج معاملات التعيين، ومن جانب أسبق من القضاء نجد أن التعليمات قد أوجبت الإعلان عن الدرجات الوظيفية الشاغرة[١]، إذ أشارت الهيأة العامّة لمجلس الدولة العراقيّ ((لدى عطف النظر على الحكم المميّز وجد أنّه غير صحيح ... ذلك لأنّ المدّعية (المميّز عليها) سبق أن صدر الأمر الإداريّ بتعيينها بوظيفة حِرَفيّ على الملاك الدائم في بلدية كربلاء المقدّسة... ولعدم توفّر شرط الإعلان عن تلك الوظيفة... لذا أصدرت بلدية كربلاء بناء على كتاب وزارة البلديات المرقم (٣٦٠) في ١٩/ ٦/ ٢٠٠٥ بإلغاء أمر التعيين لعدم توفّر شرط الإعلان... لذا يعتبر أمر دائرة البلديّة صحيحًا من الوجهة القانونيّة))[٢] .

ثالثًا: الرقابة القضائيّة على صدور قرار التعيين:

إنّ متطلّبات التعيين لا تكتمل مالم تترجم إلى صدور قرار إداريّ بتعيين الشخص في الدرجة الوظيفية المقرَّرة، ولا يعدّ موظفًا مالم يصدر به ذلك القرار حتّى لو تقاضى مبلغًا ماليًّا جرّاء عمله، ويكون محلّ المغتصِب للوظيفة مالم يصدر أمر تعيينه من السلطة المختصّة[٣] .

وبالابتعاد عن موضوع الموظّف الفعليّ وما يملكه من نظريّات وآراء فقهيّة

---

(١) تعليمات ذي العدد (١١٩) لسنة ١٩٧٩ ، والضوابط الواردة في الملحق رقم (١) ، والتي تضمنت أسس وضوابط إشغال الوظائف العامة، الصادرة تنفيذا للبند (أولا) المادة (٦٦) من قانون الخدمة المدنية العراقي رقم (٢٤) لسنة ١٩٦٠ المعدل.

(٢) قرار مجلس الدولة العراقي رقم (٤٥) لسنة ٢٠٠٦، بتاريخ ٦/ ٣/ ٢٠٠٦، منشور في مجلد قرارات وفتاوى مجلس الدولة لعام ٢٠٠٦ ، ص٤٣٨.

(٣) ينظر: موسوعة القضاء الإداري: ٧٢ .

لعدم وجود اتّساع في هذا البحث نقتصر على ما ذهب إليه المشرِّع العراقيّ في هذا الصدد، إذ أشارت المادّة إلى أنّه ((إذا ثبت بأنّ شروط التوظيف المنصوص عليها في المادّتين (٧،٨) من القانون لم تكن متوفّرة كلّها أو قسم منها في الموظّف عند تعيينه لأوّل مرّة يجب اقصاؤه بأمر من سلطة التعيين))[١]، وفي اتجّاه الرقابة القضائيّة نجد أنّ مجلس الدولة قد أخذ بنظريّة الموظّف الفعليّ إذ أشار إلى ((أنّ الأعمال التي يقوم بها ذلك الموظّف الذي ثبت بأنّ قرار تعيينه غير مشروع لأنّه صادر بالاستناد إلى وثائق مزوّرة، تكون ملزمة للإدارة طبقًا لنظريّة الوضاع الظاهرة – الموظّف الظاهريّ أو الفعليّ))[٢]، وبذلك يكون قرار التعيين ذات أهميّة كبيرة في مجال متطلّبات التوظيف.

رابعًا: الرقابة القضائيّة على العلم بقرار التعيين:

ولكي تتمّ عمليّة التوظيف بصورة صحيحة منتجة لا بدّ من إتمام الشكليّة القانونيّة من طريق إبلاغ الفرد المعنيّ بقبول تعيينه، وهذا التبليغ يكون على أشكال عدّة.

١. **النشر**: وهو اتّباع الإدارة للشكليّات المقرّرة لكي يعلم الجمهور[٣]، وقد نجد بعض التشريعات تضع شروطًا للنشر أو كيفيّة معيّنة وبذلك تلتزم الإدارة بالنصّ دون مخالفته، ومن أمثال النشر كأن تُلزم التشريعات الإدارة بضرورة النشر في الجريدة الرسميّة أو أيّ وسيلة أخرى، وهنا غاية المشرِّع في إيصال العلم للجمهور كافّة ويؤدّي وظيفته .

٢. **التبليغ**: ويقصد به أن يتمّ تبليغ الشخص بالذات بأيّ وسيلة تؤدّي لحصول إبلاغ

(١) المادة (٦٢) من قانون الخدمة المدنية رقم (٢٤) لسنة ١٩٦٠ المعدل .

(٢) قرار مجلس الدولة العراقي المرقم (٧/ ٢٠١١) في ٣١/ ١/ ٢٠١١، منشور في قرارات وفتاوى مجلس الدولة لعام ٢٠١١ ، وزارة العدل ، ص٦٢.

(٣) ينظر: النظرية العامة للقرارات الإدارية «دراسة مقارنة»: ٦٠١ .

حقيقيّ للشخص المعنيّ، كأن يتمّ تسليمه أمر التعيين أو أخذ إمضائه على سجل أو ورقة معيّنة عند تسلّمه البريد، وهنا قد يكون التبليغ تحريريًا وقد يكون شفويًا[١].

٣. العلم اليقينيّ: ويقصد به بصورة عامّة إيصال علم الفرد عن طريق غير طريق الإدارة[٢]، وبالنظر لاتجاه مجلس الدولة العراقيّ إذ أخذ بالعلم اليقينيّ يعدّ تاريخًا لسريان مدّة الطعن[٣].

المطلب الثاني: الرقابة القضائيّة على المتطلّبات الشخصيّة للتعيين:

كما أشرنا في المبحث الأول إذ لاحظنا هنالك مجموعة من المتطلّبات الشخصيّة التي يلزم القانون توافرها في الشخص حتّى يستطيع الحصول على الوظيفة، وعلى اختلاف الأنظمة الدوليّة في تنظيم متطلّبات التوظيف لكنّها تشترك في المتطلّبات الشخصيّة لكونها ذات أثر مباشر على الوظيفة العامّة، وهنا يأتي دور الرقابة القضائيّة ليطال تلك المتطلّبات الشخصيّة وكما سياتي تبيانه:

أوّلًا: الرقابة القضائيّة على متطلّبات الجنسية والعمر:

تعرف الجنسيّة على أنّها: ((علاقة قانونيّة تربط فردًا معيّنًا بدولة معيّنة))[٤]، من هذا المفهوم توجد علاقة وثيقة بين الجنسيّة والوظيفة العامّة، إنّ فلسفة استخدام هذا المتطلّب هو لدواعي أمنيّة وسياسيّة تمنع مَن لم يحمل جنسيّة الدولة بتمتُّعه بالتعيين في الوظيفة العامّة، ولكن مع هذه الغاية الحيويّة نجد هنالك بعض الدول قد تعطي مجموعة من الاستثناءات على تولية الوظيفة العامّة؛ وذلك لنقص الخبرات أو المهارة اللازمة لتلك الوظائف مع الأخذ بالمدّة بين تجنيس الفرد وبين تولّيه الوظيفة.

(١) ينظر: الرقابة القضائية على شرط التعيين في الوظيفة العامة «دراسة مقارنة»: ١٧٦ .
(٢) ينظر: النظرية العامة للقرارات الإدارية «دراسة مقارنة»: ٦٠٢ .
(٣) ينظر: الرقابة القضائية على شرط التعيين في الوظيفة العامة «دراسة مقارنة»: ١٧٩ .
(٤) تولية الوظيفة العامة: ٤٨٥ .

وفي استعراضنا للرقابة القضائية وجدنا العديد من الأحكام التي تصدت بموجبها المحاكم الفرنسية والمصرية لقرارات الإدارة فيما يتعلق بمتطلب الجنسية، لكن على مستوى المحاكم العراقية لم نضع اليد على أي قرار يتعلق بمتطلب الجنسية وارتباطه بالوظيفة بقدر ما اطلعنا عليه من احكام .

أمّا متطلّب العمر (السن القانوني) فهو الآخر قد أخذ العديد من التشريعات بتحديد سنّ البلوغ حتّى يتسلّم الوظيفة، ومنبع هذا المتطلّب هو أن يصل الشخص إلى النضج الذهنيّ والتمييز ممّا يجعله قادرًا كفاية على تحمُّل المسؤوليّة الملقاة عليه جرّاء الوظيفة وأعبائها[١] .

ونجد مجلس الدولة العراقيّ وفي حكم له سار باتّجاه متميّز، إذ أكّد على اعتماد الإدارة وأنّه لا بدّ أن يكون على المستند الرسميّ كي يتثبّت من العمر، وهذا المستند هو المعوّل عليه للوصول إلى العمر الحقيقيّ للمتقدّم للتعيين وفقًا لما قرّرته المادّة (٤٨) من قانون التقاعد رقم (٣٣) لسنة ١٩٦٦الملغي[٢]، وهذا يقطع الشكّ أنّ الرقابة القضائيّة تمتدّ لتصل إلى فحص متطلّبات العمر عند تعيين الموظّف، وأنّ التثبّت من العمر الحقيقيّ عبر المستند الثبوتيّ الصادر من دائرة الأحوال الشخصيّة.

ثانيًا: الرقابة القضائيّة على متطلّبي الصحّة البدنيّة وحسن الأخلاق:

إنّ بعض الإدارات ترفض تعيين الشخص بحجّة السلامة الصحيّة أو الجسديّة، وقد أخذ دور القضاء يتّسع لفحص تلك الحالات والتثبّت من صحّتها، بل الأمر قد تعدّى ذلك من خلال النظر إلى ملائمة الإصابة للوظيفة التي يراد تعيينه

(١) ينظر: النظام القانوني للعمدة في ظل تعيين العمد: ٤٩ .

(٢) قرار الهيأة العامة لمجلس الدولة رقم (٣١٩/ انضباط / تمييز /)٢٠٠٦، بتاريخ ١٨/ ١٢/ ٢٠٠٦ ، منشور في بحث د. صادق محمّد علي و أزهر منهل موسى: مصدر سابق ، ص١٨٣.

عليها، ومثال ذلك أن يتقدَّم شخص فاقد للبصر فهذا لا يمنعه من التعيين في وظيفة أستاذ جامعيّ لعدم وجود تعارض بين الوظيفة وبين الإصابة الجسديّة، ومن الأمثلة الأخرى فقدان اليد لا يمنع من تعيين الشخص في مركز مفتّش في دائرة البريد. وفي العراق لاحظنا سابقًا أنّ التشريع واضح من حيث اشتراطه أن يكون الشخص سالمًا من الأمراض والعاهات الجسميّة والعقليّة، ومع ذلك لا يوجد مانع من استثناء بعض الأفراد على الرغم من إصابته بعاهة أو مرض من شغل الوظائف التي لا تتأثّر بتلك العاهة أو بمرضه[1] .

أمّا ما يتعلّق بموضوع حسن السيرة والأخلاق فهذا رصيد كلّ إنسان في الحياة، وفلسفة ذلك لضمان وصل ذوي الأخلاق العالية والرفيعة للوظائف العامّة ومستبعدين غير ذلك والذين قد يؤثّرون على كرامة الوظيفة وهيبتها.

وقد كان هنالك موقف للقضاء العراقيّ في محلّ استفتاء من قبل وزارة الداخليّة حول تعيين شخص محكوم عليه بجريمة مخلّة بالشرف فكانت الفتوى ((حيث أنّ المادة (السابعة) من قانون الخدمة المدنية رقم «٢٤» لسنة ١٩٦٠ المعدّل نصّت على «لا يعيّن في الوظائف الحكومية إلّا من كان ... ٤-حسن الأخلاق وغير محكوم بجناية غير سياسية ...» وحيث أنّ الفقرة «١» من المادة «١٥٣» من قانون العقوبات رقم «١١١» لسنة ١٩٦٩ نصّت على « العفو العام يصدر بقانون وترتب عليه انقضاء الدعوى ومحو حكم الإدانة الذي يكون قد صدر فيها، وسقوط جميع العقوبات الأصليّة والتبعيّة والتكميليّة والتدابير الاحترازيّة ولا يكون له أثر على ما سبق تنفيذه من العقوبات ما لم ينصّ قانون العفو على غير ذلك» ... يجوز تعيين الشخص

---

(١) ينظر: قرار مجلس قيادة الثورة (المنحل) رقم (٢٠٨) في ٧/ ٢/ ١٩٨٠، والمعدل بقرار رقم (٤٢٤) في ٢٤/ ٣/ ١٩٨٠.

المحكوم عن جريمة مخلّة بالشرف بعد شموله بقانون العفو العام إذا تحقّقت الإدارة من حسن سيرته))[١] .

ونرى أنّ مجلس الدولة قد وضع معيارين في هذا الصدد، فالمعيار الأوّل صدور العفو العام الذي يحذف التجريم من جهة، وقد رجعت بعد ذلك وأكّدت على التأكّد من حسن السيرة وهذا يحتاج إلى تعمُّق وفلسفة أعمق من هذا القرار، وعلى الرغم من ذلك فإنّ الرقابة القضائيّة قد أخذت بمعيار حسن السيرة والسلوك وعدم وجود محكوميّة بذلك .

ثالثًا: الرقابة القضائيّة على متطلّب التأهيل العلميّ:

ممّا لا شكّ فيه أنّ المؤهّل العلميّ يُعدّ أحد الركائز المهمّة في عمليّة التوظيف؛ ذلك لما يمثّله من خبرة ودراية وخلفية فكريّة عن العمل الوظيفيّ المكلَّف به، ولأهميّة هذا المتطلّب في التعيين فقد ذهب القانون إلى أنّ من يتعيّن وهو لا يملك هذا الشرط يُعدّ القرار ليس باطلًا فحسب وإنّما معدومًا[٢] .

ففي العراق نجد أنّ الرقابة القضائيّة على هذا المتطلّب في التعيين تأخذ دورًا واسعًا بل تُشدِّد على تحقُّقه، وفي هذا الصدد ذهب قرار الهيأة العامّة لمجلس شورى الدولة يؤكّد على بطلان القرار الإداريّ المبنيّ على وثائق وشهادات مزورة، إذ ينصّ القرار ((والمتضمّن عزل المعترض «المميَّز عليه» نتيجة قيامه بتقديم وثائق مزوّرة عند التعيين استنادًا إلى حكم الفقرة «أ» من البند « ثامنا» من المادة «٨» من قانون انضباط موظّفي الدولة والقطاع العام رقم «١٤» لسنة ١٩٩١، إذ إنّ عقوبة العزل لا

(١) ينظر: قرار مجلس الدولة المرقم (٣٧/ ٢٠١٧) بتاريخ ٢٢/ ٣/ ٢٠١٧، منشور في قرارات مجلس الدولة وفتاواه لعام ٢٠١٧، جمهورية العراق ، مجلس الدولة ، ص١١٢ .

(٢) ينظر: موسوعة القضاء الإداريّ: ٥٣ .

تنطبق على الواقعة المنسوبة إلى المعترض «المميَّز عليه»؛ لأنّ تقديم وثائق مزوّرة يؤدّي إلى افتقاره شرطًا من شروط التوظيف ابتداء عند التعيين لأوّل مرّة، وحيث أنّ قرارات التعيين في الوظائف المستندة إلى وثائق ثبت أنّها مزوّرة تُعدّ من القرارات المعدومة وجزاؤها السحب))[1].

المطلب الثالث: الرقابة على التوظيف في عهد الإمام عليّ عليه السلام لمالك الأشتر

ممّا لا شكّ فيه أنّ هذه الوثيقة التاريخيّة الهامّة قد أعطت بعدًا آخر للوظائف والمناصب في العهد الإسلامي كونها قد خرجت عن المألوف الذي سار عليه الأقدمون في تولية المراكز الإداريّة والوظيفيّة، وأنّ الجنبة الحداثويّة في مظهرها قد أعطاها هذا الاهتمام في دراستها والبحث في خفاياها، ومثلما أثبتنا في المبحث الأوّل من هذه الدراسة أنّ هنالك تناصًّا أو تقاربًا ما بين التشريع العراقيّ وبين عهد أمير المؤمنين عليه السلام في مجال المتطلّبات الوظيفيّة، فهنا لابدّ من إثبات وجود رقابة على تلك المتطلبات باعتباره الشقّ الثاني من هذه الدراسة، والسؤال الذي يرد هنا: هل توجد رقابة على تعيين الموظّفين في عهد الإمام عليّ عليه السلام أو أنّه لا توجد؟ وإذا قلنا هنالك رقابة، فما هي طبيعتها؟ فهل هي رقابة سابقة أو لاحقة؟ أو هل هي رقابة قضائيّة، إداريّة، سياسيّة؟

إنّ المتتبّع لمسار الوثيقة يجد أنّ هنالك رقابة وهذا ما أُشير إليه في قوله عليه السلام (ثمّ تفقّد أعمالهم، وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم ...)، إنّ المتبصّر في هذا النصّ ومن منظور قانونيّ يجد أنّ ثمّة رقابة على أعمال من تمّ تعيينهم، وهنا

(١) قرار الهيأة العامة لمجلس الدولة رقم (٦٣٢ / انضباط / تمييز / ٢٠١٠) بتاريخ ١٤/ ١٠ / ٢٠١٠ ، منشور في قرارات وفتاوى مجلس الدولة لعام ٢٠١٠ ، جمهورية العراق ، وزارة العدل ، ص٤٠٦.

نكون أمام رقابة لاحقة وليست سابقة من خلال قول الإمام عليه السلام (ثمّ تفقّد أعمالهم...) أي بعد إجراء عمليّة التوظيف في المحلّ المراد إشغاله، وبلا شكّ يمكن الاستدلال على نوع الرقابة هنا على أنّها رقابة إداريّة كونها تقوم من ذات الجهاز التنفيذيّ، من خلال ما يصله من تقارير بشأن أمور ولاته، وعليه وبغية الحيلولة من دون ارتكاب أيّ انحرافات للعاملين فقد أكّد الإمام عليّ عليه السلام على الرقابة وتدقيق مهامّهم وأعمالهم[١]، وهذا لا يعني أنّ الإمام عليّ عليه السلام لم يأخذ بالرقابة السابقة، بل بالعكس قد أخذ بها فطالما دعا أمير المؤمنين عليه السلام إلى واليه مالك الأشتر بضرورة تطبيق المعايير في اختيار العاملين فهنا سيكون مالك الأشتر محلّ محاسبة من قبل الخليفة في حال لم يطبّق تلك المتطلّبات في اختيار موظّفيه، وهذا ممّا لا يترك الشكّ أنّ هنالك رقابة سابقة على متطلّبات التوظيف في عهد الإمام عليّ عليه السلام لمالك الأشتر.

ثمّ نجد هنالك رقابة أخرى في ذات السياق، إذ يقول الإمام عليه السلام (...وتحفّظ على الأعوان، فأنّ أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك، اكتفيت بذلك شاهدًا، فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله، ثمّ نصبته بمقام المذلّة، و وسمته بالخيانة، وقلّدته عار التهمة))[٢] . من خلال ذلك يتبيّن جليًّا أنّ هنالك رقابة أخرى في هذا النصّ والمتمثّلة بالرقابة القضائيّة من خلال الاستدلال بالعديد من الدلالات، إذ إنّ مهنة الوالي آن ذاك لم تكن مهنة إداريّة (رئيس السلطة التنفيذية) فحسب وإنّما يقوم مقام القاضي الذي تُعرض عليه مجموعة من القضايا ومنها قضايا موظّفيه الذين يرتكبون المعصية (المخالفة القانونيّة)، وكذلك من الاستنتاجات على أنّها رقابة قضائيّة هو فرض

(١) ينظر: الدولة الإسلامية شرح عهد الإمام علي عليه السلام إلى مالك الأشتر النخعيّ: ١٢٩ .
(٢) عهد الامام علي عليه السلام لمالك الأشتر ، باب مراقبة أعمال عامليه.

العقاب على الجسد تارة وعلى ما أصابه في عمله تارة أخرى، وقد أشار النصّ السابق إلى استدلال آخر على أنّه رقابة قضائيّة هو استخدام وسائل الإثبات (...اكتفيت بذلك شاهدًا ...) أي دليل إثبات والمتمثّل بالشهادة وهنا تستخدم في المحاكمات.

وهذا المزج بين الرقابتين يُعطي فكرة كافية حول براعة الإمام عليّ عليه السلام في بسط الرقابة على العاملين في مفاصل الدولة، وهذا هو الآخر محلّ مقاربة مع التشريع العراقيّ الذي أخذ بالرقابة الإدارية من خلال دوائر التدقيق أو اللجان التحقيقيّة ومكاتب المفتّشين العموميّين، والأخذ كذلك من المشرّع العراقيّ بالرقابة القضائيّة والمتمثّلة بالمحاكم الإداريّة والمحاكم الاعتياديّة وهيأة النزاهة .

الخاتمة:

توصّل الباحث في هذا البحث إلى مجموعة من الاستنتاجات وأخرى توصيات عسى أن تُسهم في رفد الفكر الإداري بالمعلومة:

أوّلًا: الاستنتاجات:

١. أخذ المشرِّع العراقيّ من خلال المادتين (٧-٨) من قانون الخدمة المدنية رقم (٢٤) لسنة ١٩٦٠ المعدل بالمتطلّبات الوظيفيّة، وقد رسم لها مسارًا يتقارب مع تلك المتطلّبات في عهد الإمام عليّ عليه السلام لمالك الأشتر.

٢. ثمّة فارق زمنيّ كبير بين عهد الإمام عليّ عليه السلام والتشريعات الإداريّة العراقيّة الحديثة، لكن قد تبنّى أمير المؤمنين عليه السلام فلسفة حديثة في مجال الإدارة لم تكن معروفة في زمانه أو الزمن الذي سبقه، وهذا يدلّ على عبقريّة الإمام في تطوير الواقع الإداريّ بصورة عامّة وقطّاع التوظيف بصورة خاصّة.

٣. هنالك تناصّ واضح بين عهد الإمام عليّ عليه السلام لمالك الأشتر وبين العديد من فقرات التشريع العراقيّ المتعلّقة بالمتطلّبات الوظيفيّة .

٤. أخذ عهد الإمام عليّ عليه السلام بالرقابة السابقة واللاحقة عبر ذكر ضرورة توفُّر المتطلّبات في التوظيف (رقابة سابقة)، وذكر في باب مراقبة العاملين ضرورة تفقُّد أعمالهم (رقابة لاحقة)، ونجد أنّ المشرِّع هو الآخر قد أخذ بالرقابة السابقة واللاحقة .

٥. نجد أنّ عهد الإمام عليّ عليه السلام قد أخذ بالرقابة القضائيّة من خلال العديد من الاستدلالات عليها ومنها (شهادة الشهود، والعقوبة، والمحاكمة)، والأمر ذاته في التشريع العراقيّ توجد رقابة قضائيّة فعّالة في هذا الصدد.

ثانيًا: التوصيات:

١. زيادة الدراسات العلميّة القانونيّة المتخصِّصة في الجانب الإداريّ للتعمّق والتوسّع أكثر في عهد الإمام عليّ عليه السلام لمالك الأشتر، حتّى ينبني مفهوم وافر عن علوم الإدارة والازدياد المعرفيّ.

٢. نوصي وزارة التعليم العالي والبحث العلميّ بتبنّي إضافة منهاج لمراحل دراسة البكالوريوس لكليّات القانون عن عهد الإمام عليّ عليه السلام وخاصّة في المنهج الإداريّ.

٣. في ظلّ الفوضى الإداريّة والرقابة على الفساد الماليّ والإداري نوصي المشرِّع بالأخذ بالرقابة التي تبنّاها عهد الإمام عليّ عليه السلام لمالك الأشتر حتّى يستطيع خلق رقابة فعّالة .

المصادر:

أوّلًا: الكتب المطبوعة:

١. إدارة الإبداع التنظيمي، رفعت عبد الحليم الفاعوري، منشورات المنظمة العربية للتنمية الإدارية، القاهرة، ٢٠٠٥.

٢. إدارة شؤون موظفي الدولة وأصولها وأساليبها، حمدي أمين عبد الهادي، دار العلم العربي، ط١، ١٩٧٦.

٣. أصول القانون الليبي، محمد عبد الله الحراري، بدون مطبعة، ١٩٩٥.

٤. أمالي الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، مؤسّسة الأعلمي للطباعة، بيروت، ٢٠١٣.

٥. أوجه الطعن بإلغاء القرار الإداري، عبد العزيز عبد المنعم خليفة، منشأة المعارف، الاسكندرية، ٢٠٠٤.

٦. البرنامج الأمثل لإدارة الدولة وقيادة المجتمع في عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر، حسين بركة الشامي، دار السلام، بغداد، ط٢، ٢٠٠٨.

٧. الترغيب والترهيب، المنذري، تح: إبراهيم شمس الدين، بيروت، ط١، ١٩٧٧.

٨. التشريعات الدستوريّة في القانون العراقي، رعد الجدة، منشورات بيت الحكمة، ١٩٩٨.

٩. الدولة الإسلامية شرح لعهد الإمام علي عليه السلام إلى مالك الأشتر النخعي، آية الله العظمى الشيخ محمد فاضل اللنكراني، مطبعة اعتماد، قم، ط١، ٢٠٠٤.

١٠. القانون الإداري، أنور أحمد رسلان، مصر، دار النهضة العربية، ١٩٩٤.

١١. القانون الإداري، مازن ليلو راضي، مطبعة السنهوري، بغداد، ط٣، ٢٠١٠.

١٢. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، ١٩٩١.

١٣. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد ابن فارس، دار الجليل، بيروت، ط١، ١٩٩٨.

١٤. موسوعة القضاء الإداري، مازن ليلو راضي، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ٢٠١٦.

١٥. الموظف العام وحقوقه وواجباته، فوزي حبش، مطبعة الشروق، القاهرة، ١٩٨٢.

١٦. النظام القانونيّ للعمدة في ظل تعيين العمد، جابر جاد نصار، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٧.

١٧. النظرية العامة للقرارات الإدارية «دراسة مقارنة»، سليمان محمد الطماوي، مطبعة جامعة عين شمس، ط٦، ١٩٩١.

١٨. النظم الإدارية والمالية في عهد الإمام عليّ عليه السلام، علاء كامل صالح العيساوي، التميمي للنشر والتوزيع، النجف الأشرف، ط١، ٢٠١٦.

١٩. الوجيز في الادارة العامة، سليمان محمد الطماوي، مطبعة جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٠.

٢٠. الوسيط في القانون العام، محمد أنس قاسم جعفر، دار الثقافة الجامعة، القاهرة، ١٩٩٤.

٢١. الوظيفة العامة في التشريع الجزائري، عمار بوضياف، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١٥.

ثانيا: الرسائل والأطاريح:

١. تولية الوظيفة العامة، محمد السيد الدماصي، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة عين شمس، ١٩٧١.

٢. سياسات التوظيف في المؤسسات العمومية، عمر حدادي، رسالة ماجستير، كلية الحقوق والسياسة، جامعة أحمد درية-ادرار، ٢٠٢٠.

٣. سياسة التوظيف في ظل إصلاح الوظيفة العامة، بورش شافية، رسالة ماجستير، كلية القانون والسياسة، جامعة الجزائر، ٢٠٠٨.

٤. طرق اختيار الموظفين (دراسة مقارنة)، سيفان إبراهيم ميخا، رسالة ماجستير، كلية القانون، جامعة النهرين، ٢٠٠٧.

ثالثًا: البحوث المنشورة:

١. الرقابة القضائية على شرط التعيين في الوظيفة العامة «دراسة مقارنة»، صادق محمد علي و أزهر منهل موسى، بحث منشور، مجلة المحقق الحلي للعلوم القانونية والسياسية، العدد الأول، السنة الثالثة عشر، ٢٠٢١.

رابعًا: الدساتير والقوانين والقرارات:

١. تعليمات ذي العدد (١١٩) لسنة ١٩٧٩ ، والضوابط الواردة في الملحق رقم (١) ، والتي تضمنت اسس وضوابط اشغال الوظائف العامة ، الصادرة تنفيذا للبند (اولا) المادة (٦٦) من قانون الخدمة المدنية العراقي رقم (٢٤) لسنة ١٩٦٠ المعدل.

٢. دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥ ، منشور في جريدة الوقائع العراقية بالعدد (٤٠١٢) في ٢٨/ ١٢/ ٢٠٠٥.

٣. القانون الأساسي العراقي لعام ١٩٢٥، دستور، تاريخ التشريع ١/ ١/ ١٩٢٥.

٤. قانون التقاعد الموحد رقم (٩) لسنة ٢٠١٤، والمنشور على الوقائع العراقية بالعدد (٤٣١٤) في ١٠/ ٣/ ٢٠١٤.

٥. قانون الجنسية العراقية رقم (٢٦) لسنة ٢٠٠٦) ، والمنشور بجريدة الوقائع العراقية بالعدد(٤٠١٩) في ٧/ ٣/ ٢٠٠٦.

٦. قانون الخدمة العامة الاتحادي رقم (٤) لسنة ٢٠٠٩، والمنشور على جريدة الوقائع العراقية بالعدد (٤١١٦) بتاريخ ٦/ ٤/ ٢٠٠٩.

٧. قانون الخدمة المدنية رقم (٢٤) لسنة ١٩٦٠ المعدل والمنشور في جريدة الوقائع العراقية بالعدد (٣٠٠) في ٢/ ٦/ ١٩٦٠.

٨. قانون العقوبات العراقي رقم (١١١) لسنة ١٩٦٩ المعدل ، والمنشور في جريدة الوقائع العراقية بالعدد (١٧٧٨) في ١٥/ ١٢/ ١٩٦٩.

٩. قانون الملاك رقم (٢٥) لسنة ١٩٦٠ المعدل، والمنشور في جريدة الوقائع العراقية بالعدد (٣٠٠) في ٦/ ٢/ ١٩٦٠.

١٠. قانون انضباط موظفي الدولة والقطاع العام رقم (١٤) لسنة ١٩٩١ المعدل والمنشور في جريدة الوقائع العراقية بالعدد (٣٣٥٦) في ٣/ ٦/ ١٩٩١.

١١. القرار المرقم (١٧٣٠) الصادر في ١١/ ١٢/ ١٩٧٩، والمنشور في الوقائع العراقية بالعدد(٢٧٤٨) في ٣١/ ١٢/ ١٩٧٩.

١٢. القرار المرقم (١٩٧) لسنة ١٩٦٨، نشر في جريدة الوقائع العراقية بالعدد (١٦٢٦) في ٢٢/ ٩/ ١٩٦٨.

١٣. القرار المرقم (٢٠٢) لسنة ٢٠٠١، مع الاشارة الى ان مجلس الدولة العراقي قد اصدر قرار رقم (٣٦) سنة ٢٠١٠ بان قرار مجلس قيادة الثورة اعلاه نافذ المفعول.

١٤. القرار المرقم (٣٨٤) لسنة ١٩٧٧، نشر في الوقائع العراقية بالعدد (٢٥٨٠) في ٤/ ٤/ ١٩٧٧.

١٥. القرار المرقم (٩٩٧) في ١٩٧٨، الغاء قانون رد الاعتبار رقم (٣) لسنة ١٩٦٧ ، والمنشور في الوقائع العراقية بالعدد(٢٦٦٧) في ٧/ ٨/ ١٩٧٨.

١٦. قرار رقم ١٥٠ لسنة ١٩٨٠، قرار رقم ٥٣٦ لسنة ١٩٧٤ ، قرار رقم ٨٣٧ لسنة ١٩٧١.

١٧. قرار مجلس قيادة الثورة (المنحل) رقم (٢٠٨) في ٧/ ٢/ ١٩٨٠، والمعدل بقرار رقم (٤٢٤) في ٢٤/ ٣/ ١٩٨٠.

خامسا: القرارات القضائية:

١. قرار الهيأة العامة لمجلس الدولة رقم (٣١٩/ انضباط / تمييز / ٢٠٠٦، بتاريخ ١٨/ ١٢/ ٢٠٠٦ ، منشور بحث د. صادق محمد علي و ازهر منهل موسى: مصدر سابق .

٢. قرار الهيأة العامة لمجلس الدولة رقم (٦٣٢ / انضباط / تمييز / ٢٠١٠) بتاريخ ١٤/ ١٠ / ٢٠١٠ ، منشور في قرارات وفتاوى مجلس الدولة لعام ٢٠١٠ ، جمهورية العراق ، وزارة العدل .

٣. قرار الهيأة العامة لمجلس الدولة، رقم (٢٨)/ انضباط / تمييز/ ٢٠١٢، بتاريخ ١٥/ ٣/ ٢٠١٢، منشور في مجموعة قرارات وفتاوى مجلس الدولة لعام ٢٠١٢، وزارة العدل، جمهورية العراق.

٤. فتوى ديوان التدوين القانوني رقم (٩٦) في ٥/ ٦ / ١٩٥٩، مجلة التدوين القانوني، العدد الثالث، السنة الأولى.

٥. قرار مجلس الدولة العراقي المرقم (٧٢/ ٢٠٠٥) الصادر في ١٦/ ١١/ ٢٠٠٥، علما أن القرار كان تطبيقا لقانون التقاعد الملغي والذي يحدد سن التقاعد ب(٦٣) عام .

٦. قرار مجلس الدولة العراقي رقم (٤٥) لسنة ٢٠٠٦، بتاريخ ٦/ ٣/ ٢٠٠٦، منشور في مجلد قرارات وفتاوى مجلس الدولة لعام ٢٠٠٦.

٧. قرار مجلس الدولة العراقي المرقم (٧/ ٢٠١١) في ٣١/ ١/ ٢٠١١، منشور في قرارات وفتاوى مجلس الدولة لعام ٢٠١١، وزارة العدل .

٨. قرار مجلس الدولة المرقم (٣٧/ ٢٠١٧) بتاريخ ٢٢/ ٣/ ٢٠١٧، منشور في قرارات مجلس الدولة وفتاواه لعام ٢٠١٧، جمهورية العراق ، مجلس الدولة ، ص١١٢.

٩. قرار محكمة قضاء الموظفين العراقية المرقم (٣٧٨٩) في ٥/ ٢/ ٢٠٢٣، قرار منشور على موقع الفيس بك ، صفحة المحامي مصطفى عدنان الانباري ، تاريخ الزيارة ٢٠/ ٩/ ٢٠٢٤.

١٠. قرار المحكمة الادارية العليا العراقية المرقم (٤٢٢/ ٢٠٢٤) في ١٤/ ٢/ ٢٠٢٤ قرار غير منشور.

سادسا: الإعلانات الدولية:

١. عهد الإمام علي عليه السلام لواليه مالك الأشتر حين ولاه مصر، سنة ٣٧هـ ٦٥٦م.

٢. من وثيقة الإعلان الفرنسي لحقوق الانسان والمواطن في ٢٦/ اب/ ١٧٨٩.

سابعا: الكتب الأجنبية:

1. Frederic Coliin، L، aptitude dans le droit de la function publique L.G.D،paris2000،p5

أثر أمير المؤمنين عليه السلام القرآني في التخصصات العلميّة والطبيّة

الباحثة: هدى صدام ثجيل الجيزاني

الملخّص:

الحقائق العلميّة التي أخبر القرآن الكريم عنها قبل وقوعها، وحدوثها، عرضها الإمام عليه السلام بأسلوب علميّ شائق، يخاطب العقل ويناجي الفكر ويشرح الحقائق العلميّة، و ينصُّ على أنَّ القرآن الكريم دواءٌ يشفي العلل والأمراض، ويُعالج الأسقام، وجعله العِقار الأوَّل، فمن بركات القرآن الكريم العلميَّة والطبيّة أنَّه إكسيرٌ فاعلٌ لكلِّ ما يُصيب الإنسان من الأوبئة والعلل، والإمام عليه السلام يضعُ اللَّبَنَةَ الأولى والدعائم الأساسيّة لضمان التقدُّم العلميّ في مختلف مجالات العلوم، ما يتكفّل ببناء الإنسان وتكامله وتوفير متطلّبات الحياة كالمجال الطبيّ وغيره لبناء حياة الإنسان.

يبيّن عليه السلام كيف أنَّ القرآن الكريم قد احتوى الطبَّ علمًا وعلاجًا، فهو تارةً ينظِّر لعلم الطَّب، وأُخرى يكون ميدانًا تطبيقيًّا، يُعالج شتَّى الأمراض، بما يحمل من أسرارٍ قدسيَّة وبركاتٍ إلهيَّة، وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام كثير من الآراء الذهبية في علم الطبّ، باستنطاق الآيات تدلّ على استيعابه لهذا العلم ومعرفته الكاملة بأسراره، وهذا وليد الارتباط الموضوعيّ بين العِدْلَينِ: الكتاب والعترة.

يهدف هذا البحث إلى بيان مسألة في غاية الأهميّة؛ وهي الحقائق القرآنيّة على وفق منهج أمير المؤمنين عليه السلام للمحافظة على سلامة الروح والبدن من الأمراض،

ليصلَ المكلّفُ إلى الكمال الذي خُلِق من أجله، فالمطالبُ القرآنيّة العلميّة التي لم يطّلعْ عليها أحدٌ قبل نزول الآية، ثُمّ تُكتشَف فيما بعد ذلك، وتثبت علميًا، تُشير إلى أنَّ القرآنَ الكريمَ هو المعجزُ الدائمُ على مدى العصور. ونجيبُ من طريق البحث عن سؤالٍ مهمّ، وهو: ما أثرُ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام القرآنيّ في التخصّصات العلميَّة والعلوم الطبيّة؟

فإنَّ هذا البحث يدور حول ثلاثة محاور:

الأوّل: (أبعادُ شخصيةِ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام في القرآن الكريم والسُّنة النبويّة الشريفة)، والثاني: (أميرُ المؤمنين عليه السلام وتفسيرُ القرآن الكريم)، والثالث: (أثرُ الإمام عليه السلام في بيان التخصّصات العلميَّة والعلوم الطبيّة: دراسة قرآنيّة).

الكلمات المفتاحية: أثر أمير المؤمنين عليه السلام القرآنيّ، الحقائق القرآنيّة العلميَّة والطبيّة، الإعجاز العلميّ.

Abstract:

The scientific facts foretold by the Holy Quran long before their discovery were presented by Imam Ali (pbuH) in an engaging scientific manner that addresses the intellect and explores the depths of thought. The Imam emphasized that the Holy Quran is a healing remedy for ailments and diseases، positioning it as the primary "Panacea." Among the scientific and medical blessings of the Quran is its role as an effective elixir for epidemics and afflictions. The Imam (pbuH) laid the foundation and essential pillars to ensure scientific progress across various fields، which in turn guarantees human development، integration، and the fulfillment of life's necessities، particularly in the medical field.

The Imam (pbuH) demonstrates how the Holy Quran en-

compasses medicine as both a science and a treatment. At times، it provides the theoretical framework for medical science، and at others، it serves as a practical field for treating diverse diseases through its sacred secrets and divine blessings. Many "golden insights" regarding medicine have been narrated from Imam Ali (pbuH); by invoking and interpreting Quranic verses، he revealed his profound mastery of this science and its intricacies. This is a direct result of the objective bond between the two inseparable weights (Al-Thaqalayn): the Book of Allah and the Progeny (Itrah).

This research aims to clarify a crucial matter: Quranic facts according to the methodology of the Commander of the Faithful (pbuH) for preserving the health of both soul and body، enabling the individual to reach the perfection for which they were created. The scientific Quranic propositions—unknown before their revelation and later scientifically proven—confirm that the Holy Quran is an eternal miracle across ages. The research answers a central question: What is the Quranic impact of the Commander of the Faithful (pbuH) on scientific disciplines and medical sciences?

The research is structured around three main axes:

The Dimensions of the Personality of the Commander of the Faithful (pbuH) in the Holy Quran and the Noble Prophetic Sunnah.

The Commander of the Faithful (pbuH) and the Interpretation of the Holy Quran.

The Impact of the Imam (pbuH) in Clarifying Scientific Disciplines and Medical Sciences: A Quranic Study.

Keywords: Quranic Impact of the Commander of the Faithful (pbuH)، Scientific and Medical Quranic Facts، Scientific Miracles (I'jaz).

المقدّمة:

إنَّ كلام الإمام عليّ عليه السلام من المصادر الأساسيّة في التفسير، وضرورة توظيفه – شرعاً وعقلاً – لأجل معرفة مقاصد القرآن الكريم وفهم معانيه وإدراك حقائقه وآثاره، فالأئمةُ عليهم السلام همُ القرآن الناطق، وإنَّ للّه تعالى آيات متنوعة، ومن خلال التمعُّن والتدبُّر في القرآن الكريم، نجد فيه قضايا علمية تبهرُ العقول، فالقرآنُ الكريمُ يخاطب العقل البشري وإنسانية الإنسان وفطرته وروحه، لكي يصل الإنسان بعقله وروحه الى أقصى درجات الكمال.

ثمَّ إنَّ للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام أثرًا قرآنيًّا في التخصّصات العلميَّة والعلوم الطبيَّة، من خلال تأمُّل النصَّ القرآنيَّ والتدبُّر فيه، وعدم إسقاطِ الأفكارِ المسبقةِ عليه، وذلك لمعرفة أسرارِه، وبيانِ الحقائقِ القرآنيّةِ والبرهنةِ العلميّةِ، على وفق منهج أمير المؤمنين عليه السلام ، ومقاربة ذلك بحياتنا المعاصرة ومعالجة أهمّ مشكلاتها، لحاجة كثير من الناس في وقتنا الحاضر إلى الإقناع العلميّ؛ ليتمّ إسلامهم وتطمئنّ قلوبهم.

وفي مجال العلوم الطبيّة، كان لدى الإمام عليّ عليه السلام فهم عميق للعلاقة بين الجوانب الروحيّة والجسديّة للإنسان، وهو ما يظهر في بعض خطبه ورسائله التي تناولت مواضيع طبّية متنوّعة، بما في ذلك أهميّة النظافة والصحّة العامّة، والوقاية من الأمراض، والعلاج بالأعشاب والنباتات الطبّية، وقد أسهم منهجه في التفكير العلميّ والتحليليّ في وضع أسس المنهج العلميّ الحديث في المجال الطبيّ .

أمّا في مجالات العلوم الأخرى، فقد كان لتفسير الإمام عليّ عليه السلام للقرآن الكريم تأثير كبير في تقدُّم تخصّصات علميّة متعدّدة مثل التاريخ والفلسفة واللغويّات والسياسة والاقتصاد وعلم الاجتماع، واستخدم الإمام منهجًا متميّزًا في التفكير والتحليل، مستمدًا ذلك من عمق فهمه للقرآن الكريم .

إنّ دراسة تأثير الإمام عليّ عليه السلام القرآنيّ في التخصّصات العلميّة والطبّية تُعَدُّ ضروريّة، كونه نموذجًا فريدًا لعالم إسلاميّ يجمع بين العلوم الشرعيّة والعقليّة، ومن هنا، تبرز أهميّة هذا البحث في تسليط الضوء على هذا الأثر ليكون مرجعًا غنيًّا للباحثين في مختلف التخصّصات، ففي هذه الرحلة من البحث نتناول ثلاثة محاور أساسيّة:

المحور الأوّل: أبعادُ شخصيةِ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام في القرآن الكريم والسُّنة النبويّة الشريفة

شخصيّة عليّ بن أبي طالب عليه السلام تتميّز بأبعاد متألّقة وجوانب متفرّدة، ارتبطت بشكل وثيق بالقرآن الكريم والسنة النبويّة الشريفة، يمكن إبراز أهمّ هذه الأبعاد السامية على نحو الإجمال:

١. **البُعد الإيمانيّ والروحيّ**: أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام من أهمّ الشخصيّات الإسلاميّة بعد الرسول محمّد صلى الله عليه وآله، وذلك لما له من مكانة عظيمة وما امتاز به من صفات حسنة ومناقب جليلة. لقد تربّى الإمام عليّ عليه السلام في بيت النبوّة، وكان من أوائل المسلمين وأشدّهم إيمانًا وتمسّكًا بتعاليم الإسلام، فقد آمن بالله تبارك وتعالى وبرسالة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله، منذ نعومة أظفاره وكان له مكانة سامية في نفس الرسول صلى الله عليه وآله[1]، وتجلّى هذا البُعد الإيمانّي والروحيّ في كثير من مواقفه وأقواله وأفعاله التي حُفظت في القرآن الكريم والسنة النبويّة.

وقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ* أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة:١٠-١١]، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((السابقون أربعة: ابن آدم المقتول، والسابق في أمّة موسى، وهو مؤمن آل فرعون، والسابق في أمّة عيسى وهو حبيب

(١) انظر: دروس تمهيدية في سيرة الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام: ٣٢.

النجّار، والسابق في أمّة محمّد صلى الله عليه وآله، وهو عليّ بن أبي طالب عليه السلام [١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[الأحزاب:٣٣]، والتي تُشير إلى طهارة وعصمة أهل البيت عليهم السلام، بمن فيهم الإمام علي عليه السلام .

وفي تفسير العيّاشيّ عن بشير الدهّان عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ((أنتم والله على دِين الله، ثمّ تلا: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ﴾[الإسراء:٧١]، ثمّ قال: عليّ إمامنا، ورسول الله صلى الله عليه وآله إمامنا؛ كم من إمام يجيء يوم القيامة يلعن أصحابه ويلعنونه! ونحن ذرّيّة محمّد، وأُمّنا فاطمة صلوات الله عليهم))[٢] .

ثُم إنّه عليه السلام حرص على الحفاظ على سلامة الدين وعدم انحرافه عن مبادئه الأساسيّة، وحرص على تقوى الله تعالى، وفي إحدى خطبه عليه السلام ، قال: ((أوصيكم عباد الله بتقوى الله وكثرة ذكر الموت وأحذّركم الدنيا))[٣]، ممّا يبرز اهتمامه البالغ بتقوى الله وترك الدنيا والزهد فيها، وهي من أهمّ الصفات التي يجب أن يتحلّى بها المؤمن.

٢. **البُعد العلميّ والفكريّ**: أخذ الإمام عليّ عليه السلام العلم والمعرفة مباشرةً من رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ((أنا مدينة العلم وأنت بابها، كذب من زعم أنّه يدخل المدينة بغير الباب قال الله عزّ وجلّ: وأتوا البيوت من أبوابها))[٤].

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[الرعد:٤٣]، نقل الصدوق عن أبي سعيد الخدري:

---

(١) مجمع البيان: ٩/ ٢١٥.
(٢) تفسير العيّاشي: ٢/ ١٢٠ .
(٣) ميزان الحكمة: ٤/ ٣٦٢ .
(٤) الغدير: ٦/ ٧٩ .

سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن قول الله جلّ ثناؤه: ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾، قال صلى الله عليه وآله: ((ذاك أخي عليّ بن أبي طالب))[١]، وعن الإمام الباقر عليه السلام في مراد الآية الكريمة، قال: ((نزلت في عليّ عليه السلام ؛ إنّه عالم هذه الأُمّة بعد النبيّ صلوات الله عليه وآله))[٢].

ولقد ترك لنا الإمام عليّ عليه السلام تراثًا فكريًّا وعلميًّا هائلًا يظهر البُعد العلميّ والفكريّ بشكل جليّ في أقواله وخطبه عليه السلام التي تجسّدت في (نهج البلاغة)، إذ نرى مفاهيم القرآن الكريم ووعظه وحكمه وبلاغته وفصاحته، قد صيغت بلسان الفصاحة والبلاغة والزهد والشجاعة، بأسلوب أمير المؤمنين عليه السلام، فنهج البلاغة هو في الحقيقة؛ تفسير لمراد القرآن الكريم.

٣. البُعد القياديّ والسياسيّ: ارتبطت شخصيّة الإمام عليّ عليه السلام بالقيادة السياسيّة والدينيّة للمسلمين، إذ كان وصيّ النبي صلى الله عليه وآله وخليفته ووارث علومه وحكمته، وقد أشار القرآن الكريم إلى مكانة عليّ عليه السلام وفضله، إذ ذكر في آية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[المائدة:٥٥]، وقد أجمع المفسّرون واستفاضت الروايات من طرق الخاصّة والعامّة؛ أنّ الآية نزلت في حقّ عليّ عليه السلام ، ممّا يدلّ على أنّ عليًا عليه السلام كان من أوائل المؤمنين الذين أقاموا الصلاة وأدّوا الزكاة، وهما من أهمّ ركائز الإسلام.

وفي تفسير القمّي عن قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ ما أَوْحَى﴾[النجم:١٠]: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذلك الوحي، فقال صلى الله عليه وآله: ((أوحى إليّ أنّ عليًّا سيّد الوصيّين، وإمام المتّقين، وقائد الغرّ المحجّلين، وأوّل خليفة يستخلفه خاتم النبيّين))[٣].

---

(١) أمالي الصدوق: ٦٤٨، رقم الحديث ٨٨٤ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٩/ ٣٣٦ .
(٣) تفسير القمّي: ٢/ ٣٣٤ .

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «إنّ إبراهيم خليل الله عليه السلام دعا ربّه، فقال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾[إبراهيم:٣٥]، فنالت دعوته النبيَّ صلى الله عليه وآله، فأكرمه الله بالنبوّة، ونالت دعوته عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فاختصّه الله بالإمامة والوصاية، وقال الله تعالى: يا إبراهيم: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّلِمِينَ﴾[البقرة:١٢٤]، قال: الظالم من أشرك بالله وذبح للأصنام، ولم يبقَ أحد من قريش والعرب من قبل أن يبعث النبيّ صلى الله عليه وآله إلاّ وقد أشرك بالله، وعبد الأصنام وذبح لها، ما خلا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام؛ فإنّه من قبل أن يجري عليه القلم أسلم، فلا يجوز أن يكون إمام أشرك بالله وذبح للأصنام؛ لأنّ الله تعالى قال: ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّلِمِينَ﴾))[1].

لقد اجتمعت في شخصيّة الإمام عليّ عليه السلام من صفات الكمال والمحامد الشريفة ما لم يجتمع في غيره، فقد كان متحلّيًا بالشجاعة والبسالة والإيمان الراسخ بالله تعالى والدفاع عن الحقّ والعدل، وكان متّسمًا بالحكمة والعلم والزهد والتواضع.

وأمّا قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عليّكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة:٣]، فقد نزل الوحي بعد واقعة غدير خم، أيّ بعد ما بلّغ النبيّ صلى الله عليه وآله بولاية عليّ عليه السلام في غدير خم.

٤. **البُعد الأخلاقيّ والإنسانيّ**: تميّزت شخصيّة الإمام عليّ عليه السلام بصفات أخلاقيّة وإنسانيّة سامية، إذ كان عادلًا وشجاعًا وكريمًا وملتزمًا بتعاليم الإسلام، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الصفات الأخلاقيّة في آيات عديدة، وأشاد بها النبيّ صلى الله عليه وآله في أحاديثه الكثيرة، وقد تجلّت هذه الصفات في مواقفه وأقواله التي عكست إنسانيّته وأخلاقه الرفيعة.

---

(١) تفسير فرات الكوفي: ٢٩٤ .

إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ((ما أنزل الله آية فيها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ إلاّ وعليٌّ رأسُها وأميرُها))[١]، وقال مفسرّ القرآن الكبيرُ عبد الله بن عبّاس: ((ليس من آية في القرآن فيها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ إلاّ وعليٌّ رأسُها وأميرُها وشريفُها، ولقد عاتب الله أصحاب محمّد في القرآن، وما ذكر عليًّا إلّا بخير))[٢]، وقال أيضًا: ((ما نزل في أحد من كتاب الله تعالى ما نزل في عليّ))[٣]، وفي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾[البقرة:٢٠٧] آية الشراء التي أشادت بمن كان مستعدًّا أن يبذل نفسه ابتغاء مرضاة الله، ويقول ابن أبي الحديد المعتزلي: إنّ جميع المفسّرين يعتقدون أنّ هذه الآية نزلت في فضل الإمام عليّ عليه السلام عندما أراد المشركون في ليلة المبيت الهجوم على بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وقتله، ففداه الإمام عليّ عليه السلام بنفسه، حيث بات على فراشه[٤].

٥. **البُعد التربويّ والتعليميّ**: يُعد الإمام عليّ عليه السلام قدوة في تنمية الجوانب الروحيّة والإيمانيّة والربط بينها وبين الجوانب العمليّة والسلوكيّة في حياة الفرد والمجتمع، ففي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[التوبة:١١٩]، آية الصادقين التي تأمر المؤمنين أن يصطحبوا الصادقين وأن يتبعوهم، وفسّرت الروايات الصادقين بأهل البيت عليهم السلام[٥].

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[البينة:٧]، وبناء على الروايات من الخاصّة والعامّة: أنّ هؤلاء هم الإمام عليّ عليه السلام وشيعته[٦].

---

(١) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: ١/ ٧٠.
(٢) كشف الغمة في معرفة الأئمة: ١/ ٣١٤.
(٣) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: ١/ ٦٥.
(٤) انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٣/ ٢٦٢.
(٥) الكافي: ١/ ٢٠٨.
(٦) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٩/ ٣٣٢.

في الختام؛ تُعدّ شخصية الإمام عليّ عليه السلام من أبرز الشخصيات الإسلاميّة التي ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بالقرآن الكريم والسنّة النبويّة، إذ تميّزت بأبعاد متعدّدة أسهمت في بناء الحضارة الإسلاميّة وتشكيل هُوية المسلمين عبر التاريخ، وما زالت هذه الشخصيّة العظيمة تُشكّل قدوة وإلهامًا لكلّ من يسعى إلى تحقيق التميّز والنبل في الحياة.

المحور الثاني: أمير المؤمنين عليه السلام وتفسير القرآن الكريم

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من أبرز الشخصيّات بل أوّلهم في تأصيل علوم القرآن الكريم وتطويرها في عصر صدر الإسلام، فلديه معرفة عميقة بالقرآن الكريم وأسراره، وقد بذل جهدًا كبيرًا في حفظه وشرحه وتفسيره وتأويله وتقسيم آياته المباركات.

دور الإمام عليّ في حفظ القرآن الكريم ونشر علومه.

لقد أخذ الإمام عليّ عليه السلام على عاتقه خدمة القرآن الكريم، إذ بذل جهدًا كبيرًا في حفظه وجمعه ونشر ما جاء فيه من أحكام ومفاهيم بكلّ فهم ووعي، فقد رويَ عن سليم بن قيس الهلاليّ، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول – وساق الحديث – إلى أن قال: ((ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله آية من القرآن إلّا أقرأنيها وأملاها على فكتبتها بخطّي، وعلّمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، ودعا الله عزّ وجلّ أن يعلّمني فهمها وحفظها فما نسيت آية من كتاب الله عزّ وجلّ، ولا علمًا أملاه عليّ فكتبته، وما ترك شيئًا علّمه الله عزّ وجلّ من حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهي، وما كان أو يكون من طاعة أو معصية، إلّا علّمنيه وحفظتُه، فلم أنس منه حرفًا واحدًا، ثُمّ وضع يده على صدري، ودعا الله تبارك وتعالى بأن يملأ قلبي علمًا وفهمًا وحكمة ونورًا ولم أنس من ذلك شيئًا، ولم يفُتني من ذلك شيء لم

أكتبه، فقلت: يا رسول الله أتتخوّف على النسيان فيما بعد؟ فقال صلى الله عليه وآله: لست أتخوّف عليك نسيانًا ولا جهلًا، وقد أخبرني ربّي عزّ وجلّ أنّه قد استجاب لي فيك))[١].

فاتّخذه عليه السلام دستورًا له في حياته، ومرجعًا لأحكامه وفتاواه، وكان أوّل من قام بتدوين القرآن الكريم وتفسيره وبيان علومه، حتّى روي عنه أنّه كان يفسّر القرآن الكريم آية بآية ويشرح معانيه ودلالاته[٢]، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ((إنّ لعلّي عِلْمًا بكتاب الله وسنّتي ليس لأحدٍ مِن أمّتي، يَعْلَم جميع عِلمي؛ إنّ الله علّمني عِلمًا لا يَعلَمُه غيري، وأمرني أنْ أعلّمه عليّا ففعلتُ...، وإنّ الله علّمه الحكمة وفَصْل الخطاب))[٣].

تقسيم الإمام عليّ للقرآن الكريم.

قام الإمام علي عليه السلام بأعباء المهام، وذلك بتصنيف آيات القرآن الكريم إلى عدّة أقسام، بلحظات مختلفة تبرز معالم القرآن الكريم وعلومهِ، فعُرفت عنه القسمة الثنائيّة، والقسمة الثلاثيّة، والقسمة الرباعيّة، والقسمة السباعيّة، وغيرها من التقسيمات، التي كان لها أثر كبير في فهم وتفسير القرآن الكريم[٤] .

أ. القسمة الثنائيّة: صنّف الإمام عليّ عليه السلام كلّ نوعين من الآيات في نظامٍ زوجيّ بشكل (ثنائيّات تناظريّة)، يُمكن التفاعل فيما بينها ضمن إطار (موضوع واحد)، فالقرآنُ الكريمُ قادرٌ على تبيان المعلومة من هذا النظام الزوجيّ، وهذا النظام هو نظام كونيّ ثابت، قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾[الذاريات:٤٩] .

---

(١) بحار الأنوار: ٣٦/ ٢٥ .

(٢) ينظر: علوم القرآن: ٥ .

(٣) كتاب سُليم بن قيس: ٧١ .

(٤) انظر: الأصول المنهجية للتفسير الموضوعي: ٦٣ .

ب. **القسمة الثلاثيّة**: يُقسّم الإمام عليّ عليه السلام بلحاظ آخر القرآن الكريم على ثلاثة أثلاث، روى العياشي بإسناده عن خيثمة عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((القرآن نزل أثلاثًا: ثلث فينا وفي أحبّائنا، وثلث في أعدائنا وعدوّ من كان قبلنا، وثلث سنّة ومُثُل، ولو أنّ الآية إذا نزلت في قوم ثُمّ مات أولئك القوم ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء، ولكن القرآن يجري أوّله على آخره ما دامت السماوات والأرض، ولكلّ قوم آية يتلونها هم منها من خير أو شرّ))[١].

ج. **القسمة الرباعيّة**: إنَّ جُلَّ القرآن الكريم إنّما نزل في حقّ أهل البيت عليهم السلام وفي أوليائهم وأعدائهم، وبيان سرّ ذلك في الكافي بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((نزل القرآن على أربعة أرباع؛ ربع فينا، وربع في عدوّنا، وربع سنن وأمثال، وربع فرائض وأحكام))[٢].

د. **القسمة السباعيّة**: كذا الحال إذا كان النظر لمعانٍ ومفاهيم أخرى، من نافذة إيضاح وتبيان، حينما يرى أهل البيت عليهم السلام أهميّة بيانها؛ لأجل تسهيل مقاصد ومراد القرآن الكريم على حَمَلة القرآن الكريم والمؤمنين، قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((إنّ الله تبارك وتعالى أنزل القرآن على سبعة أقسام، كلّ قسم منها شافٍ كافٍ، وهي: أمرٌ وزجر، ترغيبٌ وترهيب، جدلٌ ومثل وقصص))[٣].

استنباط الإمام عليّ عليه السلام للأحكام من القرآن الكريم.

للإمام عليّ عليه السلام منهج خاصّ في استنباط الأحكام من القرآن الكريم، كان عليه السلام يلتزم بظاهر القرآن الكريم حين لا يرى قرينة تقتضي صرفه عن ظاهره، فمثلًا حمل القرآن الكريم على ظاهره عندما حكم ببراءة امرأة اتهمّت بالزنا، لأنّها ولدت بعد ستة أشهر من زواجها، فجمع بين قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ

(١) تفسير الصافي: ١/ ٢٤ .
(٢) الكافي: ٢/ ٦٢٨ .
(٣) الفيض الكاشاني، تفسير الصافي، ج١، ص٥٢.

كَامِلَيْنِ﴾[البقرة:٢٣٣]، وقوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾[الأحقاف:٥]، فقال عليه السلام: ((الحمل ستة أشهر والفصال أربعة وعشرون شهرًا))[١]، أي إنّه طرح مدّة الرضاعة وهي سنتان من مجموع مدّة الرضاعة والحمل وهي ثلاثون شهرًا فبقيت ستّة أشهر، فجمع بين ظاهر كلتا الآيتين وحكم بهما.

وفي بعض الأحيان كان عليه السلام في تعاطيه مع القرآن الكريم يتجنّب التفسير الظاهريّ للآيات، إذا كانت مخالفة لضرورة العقل أو اللغة أو الشرع، وكان يقوم بربط النصوص القرآنيّة ببعضها البعض للوصول إلى المعنى الأصيل للآية[٢]، فمن الأسس التي سار عليها الإمام عليه السلام حمل المجمل على المبيّن، وحمل المطلق على المقيّد في القرآن الكريم، الاستنباط بحسب العلم بالناسخ والمنسوخ، مراعاةَ لغة العرب، وغير ذلك.

أثر الإمام عليّ في علوم القراءات.

إنّ من أبرز إسهامات الإمام عليّ عليه السلام في علوم القرآن الكريم هو إسهامه في علم القراءات، فقد كان الإمام عليّ عليه السلام من أعلم الناس بالقراءات وأوسعهم علمًا بها، ويؤكّد ذلك ما ذكره الأهوازيّ إذ قال: ((كان أعلم الناس بالقراءات والعربيّة))[٣]، فهو يُعدّ من الرواة الموثوقين للقراءات القرآنيّة، وقد اعتمد عليه كثير من الطلبة والمفسّرين في فهم القرآن الكريم وتفسيره، وهذا ما أشار إليه الإمام الزركشيّ، قال: ((إنَّ في الآثار التي صحّت عن عليّ رضي الله عنه، وغيره من صحابة رسول الله خير ما يُعتمد عليه في تفسير القرآن الكريم))[٤].

---

(١) المصنّف لعبد الرزاق الصنعاني: ٧/ ٣٤٩.

(٢) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ١٢٢.

(٣) أثر القراءات المتواترة في عرض قصص الأنبياء: ٧٧.

(٤) البرهان في علوم القرآن: ١٢٦.

إسهامات الإمام علي في علوم القرآن: كان أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام الرجل الأوّل، الذي أحرز قصب السبق في مضمار تدوين القرآن وتفسيره وبيان علومه، وقد برع في هذا المجال، حتّى روي عنه أنّه أملى ستّين نوعًا من أنواع علوم القرآن، وذكر لكلّ نوع مثالًا يخصّه[١] .

كما أثبت الشريف المرتضى أنَّ للإمام عليّ عليه السلام كتابًا في (المحكم والمتشابه في القرآن)، كما نسب له سعد بن عبد الله القميّ كتابًا في (علوم القرآن)، ممّا يدلّ على إسهامات الإمام عليه السلام في تأصيل هذه العلوم وتطويرها[٢] .

التعبير القرآنيّ والصورة البيانية عند الإمام عليّ: وظّف الإمام عليّ عليه السلام اللفظة القرآنيّة في إطار فنيّ مواكب، حتّى كأنّها قد ولدت معه، وقد درس الباحثون هذا الجانب من خلال دراسة (جرس الألفاظ) في نهج البلاغة وتأثّره بالتعبير القرآنيّ والصورة البيانيّة[٣] .

في الختام، يمكن القول: إنّ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان له دور بارز ومؤثّر في تأصيل علوم القرآن الكريم وتطويرها في صدر الإسلام، من خلال جهوده في حفظ القرآن ونشر علومه، وتقسيماته للآيات المباركات، واستنباطه للأحكام، وإسهاماته في علم التفسير، والتعبير القرآنيّ والصورة البيانيّة. وبذلك أضحى الإمام عليّ عليه السلام من أبرز الشخصيّات التي أثّرت في تطوّر علوم القرآن الكريم في العصر الأوّل للإسلام وإلى يومنا هذا.

---

(١) ينظر: علوم القرآن: ٥ .

(٢) ينظر : الأثر القرآنّي في نهج البلاغة: ١٨٠ .

(٣) ينظر : التوظيف القرآنّي في بعض خطب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ٢١١ .

دور الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في علوم التفسير

التفسير لغةً: هو ((كشف المُراد عن اللفظ المُشكل))[1] . وفي الاصطلاح: التفسير علمٌ، يُعرف به فهم القرآن الكريم، وإدراك معانيه، والكشف عن مقاصده ومراميه، واستخراج أحكامه وحكمه، وتوضيح معنى الآيات القرآنيّة، بذكر معنى الآية وشأنها وقصّتها والسبب الذي نزلت فيه، بلفظ يدلّ عليه دلالة ظاهرة.

وقد تميّز التفسير الوارد عن الإمام عليّ عليه السلام من غيره من التفاسير، أنّه تفسير صادر من معصوم لا يحتمل بحقّه الخطأ، وأنّه تفسير من أهل الذكر، الذين نزل في أبياتهم الكتاب، وهذه الميزة لا توجد إلّا لأهل البيت عليهم السلام، لذا فإنّ تفسيره يكشف عن المُراد الجدّي لكلام الله عزّ وجلّ، فضلًا على أنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان له دور كبير ورائد في علوم التفسير وعلوم القرآن الكريم، هذا الدور يتجلّى من خلال جوانب عديدة:

١ . مكانة علم التفسير في فكر الإمام عليّ عليه السلام .

أولى الإمام عليّ عليه السلام اهتمامًا كبيرًا بعلم التفسير، وعدّه من أهمّ العلوم الشرعيّة التي يجب على المؤمنين الاهتمام بها، فقد قال عليه السلام : ((الله الله في القرآن فلا يسبقكم إلى العمل به غيركم))[2]، وحثّ على مجالسة القرآن الكريم والتدبّر في معانيه، وهذا يؤكّد على المكانة الرفيعة التي أعطاها الإمام عليه السلام للتفسير القرآنيّ.

قال عليه السلام : ((واعلموا أنّ هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغشّ، والهادي الذي لا يضلّ، والمُحدّث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحد إلّا قام عنه بزيادة أو نقصان؛ زيادة في هدى، أو نقصان في عمى، واعلموا أنّه ليس على أحد بعد القرآن

---

(١) لسان العرب: ٥/ ٥٥ .

(٢) المجالسُ السَّنيّة في مناقب ومصائب العترة النبويّة: ٥/ ٦٩ .

من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنى، فاستشفوه من أدوائكم واستعينوا به على لأوائكم، فإنّ فيه شفاء من أكبر الداء؛ وهو الكفر والنفاق والغيّ والضلال، فاسألوا الله به، وتوجهوا إليه بحبّه، ولا تسألوا به خلقه، إنّه ما توجه العباد إلى الله بمثله، واعلموا أنّه شافع مُشفّع، وقائل مُصدّق، وأنّه من شفع له القرآن يوم القيامة شفع فيه، ومن محل به القرآن يوم القيامة صدق عليه، فإنّه ينادي مناد يوم القيامة: ألا إنّ كلّ حارث مُبتلى في حرثه وعاقبة عمله غير حرثة القرآن، فكونوا من حرثته وأتباعه واستدلوه على ربّكم، واستنصحوه على أنفسكم، واتّهموا عليه آراءكم، واستغشوا فيه أهواءكم))[1].

٢. جمع القرآن الكريم في مصحف واحد.

أحد أبرز إنجازات الإمام عليّ عليه السلام في مجال القرآن الكريم هو قيامه بجمع القرآن الكريم في مصحف واحد، بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله مباشرة، وهو أوّل من تصدّى لجمع القرآن الكريم بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله، وبوصيّة منه[2] حفاظًا عليه من الضياع والاختلاف، لقد قعد عليه السلام في بيته مشتغلًا بجمع القرآن الكريم وترتيبه على ما نزل، مع شروح وتفاسير لمواضع مبهمة من الآيات، وبيان أسباب النزول ومواقع النزول بتفصيل حتّى أكمله على هذا النمط البديع[3].

٣. إتقان علم التفسير وتعليمه للأمّة.

كان الإمام عليّ عليه السلام أكثر الناس إتقانًا وتمكنًا في علم التفسير، إذ إنّه تلقّى هذا العلم مباشرة من الرسول صلى الله عليه وآله، قال ابن عباس: ((جلّ ما تعلّمتُ من التفسير، من

(١) نهج البلاغة: ٢٥٢.
(٢) انظر: تفسير القمي: ٧٤٥.
(٣) التمهيد في علوم القرآن: ٨٦.

عليّ بن أبي طالب وقال: عليّ علّم علمًا، علّمه رسول اللّه، ورسول اللّه علّمه اللّه، فعلم النبيّ من علم اللّه، وعلم عليّ من علم النبيّ، وعلمي من علم عليّ عليه السلام ، وما علمي وعلم أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله في علم عليّ إلّا كقطرة في سبعة أبحر[١] .

وفي حديث آخر قال ابن عباس: ((جُلّ ما تعلّمت من التفسير من عليّ بن أبي طالب عليه السلام وابن مسعود، إنّ القرآن أُنزل على سبعة أحرف، ما منها إلّا وله ظهر وبطن، وإنّ لعليّ بن أبي طالب علم الظاهر والباطن، و قال الشعبيّ: ((ما أحد أعلم بكتاب الله بعد نبيّ الله من عليّ بن أبي طالب عليه السلام))[٢]

٤. التفسير القرآنيّ المتميّز.

كان للإمام عليّ عليه السلام أسلوب متميّز في التفسير القرآنيّ، إذ كان ينطلق في تفسيره من الروح والمعاني العميقة للقرآن الكريم، من دون الاقتصار على الظواهر والمعاني الحرفيّة فحسب، فيتجنّب التفسير الظاهريّ في بعض الأحيان، ومن ذلك تفسيره قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ*وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص:٣-٤] قال عليه السلام : ((لم يلد فيكون موروثًا هالكًا، ولم يولد فيكون في العزّ مشاركًا))[٣] وقال عليه السلام في تفسير (أحَد) أي لا بتأويل عدد[٤].

وتفسيره لقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥]، قال عليه السلام: ((يعني استوى تدبيره وعلا أمره))[٥].

لقد كان عليه السلام يرفع اليد عن التفسير الظاهريّ إذا كان مخالفًا لضرورات الدين

(١) ينظر: بحار الأنوار: ٨٩/ ١٠٥ـ١٠٦ .
(٢) م. ن: ٤٠/ ١٥٧ .
(٣) الكافي: ١/ ١٤١ .
(٤) ينظر: تحف العقول: ٦٣ .
(٥) الاحتجاج: ١/ ٣٧٣ .

والشريعة والعقل، وقد أثّر هذا النهج في تطوير علوم التفسير وإثرائها بالمعاني والدلالات العميقة للقرآن الكريم.

٥. إرث تفسيريّ ضخم.

ترك الإمام عليّ عليه السلام إرثًا تفسيريًا ضخمًا، تناثر في مختلف المصادر والمؤلّفات، كنهج البلاغة وغيره، وقد استفاد منه عدد كبير من العلماء والمفسِّرين على مرِّ العصور، وقد أشار إليه كثير منهم في مؤلّفاتهم التفسيريّة، وبناءً على ما تقدَّم، يتَّضح أنّ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان له دور رائد ومتميّز في علوم التفسير والقرآن الكريم، فقد قام بجمع القرآن الكريم في مصحف واحد، وأتقن علم التفسير وعلّمه للناس، وطوّر أساليب التفسير القرآنيّ بالتركيز على المعاني الروحيّة والعميقة للقرآن الكريم، وأولى هذا العلم مكانة كبيرة في فكره، وبذلك كان الإمام عليّ عليه السلام من أبرز الروّاد والعلماء في مجال علوم التفسير والقرآن الكريم[١].

وكيف لا يكون عالمًا حقيقة العلم بآيات الكتاب المجيد، وهو الذي أخبر النبيّ صلى الله عليه وآله عنه بأنّه يقاتل على تأويل القرآن الكريم كما قاتل النبيّ على تنزيله، فعن أبي سعيد قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله فانقطعت نعله، فتخلّف عليّ يخصفها، فمشى قليلًا ثُمّ قال: ((إنّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، فاستشرف لها القوم وفيهم أبو بكر وعمر، قال أبو بكر: أنا هو؟، قال: لا، قال: عمر أنا هو؟ قال: لا، ولكن خاصف النعل، يعني عليًّا، فأتيناه فبشّرناه فلم يرفع به رأسه كأنّه قد كان سمعه من رسول الله))[٢].

---

(١) ينظر: صورة الآخر في المنظور الديني: ٥٥ .

(٢) المستدرك على الصحيحين: ٣/ ١٣٢، رواية رقم: ٤٦٢١.

تأثير الإمام عليّ عليه السلام على تطوّر علم غريب القرآن الكريم: لقد كان للإمام عليّ عليه السلام أثر كبير في تطوّر علم غريب القرآن الكريم وتأسيس قواعده، فقد أشار الباحثون إلى أنّ اهتمامه البالغ بشرح الألفاظ والمصطلحات القرآنيّة الغريبة وتفسيرها، قد أسهم في إرساء دعائم هذا العلم وتطويره

وقد ظهر هذا الأثر بوضوح في كتب التفسير والدراسات اللغويّة التي تناولت غريب القرآن لاحقًا، والتي كثيرًا ما استشهدت بأقوال الإمام عليّ عليه السلام وشروحه لتوضيح معاني الألفاظ الغريبة[1] .

وعليه، فإنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام قد أولى اهتمامًا بالغًا بعلم غريب القرآن وبذل جهودًا كبيرةً في شرح الألفاظ والمصطلحات القرآنيّة الغريبة وتفسيرها، ممّا أسهم في تطوير هذا العلم وتأسيس قواعده، وقد كان لهذه الجهود أثر كبير على المؤلّفات والدراسات اللاحقة في هذا المجال.

المحور الثالث: أثرُ الإمام علي عليه السلام في بيان التخصّصات العلميَّة والعلوم الطبيّة:

أوّلًا: أثر الإمام عليّ عليه السلام القرآنيّ في التخصّصات العلميَّة.

تألّق أمير المؤمنين عليه السلام ليعانق مختلف ميادين العلم والحكمة، بحيث تلازم عليّ والفكر والعلم والحكمة، فتجده مؤسّسًا لكثير من العلوم بمختلف تقسيماتها، حباه الله تعالى بعلوم الشريعة والعلوم المساعدة التي تصبّ في خدمة الشريعة، والعلوم التي تتعلَّق بالنشأتين، وما يتعلَّق بالمخلوقات، فقد جاء في نهج البلاغة ممّا يتعلّق بالهيئة والجغرافية وعلم الحيوان من أوصاف المخلوقات، كالطيور والبحريّات والحشرات وغير ذلك من الحيوانات، ممّا يعدّ أساسًا علميًا في علمَي الوظائف والتشريح.

(١) ينظر: تفسير غريب القران:١/ ١٦٧ .

وقد أسّس لعلم الحديث، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، وعلم التاريخ، وعلم الذرّة، وعلم الحساب، وعلم الفيزياء، وعلم طبقات الأرض وحركة الْجوّ، زائدًا على العلوم الأخرى كعلم الآداب وعلم الموعظة وغيرها، ويمكن إفادة ذلك من مواضع كثيرة في نهج البلاغة، وقد ألّف محمّد الريشهريّ في تلك العلوم، فاتّسعت اثني عشر مجلّدًا، تحت عنوان (موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ)[1].

تأثير الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام على علوم الحديث: الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام من أبرز الشخصيّات الإسلاميّة البارزة، التي أثّرت بشكل كبير على مختلف العلوم والمعارف الإسلاميّة، بما في ذلك علوم الحديث، إنّ للإمام عليّ عليه السلام إسهامات مهمّة في تطوير علوم الحديث وتأصيلها، ومن تلك الإسهامات المهمّة:

١. كان الإمام عليّ عليه السلام من أوائل الصحابة الذين جمعوا الأحاديث النبويّة وحفظوها وفهموها وشرحوها، فقد نُقل عنه أنّه كان من أكثر الصحابة حفظًا للحديث الشريف وأعرفهم به، يُروى أنّ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله خصَّ الإمام عليّ عليه السلام ببعض الكتب والمخطوطات، التي احتوت على العديد من الأحاديث، هذا يشير إلى مكانة الإمام عليّ عليه السلام كأحد أوائل رواة الحديث ودارسيه[2].

٢. حاز الإمام عليّ عليه السلام دورًا محوريًا في تبويب الأحاديث النبوية وتنظيمها وتصنيفها، فقد قام بتصنيف الأحاديث إلى مختلف الموضوعات والأبواب الفقهيّة والعقائديّة والأخلاقيّة، و وضع أسسًا منهجيّة لفهم الأحاديث ودراستها، مثل التمييز بين الأحاديث الصحيحة والضعيفة، وتحليل متون الأحاديث وسياقاتها، هذه الجهود

---

(١) ينظر: موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ: ١/ ٨٧.
(٢) ينظر: بصائر الدرجات: ١٩٨.

أسهمت بشكل كبير في تطوير علوم الحديث وتأسيسها على أسس علميّة راسخة[١].

٣. كان للإمام عليّ عليه السلام إسهامات مهمة في توظيف القرآن الكريم، في فهم الحديث النبويّ وتفسيره، فقد كان يربط الأحاديث بآيات القرآن الكريم، ويوضّح معانيها ودلالاتها من طريق القرآن الكريم، وقد كان يستخدم القصص القرآنيّة لشرح الأحاديث وتفسيرها، وإبراز أبعادها التربويّة والأخلاقيّة، هذا الربط بين القرآن والسنة النبويّة أثرى فهم الأحاديث، وجعلها أكثر وضوحًا وبيانًا وأعمق دلالة.

٤. أسهم الإمام عليّ عليه السلام في تطوير مناهج علوم الحديث ومصطلحاته، مثل التمييز بين الصحيح والضعيف، وتحليل السند والمتن، وتصنيف الرواة وتوثيقهم، وكان له إسهامات في تطوير علم رجال الحديث أيضًا، من خلال تحليله لسِيَر الصحابة ونقده لبعض الرواة، هذه الإحاطة أسهمت في تطوير هذه العلوم، وجعلها أكثر دقّة وموضوعيّة[٢].

الأثر القرآنيّ للإمام عليّ بن أبي طالب في بناء اللغة العربية: إنّ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان من أبرز الشخصيّات التي أسهمت في تطوير اللغة العربية وتقعيدها وأصول النحو والبلاغة[٣]، فقد كان الإمام عليّ عليه السلام عالمًا بارزًا في مجال اللغة والنحو، وأسّس أوّل مدرسة للنحو العربيّ وألقى أوّل دروس في هذا العلم[٤]، قال السيّد محسن الأمين (رحمه الله) : ((أوّل من وضع أصول علم النحو باتّفاق الرواة وأهل العلم أميرُ المؤمنين عليّ بن أبي طالب، ألقاها إلى أبي الأسود الدؤليّ ظالم بن عمرو،

(١) ينظر: كتاب علي عليه السلام الجامعة: ٩٧ .
(٢) ينظر: الاعتبار من القصص القرآني عند الإمام علي بن الحسين عليه السلام : ١٣٤ .
(٣) ينظر: التقعيدُ في اللغة: جعلُ علم اللغة ذا قاعدة، وإقامته عليها.
(٤) ينظر: الإمام علي ووضع علم النحو: ١٠٠ https://www.alyousif.org

أحد سادات التابعين، وزاد عليه أبو الأسود وفرّع بإرشاد عليّ وإشارته))[١].

بدأت مسيرة الإمام عليّ عليه السلام في إرساء أصول علم النحو منذ أن أسندها إلى أبي الأسود الدؤليّ، وكان ذلك بناءً على ملاحظات الإمام على لغة القرآن الكريم والعرب المتحدّثين بها، فقد كان الإمام عليّ عليه السلام متمكنًا من أسرار اللغة العربيّة والقرآن الكريم، وقد ذاب في معانيه وأحكامه، ممّا جعله قادرًا على تجسيد هذه المعاني والأحكام في عمله وبيانه[٢] .

وقد ظهر ذلك جليًا في نهج البلاغة، الذي يعتبر الدليل الماديّ على أنّ الإمام عليّ عليه السلام هو الأب الروحيّ لعلوم اللغة العربيّة النحويّة والبلاغيّة، فقد نجد في نهج البلاغة ألفاظًا قرآنيّة وأساليب بلاغيّة راقية، تعكس إلمام الإمام عليه السلام بأسرار اللغة العربيّة ومقاصد القرآن الكريم[٣] . علاوة على ذلك، فقد كان للإمام عليّ عليه السلام دور كبير في إثراء المعاجم العربيّة بكثير من الألفاظ الفصيحة والمصطلحات الدقيقة التي استمدّها من القرآن الكريم ولغة العرب، وقد أسهم ذلك في تعزيز ثروة اللغة العربية وتطويرها[٤] .

وفي إحدى الروايات، نجد أنّ أحد الأعراب تحدّى الإمام عليّ عليه السلام في مجال الفصاحة والبلاغة، ولكن الإمام عليه السلام تفوّق عليه بكلمات قويّة ودقيقة انطلقت من مَعين علمه، بأسرار اللغة العربيّة والقرآن الكريم، وهذا يؤكّد على مكانة الإمام عليه السلام كأحد أبرز اللُّغويين والبلغاء في التاريخ العربيّ[٥] ، إذن يمكن القول إنّ الإمام عليّ بن

(١) أعيان الشيعة: ١/ ٢٣٠ .
(٢) ينظر: خصائص أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب: ١٢١ .
(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/ ١٢٨ – ١٢٩ .
(٤) ينظر: دراسة في ضوء كلام الإمام علي في كتب غريب الحديث: ٣٦ .
(٥) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ٩٦ .

أبي طالب عليه السلام كان له دور محوريّ في إرساء أصول علم النحو وتطوير اللغة العربية، انطلاقاً من إلمامه الواسع بمقاصد القرآن الكريم ولغة العرب، وقد انعكس ذلك بشكل جليّ في نهج البلاغة وتأثيره البارز على المعاجم والبلاغة العربية.

الأثر القرآنيّ للإمام عليّ بن أبي طالب في بناء العلوم الاجتماعيّة:

إنَّ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان له أثر كبير في العلوم الاجتماعيّة من خلال تطبيقه لتعاليم القرآن الكريم وتجسيدها على أرض الواقع، فقد كان الإمام عليّ عليه السلام نموذجًا فريدًا في إطار التطبيق العمليّ لمفاهيم العدالة الاجتماعيّة والمساواة التي جاء بها الإسلام، ومن تلك الآثار الفريدة:

١. كان للإمام عليّ عليه السلام جهود كبيرة ومتميّزة في تربية الفرد والمجتمع على أساس الدين الإسلاميّ الحنيف، فقد أرسى قواعد التربية الدينيّة التي تؤكّد على تحقيق التكامل بين الفرد والمجتمع، وتنمّي فضائل الإيمان والأخلاق في نفوس الناس، وذلك من خلال خطبه ورسائله التي ركّزت على مفاهيم ذات قيمة ونفع؛ كحسن الإصغاء، وترك الأنانيّة وحبّ الذات، والمحبّة والألفة بين أبناء المجتمع، وترك ذكر معايب الناس[١].

٢. بناء المجتمع الإسلاميّ وتحقيق العدالة الاجتماعيّة من أولويّة حركة الإمام عليّ عليه السلام، إذ استخدم أسلوب الرقابة والإشراف لإصلاح الأمور الاجتماعيّة وتحسينها، فكان عليه السلام يراقب أعمال الولاة والعمال بدقّة، لضمان تطبيق العدل والمساواة، موظّفًا اللفظة القرآنيّة في إطار فنيّ مواكب لتحقيق الأهداف الاجتماعيّة والاقتصاديّة[٢].

---

(١) ينظر: معاني الاخبار: ٣٠٩.

(٢) ينظر: الحياة الفكريّة والسياسيّة لأئمّة أهل البيت عليهم السلام: ١/ ١١٧.

٣. إسهامات كبيرة في مجال العلوم اللغويّة والنحويّة، التي انطلق بها أميرُ المؤمنين عليه السلام ، فقد أخذ أبو الأسود الدؤليّ علم النحو عن الإمام عليّ عليه السلام ، بعد أن سمع من بعض العرب لحنًا في الكلام، ممّا يؤكّد على اهتمام الإمام عليه السلام باللغة العربيّة وصحّة النطق بها.

٤. الإرث العلميّ الكبير في مجال تفسير القرآن الكريم وتوضيح معانيه للناس، إذ بذل عليه السلام جهدًا كبيرًا في جمع القرآن الكريم وحفظه وتفسيره، ممّا خلّف إرثًا علميًا ضخمًا، يستفيد منه الباحثون والدارسون.

٥. كان الإمام عليّ عليه السلام نموذجًا للزهد والتقوى والعلم، فقد جمع بين الزهد والعلم، ومعلوم جدًا أنّه عليه السلام من أزهد الناس بعد النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله، وقد كان للإمام عليّ عليه السلام الأثر الكبير في إرساء القيم الأخلاقيّة والاجتماعيّة في المجتمع الإسلاميّ والإنسانيّ، لتستفيد منها الأجيال المتعاقبة على أفق مساحة الزمان والمكان.

بناءً على ما سبق؛ يتّضح أنّ للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام أثرًا كبيرًا في العلوم الاجتماعيّة، من خلال تطبيقه الواقعيّ لتعاليم القرآن الكريم في مجالات التربية الدينية، وبناء المجتمع العادل، والعلوم اللغويّة والنحويّة، وعلوم الحديث، وتجسيد القيم العليا كالعلم والتقوى والزهد والعمل، وهذا الإرث الضخم للإمام عليّ عليه السلام ما زال موضع اهتمام الباحثين والدارسين في مختلف المجالات الاجتماعيّة حتّى يومنا هذا.

ثانيًا: أثر الإمام عليّ عليه السلام القرآنيّ في العلوم الطبيّة.

الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان من أبرز العلماء والمفكّرين في تاريخ الإسلام، إذ ترك بصماته الواضحة في العديد من المجالات العلميّة والفكريّة، بما فيها العلوم الطبيّة، فقد تناول الإمام عليّ عليه السلام العديد من الموضوعات الطبيّة في

خطبه وأقواله المتناثرة في نهج البلاغة وغيره من المصادر، والتي كان لها أثر كبير في تطوير المعرفة الطبيّة وتوجيهها نحو الاهتمام بالصحة والعلاج[١].

الجانب التشريحيّ والفسيولوجيّ

من أبرز ما تميّز به الإمام عليّ عليه السلام في الجانب التشريحيّ والفسيولوجيّ هو تركيزه على أهميّة النظام الغذائيّ والهضميّ في الجسم، فقد أشار إلى هذا المعنى بقوله عليه السلام: ((من اقتصر أكله على ما دون الشبع، ظلّ ذهنه متفتِّحًا، وبعد عنه الخمول المرافق لعسر الهضم))[٢]، وهذا يتوافق مع ما أكّده العلم الحديث حول أهميّة التغذية السليمة في الحفاظ على صحّة الجسم والوظائف العقلية. وقد سُئل أمير المؤمنين عليه السلام في عصره بسؤالٍ مؤدَّاه: أنَّ القرآن الكريم يحتوي على كلِّ العلوم إلَّا الطبّ فأجابهم عليه السلام: ((أما إنَّ في القرآن لآية تجمع الطبّ كلّه: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾[الأعراف:٣١]))[٣].

ولأجل التأكيد على أهميّة وظيفة الطبّ كعلم إنسانيّ، قال الإمام عليه السلام: ((العلوم أربعة، الفقه للأديان والطبّ للأبدان والنحو للسان والنجوم لمعرفة الأزمان))[٤]. ففي مجال علم الفسيولوجيا أو ما يعرف بعلم وظائف الأعضاء، فإنَّ لأمير المؤمنين عليه السلام دورًا كبيرًا في سبر أغواره، وقد أيّدت معطيات الطبّ الحديث ما ذهب إليه الإمام عليه السلام في حكمه ومواعظه ووصاياه.

ففي مجال فسيولوجيا الهضم ما هو معروف عن قوله لابنه الحسن عليهما السلام:

---

(١) ينظر: موسوعة الأحاديث الطّبيّة: ١/ ١١٩ .

(٢) موسوعة الأحاديث: ١/ ٣٩٩ .

(٣) سلوة الحزين: ٧٥ .

(٤) موسوعة العقائد الإسلامية: ٢/ ٦٦ .

((يا بني ألا أعلِّمك أربع كلمات تستغني بها عن الطبّ، فقال: بلى، قال: لا تجلس على الطعام إلّا وأنت جائع، ولا تقع عن الطعام إلّا وأنت تشتهيه، وجوّد المضغ، وإذا نمت فأعرض نفسك على الخلاء، وإذا استعملت هذه استغنيت عن الطبّ))[١]، يخاطب بذلك الإمام ابنه الحسن عليهما السلام بوصيّة وجيزة مفادها؛ أن يبتعد الإنسان عن التخمة ويكتفي بتناول الطعام عند الحاجة؛ لأنّ الإسراف في الأكل قد يؤدّي إلى اضطراب وظائف الجهاز الهضميّ، كما ينبغي أن يمضغ الطعام جيّدًا، ليتفكّك إلى وحدات أصغر (جزئيّة)، كي تتحوّل بدورها إلى مركّبات أخرى، يحتاجها الجسم في بناء أعضائه، وفي أداء وظائفه المختلفة.

الإمام عليّ عليه السلام ذكر أهميّة التوازن في تناول الطعام لأجل قِوام الإنسان وصحّة بدنه، إذ قال عليه السلام : ((إنّ الزيادة في الأكل تورث البطنة والكسل، والنقصان يهزل البدن ويُضعف القوى))[٢]، وهذا يؤكّد على ضرورة الاعتدال في تناول الطعام للحفاظ على صحّة الجسم وقوّته.

وعن فسيولوجيا القلب، قال الإمام عليه السلام : ((لا تُميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب، فإنَّ القلب يموت كالزرع، إذا كثر عليه الماء))[٣] .

ويستنتج من كلام الإمام عليه السلام أنّ على الانسان الابتعاد عن النهم في تناول الأطعمة والأشربة؛ لأنّ ذلك قد يؤدّي الى تكوين مركّبات كيميائيّة داخل الجسم، قد تكون ضارة، مثل الكوليسترول، الذي قد تؤدّي زيادته إلى حدوث انسدادات في الأوعية الدمويّة، وإلى حدوث أمراض مختلفة في القلب وجهاز الدوران.

---

(١) ينظر: نهج البلاغة والطب الحديث: ٣٢٤ .
(٢) موسوعة الأحاديث الطّبيّة: ٢/ ٤١٨ .
(٣) ميزان الحكمة: ١/ ٨٨ .

الجانب الوقائيّ والعلاجيّ:

الإمام عليّ عليه السلام ذكر أيضًا الجانب الوقائيّ والعلاجي في الطبّ، إذ أشار إلى أهميّة النظام الغذائيّ في الوقاية من الأمراض، فقال: ((الطب نصفان: نصف في الفم ونصف في اليد))[١]، ومن وصفات أمير المؤمنين عليه السلام القرآنيَّة الطبيَّة بخصوص آية الكرسي، ما جاء بقوله عليه السلام : ((إذا اشتكى أحدكم عينه، فليقرأ عليها آية الكرسي، وفي قلبه أنَّه يُبرأ ويُعافى، فإنَّه يُعافى إن شاء الله تعالى))[٢]. وفيما يتعلّق بالعلاج؛ فقد أشار الإمام عليه السلام إلى أهميّة الاعتماد على الأعشاب والنباتات الطبيعيّة في العلاج، وأهميّة تنظيم النوم والراحة للمريض، فهذه المبادئ كانت لها أثر كبير في تطوير الطبّ العربيّ والإسلاميّ فيما بعد.

الجانب الأخلاقيّ والنفسيّ:

بالإضافة إلى الجوانب التشريحيّة والوقائيّة والعلاجيّة، فقد تطرّق الإمام عليّ عليه السلام إلى الأبعاد الأخلاقيّة والنفسيّة في الطبّ، وبيّن الاهتمام الكبير للقرآن الكريم بالمسائل الأخلاقيّة وتهذيب النفوس، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها* وَقَدْ خابَ مَنْ دَسّاها﴾[الشمس:٩-١٠]، باعتبارها مسألةً أساسيّةً، تنشأ منها وتبتني عليها جميع الأحكام والقوانين الإسلاميّة، فهي بمثابة القاعدة الرّصينة والبناء التحتيّ، الذي يقوم عليه صرح الشّريعة الإسلاميّة، وقد شدّد على أهميّة الصبر والرفق في التعامل مع المرضى، وأكّد على ضرورة أن يكون الطبيب قدوة حسنة في أخلاقه وسلوكه، وإنّ الصفات الأساسيّة لأخلاقيّات الشخص السويّ، ومنها السماحة والتواضع والمحبّة والإيثار ومساعدة الآخرين وإتقان العمل، هي صفات حثّت عليها كلّ

---

(١) ينظر: نهج البلاغة والطب الحديث: ٣٠١ .
(٢) مكارم الأخلاق: ٣٧٥ .

الأديان السماويّة وتبنّتها الأعراف في كلّ المجتمعات وكلّها صفات يتوقّع أن تكون أساس سلوكيات الطبيب.

تأتي خصوصيّة الطبيب من أنّه هو المؤتمن على صحّة الإنسان، فهي أغلى ما لديه من نِعم، وهو المؤتمن على خصوصيّات المريض وأسراره، الذي يكشف عورته ويسترها، إذ يتعامل الطبيب مع الإنسان في أضعف حالاته عند المرض، وعند حاجته له، ويكون التسليم للطبيب أمانة[١] ، فالطبيب موضع ثقة المريض وأهله وذويه والمجتمع، اعتمادًا على أنّ له من المهنية ما يلزمه بمراعاة شرف المهنة وإلزام نفسه بمستوي من السلوك والمعايير الأخلاقيّة، التي تعينه على ذلك وتعصمه من الزلل والتفريط، وعلى الطبيب أن يُحسن التعامل مع الآخرين ويتقبّلهم ويتفاعل معهم ويساندهم ويساعدهم.

وبهذا يتّضح أنّ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان له إسهامات كبيرة في تطوير العلوم الطبيّة من خلال طرحه لمفاهيم وأفكار متقدمة، في مجالات التشريح والفسيولوجيا والوقاية والعلاج والأخلاق، وقد كان لهذه الإسهامات أثر كبير في تطوير الطبّ العربيّ والإسلاميّ فيما بعد[٢] .

(١) ينظر: نهج البلاغة والطب الحديث: ٢٤٧ .
(٢) ينظر: م. ن: ١٧٤ .

الخاتمة:

الحقائق العلميّة التي أخبر القرآن الكريم عنها قبل وقوعها وحدوثها، عرضها الإمام عليّ عليه السلام بأسلوب علميّ مشوّق، يُخاطب العقل ويناجي الفكر، ويشرح الحقائق العلميّة، فهو ينصُّ على أنَّ القرآن الكريم دواءٌ يشفي العلل والأمراض، ويُعالج الأسقام، وجعله العِقار الأوَّل، فمن بركات القرآن الكريم العلميَّة والطبية أنَّه إكسيرٌ فاعلٌ لكلِّ ما يُصيب الإنسان من الأوبئة والعلل، حيث يضعُ عليه السلام اللَّبَنةَ الأولى والدعامة الأساسيّة لضمان التقدّم العلميّ في مختلف مجالات العلوم، ما يتكفّل ببناء الإنسان وتكامله وتوفير متطلّبات الحياة، فقد كان عليه السلام نموذجًا فريدًا في إطار التطبيق العمليّ لمفاهيم العدالة الاجتماعيّة والمساواة التي جاء بها الإسلام الحنيف.

ويبيّن الإمام عليّ عليه السلام كيف أنَّ القرآن الكريم قد احتوى الطبَّ علمًا وعلاجًا، فهو تارةً ينظِّر لعلم الطَّب، وأُخرى يكون ميدانًا تطبيقيًّا، يُعالج شتَّى الأمراض، بما يحمل من أسرارٍ قدسيَّة وبركاتٍ إلهيَّة، وقد ورد عنه عليه السلام كثير من الآراء الذهبيّة في علم الطبّ باستنطاق الآيات الكريمات، تدلّ على استيعابه لهذا العلم ومعرفته الكاملة بأسراره، وهذا وليد الارتباط الموضوعيّ بين العِدْلَينِ: الكتاب والعترة.

بناءً على ما سبق؛ يتّضح أنّ للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام أثرًا كبيرًا في العلوم الاجتماعيّة، من خلال تطبيقه الواقعيّ لتعاليم القرآن الكريم في مجالات التربية الدينيّة، وبناء المجتمع العادل، والعلوم اللغويّة والنحويّة، وعلوم الحديث، وتجسيد القيم العليا كالعلم والتقوى والزهد والعمل الصالح، إضافةً للعلوم الطبيّة والوقائيّة، والعلاج والأخلاق ومجالات التشريح والفسيولوجيا ... هذا الإرث الضخم للإمام عليّ عليه السلام ما يزال موضع اهتمام الباحثين والمحقّقين والدارسين في مختلف المجالات العلميّة والاجتماعيّة واللغويّة والتربويّة والطبيّة حتّى يومنا هذا.

المصادر والمراجع:

*القرآن الكريم.

٢٠. الاحتجاج، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، شبكة الفكر.

٢١. الأصول المنهجية للتفسير الموضوعيّ، مرتضى عبد الأمير جمال الدين، دار القرآن الكريم، ط١، ٢٠١٦م.

٢٢. الاعتبار من القصص القرآني عند الإمام علي بن الحسين عليه السلام ، جاسم محمد علي الغرابي، مجلة القادسية للعلوم، ٢٠١٧م.

٢٣. أعيان الشيعة، محسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، ١٩٨٣م .

٢٤. أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وعلوم القرآن الأسس والتقسيمات، ليث العتيبي، https://www.researchgate.net

٢٥. بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣.

٢٦. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

٢٧. بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار، انتشارات المكتبة الحيدرية، ط١، ١٤٢٦هـ.

٢٨. تحف العقول عن آل الرسول، الحسن بن علي ابن شعبة، المطبعة الحيدرية ومكتبتها، النجف، ١٩٦٣ .

٢٩. تفسير الصافي، محمد بن مرتضى الفيض الكاشاني، مكتبة الصدر، طهران، ١٤١٥ .

٣٠. تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، المطبعة العلمية، طهران، ط١، ١٤٢٢.

٣١. تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ.

٣٢. تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، تح: الجزائري، منشورات مؤسّسة دار الكتاب، قم، ط١.

٣٣. تفسير فرات الكوفي، ابن فرات الكوفي، تح: محمد كاظم، مؤسّسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ١٩٩٠م.

٣٤. التمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفة، مؤسّسة التمهيد، قم المقدسة، ط٢.

٣٥. التوظيف القرآني في بعض خطب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، جواد سبهان وجعفر عاشور، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٩م.

٣٦. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، المكتبة العصرية، ٢٠١٧م.

٣٧. الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام، رسول جعفريان، منشورات دار الحق، بيروت.

٣٨. خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، أحمد بن شعيب النسائي، مكتبة المعلا، ط١.

٣٩. دروس تمهيدية في سيرة الرسول صلى الله عليه وآله، والأئمة المعصومين عليهم السلام، مركز المعارف للتأليف والتحقيق، الناشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، لبنان، ٢٠١٦.

٤٠. سليم بن قيس الهلالي، أبو صادق سليم الهلالي، تح: محمد باقر الأنصاري، الهادي، قم، ط١.

٤١. شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد المعتزلي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، مصر، ط٢، ١٩٦٥م.

٤٢. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني، تح: الشيخ محمّد باقر المحموديّ، مؤسّسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٩٩٠م.

٤٣. صورة الآخر في المنظور الديني، أكرم بركات، نُشر في مجلة المنهاج العدد ٨١ / ٢٠١٧م.

٤٤. عليّ إمام المتقين، عبد الرحمن الشرقاوي، مكتبة غريب، القاهرة، ط١.

٤٥. الغدير، الأميني، تح: مركز الغدير للدراسات الإسلامية، دار معارف الفقه الإسلامي، ٢٠٠٩م.

٤٦. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٤، ١٤٠٧.

٤٧. كتاب علي عليه السلام محمود قانصو العاملي، مكتبة الروضة الحيدرية.

٤٨. كشف الغمة في معرفة الأئمة، علي بن عيسى بهاء الإربلي، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط١، ١٩٨٥م.

٤٩. كلام الإمام علي عليه السلام في كتب غريب الحديث، زهراء حسين جعفر، مؤسّسة علوم نهج البلاغة، ط١.

٥٠. لسان العرب، ابن منظور، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤١٤.

٥١. مجمع البيان، الطبرسي، ط١، ١٩٩٥م.

٥٢. معاني الأخبار، ابن بابويه القمي، مكتبة الصدوق، طهران، ١٣٧٩.

٥٣. مكارم الأخلاق، رضي الدين الطبرسي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٦، ١٩٧٢ م.

٥٤. موسوعة الأحاديث الطّبيّة، محمد الريشهري، دار الحديث للطباعة، قم المقدسة، ط١، ١٤٢٥ ق/ ١٣٨٣.

٥٥. موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، محمد الريشهري، مكتبة الروضة الحيدرية.

٥٦. موسوعة العقائد الإسلامية، محمد الريشهري، دار الحديث للطباعة والنشر، قم، ١٤٣١هـ.

٥٧. ميزان الحكمة، محمد الريشهري، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ط١.

٥٨. نهج البلاغة والطب الحديث، صادق عبد الرضا علي، دار المؤرخ العربي، ط١، ٢٠٠٣م.

٥٩. نهج البلاغة، الرضي، الشريف، دار الحديث للطباعة والنشر، قم، ط١، ١٤١٤هـ.

عِلمُ الوراثةِ التغذويّة وتغييرُ الجيناتِ في كلامِ الإمامِ عليّ عليه السلام

الباحثة طيبة فليّح عبد الموسويّ
بكالوريوس تقانات أحيائية طبّية

الملخّص:

يقدّم البحث هذا مسألة توظيف وصايا الإمام عليّ عليه السلام في علم الوراثة التغذويّة ودحض المفهوم الذي ساد لسنوات عديدة، وهو أنّ الجينات غير قابلة للتغيير، وأنّ الجينات التي يرثها الفرد من والديه تبقى ثابته طوال حياته، أمّا الآن وقد اثبتت الدراسات الحديثة أنّ الجينات قابله للتغيير، وتتأثّر بعوامل عديدة أهمّها النظام الغذائيّ للفرد، فاختيار نظام غذائيّ معيّن يُمكِّننا من السيطرة على العوامل الوراثيّة المسهمة في تطوّر الأمـراض الشائعة مثل السكريّ، وارتفاع ضغط الدم والسرطان وغيرها من الأمراض التي يكون العامل الوراثيّ والغذائي له أثر فيها، وهذا ما وقف عليه البحث في كلام الإمام عليّ عليه السلام .

الكلمات المفتاحية: الإمام علي عليه السلام ، علم الوراثة التغذويّ، الجينات.

Abstract:

This research explores the application of Imam Ali's (pbuh) precepts within the field of Nutrigenetics. It seeks to refute the long-standing misconception that genes are immutable and that the genetic makeup inherited from parents remains static throughout an individual's life.

Modern scientific studies have now demonstrated that genes are indeed dynamic and influenced by various factors، most notably dietary habits. By adopting specific nutritional systems، it becomes possible to influence the genetic factors that contribute to the development of prevalent chronic conditions، such as diabetes، hypertension، and cancer، where both heredity and nutrition play a combined role. The research highlights how these contemporary scientific findings align with the profound insights found in the teachings of Imam Ali (pbuh).

Keywords: Imam Ali (pbuh)، Nutrigenetics، Genes.

المقدّمة:

عن جابر بن عبد الله قال: ((أخذ النبي صلى الله عليه وآله بعضد علي عليه السلام وقال: هذا أمير البررة، قاتل الكفرة، منصور من نصرة، مخذول من خذلة، ثم مدّ بها صوته فقال: أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد العلم فاليأت الباب))[1]، إنّ النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله أعظم خلق الله وأكثرهم علمًا، وقد أشار في هذا الحديث إلى أنّ باب مدينة علمه التي منها يؤتى ومفتاح دخولها هو أمير المؤمنين عليه السلام، وقد خاض الإمام علي عليه السلام في الحديث في شتّى العلوم وتكلّم على بعضها بتفصيل أو بإيجاز عن بعضها الآخر وترك لنا باب البحث والتساؤل والدراسة، وفي هذا البحث نوضّح هذا العلم الحديث (الوراثة التغذوية) في كلام الإمام عليّ عليه السلام .

أهداف البحث:

١-بيان أهميّة ودور وصايا الإمام عليّ عليه السلام في علم الوراثة التغذوية.

٢-تأكيد أهميّة النظام الغذائي الصحّي السليم وتأثير التغذية على الصحّة.

٣-إمكانية الوقاية من الأمراض الخطيرة مثل السرطانات وارتفاع ضغط الدم وداء السكري وحتى تقليل الأعراض بعد الإصابة.

الغذاء هو سرّ استمرار الحياة، فهو أهمّ العوامل البيئية وأكثرها تغيّرًا؛ لذلك زاد الاهتمام بالأغذية ودراسة تأثيرها على الصحّة والوقاية من الأمراض، ومعرفة العلاقة بين الأغذية والأمراض مهمّة جدًّا.

والأغذية نوعان هما:

المغذّيات الكبيرة macronutrient: وهي المواد التي يحتاجها الجسم

(١) بحار الأنوار: ٤٠/ ٢٠٦ .

بشكل كبير لنموّه الطبيعي وإتمام العمليّات الحيويّة، كالكربوهيدرات والدهون والبروتينات.

المغذّيات الصغيرة micronutrient : وهي المواد الغذائية التي يحتاجها الجسم بكميّات قليلة جدًّا، مثل الفيتامينات والمعادن.

ولكلاهما تأثير على جميع الكائنات الحيّة بدءًا من الأحياء المجهريّة مثل البكتيريا، وصولًا إلى الكائنات الراقية مثل الإنسان، ويبدأ تأثيرها على الإنسان من مراحل جنينيّة مبكِّرة، فبعض المغذّيات لها تأثير على الأجنّة من طريق إسكات الجينات، وبعضها لها تأثير ما بعد الولادة من طريق تأثيرها على التعبير الجينيّ للفرد، و في بعض الدول وُجد أنّ ٣٠٪ من الحالات يكون فيها الغذاء هو العامل الأساسيّ من بين عوامل أخرى في حثّ تكوين أمراض خطيرة من السرطانات cancer وتصلّب الشرايين وارتفاع ضغط الدم وداء السكريّ خاصّة النوع الثاني[١].

علم الوراثة

هذا العلم يهتمّ بدراسة الحمض النووي DNA الذي يكوِّن الجينات التي تمثِّل الوحدات الأساسية التي تنقل الصفات الوراثية من جيل إلى آخر، و يُعنى أيضًا بدراسة دور العوامل البيئيّة في ظهور الصفات الوراثية، ويعدّ غريغور مندل (Gregory mendel) أوّل من طوّر علم الوراثة واكتشف القوانين التي تتحكَّم بانتقال الصفات الوراثية، ثمّ في عام ١٩٠٥ ظهر مصطلح علم الوراثة (genetics) على يد العالم ويليام باتسون (William Bateson)[٢].

---

(١) ينظر: التغذية والوراثة: زهرة محمود الخفاجي: ٣٢ .

(٢) Winchester (٢٠١٧-١١-١٧ www.britannica.com ، " Genetics

الأنظمة الغذائيّة:

يوجد العديد من الأنظمة الغذائية في العالم، بعضها لأنقاص الوزن وبعضها لزيادته أو الحصول على أوزان مثاليّة، ولكلٍّ منها أهميّته واستجابة الجسم له، وسنذكر نوعين مهمّين وحسب توصيات منظّمة الصحّة العالمية ووزارة الصحّة العراقيّة.

النظام الغذائي الصحّي:

إنّ أهمّ ما يُميّز هذا النظام هو التنوُّع في تناول المغذِّيات والتوازن، فيكون من دون إفراط أو نقصان؛ لأنّ كلا الأمرين يؤدّيان إلى أمراض خطيرة، وهو ما أكّده قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِين﴾[الأعراف:٣١] .

وقد أولى الإمام عليّ عليه السلام هذا المجال شأنًا كبيرًا في العديد من الوصايا التي تحثّ على عدم الإسراف والتوازن، فيقول عليه السلام: ((من اقتصرَ في أكله كثُرَت صحّته وصلُحت فكرته))[1].

وهنالك العديد من المقالات لمنظّمة الصحّة العالمية ولوزارة الصحّة العراقيّة توضِّح أهميّة النظام الغذائي المتوازن والاهتمام بالتغذية من المراحل العمريّة المبكِّرة، ونقل عن بيان وزارة الصحّة العراقيّة أنّ الممارسات الغذائية تبدأ من مراحل عمريّة مبكِّرة، فالرضاعة الطبيعيّة تُعزِّز النموّ الصحّي وتُحسِّن التطوُّر المعرفيّ، ولها فوائد صحيّة طويلة الأمد مثل الحدّ من خطر زيادة الوزن أو البدانة والإصابة بالأمراض الانتقاليّة في مرحلة عمريّة لاحقة وفي بيان آخر وضّحت الوزارة دور الغذاء في الوقاية من الأمراض إذ ذكرَت أنّ اتِّباع نظام غذائي صحيّ يساعد على الوقاية من أمراض سوء التغذية بأشكالها كافة، وكذلك الأمراض غير الانتقالية بما

(١) ميزان الحكم: ١/ ٨٩ .

في ذلك مرض السكريّ وأمراض القلب والسكتة الدماغية والسرطان[١] .

وهناك العديد من المغذّيات الكبيرة والمغذّيات الصغيرة التي لها تأثير محتمَل على صحّة الإنسان، سواء كان إيجابيًّا أم سلبيًّا، وهذا ما أكّده الإمام علي عليه السلام في وصاياه وهو يتوافق مع ما يؤكّده العلم الحديث، ومن هذه المغذّيات:

٦. **البروتينات**: من المغذّيات الكبيرة المهمّة جدًّا في تطوّر الخلايا والأنسجة ونشوئها، وله أهميّة في المناعة فهو يشارك في تخليق الأجسام المضادة antibody، ويشارك في انقسام الخلايا، وهو ضروريّ للهرمونات والأنزيمات، ويوجد في مصادر غذائية متنوِّعة كالبقوليات واللحوم والسمك[٢]، وللإمام عليه السلام العديد من الوصايا في تناول لحم الضأن والعدس وهذا الغذاء يعدّ غنيًّا بالبروتينات ومن مصادره المهمّة، عن سعد بن سعد قال: ((قلتُ لأبي الحسن عليه السلام إنّ أهل بيتي لا يأكلون لحم الضأن، قال: ولم؟ قلتُ: يقولون: إنّه يهيج المرّة الصفراء والصداع والأوجاع، قال: يا سعد، لو علم الله شيئًا أفضل من الضأن لفدى به إسماعيل عليه السلام))[٣]، ومن وصاياه في أكل العدس يقول عليه السلام: ((أكل العدس يُرِقّ القلب ويُكثِر الدمعة))[٤].

٧. **الكربوهيدرات**: هي أيضًا من المغذّيات الكبيرة المهمّة في صحّة الجسم، ولها دور في الحفاظ على نشاط الجهاز المناعي، وتمنع تجلُّط الدم، ولها مصادر عدّة كالخبز والرز والخضروات ومنتجات الألبان، ويوصي الإمام عليه السلام في تناول الخبز، فروي عنه عليه السلام أنّه قال: ((أكرموا الخبز، فإنّ الله عزّ وجلّ أنزله من بركات السماء،

---

(١) الموقع الرسمي لوزارة الصحة العراقية، https:moh.gov.iq

(٢) ينظر: دليل الغذاء الصحي العراقي، عبد السلام صالح سلطان، ميسلون إسماعيل.

(٣) مكارم الاخلاق: ١٠٠ .

(٤) الكافي: ٦/ ٣٤٣ .

قيل وما إكرامه؟ قال: إذا حضر لم ينتظر به غيره))[١]، ومن الجدير بالذكر أنّ زيادة النشويات تؤدّي إلى أمراض عدّة خطيرة كالسمنة وداء السكّري وبعض أنواع السرطانات[٢].

٨. **الدهون**: أحد المغذّيات الكبيرة التي يحتاجها الجسم لعدّة وضائف منها إذابة الفيتامينات أو مواد أخرى تكون غير قابلة للذوبان في الماء وتذوب في الدهون، واعتمادًا على نوعه يمكن تحديد تأثيره على صحّة الإنسان بوصفه ضارًّا أو نافعًا، فهناك زيوت صحّية غير مهدرجه تكون لها تأثيرات إيجابية أو حتّى المكسّرات التي تعدّ دهونًا صحّية؛ لأنّ زيادة الدهون غير الصحّية والمهدرجة تؤدّي إلى أمراض القلب وانسداد الشرايين، وتبيّن الدراسات انتشار هذه الأمراض بكثرة في العراق .

٩. **الفيتامينات**: تعدّ مغذّيات صغيرة أو دقيقة نظرًا لحاجة الجسم لها بكمّيات ضئيلة جدًّا، إلّا أنّ عدم احتواء النظام الغذائيّ على هذه المواد بكمّيات محدّدة يمكن أن يؤدّي إلى أمراض عدّة، ويوجد العديد من أنواع الفيتامينات بعضها يذوب في الماء والآخر في الدهون، ومن مصادره الحليب والفواكه، فمثلًا يوصي الأطباء بتناول التين لأنّه يحتوي على العديد من الفيتامينات المفيدة، وقد ذكر الإمام عليّ عليه السلام هذه الفوائد وأوصى به فقال: ((أكل التين يُليّن السدد وهو نافع لرياح القولنج، فأكثروا منه بالنهار وكلوه بالليل ولا تكثروا منه))[٣].

النظام الغذائيّ العلاجيّ

ومن الأنظمة الغذائيّة المهمّة التي يجدر ذكرها وهي أنظمة توضع من قبل أطبّاء أخصائيّين لأشخاص محدّدين يعانون من أمراض معيّنة لعلاج الأمراض أو

(١) مكارم الاخلاق: ٩٦ .
(٢) ينظر: دليل الغذاء الصحي العراقي .
(٣) طبّ الأئمة: ١٣٧، و بحار الأنوار: ٦٦/ ١٨٦ .

حتّى التقليل من ظهور الأعراض مثل مرض scurvy أو اسقربوط الذي يَنتُج عن نقص فيتامين c، وتشمل أعراضه باضطراب نموّ العضلات والأنسجة الرابطة وتزداد حدّة أعراضه عند الإصابة في مرحلة الطفولة المبكِّرة، ويمكن علاجه بزيادة تناول الأغذية المحتوية على فيتامينc، وكذلك مرض الكساح rickets الناتج عن نقص فيتامينD والذي يمكن أن يورَّث إلى الأجيال القادمة[١].

وكذلك مرض السكريّ إذ ينصح العديد من الأطبّاء بتناول خبز الشعير للمرضى المصابين بهذا المرض، وذلك لكونه مصدرًا مهمًّا للألياف ويساعد على التحكُّم في ارتفاع السكر في الدم، لقد أوصى الإمام عليّ عليه السلام بتناول الشعير، فروي عنه عليه السلام أنّه قال: ((فضل خبز الشعير على البُرِّ كفضلنا على الناس، ما من نبيّ إلّا وقد دعا لأكل الشعير وبارك عليه، وما دخل جوفًا إلّا وأخرج كلّ داء فيه، وهو قوت الأنبياء عليهم السلام وطعام الأبرار، أبى الله أن يجعل قوت الأنبياء للأشقياء))[٢].

علم الوراثة التغذوية:

ظهرت أبحاث في قاعدة البيانات PubMed، أول الأبحاث ظهرت في العقد الأوّل من القرن الحادي والعشرين لكنّها قليلة، وبعد عام ٢٠١٠ ازداد عدد الأبحاث المقدّمة في هذا العلم، وهو علم يدرس المواد الغذائيّة الكيميائيّة الشائعة وتأثيرها على صحّة الإنسان عن طريق تغيير التعبير الجينيّ أو بنية الجين للفرد وبيان أنّ التغذية تؤثِّر على مستويين الأول الخلويّ (بناء الخلية) والثاني الجزيئيّ (المواد الوراثية)[٣] .

---

(١) ينظر: التغذية والوراثة، زهرة محمود الخفاجي:

(٢) مكارم الأخلاق: ٩٦ .

(٣) ams A.marcum ٢٣ june (٢٠٢٠) (Nutrigenetics / Nutrigenomics، Personalized Nutrition and Precision Healthcare.

علم الوراثة التغذويّة ظهر بشكل شائع بعد إكمال مشروع الجينوم البشري (human genom project HGP)، وهو بحث دوليّ لتحديد تسلسل الجينوم البشريّ والجينات التي يحتويها، بدأ العلماء الأمريكيّين وآخرين بهذا المشروع في عام ١٩٩٠ واكتمل سنه ٢٠٠٣، وتمّ تنسيقه من قبل جهات عدّة، وزارة الطاقة (the department of energy DOE)، والمعهد الوطنيّ الصحّي (national institutes of health NIH)، وبحلول عام ٢٠٠٧ أكّد العلماء أنّ غذاء الإنسان له تأثير على جيناته، فالغذاء يرسل رسائل أو تعليمات إلى الجينات ويؤثّر على عمليّة الأيـض metabolsim والذي يعني مجموعة العمليّات الحيويّة التي تحدث في الجسم لتحويل الطعام إلى طاقة، ويمكن أن يؤثّر النظام الغذائيّ على معدّل الأيض ممّا يحدِّد أو يتحكَّم فيما إذا كان الجسم سيحرق السعرات الحراريّة أو يخزّنها، ولذلك يمكن تغيير التفاعل بين الجسم والغذاء وفقدان الوزن وتحسين الصحة، وكذلك تعديل الجينات التي لها تأثير على الإصابة بأمراض خطيرة مثل أمراض القلب والسكّري والسرطان من خلال النظام الغذائيّ. وبعد تطوّر الدراسات المتعلِّقة بالتغذية الوراثية تحوَّلت أبحاث التغذية من ارتباطها في علم الأوبئة وعلم وظائف الأعضاء إلى علاقتها المباشرة بالبايلوجيا الجزيئيّة وعلم الوراثة.

وبعد ظهور علم الوراثة التغذويّة انصبَّت الأبحاث على فهم كيفية تمييز العناصر الغذائيّة أو النشاط الحيويّ للعناصر الغذائيّة على المستوى الجزيئيّ للمنتجات الجينيّة ووظيفتها الفسيولوجيّة وتفاعلاتها على مستوى البروتين والأيض ودراسة كيفيّة تأثيرها على التعبير الجينيّ (النسخ والترجمة)، علم الوراثة التغذويّة يستند إلى نموذجين ويمكن وصفة بأنّه علم تطبيقيّ في نظر علم الصيدلة الغذائيّة (nutritional pharmacolgy) وفي سياق تعدُّد الأشكال الجينيّة (genetics polymorphism) باستخدام تقنيّة

المصفوفة الدقيقة (microarray)[١].

تسهم المواد الغذائية التي يتمّ تناولها في تنظيم التعبير الجينيّ، وأكثر الأمراض المزمنة شيوعًا هي التي تحدث بسبب تفاعل النمط الوراثيّ (geno type) والنظام الغذائي هو مرض السكري من النوع الثاني (T2DM) الذي يحدث في الغالب عند الأفراد الذين يعانون من زيادة الوزن بشكل مفرط، فيُنصح الأشخاص المصابين بالسكري من النوع ٢ بممارسة أنشطة بدنيّة وتقليل تناول السعرات الحراريّة ولا سيما الدهون والسكريات[٢].

إنّ مصطلح (nutrigenomics) يشمل كلًّا من (nutigenetics) و(nutrigenomics) ويعنى بربط العلاقة بين أبحاث الجينوم والتكنولوجيا الحيويّة وأبحاث التغذية الجزيئيّة (تأثير التغذية على المستوى الجزيئي)، وتوفّر تطوّر في مجال الأغذية الصحيّة وتوفّر أيضًا معلومات كاملة عن تأثير الغذاء في صحّة الإنسان وتقدّر الآثار المفيدة والضارة المحتملة للغذاء منذ مراحل مبكِّرة وحتى بدء المرض.

هنالك العديد من الأمراض التي يمكن الوقاية منها أو معالجتها من طريق تطبيق علم الوراثة التغذويّة وهي الأمراض غير الانتقاليّة مثل أمراض القلب والأوعية الدموية وأنواع السرطانات، هذه الأمراض تحدث بسبب اضطرابات التوازن، فالمواد

---

(١) Hyman M. Ultrametabolism : awaken the fat - burning DNA hidden in your body the simple plan for automatic weight loss . New York ; London : Atria Books : ٢٠٠٨ & Munshi A، Duvvuri S. Nutrigenomics : Looking to DNA for nutrition advice . Indian J Biotechnol . ٤٠-٣٢ : ٧ ; ٢٠٠٨

(٢) ams A.marcum ٢٣ june (٢٠٢٠) (Nutrigenetics / Nutrigenomics، Personalized Nutrition and Precision Healthcare.

الغذائية تُرسل إشـارات، وأنظمة الاستشعار الخلوي بدورها تكشف عن هذه الإشارات وتستمرّ في تنشيط الجينات ثمّ التعبير الجينيّ لينتج البروتين، ومن ثَمّ التأثير على التعبير الأيضي ثُمّ تأثيره بالتأكيد على الوظيفة الفسيولوجيا[١].

الأمراض غير المُعْدِية

على الرغم من تحسُّن الرعاية الصحّية وتطوّرها وتحقيقها نجاحًا كبيرًا في علاج الأمراض المعدية والسيطرة على الآفات، إلّا أنّها لم تُحقِّق نجاحًا حتى يمكن القول إنّهـا فشلت في علاج أو السيطرة على الأمـراض غير المعدية أو غير الانتقالية (الأمراض التي لا تنتقل بين الأفراد) [٢]. وتُسبِّب هذه الأمراض وفيات كثيرة وفي ازدياد مستمرّ[٣]، وفقًا لمنظمة الصحّة العالمية (WHO) فإنّ أكثر من ٤٠ مليون شخصًا يموتون سنويًّا بسبب هذه الأمراض، وغالبًا تكون الأمراض غير المعدية أمراضًا مزمنة من حيث المدّة وتعكس نمط الحياة مثل استهلاك التبغ أو الوجبات المليئة بالدهون، وهذه الأمراض تشمل السمنة، السرطان، داء السكري، أمّا أمراض القلب والأوعية الدموية من بين العديد من الأمراض الأخرى فتمثّل خطورة جادّة وحقيقية، وهي السبب الرئيس لوفاة البالغين حول العالم الذين تتراوح أعمارهم بين ٣٥-٧٠ سنة، وتشمل أمراض القلب العديد من الأمراض والحالات بما في

(١) DeBusk RM، Fogarty CP، Ordovas JM، Kornman KS . Nutritional genomics in practice : where do we begin ? J Am Diet Assoc . ٢٠٠٥ ; ١٠٥ : ٥٨٩-٩٨

(٢) Hunter DJ، Reddy KS . Noncommunicable diseases . N Engl J Med . ٢٠١٣ ; ٣٦٩ : ١٣٣٦-٤٣.

(٣) NCD Countdown ٢٠٣٠ Collaborators. NCD Countdown ٢٠٣٠ : Worldwide trends in non - communicable disease mortality and progress towards Sustainable Development Goal target ٣،٤ . Lancet . ٢٠١٨ ; ٣٩٢ : ١٠٧٢-٨٨

ذلك مرض الشريان التاجي وتصلُّب الشرايين وارتفاع ضغط الدم والسكتة الدماغية وعدم انتظام ضربات القلب[١]، وعلى الرغم من انخفاض معدّلاتها في السنوات الأخيرة لدى كبار السن، إلّا أنّ الباحثين يعتقدون أنّ من أهمّ المسبِّبات لأمراض القلب والأوعية الدموية هو النظام الغذائيّ[٢].

مثال على ذلك ما أشارت إليه دراسات مختلفة من أنّ الأنظمة الغذائية منخفضة الدهون المشبعة يكون خطر الإصابة بأمراض القلب والشرايين فيها قليلًا، وتشجِّع شُعب التوجيهات الغذائية الحديثة على استبدال الأحماض الدهنية المشبعة بالحبوب الكاملة وتجنُّب السكّر المكرَّر واستبدال البروتين الحيوانيّ بالبروتينات النباتية للوقاية من أمراض القلب والشرايين[٣]، ويمكن الاختصار بأن نقول: إنّ أمراض القلب والشرايين هي أمراض متعدِّدة الجينات (مرض يتأثّر بجينين أو أكثر) وتعكس

---

(١) Wilmot KA، O'Flaherty M، Capewell S، et al . Coronary heart disease mortality declines in the United States from ١٩٧٩ through ٢٠١١ : evidence for stagnation in young adults، especially women Circulation . ٢٠١٥ ; ١٣٢ : ٩٩٧_١٠٠٢

(٢) .Anand SS، Hawkes C، De Souza RJ، et al . Food consumption and its impact on cardiovascular disease : importance of solutions fo- cused on the globalized food system : a report from the workshop convened by the World Heart Federation . J Am Coll Cardiol . ; ٦١٤-١٥٩٠ : ٦٦

(٣) Brandhorst S، Longo VD . Dietary restrictions and nutrition in the prevention and treatment of cardiovascular disease . Circ Res . ; ٢٠١٩ ٦٥-٩٥٢ : ١٢٤ The authors review the various risk factors associated with cardiovascular diseases with respect to dietary factors . They frame their review in terms of four pillars : basic research، epidemiology، clinical studies، and centenarian studies.

التفاعل بين الجينات، والفرد، والنظام الغذائيّ، وأسلوب الحياة، وعوامل بيئية أخرى كيفية تأثير النظام الغذائيّ على صحّة القلب والشرايين يتم من طريق مجموعة معقَّدة من الجينات ويوفِّر علم التغذية الوراثيّة وسائل لدراستها والتحقيق فيها(١).

وتشارك العديد من الجينات في عمليّات الأيض للدهون مثل APOAI الذي يشكّل منتجه الجيني حوالي ٧٠٪ من البروتين الدهنيّ عالي الكثافة و الجين APOA5 المنتج الجيني لهذا الجين يشارك في تنظيم مستويات الدهون الثلاثية من طريق تعديل نشاط ليباز البروتين الدهنيّ، ويمكن تعديل التعبير الجيني من طريق النظام الغذائي(٢)، وقد أكّدت الدراسات الحديثة أنّ الأنظمة الغذائية الغنيّة بدهون أوميجا ٣ المتعدِّدة غير المشبعة- ومن أهمّ مصادرها الأسماك- يمكن أن تقلِّل من خطر الإصابة بأمراض القلب والأوعية الدموية من طريق تنظيم عدد من الجينات مثل APOA5 APOAI APOE المشاركات في عمليات أيض الدهون(٣)، وهنالك العديد من الصعوبات في تطبيق علم الوراثة التغذوية في الوقاية من أمراض القلب، إلّا أنّ هذه التحدِّيات ليست مستحيلة على إيجاد الحلول(٤).

(١) Briggs MA، Petersen KS، Kris - Etherton PM . Saturated fatty acids and cardiovascular disease : replacements for saturated fat to reduce cardiovascular risk . Healthcare . ٥ : ٢٠١٧ . https://www.mdpi.com/ -٢٢٢٧ ٢٩ / ٢ / ٥ / ٩٠٣٢ . Accessed ٢ March ٢٠٢٠.

(٢) Corella D، Ordovas JM . Nutrigenomics in cardiovascular medicine Circ Cardiovasc Genet . ٥١-٦٣٧ : ٢ ; ٢٠٠٩.

(٣) Nuno NB، Heuberger R. Nutrigenetic associations with cardiovascular disease . Rev Cardiovasc Med . ٢٥-٢١٧ : ١٥ ; ٢٠١٤.

(٤) Merched AJ، Chan L. Nutrigenetics and nutrigenomics of athero- sclerosis . Curr Atheroscler Rep ١٥ ; ٢٠١٣ . https : //www.ncbi.nlm.nih . gov / pmc / articles / PMC٤٠٠٣٨٧٩ / pdf / nihms٥٧٢٦٥٩.pdf . Accessed ٢٩ April ٢٠٢٠.

وقد أصدرت جمعية القلب الأمريكية American heart association AHA بيانًا عمليًا وضّح دور علم الوراثة التغذوية في دراسة العلاقة بين النظام الغذائيّ والجينات وأمراض القلب، وأخذت هذه النظريّة بشرح التقنيّات omics المختلفة المتاحة لإجراء أبحاث في علم الجينوم الغذائيّ بدأ من علم الجينوم وإلى علم البروتينات[١].

أكّد مقال جمعيّة القلب الأمريكيّة (AHA) أنّ أحد أهمّ الأهداف من علم التغذية الوراثية لأبحاث أمراض القلب والشرايين هو الاهتمام بالتغذية الشخصيّة للوقاية من أمراض القلب والشرايين والسيطرة عليها، على الرغم من أنّ مقال الجمعية الأمريكية لأمراض القلب ناقش التحدّيات التي تواجه هذا الهدف، إلّا أنّ الباحثين متفائلون من تحقيق الغاية والهدف للسيطرة ومعالجة الأمراض غير المعدية[٢].

مرض السرطان من الأمراض الخطيرة جدًّا، ويُعتقَد أنّ النظام الغذائيّ من الأسباب المهمّة في الإصابة بالسرطان[٣]، على سبيل المثال ذكرت بعض الأبحاث المنشورة في عام ١٩٨٠ وجود علاقة بين الإصابة بسرطان الثدي والعديد من

---

(١) Lovegrove JA، Gitau R. Personalized nutrition for the prevention of cardiovasculardisease:afutureperspective.JHumNutrDiet.١٦-٣٠٦:٢١;٢٠٠٨.

(٢) Ferguson F، Allayee H، Gerszten RE، et al . Nutrigenomics، the microbiome، and gene - environment interactions : new directions in cardiovascular disease research، prevention، and treatment : a scien- tific statement from the American Heart Association . Circ Cardiovasc Genet . ٣١٣-٢٩١ : ٩ ; ٢٠١٦.

(٣) Elsamanoudy AZ، Neamat - Allah MAM، Mohammad FAH، et al . The role of nutrition related genes and nutrigenetics in understand- ing the pathogenesis of cancer . J Microsc Ultrastruct . ٢٢ -١١٥ : ٤ ; ٢٠١٦.

العوامل الغذائية[١]، بالإضافة إلى ذلك يُعتقَد أنّ التقليل أو غياب بعض العناصر الغذائية يؤدّي إلى الإصابة بالسرطان، مثلًا هناك علاقة بين النقص في حمض الفوليك (folic acid) والسرطان ولا سيما سرطان القولون والمستقيم والبنكرياس[٢]، وحمض الفوليك هو عامل مهمّ في الحفاظ على الحمض النوويّ DNA من خلال إصلاحه ويمكن أن يؤدّي التقليل منه إلى خلل جيني[٣].

مع ذلك فإنّ هنالك عددًا من العوامل التي يُعتقَد أنّ لها دورًا في تكوين الأورام، وهي مواد مسرطنة خارجية تلوِّث الأغذية هذه المواد ممكن أن تؤدّي إلى تنشيط الجينات المسرطنة، أو تمنع الجينات الكاتبة للورم[٤]، وعلى الرغم من أنّ المواد الغذائيّة والنظام الغذائيّ له دور في الإصابة بالسرطان، لكنّ الأبحاث تؤكّد على إمكانيّة أن يكون لها دورٌ مهمّ في الوقاية من السرطان وحتى علاجه[٥]، وتشير

(١) Chittiboyina S، Chen Z، Chiorean EG، et al . The role of the folate pathway in pancreatic cancer risk . PLoS One . ١٣ : ٢٠١٨ . https : // doi . org / ١٠,١٣٧١ / journal.pone.٠١٩٣٢٩٨ Accessed ١٥ Jan ٢٠٢٠.

(٢) Kadayifci FZ، Zheng S، Pan Y - X . Molecular mechanisms underlying the link between diet and DNA methylation . Int J Mol Sci ١٩ : ٢٠١٨ . https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/ PMC٦٣٢٠٨٣٧ / pdf / ijms - ٠٤٠٥٥-١٩.pdf . Accessed ٣٠ April ٢٠٢٠.

(٣) Tang PK . Consume، digest، and expire : the risks of domesticated carcinogens . Lancet Oncol . ٥-٢٤ : ١٧ ; ٢٠١٦.

(٤) Ardekani AM، Jabbari S. Nutrigenomics and cancer . Avicenna J Med Biotechnol . ١٧-٩ : ١ ; ٢٠٠٩ .

(٥) Irimie AI، Braicu C Pasca S، et al . Role of key micronutrients from nutrigenetic and nutrigenomic perspectives in cancer prevention . Medicina . ٥٥ : ٢٠١٩ https://www.mdpi.com/٦٦٠-١٠١٠X/٢٨٣/٦/٥٥ . Accessed ٢٨ Dec ٢٠١٩. In this rather comprehensive review، the authors discuss the various key micronutrients، such as vitamins، selenium، and dietary fiber، involved in carcinogenesis and its prevention . Importantly، they frame their discussion in terms of the hallmarks of cancer .

الدراسات في علم الوراثة الغذائية إلى أنّ المغذّيات الدقيقة مثل الفيتامينات والمعادن وبعض المغذّيات الكبيرة مثل الألياف فعّالة ليست فقط في الوقاية من السرطان بل حتّى بإمكانية علاجه ولا سيما من ناحية مميّزات الخلايا السرطانية مثل قدرة الخلايا السرطانية على التكاثر اللامحدود ومن ثَمّ سوف تعمل هذه المواد على إضعاف سمات الخلايا السرطانية(١).

على سبيل المثال أثبت الباحثون أنّ الأنظمة الغذائية التي تحتوي على بذور الكتّان تساعد في العلاج من سرطان الثدي(٢)، بآلية معينة تتضمّن أنّ بذور الكتّان تحتوي على مادّة الليجنان التي تتحوّل إلى مادة ترتبط مع مستقبِلات هرمون الاستروجين ومن ثَمّ تقلِّل نموّ الخلايا(٣).

وأخيرًا يمكن استخدام علم الوراثة التغذوية في العمل على تطوير أنظمة غذائية من شأنها أن تُخفِّف الآثار الجانبية للعلاجات التقليديّة للسرطان مثل العلاج الكيمياوي والعلاج الإشعاعيّ(٤).

---

(١) Calado A، Neves PM، Santos T، et al . The effect of flaxseed in breast cancer : a literature review . Front Nutr . ٥ ; ٢٠١٨ . https : // doi . org / ١٠,٣٣٨٩ / fnut.٢٠١٨,٠٠٠٠٤ / full Accessed ٢٤ Jan ٢٠٢٠ . Flaxseed.

(٢) De Silva SF، Alcom J. Flaxseed lignans as important dietary polyphenols for cancer prevention and treatment : chemistry، pharmacokinetics، and molecular targets . Pharmaceuticals . ١٢ ; ٢٠١٩ . https : // www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC٦٦٣٠٣١٩/pdf/ pharmaceuticals - ٠٠٠٦٨-١٢.pdf . Accessed ٣٠ April ٢٠٢٠ .

(٣) Kang JX . Nutrigenomics and cancer therapy . J Nutrigenet Nutrigenomics . ١ : ٦ ; ٢٠١٣ - II .

(٤) Dagenais GR، Leong DP، Rangarajan S، et al . Variations in common diseases، hospital admissions، and deaths in middle - aged adults in ٢١ countries from five continents (PURE) : a prospective cohort study . Lancet . ٩٤-٧٨٥ : ٣٩٥ ; ٢٠٢٠.

الاستنتاج:

من خلال البحث الحالي يمكننا أن نستنتج ما يأتي:

إنّ لوصايا الإمام عليّ عليه السلام في التغذية أهميّة بالغة، فعلم التغذية لا يقتصر على الغذاء اليوميّ فحسب، ولكن له أبعاد أخرى ارتبطت بجميع مفاصل الحياة، فنجد من خلال هذا البحث ارتباطها بعلم الأمراض وعلم الوراثة والصحّة العامة، وإنّ الغذاء يمكن أن يكون سببًا في حدوث بعض الأمراض، كما أنّه يمكن أنّ يكون علاجًا أو للوقاية من الأمراض غير المعدية مثل السكري وبعض أنواع السرطانات.

المصادر:

أولًا: القرآن الكريم

ثانيًا: الكتب والبحوث:

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسيّ، مطبعة الوفاء، ط٢، ١٩٨٣م .

٢. التغذية والوراثة، زهرة محمود الخفاجي، المجلة العراقية للتقانات الحياتية، المجلّد الأول، ٢٠١٠م .

٣. دليل الغذاء الصحي العراقي، عبد السلام صالح سلطان، ميسلون إسماعيل.

٤. طب الأئمّة، ابنا بسطام، المكتبة الحيدريّة، قم المقدّسة، ١٣٧٥هـ .

٥. الكافي، للكليني، تح: علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٤، ١٤٠٧هـ .

٦. مكارم الاخلاق، الشيخ رضي الدين الطبرسي، تح: محمّد الحسين الأعلميّ، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، (د.ت) .

٧. الموقع الرسمي لوزارة الصحة العراقية https:moh.gov.iq

٨. ميزان الحكمة، محمد الريشهري، دار الحديث، ط١، (د.ت) .

ثالثاً: المصادر الاجنبية:

1. Jams A.marcum 23 june (2020) (Nutrigenetics / Nutrigenomics، Personalized Nutrition and Precision Healthcare.

2. Hyman M. Ultrametabolism : awaken the fat - burning DNA hidden in your body the simple plan for automatic weight loss . New York ; London : Atria Books : 2008 & Munshi A، Duvvuri S. Nutrigenomics : Looking to DNA for nutrition advice . Indian J Biotechnol . 2008 ; 7 : 32-40

3. Nathan DM . Initial management of glycemia in type 2 diabetes mellitus . N Engl J Med . 2002 ; 347 : 1342-9

4. DeBusk RM، Fogarty CP، Ordovas JM، Kornman KS . Nutritional genomics in practice : where do we begin ? J Am Diet Assoc . 2005 ; 105 : 589-98

5. Hunter DJ، Reddy KS . Noncommunicable diseases . N Engl J Med . 2013 ; 369 : 1336-43

6. NCD Countdown 2030 Collaborators . NCD Countdown 2030 : Worldwide trends in non - communicable disease mortality and progress towards Sustainable Development Goal target 3.4 . Lancet . 2018 ; 392 : 1072-88

7. Wilmot KA، O'Flaherty M، Capewell S، et al . Coronary heart dis- ease mortality declines in the United States from 1979 through 2011 : evidence for stagnation in young adults، especially women Circulation . 2015 ; 132 : 997–1002 .

8. Wilmot KA، O'Flaherty M، Capewell S، et al . Coronary heart dis- ease mortality declines in the United States from 1979 through 2011 : evidence for stagnation in young adults، especially women Circulation . 2015 ; 132 : 997–1002 .

9. Anand SS، Hawkes C، De Souza RJ، et al . Food consumption and its impact on cardiovascular disease : importance of solutions fo- cused on the globalized food system : a report from the workshop convened by the World Heart Federation . J Am Coll Cardiol . ; 66 : 1590-614 .

10. Brandhorst S، Longo VD . Dietary restrictions and nutrition in the prevention and treatment of cardiovascular disease . Circ Res . 2019 ; 124 : 952-65 The authors review the various risk factors associated with cardiovascular diseases with respect to dietary factors . They frame their review in terms of four pillars : basic research، epidemiology، clinical studies، and centenarian studies .

11. Briggs MA، Petersen KS، Kris - Etherton PM . Saturated fatty acids and cardiovascular disease : replacements for saturated fat to reduce cardiovascular risk . Healthcare . 2017 : 5 . https://www.mdpi.com/ 2227-9032 / 5 / 2 / 29 . Accessed 2 March 2020 .

12. Corella D، Ordovas JM . Nutrigenomics in cardiovascular medicine Circ Cardiovasc Genet . 2009 ; 2 : 637-51

13. Nuno NB، Heuberger R. Nutrigenetic associations with cardiovas- cular disease . Rev Cardiovasc Med . 2014 ; 15 : 217-25

14. Merched AJ، Chan L. Nutrigenetics and nutrigenomics of athero- sclerosis . Curr Atheroscler Rep 2013 ; 15 . https : // www.ncbi.nlm.nih . gov / pmc / articles / PMC4003879 / pdf / nihms572659.pdf . Accessed 29 April 2020 .

15. Lovegrove JA، Gitau R. Personalized nutrition for the prevention of cardiovascular disease : a future perspective . J Hum Nutr Diet . 2008 ; 21 : 306-16

16. Ferguson F، Allayee H، Gerszten RE، et al . Nutrigenomics، the microbiome، and gene - environment interactions : new directions in cardiovascular disease research، prevention، and treatment : a scien- tific statement from the American Heart Association . Circ Cardiovasc Genet . 2016 ; 9 : 291-313 .

17. Elsamanoudy AZ، Neamat - Allah MAM، Mohammad FAH، et al . The role of nutrition related genes and nutrigenetics in understand- ing the pathogenesis of cancer . J Microsc Ultrastruct . 2016 ; 4 : 115- 22 .

18. Chittiboyina S، Chen Z، Chiorean EG، et al . The role of the folate pathway in pancreatic cancer risk . PLoS One . 2018 : 13 . https : // doi . org / 10.1371 / journal.pone.0193298 Accessed 15 Jan 2020

19. Kadayifci FZ، Zheng S، Pan Y - X . Molecular mechanisms underly- ing the link between diet and DNA methylation . Int J Mol Sci 2018 : 19 . https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/ PMC6320837 / pdf / ijms - 19-04055.pdf . Accessed 30 April 2020

20. Tang PK . Consume، digest، and expire : the risks of domesticated carcinogens . Lancet Oncol . 2016 ; 17 : 24-5 .

21. Ardekani AM، Jabbari S. Nutrigenomics and cancer . Avicenna J Med Biotechnol . 2009 ; 1 : 9-17

22. Irimie AI، Braicu C Pasca S، et al . Role of key micronutrients from nutrigenetic and nutrigenomic perspectives in cancer prevention . Medicina . 2019 : 55 https://www.mdpi.com/1010-660X/55/6/283 . Accessed 28 Dec 2019. In this rather comprehensive review، the authors discuss the various key micronutrients، such as vitamins، selenium، and dietary fiber، involved in

carcinogenesis and its prevention . Importantly، they frame their discussion in terms of the hallmarks of cancer

23. Calado A، Neves PM، Santos T، et al . The effect of flaxseed in breast cancer : a literature review . Front Nutr . 2018 ; 5 . https : // doi . org / 10.3389 / fnut.2018.00004 / full Accessed 24 Jan 2020 . Flaxseed

24. De Silva SF، Alcom J. Flaxseed lignans as important dietary poly- phenols for cancer prevention and treatment : chemistry، pharmaco- kinetics، and molecular targets . Pharmaceuticals . 2019 ; 12 . https : // www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/ PMC6630319/pdf/ pharmaceuticals - 12-00068.pdf . Accessed 30 April 2020 .

25. Kang JX . Nutrigenomics and cancer therapy . J Nutrigenet Nutrigenomics . 2013 ; 6 : 1 - II .

26. Dagenais GR، Leong DP، Rangarajan S، et al . Variations in com- mon diseases، hospital admissions، and deaths in middle - aged adults in 21 countries from five continents (PURE) : a prospective cohort study . Lancet . 2020 ; 395 : 785-94

رابعاً: المواقع والروابط الالكترونية:

World health organization www.who.int/news-room/fact-sheets/detail/noncommunicable

7. Yasrabi Seyyed Yahya (2002). *Death: A Collection from the Perspective of Imam Ali (AS)*. First edition. Tehran: Cultural Institute of Contemporary Knowledge and Thought.

It is a reminder of human frailty in the face of mortality and signifies the arrival at divine encounters.

7. Inescapable Reality: Even if one wishes to forget death, it does not forget them. The honors and luxuries of this world come to an end with death, reinforcing the notion that life continues beyond the physical realm.

Bibliography

Holy Quran

1. Nahj al-Balāghah the Wisdom and Eloquence of ʿAlī A Parallel English-Arabic Text Compiled by al-Sharīf al-Raḍī. Edited and translated by Tahera Qutbuddin. Leiden. Boston .2024

2. Ja'fari, Muhammad Taqi. *Translation and Commentary on Nahj al-Balagha*, Vol. 3, pp. 10, 2127-. First edition. Tehran: Office for the Publication of Islamic Culture. (2010)

3. Nasr Seyyed Hossein. *The Study Quran: A New Translation and Commentary *. Paperback. August 1, 2017

4. Al-Rāghib al-Iṣfahānī, * Mufradāt al-Qurʾān* (Damascus: Dār al-Qalam, 1996.

5. Hamza Yusuf, Article: *DEATH, DYING, AND THE AFTERLIFE IN THE QURAN*.2017.

6. Azizi, Abbas. *Thematic Nahj al-Balagha*. Second edition. Qom: Salamat Publications. (2002)

Conclusion

1. death is a profoundly significant issue that has captivated human thought throughout history. This research elucidates the nature of death from the perspective of Imam Ali (AS) as presented in Nahj al-Balagha. Key truths regarding death include:

2. Inevitability and Reality: Death is an inescapable and undeniable phenomenon that all must confront. It is depicted as a rope that binds humanity, representing the reality of life and the natural occurrence of death.

3. Powerlessness Against Death: There is no escape from the sharp claws of death, which is certain and approaches unexpectedly. The notion of returning to the world after death is dismissed, and death is considered the final meeting place.

4. Continuous Movement: Death is characterized by relentless progression without pause, and it stands in opposition to life. At the moment of death, no one can assist another.

5. Temporary Nature of Life: The physical existence comes to an end with death, prompting a recognition of the world through contemplation of mortality. This understanding does not entail animosity towards the world; rather, it highlights the transient nature of worldly pleasures.

6. Bridge to Eternity: Death serves as a bridge to the eternal realm, ushering individuals into a life that continues after death.

to articulate or hear. His sight diminishes as he observes the movements of those around him, yet he cannot hear their words; then death overcomes him, and his spirit exits his body. He is left like a carcass among his family, who recoil from him and distance themselves from his remains. He does not respond to mourners, nor does he answer callers, and then they carry him to his resting place on the earth, surrendering him to his deeds." (*Nahj al-Balagha*, Sermon 109)

This vividly illustrates the complete domination of death over the human body, leading to the inevitable exit of the soul and the subsequent abandonment by loved ones.

A significant aspect of death, as described in *Nahj al-Balagha*, is the opportunity to meet God: "Indeed, death pursues you relentlessly; it does not spare the resident, nor does it allow the fleeing to escape. The noblest death is martyrdom in the path of God. I swear by Him in whose hand is the soul of Abu Talib, a thousand blows from a sword are easier for me than dying on a bed in disobedience to God." (*Nahj al-Balagha*, Sermon 123)

This highlights the urgent and unavoidable nature of death, emphasizing that all individuals, whether they resist or surrender, cannot evade its grasp. The most honorable form of death is that which occurs in the service of God.

In summary, Imam Ali (AS) presents death not only as an inevitable transition but also as a profound opportunity for spiritual awakening and connection with the divine.

hand is the soul of Abu Talib, a thousand blows from a sword are easier for me than dying on a bed in disobedience to God." (*Nahj al-Balagha*, Sermon 123)

This emphasizes that there is no escape from death; all living beings will inevitably cross the bridge called death to reach eternity. The bright light of life will eventually be extinguished by the harsh winds of events that herald death. The attachment of the soul to the body is only temporary, and the separation of the two is certain until the Day of Resurrection, when they will once again recognize one another and be prepared to account for their responsibilities. (*Ja'fari*, Vol. 22: 41*)

Contemplating death leads individuals to an awareness of eternal life beyond it. They come to understand that life, with its various conditions of happiness and sorrow, continues after death and is everlasting. Therefore, one should pay more attention to the afterlife than to worldly existence. (*Yasrabi,* 1381: 34)

In summary, the teachings of Imam Ali (AS) on death invite reflection on its significance as an integral part of life, urging individuals to recognize the profound truths it reveals about existence and the inevitable transition to eternity.

3- 9. Human Powerlessness Against Death

The powerlessness of humanity in the face of death is another prominent characteristic discussed by Imam Ali (AS) in Sermon 109: "Death continues to invade his body until it permeates his hearing and speech, rendering him unable

dignity, honors, and the luxuries of the world. He urges: "Consider what you have witnessed regarding the demise of past generations; their bodies were scattered, their sight and hearing were extinguished, and their honors and pleasures faded away." (*Nahj al-Balagha*, Sermon 161)

He emphasizes that the comforts, luxuries, and joys of life ultimately come to an end. Imam Ali (AS) does not advocate for the rejection of worldly adornments and factors of honor and wealth; rather, he warns against becoming overly attached to them due to their inevitable decay and demise. He advises against engaging in inappropriate competition for these transient possessions, stating: "How foolish it is for people to sacrifice their souls, which should be drawn toward the divine presence, in a deadly competition for the superficial glories and fleeting honors of this world." (Ja'fari, 1377, Vol. 18: 5)

In summary, Imam Ali (AS) underscores the necessity of recognizing the transient nature of worldly life and the ultimate reality of death, urging individuals to focus on the eternal rather than the ephemeral.

3- 8. Death as a Bridge to Eternity

Morteza Farizani discusses how Imam Ali (AS) describes death as a bridge to the eternal realm in his sermons 83 and 123. He states: "Indeed, death pursues relentlessly; it does not spare the resident, nor does it allow the fleeing to escape. The noblest death is martyrdom in the path of God. I swear by Him in whose

3- 6. Separation from the World

In another part of Sermon 99, he introduces death as the separator between humans and the world: "The relentless pursuit of death drives one, and it becomes a source of disturbance in this world until they part from it." (*Nahj al-Balagha,* Sermon 99)

He questions: "How can one reach their destination when a specific day awaits them that they cannot surpass? Death swiftly propels them away, and various factors separate them from this world against their will." (*Nahj al-Balagha*, Sermon 99:)

In summary, Imam Ali (AS) eloquently underscores the dual role of death as both a final meeting place and a lens through which to understand and evaluate the world.

Imam Ali (AS) identifies one of the characteristics of death as its ability to reveal and clarify the realities of the world and life. This includes truths such as the transient and ephemeral nature of the world, the inevitability of the end of all human endeavors, and the understanding that we are created for the hereafter rather than for this fleeting existence. He articulates this perspective in various sermons and wisdoms, stating: "And he will be left in the land of the dead, confined and alone in the narrowness of the grave..." (*Nahj al-Balagha*, Sermon 83) This highlights the isolation that accompanies death.

3- 7. The End of Honors and Material Wealth

Imam Ali (AS) also posits that death brings an end to

In summary, Imam Ali (AS) offers profound insights regarding the inseparable nature of life and death, the inevitability of mortality, and the importance of preparing for the afterlife.

Imam Ali (AS) regards death as the ultimate meeting place for humanity. One of the characteristics of death is that it provides insight into the world, a theme Imam Ali (AS) addresses in Sermons 99 and 113. He advises: "O servants of God, I urge you to abandon the world that will ultimately forsake you, even if you do not wish to part from it. A world that makes your bodies old and worn, while you desire to remain ever fresh and pure." (*Nahj al-Balagha*, Sermon 99)

Allameh Ja'fari, in his commentary on Sermon 99, emphasizes the importance of not harboring animosity towards the world while striving for human elevation. He states that you should turn away from the world, for sooner or later, it will turn away from you. Engage with this world after you have come to understand it. I do not say to reject the world and all that it contains; rather, I urge you to reconcile with it and cultivate affection for it.

I do not advocate ignoring realities; instead, I encourage you to evaluate these realities properly. I do not suggest being indifferent toward the world; rather, I urge you to approach it with the utmost seriousness for your own growth and advancement. (Ja'fari, Vol. 20: 26)

Imam Ali (AS) further articulates: "One who does not recognize death essentially fails to grasp the essence of life, and one who understands life will also come to recognize death." (Yasrabi, 1381: 29)

possesses the strength to prevent themselves from succumbing to its grasp.

As Imam Ali (AS) emphasizes: "Whatever you anticipate will surely come, and death is certain; what is impending is near." (*Nahj al-Balagha,* Sermon 103)

He references this inevitability multiple times throughout his sermons and letters, highlighting its persistent presence.

3- 4. The End of Physical Existence

Imam Ali (AS) advises: "Hold fast to the piety of God... Prepare for its arrival before it descends, for the ultimate goal is the Day of Resurrection." (*Nahj al-Balagha,* Sermon 190) He encourages individuals to cultivate piety and prepare for death before it arrives unexpectedly. This preparation is essential because death signifies the conclusion of life and is intricately linked to the ultimate accountability in the hereafter.

3- 5. The Final Meeting Place

He notes: "No soul is disturbed by the shadow of death that it encounters; rather, the final meeting place is established." (*Nahj al-Balagha*, Sermon 165)

Imam Ali (AS) affirms that God has promised that no being infused with a soul will deviate from its predetermined condition, except that death is appointed as the final meeting point where all must face their fate. (Azizi, 1381: 233)

The Interconnection of Life and Death According to Imam Ali (AS) According to the teachings of Imam Ali (AS), life and death are intertwined. He asserts that one who does not recognize death essentially fails to understand life, and conversely, those who comprehend life will also come to recognize death. (Yasrabi, 1381: 29)

3- 3. The Inevitability of Death

Imam Ali (AS) regards death as inevitable, stating that no one can escape its grasp:

"When those who detest it become accustomed to it and those who deny it find reassurance, it will grasp them as a wild horse does its rider, lifting its feet and throwing him to the ground." (*Nahj al-Balagha*, Sermon 83)

He illustrates that death ensnares people similarly to a hunter capturing prey, leading them toward the terrifying final abode, where they will witness the consequences of their actions.

Many naive individuals initially view this world and its riches with disdain, rejecting its transient pleasures. However, they eventually find themselves captivated by worldly benefits, which are fundamental to a well-managed life. As Imam Ali (AS) metaphorically states, the world is like a decorated steed that suddenly throws its rider to the ground, leaving them no opportunity to recover. This immersion in worldly affairs renders them unable to escape the arrows of death. The arrows released by death never deviate from their target, and no one

he advises considering the lessons learned from the past. He states: "Indeed, Allah has decreed for you lifetimes that remain concealed from you, and has left for you lessons from the traces of those who came before you. They enjoyed worldly pleasures and lived comfortably before death seized them, separating them from their aspirations." (*Nahj al-Balagha*, Sermon 83)

As individuals face the impending reality of death, they often experience intense emotions and seek assistance from their loved ones. However, he poses the question: can relatives truly avert death? The inevitable approach of death serves as a profound lesson for those who witness its arrival.

The fleeting nature of life, the lost opportunities, and the uninvited arrival of death serve as reminders to those who may be blinded by the dazzling flames of life. Imam Ali (AS) notes that the first truth obscured by this blindness is death itself. With the disappearance of life's end from human perception, the essence and wisdom of life fade, rendering individuals as merely moving corpses.

Ultimately, the inevitability of aging, the decline of vitality, and the solitude that accompanies death reflect the divine will, a natural law from which no one can escape. As he states: "Life is intertwined with death, and its sweetness is mixed with bitterness." (*Nahj al-Balagha*, Sermon 113)

This perspective encapsulates the profound understanding of life and death that Imam Ali (AS) conveys throughout his teachings.

He emphasizes that death is universal, and no one can escape it. Therefore, one should lighten their load to catch up with the caravan of those who have preceded them. (*Nahj al-Balagha*, Sermon 167)

This nuanced truth is articulated by Imam Ali (AS), who asserts that no one possesses the greatness of understanding death as he does. He famously stated: "I swear by God, the son of Abu Talib is more familiar with death than a child is with its mother's breast."

This profound understanding arises from his clear perception of the tree of life, allowing him to fully experience the taste of its fruit, which is death. (*Ja'fari*, Vol. 27, p. 22)

Imam Ali (AS) does not see death as separate from life; in his sermons 113 and 13, he regards death as a natural phenomenon and a law of nature that is as evident as life itself. He states: "Every movement and every moment bring the children of Adam closer to death. Therefore, any efforts made by an individual to escape death or delay it are in vain, as they only draw closer to it." (Ja'fari, Vol. 27, p. 39)

He emphasizes that no one on this earth is safe from death, and it shows no mercy. This continuous, unceasing approach of death is evident to all, and there is little doubt regarding it, similar to the certainty of life itself.

Imam Ali (AS) reflects on the limited lifespan assigned to each individual, noting that it is hidden from them, and

In Sermon 149 and Wisdom 132 of *Nahj al-Balagha*, this reality is emphasized as follows:

"O People! Each person shall meet what he flees as he flees,2 for death is the place toward which the soul is driven and running away only brings it closer3." (Nahj al-Balagha, Sermon 147)

Every movement and every moment bring the children of Adam closer to death. Therefore, any effort made by a person to escape death or to postpone it is futile, as they will inevitably draw closer to it. (Ja'fari, Vol. 24, pp. 233319-)

In Wisdom 132, it is stated: "Indeed, Allah has an angel who calls out every day: 'Prepare yourselves for death and make ready for destruction.'" (*Nahj al-Balagha*, Wisdom 132)

In Sermon 99, Imam Ali (AS) further illustrates this truth: "How can one reach their destination when a specific day awaits them that they cannot surpass? Death swiftly propels them toward it." (*Nahj al-Balagha*, Sermon 99)

3- 2. The Fruit of Life

Imam Ali (AS) considers death to be the fruit of life, stating: "Hasten toward the matter of the public, especially your own, which is death, for people are ahead of you, and the Hour calls you from behind. Prepare yourselves to join the caravan, for those who have gone before you await those who remain." (*Nahj al-Balagha*, Sermon 167)

(٣) [أَيُّهَا اَلنَّاسُ كُلُّ اِمْرِئٍ لاَقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ اَلْأَجَلُ مَسَاقُ اَلنَّفْسِ وَ اَلْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ]

the final end—the threshold of annihilation. (*Nahj al-Balagha*, Sermon 80)

Furthermore, he notes that those who will come after will walk in the footsteps of those who have gone before them. Death does not relent in its destruction of humanity, nor do people distance themselves from sin, as they freely rush toward the end of their lives and into nothingness.

No one in this world is safe, and death shows no mercy. This continuous and unceasing movement is evident to all, and doubt regarding it is no less than doubt about life itself. What is crucial is to derive lessons from this knowledge and to be free from doubt, which entails learning from the lives of those who have passed and avoiding imitation of those who spent their lives in ignorance. They squandered their existence, succumbing to animal desires, and ended up resembling their predecessors. Alas, this resemblance among human beings has become a significant affliction upon the fabric of their lives. (Ja'fari, 1377: 3940-)

In Sermon 103, Imam Ali (AS) also emphasizes the inevitability of death, stating:

"The expected is indeed imminent, and what you await will surely come.[2] (*Nahj al-Balagha*, Sermon 103)

He asserts that whatever you anticipate will arrive, and that certain death is close at hand.

(٢) وَ كُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ وَ كُلُّ آتٍ قَرِيبٌ دَانٍ

to these questions. Prophets, philosophers, thinkers, saints, mystics, and even storytellers and myth-makers have each addressed these inquiries in their own ways; yet, death remains an unresolved mystery. It is one of the most significant issues that often occupies the human mind—the matter of death and the afterlife.

Given that humans have no experience of death or the afterlife, they are confronted with questions, ambiguities, and sometimes fears related to this natural phenomenon. Amir al-Mu'minin Ali (AS) addresses death and its characteristics over 50 times in *Nahj al-Balagha*. This frequent emphasis underscores the profound significance of this immense and transcendent phenomenon.

Imam Ali (AS) has articulated the truths of death in Nahj al-Balagha, and here we will highlight some of these truths.

3- 1. Death is an undeniable phenomenon

In sermons 83, 132, and 149, as well as in wisdom 132, Imam Ali (AS) refers to a key characteristic of death: its inevitability and inescapability. He states that everyone witnesses death, and no one can evade or deny it, as death is certain and the cause of human demise, showing no mercy. He expresses this sentiment as follows:

" In this way, sons follow fathers. Death keeps cutting off lives, and people keep sinning. They follow the example of those who went before and advance, one herd after another, to

only for what pleases their Lord. (Nasr: 2343)

The Reality of Death from the Perspective of Imam Ali

The term "death," much like "life," carries a clear meaning; however, beyond this clarity lies an aspect that may never be fully comprehended by anyone. Imam Ali (AS) states regarding the secrets of death before his death:

"People! Each person shall meet what he flees as he flees, for death is the place toward which the soul is driven and running away only brings it closer. How many days I wasted searching for the answer to this mystery, but God would not allow it to be revealed! Far from it! A guarded piece of knowledge?" (Nahj al-Balagha, Sermon 147: 337)

All beings in this earthly realm are destined for death; however, among these mortal phenomena, only humans are aware of this inevitable fate. Initially, humans are unaware of death, gradually becoming acquainted with it. What first captures their attention is the death of others, but over time, they also become aware of their own mortality. This awareness, especially regarding one's own death, often leads to anxiety and concern, prompting fundamental questions to arise:

- What does death mean? - Why must one die? - How do we die? - Can death be avoided? What will become of the soul after the body dies?

From the very beginning, humanity has sought answers

This verse underscores the inevitability of death, regardless of one's circumstances or security. The verse also indicates that everyone has an allotted time in this world, and once that time has elapsed, death cannot be escaped; if one is not killed in battle, for example, one will die some other way. (Nasr: 406)

Additionally, in verse 8 of Surah Al-Jumu'ah, it is mentioned: "Say, 'Indeed, the death from which you flee will surely meet you.'"

This assertion serves as a stark reminder that avoidance of death is futile and that it is an inescapable part of human existence. Some commentators mention human beings of four different dispositions with regard to death. There are those who are engrossed with this world, so that remembering death only increases their distance from God, as in 21:1: For mankind, their reckoning draws nigh, while they turn away heedless. Such people will have an unfortunate end because, as the Prophet has said, "Whosoever abhors meeting with God, God abhors the meeting with him." Then there are those who are penitent, who do not abhor death, but fear the meeting with God because they are aware of their deficiencies and know that they will be held accountable for their sins. They thus busy themselves with preparing for death. Beyond this there are those with spiritual knowledge (al-ʿārifūn), who remember death constantly and yearn for it as a lover yearns for the meeting with the Beloved. Last, there are those of the highest spiritual rank, who yearn for neither death nor life but

forth the others till a term appointed (39:42). One of the signs relating sleep to death in these verses is the inevitability of both; in both cases we are powerless to exercise our will. The "gentle tyrant" of sleep that overpowers us is like death. At night, sleep conquers even the most powerful, leaving them lifeless—a daily reminder of death's inevitable overpowering presence, to which all must succumb. Sleep is regarded as a little death, and death, when compared to the reality of earthly life, can be considered a great sleep. Likewise, each awakening is a reminder of our inevitable resurrection. As the Prophet has said, "Man is asleep, and when he dies, he awakens."9 In sleep, we find ourselves in the world of dreams, often of expanded time and fantastic experiences, only to awake to the reality of our earthly lives. The Prophet's prayer upon waking was, "Praise be to the One who brought me back to life after causing me to die, and to God is the Resurrection. (Hamza Yusuf :46-)

In Sūrat Sad verse 46, Allah highlights one of the characteristics of the prophets as the remembrance of death. This verse emphasizes that we have purified them with a sincere remembrance of the hereafter. The reality of death in the Quran is undeniable, and numerous verses refer to this truth, reminding humanity that escaping this reality is impossible.

In Sūrat An-Nisa, verse 78, Allah states: "Wherever you may be, death will overtake you, even if you are in fortified towers."[1]

(١) [أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَة]

growth and death as decay, decline, and desiccation. Many verses use the image of the dead earth brought back to life as an analogy for the Resurrection. In Sūrah 22, al-Ḥajj, two analogies for the Resurrection are given. The first is embryological, and the second is agricultural. The surāh begins with a reminder of the end of time and its inevitability as well as the tremendous terror of a day that will cause every pregnant woman to miscarry (22:2)

The second type of death is the death of feeling or the empathic life of the human heart. Many verses in the Quran berate the hard-hearted, who exhibit no compassion, and refer to the disbelievers as unaware and unfeeling. The Quran makes reference in several verses to the need for "spiritual growth" through purification (tazkiyah)The third type is the death of intelligence understood in its traditional sense. The Quran categorizes some people as deaf, dumb, blind, and with hardened heart (the heart is the seat of intelligence)—in other words, intellectually insensate. The fourth type of death takes the form of despair and psychological misery in which life is experienced as devoid of meaning and even pleasure. his fourth type of death also relates to the state of one who is in the Fire, who neither dies therein nor lives (87:13). Finally, the fifth type of death mentioned by al-Rāghib al-Iṣfahānī is related to sleep. The Quran says: He it is Who takes your souls by night. Then by day He resurrects you (6:60); and God takes souls at the moment of their death, and those that die not during their sleep. He withholds those for whom He has decreed death, and sends

choosing an appropriate lifestyle. It is hoped that a glimpse of the profound and pure Islamic teachings on this subject will be presented.

Death and Its Various Usages in the Quran

Al-Rāghib al-Iṣfahānī clarifies the different usages of the term "death" in the Quran as follows: The types of death are consistent with the types of life. The first relates to the power of regeneration that exists in plants, animals, and human beings and is referred to in Sūrat alRūm, "The Byzantines": He revives the earth after its death (30:19). The second is the condition of being insensate and is intended in Mary's plea, would that I had died before this (19:23). The third is the loss of the faculty of intelligence, which is the state of ignorance, reflected in the verse, He who was dead, and to whom We give life, making for him a light by which to walk among mankind (6:122). The fourth type is a state of depression where life becomes unbearable, as is meant in the verse, Death shall come upon him from every side; yet he will not die (14:17). The fifth is death that means sleep, as it is said in a proverb, "Sleep is the light death, and death is the heavy sleep." This meaning is indicated in the verses He it is Who takes your souls by night (6:60) and God takes souls at the moment of their death, and those that die not during their sleep (39:42). (Al-Rāghib al-Iṣfahānī: 781782-)

The first type of death has to do with growth and the power of regeneration after death. The Quran conveys the idea of life as

life, and align themselves with the true essence of existence. Today, many thinkers are addressing the concerns of Muslim families, particularly the youth, regarding the contemplation of death and its impact on life. However, due to the inaccessibility of life after death, they have struggled to provide satisfactory answers to this issue, which, at times, is accompanied by fear and dread due to human ignorance.

What is pivotal in this discourse is to view death as an integral aspect of human existence, as asserted by Islamic philosophers. It complements the pre-death state of being. It is evident that turning to religion and the teachings of esteemed religious figures can pave the way for a profound reflection on death and acceptance of it as a natural occurrence. Prominent figures such as Amir al-Mu'minin Ali ibn Abi Talib (AS), the first Imam of Shi'a Islam, extensively address the truth of death in the Quran. His discussions in *Nahj al-Balagha* (Sermon 233) explore the nature of death, the reasons for fear surrounding it, and the importance of reflecting on the state of the deceased. He refers to death beautifully, viewing it as an intrinsic part of humanity's inevitable journey, emphasizing that true perfection and human happiness can be achieved beyond this life.

This research aims to explore some verses of the Quran concerning death and draw from the words of Amir al-Mu'minin Imam Ali (AS) in *Nahj al-Balagha* to elucidate the essence of death and the reasons for fear associated with it. It seeks to provide a clear path for Muslims, particularly the youth, in

al-Balaghah, Imam Ali (AS)

Introduction

One of the significant issues that has garnered considerable attention throughout the tumultuous history of humanity is the reality of death and its educational implications. Humanity has consistently pondered the fate that awaits after departing this world: is death the end of human existence, or does it represent a beginning that transcends the material realm? From ancient times, humans have sought to uncover the mysteries of death through esoteric and supernatural sciences. The more they delve into this subject, the more they find no alternative but to submit, as understanding the metaphysical aspects of human existence is profoundly challenging. The human mind struggles to unveil these mysteries, and understanding them often leads to turning to the words and practices of those who are connected to the divine and can provide unequivocal and accurate answers to humanity's questions.

In the contemporary crisis, where individuals find themselves lost in the chaotic paths of a mechanized life, detached from spirituality, the correct way of living remains ambiguous. Numerous questions confront them, and they wander amidst the overwhelming phenomena of the modern world, perceiving the ideal life and the quest for individual and social perfection as unattainable dreams. There is hope that they can overcome this disorientation, rediscover the right path to

Interpretation of the Reality of Death in the Quran from the Perspective of Imam Ali (A) in Nahj al-Balaghah

By Dr. Sayid Morteza Farizani
The researcher at the University of Al-Mustafa in Khorasan, engaged in an applied study on Islam and religions

Abstract

This research employs content analysis and a deductive categorization system to analyze and examine the reality of death in the Quran and the interpretation of it in the words of Imam Ali (AS) in Nahj al-Balaghah. The Quran considers the remembrance of death as one of the characteristics of the prophets, from which one cannot escape. Indisputable truths such as the inevitability of death, the finality of physical existence, and the certainty of its occurrence are discussed. Additionally, factors contributing to the fear of death, including materialism, sinful behaviors, denial of resurrection, lack of preparedness for the afterlife, and ignorance of the consequences of one's actions, are highlighted in Nahj al-Balaghah.

Keywords: Reality of Death, Causes of Fear of Death, Nahj

16. Lakhani، M. Ali. Faith and Ethics: The Vision of the Ismaili Imamat. Bloomsbury Publishing، 2017.

17. Martin، Dowson and Devenish، Stuart. edits. Religion and Spirituality. Information Age Pub.، 2010.

18. R. Qasis، Imam Ali: The Wise Jurist and Knight، Zahlah، Dar al-Na'im، 1979

19. Sajoo ، Amyn etal. edts. The Shi'i World: Pathways in Tradition and Modernity. United Bloomsbury Publishing، 2015.

20. Shah-Kazemi، Reza. Justice and Remembrance: Introducing the Spirituality of Imam Ali. United Kingdom، I.B.Tauris، 2006.

21. The republic of Plato translated by F.M. Cornford. The Clarendon Press،1951.

22. Zengin، Mevlüde " An Introduction to Intertextuality as a Literary Theory: Definitions، Axioms and the Originators" Pamukkale University Journal of Social Sciences Institute. Vol 10، no. 81، Sept 2019..،https://www.researchgate.net/publication/312035152 .

addressed to Governor of Egypt (Malik al- Ashtar) (Letter 53 of Nahjolbalagha) " Journal of Social Issues & Humanities. Vol 3، no. 9، Sept 2015. https://www.researchgate.net/publication/317427444_Principle_of_Political_Management_of_Society_in_View_of_Imam_Ali.

9. Holquist، Michael. Dialogism: Bakhtin and his world. Routledge، 2002.

10. Hoseynifar، Samira، et al. Intertextual Relations of "Hereafter" in Nahj al-Balagha and The Quran. https://is.urd.ac.ir/article_162288_fecb558cb073a123bbf5cb675d27c7c1.pdf .

11. Jaffer، Irfaan. Traditional Islamic Ethics: The Concept of Virtue and Its Implications for Contemporary Human Rights. Vernon Art and Science Incorporated، 2021.

12. Khanbaghi، Aptin .edt. Interpretations of Law and Ethics in Muslim Contexts. United Edinburgh University Press، 2019.

13. Moghimi، Seyed Mohammad. Principles and Fundamentals of Islamic Management. Emerald Publishing Limited، 2018.

14. Nanji، Azim. The Penguin Dictionary of Islam. United Penguin Books Limited، 2008.

15. Lakhani، M. Ali، et al. The Sacred Foundations of Justice in Islam: The Teachings of 'Ali Ibn Abi Talib'. World Wisdom، 2006.

link between Quranic teachings and Imam Ali's ethical vision، underscoring the lasting significance of these values in both individual and societal realms.

Work Cited

1. Ali، Abdullah Yusuf. The Holy Quran: Text، Translation and Commentary. Czechia، Good Press، 2023.

2. Al-Jibouri، Yasin T.. Nahjul-Balagha: Path of Eloquence. AuthorHouse، 2013.

3. Abbas، Hassan. The Prophet's Heir: The Life of Ali Ibn Abi Talib. Yale University Press،2021.

4. Abdul Hasan، Tareq Ali . Imam Ali (a.s) & Transcendental Phenomenology: Letter to Malik al-Ashtar as Lifeworld System Thinking Paradigm. 2019.www.researchgate.net/publication/330292710_Imam_Ali_as_Transcendental_Phenomenology_Letter_to_Malik_al-Ashtar_as_lifeworld_system_thinking_Paradigm.

5. Allen، Graham. Intertextuality. Taylor & Francis، 2000.

6. Becker-Leckrone، Megan. Julia Kristeva and Literary Theory. Bloomsbury Publishing، 2017.

7. Encyclopedia of Arabic Literature. United Kingdom، Routledge، 1998.

8. Hakimi ،Iman etal. " Principle of Political Management of Society in View of Imam Ali (Amir Al –Mumin) in His Letter

Conclusion

Imam Ali's use of Quranic verses in *Nahj al-Balagha* serves to interpret the verses and enhance their meaning through skillful expression، enriching the content of the sermons. Imam Ali's letter to Malik al-Ashtar encapsulates a Quranic vision of piety that includes justice، mercy، humility، and constant mindfulness of God's judgment. By urging Malik to govern with righteousness and compassion، Imam Ali integrates Quranic values into practical governance، demonstrating how deeply rooted his concept of piety is in the Quran. Imam Ali (AS) concentrated in his teaching on the practice of spiritual awakening is achieved through the remembrance of God، which serves as a core mystical exercise among Sufis. "Justice and Remembrance" will be highly beneficial for students and scholars focused on Islamic philosophy، as well as for those exploring the connection between spirituality and moral principles. In Conclusion، the profound impact of the Quran on Imam Ali's discourse on piety is clearly evident، especially in his instructions to Malik al-Ashtar. Through an intertextual examination، this paper has shown how Imam Ali's counsel not only mirrors Quranic principles of justice، ethical behavior، and a deep spiritual connection with God but also enhances them with practical guidance for leadership and personal ethics. By placing the relationship with God at the core of justice and extending this priority to the treatment of others، Imam Ali weaves divine teachings into a comprehensive approach to governance and moral living. This commandment thus exemplifies the strong

is Sublime، promises to support those who support Him and to protect those who stand by Him" (Nahj al-Balaghah، letter 53). Additionally، the Holy Quran encourages reflection on the structures of creation across the heavens and the earth، as well as contemplation of human affairs، pointing to established rules and principles (Al-Anfal 8:38، Al-Hijr 15:13، 77th verse) (Moghimi 110)

The Holy Quran presents many universal laws as stable and unchangeable، stating in Surah Al-Isra، verse 77: "That is Our established way with those messengers We sent before you، and you will find no change in Our way." Similarly، in Surah Al-Fatir، verse 43، it emphasizes: "You will never find in the way of Allah any change، nor any alteration." Here، *tabdil* (change) refers to altering or transforming the set regulations، while *tahwil* (alteration) indicates interventions in how the rules apply—such as when Divine action transfers punishment or wealth from one group to another. God، having created the world in perfect order based on His attributes، does not change His system، nor does He allow others to alter it. Therefore، what God ordains is fixed and indestructible، and understanding these enduring principles، as the Quran mentions، requires the intellect and reasoning of the human mind (Javadi Amoli، 2007، pp. 342345-) (Ibid 111).

given by Imam Ali، advising against arrogance and vanity. It emphasizes the importance of humility and warns against prideful behavior، which can abolish good deeds and lead to negative consequences.

Imam Ali says: "Malik، always remember that while you govern the people، the Caliph governs you، and God is the ultimate Lord over the Caliph." Here، freedom is understood not as an absolute right—as often perceived in Western societies where rights and freedoms are intermingled—but as a spiritual responsibility (Lakhani 79). It reflects humanity's role as God's trustee، with freedom functioning in alignment with the natural order، rather than selfishly defying it. The above mentioned facts can be supported by several verses from the Holy Qur'an. Here are a few that emphasize the concepts of leadership، accountability، and the responsible use of freedom**: Surah Al-Imran (chapter 3: Ayah 164):** "Certainly Allah has conferred a great favor upon the believers when He sent among them a Messenger from themselves، reciting to them His verses and purifying them and teaching them the Book and wisdom، although they were before in clear error." And **Surah Al-Mulk (chapter 67: Ayah 2):** "He who created death and life to test you [as to] which of you is best in deed—and He is the Exalted in Might، the Forgiving."

Imam Ali (AS) emphasizes that Divine support ensures victory، stating: "He has commanded one to aid Allah the Glorified with heart، hand، and speech، for Allah، whose name

then rely upon Allah." As well as in Surah Ash-Shura (chapter 42: Ayah 38): "...And whose affair is [determined by] consultation among themselves...". These verses emphasize the importance of consultation (Shura) in decision-making processes.

Imam Ali(AS) emphasizes humility as a vital defense against Satan، who aims to instill pride-the most dangerous vice that undermines and corrupts all virtue. Imam Ali warns that even virtuous acts can turn into vice if accompanied by pride، noting that "the sin that grieves you is better، in the sight of God، than the virtue that makes you proud." Additionally، he cautions Malik about the dangers of excessive praise، as the love of "lavish praise" provides Satan with a means to erode one's virtue (Lakhani 75). Imam Ali (AS) says about avoiding pride and embracing humility :"Let not any good action which you have performed، or any act of kindness which you have done، make you arrogant and vain; nor let any promises made by you raise you to false pride and conceit. Be careful not to give undue favors to yourself or your friends. Avoid boasting about your generosity or magnifying your good actions. Know that pride and vanity annul good deeds and drag one toward evil deeds." A counterpart from the Holy Qur'an that aligns with Imam Ali's advice on avoiding pride and emphasizing humility can be found in **Surah Luqman (chapter 31: Sorah18):**"And do not turn your face away from people in contempt، nor walk proudly on the earth; indeed، Allah does not like anyone who is self-conceited and boastful." This verse echoes the guidance

then break off [the treaty] with them in a fair way. Indeed، Allah does not like the treacherous." This verse highlights that if there is a need to end an agreement with an enemy، it should be done openly and justly، rather than through deceit.Secondly، Surah Al-Ma'idah (chapter 5) Ayah :1):"O you who have believed، fulfill [all] contracts...» This verse commands believers to honor their agreements، including pledges made with others، reinforcing the principle of keeping one's word. Thridly، Surah Al-Isra (chapter 17) Ayah:34):"And fulfill [every] commitment. Indeed، the commitment is ever [that about which one will be] questioned.»This verse emphasizes the obligation to uphold promises and commitments، underscoring the accountability for one's pledges. Finally، Surah An-Nahl (chapter 16) Ayah :91):"And fulfill the covenant of Allah when you have taken it، and do not break oaths after their confirmation while you have made Allah a witness over you. Indeed، Allah knows what you do." stresses the seriousness of fulfilling covenants and not breaking oaths، reflecting the ethical standard for dealing with all parties، including enemies. These verses collectively support the values expressed in Imam Ali's guidance to Malik al-Ashtar، aligning with the Quranic emphasis on integrity، justice، and fulfilling commitments in all circumstances.

in the letter says "Do not enter into any matter without consulting the wise and experienced ones from your people." Qur'anic Counterpart is Surah Al-Imran (Chapter 3: Ayah 159): "...And consult them in the matter. And when you have decided،

Concerning Oppression and Tyranny، Imam Ali says in his commandment to Malik al Ashter "Beware of bloodshed and do not shed the blood of anyone unlawfully. There is nothing more harmful to the stability of a state than the shedding of innocent blood." is a counterpart to the holy verses of Quran Surah Al-An'am (Chapter 6)، Ayah 151:"And do not kill the soul which Allah has forbidden، except by right..." and Surah Al-Ma'idah (Chapter 5)، Ayah 32: "...whoever kills a soul unless for a soul or for corruption [done] in the land - it is as if he had slain mankind entirely.". These verses emphasize the sanctity of human life and the severe prohibition against unjust killing in Islamic teachings. Besides، Surah Al-Isra (Chapter 17) Ayah 33):"And do not kill the soul which Allah has forbidden except by right. And whoever is killed unjustly—We have given his heir authority but let him not exceed limits in [the matter of] taking life. Indeed he has been supported [by the law]." This verse reinforces the prohibition of unlawful killing and the significance of observing justice even in seeking retribution.

Imam Ali (AS) displayed such a high degree of chivalry that he refrained from committing any injustice، even against his enemies، and never took the first step to destroy his adversaries. He upheld the belief that even opponents had certain rights، which is reflected in his instruction to his appointed governor in Egypt، Malik al-Ashtar: "Never deceive your enemy and never break your pledge" (Nahj al-Balagha، letter 53). Surah Al-Anfal (chapter 8) Ayah:58) "And if you fear treachery from a people،

by which he 'purifies' his religion for God، or renders sincere his devotion to God. The theme of the virtue of worship، which is highlighted in Imam Ali's letter to Malik al-Ashtar، finds a counterpart in several verses of the Holy Qur'an. One prominent example is:

Surah Adh-Dhariyat (chapter 51: ayah 56): "And I did not create the jinn and mankind except to worship Me." This verse emphasizes the central role of worship in a believer's life، highlighting that the primary purpose of human existence is to worship and serve Allah. It aligns with the teachings of Imam Ali، who stresses the importance of devotion، humility، and continuous worship as key virtues in the life of a governor and a believer.

In the context of kindness and mercy to people Imam Ali's in his Commandment to Malik al – Ashter says: "Be merciful to the people and love them، do not behave like a beast who seeks to devour them. For they are of two kinds، either your brothers in religion or your equals in creation." is paralleled with **Surah Al-Hujurat (Chapter 49)، Ayah 10:** "The believers are but brothers، so make reconciliation between your brothers and fear Allah that you may receive mercy.". It is also paralleled with Surah Al-Anbiya (Chapter 21)، Ayah 107:"And We have not sent you (O Muhammad)، except as a mercy to the worlds.". These verses highlight the Prophet Muhammad's role as a source of mercy and the importance of unity and reconciliation among Human despite their religions and races.

verily Allah is well- acquainted with all that ye do. And also **Surah An-Nisa (Chapter 4)، Ayah 58:** ...And when you judge between people، judge with justice." Both verses emphasize the importance of justice in Islamic teachings. Imam Ali (AS) advised Malik to cultivate self-awareness، maintain open communication with the people، be accessible to all segments of society، and assemble a team of advisors consisting of scholars and philosophers.

In his letter to Malik al-Ashtar، Imam Ali (As) says "Let the people be equal before you in law and your justice." The Qur'anic Counterpart of this saying can be found in **Surah Al-Hujurat (Chapter 49)، Ayah 13:** "O mankind، indeed We have created you from male and female and made you peoples and tribes that you may know one another. Indeed، the most noble of you in the sight of Allah is the most righteous of you." This verse emphasizes the equality of all human beings and highlights that true honor and nobility come from righteousness and piety، not from social status or ethnicity.

Concerning the Virtue of Worship، it is noticed at the beginning of the letter how the Imam began with a counsel to observe the obligatory prayers. At this point، after stressing the need to perform all administrative tasks in their appropriate times، the Imam instructs Malik to set apart the 'most excellent' of his available time for 'what is between you and God'، that is، acts of worship and devotion. (Lakhani 98) Malik is urged to pay special attention to the obligatory prayers as the means

defining justice outright، they illustrated it through their own actions. From their examples، we can gather key elements of justice: treating individuals equally، fairly distributing resources، providing equal opportunities for involvement in decision-making، addressing the needs of disadvantaged groups، encouraging people to contribute according to their abilities، and preserving social stability (Martin، and Devenish 10).

Imam Ali believed that oppression leads to both divine and public opposition until the oppressor stops and repents. The Qur'an highlights how figures like Pharaoh and Nimrod faced severe consequences for their tyranny. Imam Ali also warned that injustice corrupts the heart and weakens one's faith، drawing individuals toward misfortune. Furthermore، oppressive actions break down trust، hinder cooperation، spark rebellion، and ultimately disturb social harmony (11).

In Imam Ali's commandment in his letter to Malik Al-ashtar، we find him saying "The best and most pleasant thing for governors is the establishment of justice in the lands، the manifestation of love by the subjects، and the appearance of goodwill among the ruled." The Qur'anic Counterpart of the above mentioned saying can be found in Surah An-Nisa (Chapter 4)، Ayah 135 "O ye who believe! stand out firmly for justice، as witnesses to Allah، even as against yourselves، or your parents، or your kin، and whether it be (against) rich or poor: for Allah can best protect both. Follow not the lusts (of your hearts)، lest ye swerve، and if ye distort (justice) or decline to do justice،

aspirations extend beyond it to the Hereafter. It is only when this world is seen through to the next that a fully just attitude towards this world emerges. Those‹ on the contrary‹ whose talab‹ or aspiration‹ does not go beyond this world will be more likely to fall prey to the easy option of neglecting the destitute—for‹ in the horizontal scales of political evaluation‹ the costs to the ruler in pursuing a policy of charity towards the poverty-stricken may outweigh the benefits to him (109).

Imam Ali (AS) instructs Malik to be merciful with the people he is leading saying "They may act wrongly‹ willfully or by neglect. So‹ extend to them your forgiveness and pardon‹ in the same way as you would like Allah to extend His forgiveness and pardon to you‹ because you are over them and your responsible Commander (Imam) is over you while Allah is over him who has appointed you. He (Allah) has sought you to manage their affairs and has tried you through them. This commandment is in harmony with words of Allah in the holy Quran in **Surah Al-Imran (Chapter 3: Ayah 159):**"So by mercy from Allah‹ [O Muhammad]‹ you were lenient with them. And if you had been rude [in speech] or harsh in heart‹ they would have disbanded from about you. So pardon them and ask forgiveness for them and consult them in the matter. And when you have decided‹ then rely upon Allah. Indeed‹ Allah loves those who rely [upon Him].

Prophet Muhammad and Imam Ali were leaders focused on distinguishing justice from injustice in society. Instead of

Raymond Qasis argues that although all the letters of Imam Ali (AS) in Nehj Al Balagha captivates his، but his commandment to Malik al-Ashtar is so exceptional. He believes that that if current and future leaders were to adopt the guidelines outlined in this insightful letter of Imam Ali (AS) as a practical action plan، no one would ever have to endure the suffering that plagues humanity. (Qasis 24). This evokes the famous definition of Plato about justice when he says: 'we have laid down، as a universal principle، that everyone ought to perform the one function of the community for which his nature best suits him …that principle، or some of it، is justice (Plato 124). The connection between the Imam's definition of justice and the sacred lies in prioritizing one's relationship with God as the foremost aspect to be set right، with all other matters flowing from this spiritual foundation. This hierarchy is evident in the Imam's advice to Malik: "Be just with God and be just with people، granting them what they are due from yourself." The underlying principle is expressed in the saying، "Whoever ensures harmony between himself and God، God will ensure harmony between him and humanity." (Lakani 64).

According to Shah-Kazemi، translator of the letter of Imam Ali (AS) to Malik in his work، Justice and Remembrance:

What needs to be highlighted here is that the spiritual element is what makes practicable an ideal that otherwise would be a heavy 'burden': divine assistance is assured for those whose attention is not confined to this world alone، but whose

came following Malik's death due to a poisoning plot، which occurred before he could take up his position as governor of Egypt (Lankarani 16). The historian Tabari records that Muawiya remarked، "Ali ibn Abi Talib had two right hands: one was lost at Siffin، and the other today." In response to Malik's assassination، Imam Ali expressed profound grief، saying، "Malik، and what was Malik! By God، if he were a mountain، he would stand alone، towering above others، and if a rock، he would be unbreakably solid. No horse could climb it، nor could any bird fly over it" (Shah-Kazemi 82).

When Malik was appointed governor of Egypt، replacing Muhammad bin Abi Bakr، Imam Ali sent him a letter outlining the responsibilities and duties of rulers. The letter addressed the prioritization of rights and obligations، the administration of justice، supervision of officials and staff، division of tasks across administrative departments، and the need for coordination and collaboration with the central authority. Imam Ali also advised Malik to fight corruption and oppression، regulate markets، control imports and tariffs، and curb unethical practices such as profiteering، hoarding، and black-marketing. Additionally، the letter emphasized the government's obligations towards the lower classes، detailing how they should be cared for and their needs (Lankarani 20).

Had the instructions of Imam Ali (AS) been applied، it would have been a kind of Utopia or a paradise on earth as far as justice is concerned (Lakhani 86). The Lebanese Christian poet

one addressed to Malik al-Ashtar، a devoted companion of Imam Ali، who was appointed as the governor of Egypt. This letter، known as the covenant of governance، is filled with wisdom and guidance for all readers، especially for politicians and leaders who seek to govern with justice and integrity (Jafar 144). Historically، Imam Ali's letter to Malik al-Ashtar has served as a significant source of inspiration، regarded as an exemplary guide for Islamic governance. It offers a detailed framework outlining the responsibilities and rights of rulers، state officials، and key societal groups، making it akin to an ideal constitution (Lakhani 65).

One aim of Imam Ali's letter to Malik al-Ashtar is to illustrate how the Imam's teachings can be viewed as insightful interpretations of divine revelation، reflecting an understanding of the spiritual principles found in the Qur'an. Rather than treating revelation as something external and contrary to reason، it is presented as the outward manifestation of principles that the intellect، understood as the source of consciousness and spiritual insight، aligns with. This perspective connects closely to what the Imam describes as the 'heart،' the innermost form of perception that allows one to 'see' God (Ibid. 66).

Malik al-Ashtar was a dedicated and faithful supporter of Imam Ali، regarded as one of his closest and most reliable allies. During the civil war (657661- CE)، Imam Ali's chief adversary، Muawiya، recognized Malik's importance، calling him one of the Imam's "right-hand" men. This acknowledgment

compiled by the scholar and poet Abu al-Ḥasan Muḥammad bin al-Hussain known as Al-Sharif al-Raḍi in the late 4th century AH.(Encyclopedia of Arabic Literature 701)

Imam Ali (AS) describes his close bond with Prophet Muhammad، as cited in *Nahj al-Balagha*، he likens himself to "a young camel following in the footprints of its mother،" emphasizing his devotion to the Prophet. He recounts accompanying the Prophet to the Hira cave، where he witnessed divine revelations and sensed the "fragrance of prophethood." (Abbas32)

Nahj al-Balagha is often referred to as the "Brother of the Qur'an" because of its profound content and eloquent style. Following the teachings of the Holy Quran and the traditions of Prophet Muhammad، for over a thousand years، since Al-Sharif al-Raḍi carefully compiled *Nahj al-Balagha*، Azim Nanji in his book The Penguin Dictionary of Islam argues that *Nahj al-Balagha* Based on the sayings of the first Shia imam، ALI IBN ABI TA.، is used extensively as a source of ideals، teaching and values and as a model of literary excellence and eloquence، and constitutes one of the most important texts in Shia devotional literature (88). This treasured work has profoundly impacted numerous prominent individuals across both Shia and Sunni communities، as well as non-Muslims، who have all recognized and esteemed its significance (Abdul Hassan 2).

One of the most renowned letters in this collection is the

ings، and no piece of writing exists in isolation. The Quran، serving as a guidebook for humanity، influences the sayings of the Prophet and the Shiite Imams، which is why these texts often reference it. " In *Nahj al-Balagha*، there are instances of modified intertextuality، while allusive intertextuality is more common in the words of Imam ʿAlī (a)، especially when he discusses piety، drawing on themes from Quranic verses" (Hoseynifar 1).

One of the clearest indications of the deep relationship between the Prophet Muhammad and Imam Ali is reflected in the numerous sayings of the Prophet regarding Ali. These sayings، along with Ali's own aphorisms، sermons، and letters compiled in *Nahj al-Balagha*، contribute to the profound respect shown to Ali across the Muslim world. Ali's closeness to the Prophet extends beyond familial ties to a more significant spiritual connection، making the reverence for Ali traditionally seen as linked to the veneration of the Prophet. A notable saying of the Prophet that illustrates this is، "I am the city of knowledge، and Ali is its gate."(Sajoo 34).

Imam Ali b. Abi Talib (AS)، son-in-law and cousin of the Prophet Muhammad، first Shi'i imam and fourth caliph، is a monumental figure within the Islamic tradition. The Prophet regarded Imam Ali (AS) as the gateway to the city of knowledge. His teachings، preserved in the form of sermons، letters، and sayings، have been passed down to us through the renowned work known as Nahj al-Balagha (The Path to Eloquence) which is a collection of sermons، letters، and sayings of Imam Ali،

Intertextuality refers to the ways in which texts interact with and reference one another، forming a network of connections that enrich the meaning of each text. The concept، while having roots in ancient history، gained prominence as a critical theory through the contributions of theorists like Ferdinand de Saussure، Mikhail Bakhtin، and Roland Barthes (Allen 6). Saussure's work on semiotics and the nature of language laid the groundwork for understanding how meaning is generated through relationships between texts. Bakhtin introduced the idea of dialogism، suggesting that all texts exist in dialogue with others، while Barthes emphasized the idea of the "death of the author،" where the reader's interpretation connects the text with other texts (Holquist 6).

Julia Kristeva، who coined the term "intertextuality" in 1966، built on these theories. She argued that any text is not an isolated creation but is formed through the assimilation، transformation، and extension of other texts. According to Kristeva and other theorists، texts derive their meanings not solely from their own content but from their relationship with prior texts and cultural discourses. In this way، a text can be viewed as an expansion or artistic reinterpretation of previous works، contributing to a dynamic and interconnected literary tradition (Becker-Leckrone 9)

Intertextuality refers to the concept of interaction or connection between texts، leading to the emergence of new ideas. According to this theory، all texts are influenced by other writ-

Malik al-Ashtar and its relevance to governance. The research highlights the alignment between Imam Ali's ethical guidance and key Quranic principles، showing his advocacy for justice، moderation، and spiritual integrity in leadership. Detailed examination of passages in Imam Ali's words are compared with Quranic principles and verses reflecting how Imam Ali integrates fear of Allah into his counsel to Malik al-Ashtar. The Quranic reflection in Imam Ali's warnings about injustice، oppression، and divine accountability proves the parallels between Quranic values and Imam Ali's vision of ethical governance and that he is the gate of the prophet's city of knowledge.

Keywords: Quranic influence، Imam Ali، self-control، fear of Allah، Malik al-Ashtar، Islamic leadership، moral governance، spiritual discipline.

The aim of this study: The main aim of this study is to analyze the ways in which Imam Ali's concepts of piety and governance resonate with or diverge from Quranic verses، emphasizing the intertextual dialogue between the Quran and Imam Ali's words. An essential approach in literary research is the modeling of one text on another، known today as intertextuality or interdependence. This concept highlights that certain texts، whether consciously or unconsciously، draw from other texts. It emphasizes that every text and speaker is influenced by other texts and speakers، whether from the past or present، and that their words and ideas are shaped، knowingly or unknowingly، by these influences.

The Quranic Impact on Imam Ali's Words Regarding Piety with Special Reference to his Commandment to Malik al Ashtar: An Intertextual Approach

Ammar Shamil Kadhim Al-Khafaji، PhD.

Department of English، College of Arts، University of Baghdad، Bab Al-Muadum Campus Baghdad، Iraq

Abstract:

The theory of Intertextuality explores how texts relate to and influence one another. In this case، it examines how Imam Ali's words in his commandment to Malik al-Ashtar are influenced by، echo، or reinterpret Quranic teachings. The study analyzes the ways in which Imam Ali's concepts of piety and governance resonate with or diverge from Quranic verses، emphasizing the intertextual dialogue between the Quran and Imam Ali's words. In the introduction، the background on Imam Ali's teachings and his role in Islamic thought is discussed. Shedding light on the importance of the themes of self-control and fear of Allah in Islamic ethics with an Overview of the commandment to

26. Two Miraculous sermons by Imam Ali (as) Khutba w/o Alif and w/o Nuqta Alphabets. (2024).

27. https://www.duas.org/miraclesermons.htm

28. Walton، Douglas. (2007). Media Argumentation: Dialectic، Persuasion، and Rhetoric. Cambridge: Cambridge University Press.

29. Yasin T. Al-Jibouri. (2013). Nahjul-Balagha: Path of Eloquence.

30. https://www.amazon.com/Nahjul-Balagha-Eloquence-Yasin-T-Al-Jibouri/dp/1481747886

17. McHoul، Alec and Wendy Grac. (1993). A Foucault Primer Discourse، Power and the Subject. Routledge : Melbourne University Press.

18. Mulholland، Joan. (2005). Handbook of Persuasive Tactics : A Practical Language Guide. London: Routledge.

19. Perloff، R. M. (2014). The Dynamics of Persuasion: Communication and Attitudes in the 21st Century. New Jersey: NJ. Lawrence Erlbaum Associates.

20. Van Dijk، T. A. (1993). Principles of Critical Discourse Analysis. Discourse and Society. Pp. 249283-. Available at:

21. https://www.cda20plus.humanities.uva.nl/wp-content/uploads/201405//van-Dijk_1993-Principles-of-CDA.pdf

22. Van Dijk، T.A. (2015). Critical Discourse Analysis. In Tannen، Deborah ، Heidi E. Hamilton، and Deborah Schiffrin، (eds.)، Handbook of Discourse Analysis (2nd.). Oxford: Blackwell. Vol. I، 22، pp. 466485-.

23. Simpson، J. (Ed.). (2011). The Routledge Handbook of Applied Linguistics. Taylor and Francis.

24. Titscher، S.، Meyer، M.، Wodak، R.، & Vetter، E. (2000). Methods of Text and Discourse Analysis: In Search of Meaning. London: Sage.

25. Trask، R.L. (1999). Key Concepts in Language and Linguistics. London: Routledge.

8. Fairclough، N. (2005). *Analyzing Discourse*. London: Routledge.

9. Fowler، R. (1996). *Language and Control*. London: Routledge.

10. Fox، R. and Fox، J. (2004). Organizational Discourse: A Language-Ideology-Power Perspectives. Westport، Conn. : Greenwood Publishing Group.

11. Halmari، H. and Virtanen، T. (2005). *Persuasion Across* Genres: A Linguistic Approach. Amsterdam/ Philadelphia : John Benjamins Publishing Company.

12. Hart، Christopher. (2010). Critical Discourse Analysis and Cognitive Sciences : New Perspectives on Immigration Discourse. New York: Palgrave Macmillan.

13. Hornby، A.S. (1974). The Advanced Learner Dictionary of Current English. Oxford: Oxford University Press.

14. Hossein، S. Nasr and Asma Afsaruddin . (2024). Alī ibn Abū Ṭālib. Available at: https://www.britannica.com/biography/Ali-Muslim-caliph.

15. Johnstone، B. (1989). Discourse Analysis. Oxford: Blackwell.

16. Kane، J. and Patapan، H. (2010). The Artless Art: Leadership and the limits of Democratic Rhetoric. Australian Journal of Political Science، vol.45، No.3 pp. 371389-.

References

1. Ayed، Asim، Alkhawaldeh، (2021). Persuasive Strategies of Jordanian Government in Fighting Covid-19. Al al-Bayt University: Online Journal of Language Studies. Vol.21(1). Pp. 274293-. Available at: https://www.researchgate.net/publication/349663012_Persuasive_Strategies_of_Jordanian_Government_in_Fighting_Covid-19.

2. Andersen، K. E. (1971). Persuasion: Theory and Practice. Boston: Allyn and Bacon.

3. Albarrac´ın، Dolores. (2002).Cognition in Persuasion: An Analysis of Information Processing in Response to Persuasive Communications. In Advance in Experimental Social Psychology، MARK P. ZANNA(ed). New York : Academic Press. Vol. 34. Pp. 61127-.

4. Beard، A. (2000). The Language of Politics. London: Routledge.

5. Bettinghaus، E. P.، and Cody، M. J. (1987). Persuasive Communication (4th ed.). New York: Holt، Rinehart and Winston.

6. Cialdini، Robert (2016). Pre-Suasion: A Revolutionary Way to Influence and Persuade. New York: Simon and Schuster Press.

7. Fairclough، N. (1989). *Language and Power*. London: Longman

1- It seems that there is cohesion and interconnection in the structure and arrangement of such discourses that reflect the power of using persuasive language and the competence in using clear and effective points despite of the limitation of using certain types of words as mentioned previously. It can be explicitly shown in the use of "explaining" and "emphasis" that both reflect the power and the mighty of God in controlling the universe and the creatures in terms of everything related to them. This has also a relation with "reciprocal" which convinces the listener about the two sides of the coin of doing virtues and vices and their two other sides of rewarding and punishment of God. Consequently، one should exploit his years and youth in doing the righteous deeds that can give him the acceptance and forgiveness of God and then paradise.

2- By using "repetition" and advice"، it seems that there is a concentration on the importance of "praising" God and following all the instructions to meet God on that day of reward and punishment happily with mercy and forgiveness. These points are also summarized by Imam Ali at the end of each discourse to praise and do the righteous actions which is reflected in terms of "sum up".

3- The use of powerful discourse and rhetorical speech can also be seen with respect to the "praise of another person" that reflected a list of powerful traits of the great prophet Mohammad with respect to Islam and God.

فوعظ و نصح و بلغ وكدح، رؤوف بكل مؤمن رحيم، رضي ولي سخي زكي، عليه رحمة و تسليم و بركة و تكريم، من رب غفور رؤوف رحيم، قريب مجيب حكيم».

-" He descended with a clear (able) Holy Spirit [arch-angel Gabriel] from a Glorious Lord unto a Prophet who is rightly guided and who guides others، one who shows others the right way، a mercy to the believers، clearly from a Great Lord، a master frequented by messengers (angels) who are honored and obedient [of their Lord]".(Discourse 2)

نزل به روح قدس مبين (متين) من عند رب كريم على نبي مهتد مهدي رشيد رحمة للمؤمنين، مبين من عند رب كريم، و سيد حلت عليه سفرة، مكرمون بررة».

Conclusions

Individuals proficient in Arabic or capable of reading the Qur'anic script will recognize that specific letters of the Arabic alphabet are accompanied by dots. These letters are frequently employed in Arabic speech and written texts (ب،ت،ث،ج،خ،ذ،ز،ش،ض،ظ،غ،ف،ق،ن،ي). Composing a written script of significance، devoid of these letters، is a formidable challenge. Delivering a sermon without prior preparation، as Imam 'Ali (a) is renowned for doing with all his speeches، is astonishing! Considering critical analysis، there are certain persuasive strategies that are used by Imam Ali in his discourses and they have certain concluding remarks that can be seen in the following:

أوصل الله له الإكرام، وأودع روحه الإسلام، ورحم آله وأهله الكرام، ما – لمع رائل وملع دال، وطلع هلال، وسمع إهلال».

-"I have testified that He sent Muhammed (ص) as His servant and messenger، prophet، chosen one، loved one، friend، a link [with the Almighty] that grants him [Muhammed] fortune، bringing him closer to Him، elevating him، granting him nearness and closeness [to the Almighty]". (Discourse 2)

شهدت ببعث محمد (ص) عبده و رسوله، و نبيه و صفيه و حبيبه و خليله،» – صلة تحظيه، و تزلفه و تعليه، و تقربه و تدنيه» .

-«He sent him during a good (opportune) period of time، when there was disbelief، as mercy for His servants and a boon for more". (Discourse 2)

بعثه في خير عصر و حين فترة كفر، رحمة لعبيده و منة لمزيده».

-"Through him He sealed His prophetic messages، strengthened (explained) His argument".(Discourse2)

ختم به نبوته، و قوى (وضح) به حجته» –.

- "So he admonished، advised، conveyed the message and worked hard [for people. He was، affectionate towards every believer، merciful، easy to please، the friend of anyone who is generous and pure: mercy، salutation، blessing and honor be with him from a forgiving، affectionate، kind، near، responsive and wise Lord".(Discourse 2)

servant and messenger، prophet، chosen one، loved one، friend، a link [with the Almighty] that grants him [Muhammed] fortune، bringing him closer to Him، elevating him، granting him nearness and closeness [to the Almighty]". Hence، Imam Ali rhetorically has the ability to praise the prophet from his point of view and God's also towards such a great man. This strategy can be shown in the extract below:

-"He sent Muhammed as a banner for Islam and an Imam for those who rule، a helper to the commoners and one who puts an end to the judgments of Wadd and Siwa' (idols)". (Discourse 1)

-«أرسل محمدا علما للإسلام وإماما للحكام، سددا للرعاع ومعطل أحكام الود وسواع».

- "He knows and He informs، He rules and He perfects: He is the origin of origins. He [Muhammed] paves the path [to the Almighty] and emphasizes the Promised Day، warning about it".(Discourse 1)

-«أعلم وعلم، وحكم وأحكم، وأصل الأصول، ومهد وأكد الموعود وأوعد».

-"Allah has made honors to reach him، depositing in his soul Islam، blessing his honorable family and offspring so long as there is anything that shines like lightning، anyone who hurries his pace towards his pursuit، whenever a crescent appears and the announcement about it is made".(Discourse 1)

ginger and sealed with musk and fragrance that perpetuates happiness and provides the sense of pleasure. He drinks of wines in an orchard filled with all types of pleasures، wine that does not cause any headache to one who drinks it، and it never runs out; such is the ultimate end of one who fears his Lord" (Discourse 2)

«فمن زحزح عن تعذيب ربه سكن في جنته بقربه و خلد في قصور مشيده، وملك حور عين و حفدة، و طيف عليه بكؤوس و سكن حضير فردوس، و تقلب في نعيم، و سقي من تسنيم و شرب من عين سلسبيل ممزوجة بزنجبيل، مختومة بمسك و عبير، مستديم للسرور و مستشعر للحبور، يشرب من خمور، في روضة مغدق ليس يصدع من شربه و ليس ينزف، هذا منقلب من خشى ربه و حذر ذنبه و نفسه».

3.1.7. Praising Another Person

Concerning "Praising Another Person"، Imam Ali emphasizes the role of the Prophet "Muhammed" in showing the right path of Islam. He gives an accurate and powerful description of the prophet that can persuade all the others with the fact that "Muhammed" deserves to be in that place that is given to him by God. Imam Ali listed great traits of such a great prophet that are "He was، affectionate towards every believer، merciful، easy to please، the friend of anyone who is generous and pure: mercy، salutation، blessing and honor be with him from a forgiving، affectionate، kind، near، responsive and wise Lord". In addition، Imam Ali also reflect the place that such special prophet has gotten from God such as "He sent Muhammed (ص) as His

«- وصيتكم معشر من حضرني بتقوى (بوصية) ربكم، و ذكرتكم بسنة نبيكم، فعليكم برهبة تسكن قلوبكم، و خشية تذرف دموعكم، وتقية تنجيكم يوم يذهلكم و يبليكم، يوم يفوز فيه من ثقل وزن حسنته، و خف وزن سيئته».

-"Let your plea be in humility and surrender، appreciation and submission، repentance and dissociation [from sin]، regret and return [to righteousness]". (Discourse 2)

«- لتكن مسألتكم مسألة (سؤل) ذل وخضوع و شكر و خشوع، و توبة ونزوع، و ندم و رجوع».

-"Let everyone of you seize the opportunity when he is healthy before the time when he is sick، when he is young before he is aged، old and sick، [the opportunity] of his ease before he is poor، of having free time before he is busy، of being wealthy before being impoverished، of being present at home before he is away traveling، of being alive before his death". (Discourse2)

«- و ليغتنم كل مغتنم منكم صحته قبل سقمه، وشبيبته قبل هرمه فكبره ومرضه، وسعته قبل فقره و خلوته (فرغته) قبل شغله، و ثروته قبل فقره، وحضره قبل سفره، وحيته قبل موته، ثم يكبر و يهن ويهرم و يمرض و يسقم و يمل طبيبه و يع رض عنه حبيبه، و ينقطع عمره و يتغير لونه، و يقل عقله».

-" Surely one who is pushed away from the torment of his Lord shall reside in Paradise near to Him and remain forever in well built mansions، having huris with large lovely eyes and servants. He is given to drink of fresh cool water mixed with

be clarified in the extract below:

-«**Do**، may Allah look after you، righteous deeds، **tread** the paths of what is permissible، **put** what is prohibitive aside and abandon it، listen to the command of Allah and realize it، **keep in touch** with your kinsfolk and look after them، **disobey** your inclinations and curb them، **give** your daughters by way of marriage to the people of righteousness and piety، and **stay away** from the folks who sport and who covet، so your marriage ties will produce the most pure of freemen، the most eminent descent، those who will let you achieve your dreams". (Discourse 1)

إعملوا رعاكم الله أصلح الأعمال، واسلكوا مسالك الحلال، واطرحوا الحرام ودعوه، واسمعوا أمر الله وعوه، و صلوا الأرحام و ا رعوها، وآعصوا الأهواء وآردعوها، وصاهروا أهل الصلاح والورع، و صارموا رهط اللهو والطمع، ومصاهركم أطهر الأحرار مولدا وأسرا رهم سؤددا، وأحلامكم مورد».

-"I have **admonished** you، O folks who are present here with me، **to be pious** (as your Lord has admonished) towards your Lord، and I have reminded you of the Sunna of your Prophet; so، **take to awe** that calms your hearts، **fear** that draws your tears، **piety** that saves you on a Day which will puzzle your minds and put you to the test، a day in which one shall win if the weight of his good deeds is heavy while that of his sins is light". (Discourse 2)

thy of connection with Him". «اسـأل الله لكـم_**أحمـد** وصالـه » (Discourse 1)

-"Eternal **praise** belongs to Him". "ولـه **الحمـد** السـرمد" (Discourse 1)

-"I **praise** the One Whose boon is great". "**حمـدت** مـن عظمت منته (Discourse 2)

- "I **praise** Him like one recognizing His Godhead". **حمدته**» «**حمـد** مقر بربوبيتـه» (Discourse 2)

-"revealed revelations from a **Praise**worthy Wise One". «تنزيـل مـن حكيـم **حميـد**». (Discourse 2)

3.1.6. Advise

With respect to "**Advice"**، Imam Ali advises all humans that they should do their best to exploit their health، power، ability، and times consciously in doing righteous deeds as a real believer in God and religion. Imam Ali considers that people should be aware that life will end and they return to God on the day that they should find out the consequences of their behaviors concerning the instructions of God. He insists that it is crucial to "take to awe that calms your hearts، fear that draws your tears، piety that saves you on a day which will puzzle your minds and put you to the test، a day in which one shall win if the weight of his good deeds is heavy while that of his sins is light". This is the right path for people to be the winner in all rewards of God that He prepares for real believers. This persuasive strategy can

healthy before the time when he is sick، when he is young before he is aged، old and sick، [the opportunity] of his ease before he is poor، of having free time before he is busy، of being wealthy before being impoverished، of being present at home before he is away traveling، of being alive before his death". (Discourse2)

-«و ليغتنم كل مغتنم منكم صحته قبل سقمه، و شبيبته قبل هرمه فكبره ومرضه، و سعته قبل فقره و خلوته (فرغته) قبل شغله، و ثروته قبل فقره، و حضره قبل سفره، و حيته قبل موته».

3.1.5. Repetition

Regarding "Repetition"، Imam Ali concentrates on the importance of "praising" to God who really great and "praiseworthy" for whatever is presented and found in this universe for the service of human and other creatures despite the fact that He is not in need of them at all. This strategy guide the hearer to praise God every time and everywhere just like Imam Ali repeated his praise at the beginning and the end of his discourses. Such repetitions can be examined in the extracts below:

1-"**Praise** to Allah Who is the **praise**worthy". "**الحمـد** لله الملـك المحمـود" (Discourse 1)

- "I **praise** Him an extended **praise".** "**أحمـده حمـدا** ممـدودا" (Discourse 1)

-"I plead to Allah to grant you the most **praise**wor-

can be seen in the following extracts:

- "Do، may Allah look ater you، righteous deeds، tread the paths of what is permissible، put what is prohibitive aside and abandon it، listen to the command of Allah and realize it، keep in touch with your kinsfolk and look after them، disobey your inclinations and curb them، give your daughters by way of marriage to the people of righteousness and piety، and stay away from the folks who sport and who covet". (Discourse 1)

-«إعملوا رعاكم الله أصلح الأعمال، واسلكوا مسالك الحلال، واطرحوا الحرام ودعوه، واسمعوا أمر الله وعوه، و صلوا الأرحام و ا رعوها، وآعصوا الأهواء وآردعوها، وصاهروا أهل الصلاح والورع، و صارموا رهط اللهو والطمع».

- "He is near، so He is far [above mental or physical vision]; He is far yet He is near [closer to us than anything else]. He responds to the call of those who call on Him; He sustains His servant and surrounds him with His love; His niceties are hidden [from our comprehension]; His power is mighty; His mercy is wide; His penalty is painful; His mercy is a broad and a Garden of grandeur (Paradise); His punishment is Hell filled with horrors and chains".(Discourse 2)

-«قرب فبعد، و بعد فقرب، يجيب دعوة من يدعوه، و يرزق عبده و يحبوه، ذو لطف خفي، و بطش قوي، و رحمة موسعة، و عقوبة موجعة، ورحمته جنة عريضة مونقة، و عقوبته جحيم موصدة موبقة (موثقة)».

-" Let everyone of you seize the opportunity when he is

-«اسأل الله لكم أحمد وصاله، ودوام إسعاده، وألهم كلا إصلاح حاله والأعداد لمآله ومعاده، وله الحمد السرمد، والمدح لرسوله أحمد».

-" I have sought refuge with a Lord Who is knowing، wise، able، merciful، from the evil of an enemy who is cursed and stoned; so، let everyone who pleads plead، and let everyone who seeks [favors of his Lord] seek and ask forgiveness of the Lord of lords for myself and for you all". (Discourse 2)

-«عذت برب عليم حكيم، قدير رحيم، من شر عدو لعين رجيم، فليتضرع متضرعكم، ويبتهل مبتهلكم، و يستغفر رب كل مربوب لي و لكم».

3.1.4. Reciprocal

As far as **"Reciprocal"** is concerned، Imam Ali depends on using reciprocal relations between good and bad deeds or between virtues and vices. Then، he tends to show critically the consequences of these beliefs and behaviors on the persons' fates. He confirms that the wise is to "listen to the command of Allah and realize it، keep in touch with your kinsfolk and look after them، disobey your inclinations and curb them" . This is due to the fact God has mercy for all humans and the universe but at the same time He has the mighty to punish severely as Imam Ali mentions that "His power is mighty; His mercy is wide; His penalty is painful; His mercy is a broad and a Garden of grandeur (Paradise); His punishment is Hell filled with horrors and chains". There is an intention to make people exploit their youth and years with goodness and virtues. These Reciprocals

as He is; there is nothing like Him. He، **first and foremost**، is a **unique Lord** in His exaltation، **able through His might**، **holy through His sublimity**، **proud of His Majesty**; no (mental) vision can realize Him، nor can anyone ever see Him. He is **strong**، **invincible**، **seeing**، **hearing**، **clement**، **wise**، **affectionate and kind**. (Discourse 2)

-«لن يزول و لم يزل، ليس كمثله شيء، وهو قبل كل شيء وبعد كل شيء رب متفرد بعزته، متمكن بقوته، متقدس بعلوه، متكبر بسموه، ليس يدركه بصر و لم يحط به نظر، قوي منيع، بصير سميع، حليم حكيم، رؤوف رحيم».

3.1.3. Sum up

Examining "Sum up" ، Imam Ali ends and summarizes his discourses by using "praise to Allah" and advising people to take the right path of following the instructions of God and rejecting temptations of evils that make them deserve the forgiveness and pleasing of Him. This strategy is also interwoven by the use of another persuasive strategies such as "Repetition" and " Advise" which can be seen later in terms of this analysis. The use of "Sum Up" can be seen in the extracts that follow:

-" **I plead to Allah** to grant you the most praiseworthy of connection with Him، the perpetuation of pleasing Him; may He inspire each of you about that which reforms your condition and prepares you for what you shall receive [in the Hereafter]. Eternal praise belongs to Him; lauding belongs to His Messenger Ahmed (ص)".(Discourse 1)

the One Who **spreads out** the earth، Who **firms** the mountains، Who **sends out** rain، who **facilitates** the attainment of goals، Who **knows** the secrets and **realizes** them، Who **destroys** the possessions and **annihilates** them، who **folds out** times and **repeats** them، who **causes** matters and is their source". (Discourse 1)

-«المالك الودود، مصور كل مولود، ومآل كل مطرود، ساطح المهاد وموطد الأطواد، ومرسل الأمطار ومسهل الأوطار، عالم الأسرار ومدركها، ومدمر الأملاك ومهلكها، ومكور الدهور ومكررها، ومورد الأمور ومصدرها، عم سماحه وكمل ركامه، وهمل، طاول السؤال والأمل، وأوسع الرمل وأرمل».

-"He has no partner in His domain; He **relies on** none in doing whatever He does. He is **exalted** above having an adviser or a vizier. He is above using a model or an assistant or a helper or a peer. He **knows**، so He **covers**; He is **acquainted** with the innermost، so He is most familiar [with our intentions]. He **cast** a look، so He **assisted**; He **owns** everything، so He **subdues**. He is **disobeyed**، yet He **forgives**; He is adored، so He **thanks**. He **rules**، so He **affects** justice، and He is generous and grants favors". (Discourse 2)

-«ليس له شريك في ملكه و لم يكن له ولي في صنعه؛ جل عن مشير ووزير، وتنزه عن مثل وعون و معين و نظير، علم فستر و بطن فخبر، ونظر فجبر، و ملك فقهر؛ وعصي فغفر، وعبد فشكر، و حكم فعدل، وتكرم و تفضل».

- He **shall never come to an end**، and He has always been

وموطد الأطواد، ومرسل الأمطار ومسهل الأوطار، عالم الأسرار ومدركها، ومدمر الأملاك ومهلكها، ومكور الدهور ومكررها، ومورد الأمور ومصدرها».

-"He has no partner in His domain; He relies on none in doing whatever He does. He is exalted above having an adviser or a vizier. He is above using a model or an assistant or a helper or a peer. He knows، so He covers; He is acquainted with the innermost، so He is most familiar [with our intentions]. He cast a look، so He assisted; **He owns everything**، so He subdues." (Discourse 2)

-«ليس له شريك في ملكه و لم يكن له ولي في صنعه؛ جل عن مشير و وزير، وتنزه عن مثل وعون ومعين ونظير، علم فستر وبطن فخبر، ونظر فجبر، وملك فقهر».

3.1.2. Emphasis

Considering "**Emphasis**"، Imam Ali emphasizes the power of God and how He can affect the earth، the mountain، the sky، and the rain. He knows everything about the creatures and human life whatsoever explicitly and implicitly. Imam Ali confirms that "He is strong، invincible، seeing، hearing، clement، wise، affectionate and kind". Hence، God can affect and change whatsoever because he is the owner of everything. Emphasis can be shown in the following extracts:

-"the affectionate **owner** of everything، the One who **forms** everyone born، the ultimate **end** of everyone who is expelled،

3.1 Data Analysis of Mulholland's Persuasive Strategies in the discourses of Imam Ali

The present paper conducts on critical analysis of the persuasive strategies that are used in the selected Imam Ali's discourse following Mulholland's model of persuasion. These strategies have their role in revealing the power and the intention behind presenting these discourses. These persuasive strategies are "Explain، Emphasis، Sum up، Reciprocal، Repetition، Advise and Praising Another Person".

3.1.1. Explain

In dealing with "**Explain**"، Imam Ali concentrates on showing that God is "the owner of everything" in terms of the creatures and the nature around them. God is just the one who has the mighty authority to do whatever He likes in the universe. There are certain extracts that can be seen in the following:

-"the affectionate owner of everything، the One who forms everyone born، the ultimate end of everyone who is expelled، the One Who spreads out the earth، Who firms the mountains، Who sends out rain، who facilitates the attainment of goals، Who knows the secrets and realizes them، Who destroys the possessions and annihilates them، who folds out times and repeats them، who causes matters and is their source." (Discourse 1)

- «المالك الـودود، مصور كل مولود، ومآل كل مطرود، ساطح المهاد

1). The collection encompasses a range of persuasive strategies، including repetition، indirect criticism، parsing another individual، providing advice، utilizing quotations، making comparisons، emphasizing points، presenting offers، offering explanations، refusing، summarizing، and similar techniques. This paper focuses on persuasive strategies that align with the discourses utilized in this study. These discourses are considered in the analysis and discussion in the present study as (Discourse 1: without Dots) and (Discourse 2: without Alif).

Table 1. Mulholland's Persuasive Strategies (2005)

.No	Persuasive Strategies	Indications
1	**Explain**	***Choose a suitable type of communi-.cation***
2	**Emphasis**	***Highlight one item of one's materi-.al***
3	**Sum up**	***Provide a brief and persuasive .summary of a complex matter***
4	**Reciprocal**	***Bring two things into reciprocal .relations to enrich their meaning***
5	**Repetition**	***.Highlight some matters***
6	**Advise**	***Indicate that a course of action is .good or bad***
7	**Praising Another Person**	***Give Some Praise to another .person***

responding to the study's questions. The two chosen discourses serve as the main data for this study. The selected discourses are largely confined to the objectives of this study، which aims to analyze the influence of discourses characterized by a restricted vocabulary، specifically those devoid of the letter "Alif" (Alpha) and those that do not include any dotted letters. These discourses are delivered by the Commander of the faithful Imam Ali bin Abu Talib، on the website: http://www.scribd.com\yasinaljbouri. This study employs a model adopted from Mulholland (2005) in his book "Handbook of Persuasive Tactics : A Practical Language Guide". This study employs critical discourse analysis as a methodological framework for examining the discourses in question، as CDA can provide a deep understanding of these speeches. The examination of these discourses is conducted qualitatively، employing a precise application of Mulholland's model of persuasion.

Practical Part

In this section، the researcher focuses on examining and identifying the persuasive strategies that are used in the discourses adopted in the present study. It concentrates on showing the indication of using such tactics of persuasion and their role in reflecting the implications of them in terms of power and rhetoric.

Mulholland (2005:215-) categorizes various persuasive strategies، providing a detailed explanation for each (see Table

7-Scarcity is "the technique of telling a respondent that the item he is thinking of buying is in short supply، possibly because there is competition for it."

Mulholland (2005:xvi) clarifies that the term for persuasion in communication was 'rhetoric،' and in the eras of Greek and Roman civilization، the study of rhetoric as a means to attain persuasive objectives was esteemed and served as a fundamental component of education. The primary elements of persuasion، as they perceived it، included the discovery of concepts، the organization of materials into structured compositions، the choice of a suitable style، the retention of ideas، their arrangement in memory، and the successful delivery of the communication. With the power of persuasion، one can and will impact every part of life. He adds that "the power of such everyday persuasions can be felt in the strength of feelings that can arise from them"(ibid :xii). As far as persuasive strategies are concerned، Johnstone (1989:134) asserts that persuasive strategies encompass the range of options a speaker chooses when identifying an effective method or collection of tactics for persuasion in a certain circumstance or a specific context.

Methodology

This study conducts a critical analysis of the persuasive strategies present in the discourses of Imam Ali. The text addressed the description، analysis، and explanation of the persuasive strategies employed and their implications in

argument types utilized in mass media، as well as of pragmatic frameworks that model goal-directed conversation، wherein these arguments aim to persuade an audience to take action or accept certain truths. He emphasizes the persuasive effectiveness of messages. Seven fundamental techniques of persuasion are recognized as essential to social influence. They are in the following (ibid):

1-Contrast is "a technique concerning the sequence in which a persuasive message is presented."

2-Reciprocity is "a technique by which a proponent makes a respondent more likely to consider or accept his argument by making the respondent obliged to the proponent in advance of the argument."

3-Consistency is "the technique of using an arguer's previous commitments، or getting him to commit to propositions that will support the conclusion one wants to persuade another to accept."

4-Social proof "presents evidence of what other people think as a reason for accepting a proposition or going along with a recommended course of action."

5-Liking is "the positive attitude that the person or group persuaded has toward the persuader."

6-Authority is "the use of an expert opinion or accepted authority as a technique of persuasion."

enigmas within the realms of rhetoric and its associated fields. Rhetoric can be defined as the skillful and impactful use of language in both spoken and written forms. This is a method employed to influence or convince others (Hornby، 1974:846). It constitutes a variant of eloquent discourse aimed at persuasion. The employment of reasoning to influence opinion (Kane and Patapan، 2010:371373-). A rhetorician's primary responsibility is to concoct novel arguments that can be employed to convince an audience to accept a viewpoint it has reservations about، based on what are believed to be its commitments and values. Academics in the field of rhetoric study how to persuade an audience to change its mind by appealing to their "beliefs، commitments، or values"، which can differ from one group to another (Walton ، 2007:16-).

Persuasion is the goal of rhetoric، according to Wenzel (1990:13). The art of persuasion، sometimes known as rhetoric، has its roots in classical Greece. Aristotle believed that both creative and non-creative evidence might be used to convince، as Larson (2010:2021-) states. The person attempting to persuade should have complete control over the arguments they present. Three distinct kinds of persuasion were identified by Aristotle. One is known as "ethos" since it is believed that a source's credibility is crucial for persuading. The second term is "pathos،" which refers to "the use of emotional appeals." The third one is "logos،" which means reasoning or logic (ibid).

Walton (2007:1-6) conducts a structural analysis of various

1.4.1. Persuasion and Language

According to popular belief، persuasion is "the manufacturing of consent،" or an artificial process that subtly restricts the choices available to individuals who are being influenced. The purpose of any persuasive strategy should be to further the agenda of the person employing it. Furthermore، it serves to persuade the other party to agree with the user's perspective rather than force them to do so (Mulholland، 2005:xii-xiii). The use of appropriate language is a powerful means of persuasion. A language's influence stems from its multifaceted nature: it can provide numerous representations of a single object، shape people's perceptions of the world according to their beliefs، construct meaning according to the user's needs by mentioning or omitting details or by repeating them until they become commonplace (and maybe true). The formation and preservation of many of life's most consequential features—people's beliefs، ideologies، assumptions، and values—depend on language. Thus، language has the power to shape one's own thoughts as well as to express facts، provide opinions، imply attitudes، set moods، argue for or against viewpoints، and so on—all of which can be utilized persuasively. The potential to form and shape relationships with others is also inherent in language (ibid: xv).

1.4.2. Persuasion and Rhetoric

The phenomenon of persuasion remains one of the enduring

represented in texts and how people think about the world can be established via CDA" (Fowler، 1996:10).

1.4. Persuasion

Seiter and Gass (2004:88) state that when individuals create، reinforce، alter، or eliminate beliefs، attitudes، intentions، motivations، and actions within the confines of a specific communication context، they get involved in the process of persuasion. According to Halmari & Virtanen (2005: 229)، persuasion in this context pertains to the application of language aimed at altering or confirming the beliefs and behaviors of an audience. Furthermore، Perloff (2014: 6) elucidates that the application of persuasion offers valuable insights for enhancing one's abilities as a speaker، fostering critical evaluation of social influence efforts، and cultivating sensitivity and ethical considerations in communication. In this concern، Cialdini (2016:23) identifies five elements of persuasive discourse: "attention-getting، confidence-building، desire-stimulating، urgency-stressing and response-seeking." Albarrac´ın (2002 : 61-62) explains that "the impact of a persuasive message depends on the completion of a series of stages، including exposure to communication، attention، comprehension، yielding، retention، and behavior." The probability of each cognitive activity occurring is determined by the completion of prior activities. Consequently، "failure at any of these stages implies an interruption of the persuasion process as a whole and of the ultimate impact of the message on recipients' actions".

both religiously and literarily، for adherents of both the Shiʿah and the Sunnis (Hossein and Sama، 2024: 4-5).

1.3. Critical Discourse Analysis

The term "critical" is utilized specifically to indicate the aim of uncovering hidden relationships، such as the intricate interplay among "language، power، and ideology." Trask (1999:123) posits that language is utilized as a means to influence individuals. Discourse represents language in use. Fox and Fox (2004 :15) explain that discourse is "language as meaningful social action: a key instrument of individuals' and groups' participation in social roles، social contexts، social situations، and social processes." According to Fairclough، CDA examines the ways in which individuals، particularly politicians، use their power or authority to persuade others and propagate their ideologies through the powerful tool of language (Fairclough، 1989:5). CDA can be regarded as a distinct research approach، equipped with its own analytical tools and strategies designed to reveal the ideological frameworks embedded within discourse in a "social، cultural or political context" (Hart، 2010:3). It is also regarded as a multidisciplinary framework that deals with certain concepts such as "power، dominance، hegemony، ideology، class، gender، race، discrimination، interests، reproduction، institutions، social structure، and social order" (van Dijk، 2015:468). It reads more than what the words seem to mean on the surface level، it is concerned with "the relation between language، power and ideology and how the world is

him in the highest esteem as the ultimate Islamic metaphysician. The sayings of ʿAlī، including "I have never seen a thing except to have seen God before it" and "If the veils were to be removed from the mysteries of the world، it would not add to my certitude،" were thought about by Muslim philosophers for a long time (Hossein and Sama، 2024 :3).

A multitude of concise expressions attributed to ʿAlī have integrated into the broader Islamic cultural landscape، often cited as phrases and proverbs in everyday discourse. They have also served as foundational elements in literary compositions or have been woven into poetic expressions across numerous languages. In the 8th century، esteemed literary figures like ʿAbd al-Ḥamīd ibn Yaḥyā al-ʿĀmirī acknowledged the extraordinary eloquence found in ʿAlī's sermons and sayings. This recognia tion was echoed by al-Jāḥiẓ، a prominent Arab intellectual، in the subsequent century. During the 10th century، a prominent figure in Shiʿism، Sayyid Sharīf al-Raḍī، carefully compiled a collection of ʿAlī's sermons، letters، and concise sayings that addressed a multitude of topics in the Nahj al-balāghah ("The Path of Eloquence") which is translated by Yasin Al-Jibouri (2013). This work has since emerged as one of the most as one of the most extensively read and impactful texts within the Islamic intellectual tradition. While certain scholars from the West have raised skepticism regarding its authenticity، this issue has consistently remained unquestioned among the vast majority of Muslims. The text remains a wellspring of inspiration،

Kufa، Iraq، held the dual distinction of being both the cousin and son-in-law of Muhammad، the revered Prophet of Islam. Alī is recognized in the Islamic tradition by various titles، some of which highlight his attributes while others stem from specific events in his life. The names encompass Abū al-Ḥasan، translating to "Father of Ḥasan" (the name of his eldest son)، Abū Turāb، meaning "Father of Dust،" Murtaḍā، denoting "One Who Is Chosen and Contented،" Asad Allāh، which signifies "Lion of God،" Ḥaydar، also meaning "Lion،" and—particularly among the Shiʿah—Amīr al-Muʾminīn، or "Prince of the Faithful،" alongside Mawlāy-i Muttaqiyān، interpreted as "Master of the God-Fearing." The conventional narratives surrounding ʿAlī's powerful strength and bravery in numerous battles، coupled with his profound aspiration for justice، position him as a quintessential figure of chivalry across the Islamic realm (Hossein and Sama، 2024:1).

Aside from Muhammad، no figure in Islamic history has been the subject of as extensive writings in Islamic languages as ʿAlī. The importance of ʿAlī in every facet of the religious and intellectual life of Shiʿah Islam cannot be overstated. In subsequent Islamic philosophy، particularly in the doctrines of Mullā Ṣadrā (c. 1571–1640) and his adherents، ʿAlī's utterances and discourses were progressively viewed as pivotal sources of metaphysical knowledge، or "divine philosophy." Some of Sadra's followers hold the belief that ʿAlī was the first to articulate philosophical concepts using Arabic terminology، and they hold

a real and crucial problem for the speaker or writer in thinking about the kind of words available and the art of persuasion that should be stuck to achieve rhetorically his purposes and ideologies.

1.3. The Questions of the Study

1- Can the speaker or the writer use specific words and still have the power and ability to rhetorically influence and persuade the other recipients?

2- What are the persuasive strategies that are used by Imam Ali in his discourses without (Dot) and (Alif) in persuading people about his intentions، ideologies and purposes?

1.4. The Objectives of the Study

1. The present study aims to shed light on the power of the discourse of Imam Ali in using powerful language despite of the limitation of the choice of words that lacks (16) letters out of (28) Arabic letters.

2. To specify the kinds of persuasive strategies used by Imam Ali in his discourses depending on Mulholland's (2005) model of persuasion in his book "Handbook of Persuasive Tactics : A Practical Language Guide".

1.5. Imam Ali Imam Ali Ibn Abi Talib

Alī، who was born around 600 in Mecca، Arabia (present-day Saudi Arabia)، and passed away in January 661 in

sages influence beliefs and attitudes." In addition، he confirms that "the use of persuasion gives insights to become a more effective persuasive speaker، a more critical judge of social influence attempts، and a more sensitive، ethical communicator" (ibid:6). Persuasion represents a linguistic phenomenon. The communication process is characterized by the communicator's intent to provoke a specific response from the receiver (Andersen، 1971: 6). Furthermore، it represents a deliberate effort by one person to influence the attitudes، beliefs، or behaviors of another person or group through the conveyance of specific messages (Bettinghaus and Cody، 1987: 3). Beard (2000: 6) elucidates that rhetoric is " the art of persuading people". Wenzel (1990:13) also adds that "the purpose of rhetoric is persuasion." Therefore، the current study seeks to conduct a critical discourse analysis of the persuasive strategies employed by Imam Ali in his discourse، despite his usage of terms devoid of (Dots) and (Alif).

1.2. The Problem of the Study

The use of the language in any discourse especially the rhetorical one involves using certain words that are so influential on the reader or the listener to have the effects that the speaker or the writer wants on the recipients so as to change their ideologies and do certain actions. When there is a limitation in using certain words rather than another ، just like in the case of the present study ،i.e. using words without (Dots) and (Alif)،i.e. excluding (16 letters out of 28 Arabic letters). This may cause

of human or collective consciousness. Power has far-reaching consequences. Power is composed of equipment for the formation and recording of knowledge (registers and archives)، observational methodologies، registration techniques، investigative regulations، control mechanisms، and similar entities (ibid:57).

In examining the connections between discourse and power، first، it is essential to consider various forms of discourse، including those found in politics، the media، and science، as they may embody specific resources of power. Secondly، the concept of power may pertain to the influence of language on one's understanding or cognition. Therefore، if the speaker possesses the capacity to shape individuals' ideologies، knowledge، and opinions، he may indirectly govern his perspectives and actions، particularly through rhetoric، persuasion، and manipulation. In other words "closing the discourse–power circle، finally، this means that those groups who control most influential discourse also have more chances to control the minds and actions of others" (ibid:355).

Persuasion represents a linguistic phenomenon. The communication process is characterized by the communicator's intent to provoke a specific response from the receiver (Andersen، 1971: 6). Furthermore، it represents a deliberate effort by one person to influence the attitudes، beliefs، or behaviors of another person or group through the conveyance of specific messages (Bettinghaus and Cody، 1987: 3). Perloff (2014: 17) believes that persuasion involves "the symbolic process by which mes-

can be used in such discourse. This insists that Imam Ali has powerful language and rhetoric that can be used competently and efficiently in using persuasive strategies such as "Explain"، "Emphasis"، "Repetition"، "Advise"، "Reciprocal"، etc.

Key Words: Imam Ali ، Power، Rhetoric، Discourse، Persuasion

Introduction

Discourse is an "integrating a whole palette of meanings" (Titscher et al، 2000:25). According to Van Dijk (van Dijk، 1993: 259)، it legitimizes specific beliefs، attitudes، or ideologies. CDA is used to deal with "the whole process of social interaction of which a text is just a part" (Fairclough، 1989، 24). In addition، Fairclough (2005:124) adds that "I see discourses as ways of representing aspects of the world – the processes، relations، and structures of the material world، the 'mental world' of thoughts، feelings، beliefs and so forth." In this concern، Simpson (2011:431) regards discourse as a "stretch of language in use"، which has cohesion and implication.

CDA seeks an alternative approach to theorization، analysis، and application across the entire discipline. Foucault's contribution to critical analysis involves a reevaluation of three fundamental concepts: discourse، power، and knowledge. Discourse is regarded as a body of knowledge (McHoul and Wendy، 1993:26-27). Furthermore، for Foucault، power is more than just 'ideological' in the sense that it pertains to any aspect

The Power of the Discourse of the Imam Ali Ibn Abi Talib in Human Sciences: A Critical Study

By: Assist Professor Dr. Nagham Ja'far Hussein

Shatt Al-Arab University Collage

Abstract

Language is a powerful tool used rhetorically to form and influence ideas، beliefs، attitudes، values، perspectives، and ideologies that are consistent with the speaker's or writer's intentions and ideals. Its effectiveness and influence originate from its diverse capacities، which include repetition، provision، clarification، emphasis، advice، etc. Critical discourse analysis (CDA) is an interdisciplinary framework for revealing and analyzing the relationship between "language، power، and ideology"، as well as "discourse، power، and knowledge". It emphasizes the power of words، not only in terms of authority but also through eloquence and knowledge. The present paper is designed to focus on Imam Ali's rhetoric and the power of language and expertise in using discourses without (Dots) and (Alif)، i.e. canceling (16 out of 28 Arabic letters) and still having the effective rhetorical power to use persuasive techniques efficiently despite the limitation of the types of words that

his body، and smelling his sweat، he would chew something and then feed it to me، and he did not find me telling a lie or making a mistake in my actions."

So peace be upon Ali Ibn Abi Talib، the Commander of the Faithful، peace be upon him، the day he was born، the day he was martyred، and the day he is resurrected alive....

everything else، and thus he found himself drawn to the holy Quranic systems of sentence structures.

True to mention، that most of the distinguished writers agreed that Ali Ibn Talib (A. S.) was an example of eloquence and an Imam of the Imams of eloquence، and his rhetorical style was enriched by his saturation with the Holy Quran and the lofty prophetic statement، in addition to the virtue and influence of his Arabic instinct that was quenched from the well of the eloquence of the Bedouins and the eloquence of the people of Mecca.

All nations that have been acquainted with some of his stories، or have had some knowledge of his heritage، have stood before the greatness of Imam Ali (A. S،) even Westerners، in their position on Islam and Muslims، having no choice but to acknowledge the greatness of this man. In addition to that، you can see them drawing inspiration from his biography for the principles upon which they build their theories of governance and politics، drawing inspiration from the great humanitarian principles that are abundant in his sayings and actions، which no one can deny، and which are clearer than the sun at noon.

No Honor and High Prestige can describe what he said (A. S.)، when he described that wonderful stage that left its mark on his conscience، an indelible impact، and saying:

"He placed me in his lap when I was a newborn، holding me close to his chest، covering me in his bed، touching me with

him، realized that his mission after the departure of the Prophet، may God bless him and his family، was to preserve this Sunnah from being tampered with by whims and innovations، especially after what he saw and heard from the Prophet (PBUH)، may God bless him and his family، when he said: "The liars have multiplied against me، except for whoever lies about me intentionally، let him take his seat in Hell." So he stood up with all firmness to defend it and spread it، and to draw attention to the innovations that appeared after the departure of the Prophet (PBUH).

In this context ، and after the departure of the blessed Prophet (PBUH)، may God bless him and his family and grant them peace، to the highest companion، he began to explain this matter to the nation، and to guide them to the areas of danger that must be avoided and in confirmation of this، he began to look at the Holy Quran with a view of holiness and glorification، and he realized that it contains the foundation of religion، the magnificence of expression، the greatness of organization، and the majesty of status.

And from here، the view of the Holy Qur'an was embodied as the best remembrance، and the best speech، to which there is no room for ascension to its highest status ، so، Imam Ali (A. S.) had no choice but to seek from it، and if he took some of his expressions، he took them while realizing that they radiated with their splendor in his speech، and adorned his sermons and elevated the space of the prose text surrounding them over

is unmatched by any spring، as God Almighty described him in His Book، which falsehood cannot approach from before it or from behind it، as He، the Almighty، said to him:

"And indeed، you are of a great moral character،" so the Imam Ali (A. S.) lived in the shadow of that great character، and his soul was imbued with it day after day and hour after hour ، within that atmosphere fragrant with the fragrance of prophecy and the light of the message، Imam (A. S.) lived until he grew up، to be honored to be the first to receive the blessed call to Islam from the Prophet peace be upon him and his family، and to be the first male to convert to Islam، and the correct news came about that which was reported by the preservers، hadith scholars، and historians from all sects، which is difficult to investigate in such a short topic.

No fair-minded person or researcher can imagine after this that anyone would be more attached and steadfast to the prophetic method than Imam Ali (A. S.)، nor more committed to the noble Sunnah than him after the Prophet، may God bless him and his family، established for him the virtue of being the most knowledgeable over all his companions، so he، may God bless him and his family، said، "The most knowledgeable of my nation about the Sunnah and the judiciary after me: Ali bin Abi Talib."

Indeed، the Commander of the Faithful (A. S.) ، was the repository of the noble prophetic Sunnah ، he، peace be upon

in front of the Commander of the Faithful ،Imam Ali stood up against them.

Paradoxically، as it may seem these were the reasons، said، "Do not fight the " Khawarijs" after me because one who seeks right but does not find it، is not like one who seeks wrong and finds it،" those who are after truth، but who make a mistake on this path، such people are seeking the truth، but they make a mistake due to their ignorance and reliance on superficial things are not like those who are after evil and find it ، such people are not the same and in a final outcome this discussion exemplifies the political behavior belonging to the Commander of the Faithful، when we delve deeper، we see that the political behavior of that great Imam corresponds، exactly، with his spiritual behavior، and in all capacities، the Commander of the Faithful (A.S.) is that same man، Ali Ibn Abi Talib، who is peerless throughout the world.

CONCLUSION

Obviously، no matter what we may try to do justice to Imam Ali (A. S.)، with some phrases that might do him justice for what he offered to Islam and humanity as a whole، we will never be able to do that، and it is not strange that Imam Ali bin Abi Talib (A. S.)، is characterized by the qualities of human perfection، as he lived in the care of the blessed Prophet، may God bless him and his family، since his early childhood، and was nourished with the noble morals from that pure spring that

Faithful was that he never resorted to oppressing people، telling lies، and carrying out oppressive measures، at the beginning of the Commander of the Faithful's caliphate، some people said to him that he should show some consideration for the influential personalities in society and that he should give them a larger share of public funds ،and they said، "Do not make them disobey you. Rather، you should attract their hearts." He replied in such confident manner:

"Do you command me to achieve victory through oppression? By Allah، I won't do so، as long as the world goes on and as long as one star leads to another in the sky" (26).

(26) Nahjul Balaghah، Sermon 126.

Among the great characteristics of this great Imam (A. S.) was that he did not behave in the same way towards all of his opponents and enemies، indeed he did not use the same methods for all of them، he differentiated between different individuals and orientations and he stood firm against the faithless" Khawarijs"، of course، he stood up against their deviation، wrongdoings، and reliance on the outward aspects of religion، and at the same time ، he stood against Muawiyah as well، when they put the Holy Quran on their spears، the Commander of the Faithful said: "By Allah، this is a trick and deception ،they do not believe in the Holy Quran،" and when the "Khawarijs" confronted him with their reliance on the outward aspects of religion، they recited the Holy Quran in a plaintive and sad tone

break our promises، we can become attached to the enemies of the straight path and when piety does not exist، this is the manner in which we behave، the Commander of the Faithful really emphasized that he chose politics and piety together، this is why there was no deception or dishonesty in the methods that the Great Imam adopted.

Furthermore، on the issue of the political behavior of the Commander of the Faithful، it should be mentioned that Imam used to tolerate his opponents and even his enemies as much as possible، although it is true that he experienced three wars during his nearly five-year rule، he fought in these wars after he showed all kinds of tolerance and the Commander of the Faithful was not a person to draw his sword without showing proper tolerance towards his opponents.

No wonder، we can argue by saying that even before the battle of Siffin began، a number of people put their foot down and insisted that the Commander of the Faithful should launch an attack and in response to that he said:

"By Allah، I did not put off war even for a day except in the hopes that some group may join me، find guidance through me، and see my light with their weak eyes".(25).

(25).Nahjul Balaghah، Sermon 55.

Adding to the large high credentials of his eminence، that in politics، he would never resort to lying، that's another characteristic of the political behavior of the Commander of the

Discussing the political behavior of the Commander of the Faithful is not an easy task in this brief paper، in fact the political behavior of the Commander of the Faithful was not separate from his spiritual and moral behavior، genuinely speaking the politics of the Commander of the Faithful interrelated with his spirituality and morality، indeed his politics originated from his spirituality and morality، knowing for sure that the Commander of the Faithful had to face during his rule three all-out wars which were waged and thousands of people were killed، in a way that displays his contempt.

For history and during his wars، it was clear that Imam Ali never used any kind of deception and imposture in politics، and one of the characteristics of his politics is that it was free of any deception and trickery ، as such the Commander of the Faithful has narrated: "If it were not for piety، I would be able to use tricks better than all deceitful Arabs" and when comparing himself with "Muawiyah، "he says: "I swear to God that Muawiyah is not cleverer than me ". (24).

(24) Nahjul Balaghah، Sermon 200.

In such a very delicate situation Imam's tongue being tied fulfilling high standard values and criteria، and if one is not pious، his hands and his tongue are free and they can do and say whatever they please ، indeed If we are not pious، we allow ourselves to say things which are untrue and therefore we can engage in slander. We can tell lies to the people، we can

"Imam Ali observed: By Him Who split up the seed and created something living، the Blessed Apostle (may peace and blessings be upon him) gave me a promise that no one but a believer would love me، and none but a hypocrite would nurse grudge against me".(23).

(23) Sahih Muslim 78-Book 1، Hadith 146

In addition to this explicit hadith from the beloved Prophet Mohammed (PBUH)، some other loyal companions to the Prophet Mohammed and his Brother Ali added their testimony reading the above Hadith:

Abu Said al-Khudri (R.A) said: "In truth we recognized the hypocrites by their hatred for `Ali، while Jabir (R.A) said: "We did not know the hypocrites of this Community except by their hatred for `Ali."

It goes without saying that enmity towards Imam Ali (A. S.) started with the advent of Islam itself and lasted throughout his life، hence، this sorrowful trend did not end with his martyrdom and continued even after that and once focusing on the events of the early period of Islam we will see what elements played the role in this enmity، especially during the brief caliphate of this great Imam. Although enmity based on tribal and ethnic motives might appear natural to some extent، it should be admitted that this trend neither camouflages the evilness of those who harbor rancor nor does it diminish in any way the greatness of this God fearing Imam.

called Ali، Fatima، al-Hasan، and al-Husayn to the Mubahala and said، "These are my family."

As it is mentioned before، we cannot list in this research all the blessed verses of the Holy Qur'an regarding Imam Ali (A. S.)، as such we will suffice with this amount، because the verses revealed regarding the Commander of the Faithful، peace be upon him، are many and cannot be counted except by writing a separate detailed book، Nevertheless، it is vital to say that many Sunni scholars have written books that contain the verses revealed about Imam Ali (A. S.) or about the Prophet's Household، peace be upon them، such as the book "Shawahid al-Tanzil" by al-Hakim al-Huskani and the book "Ma Nazal fi Ali، peace be upon him، from the Holy Quran by al-Hafiz Abu Na'im al-Isfahani، hence، and with all modesty of the world، we have mentioned the most important verses in a general manner، and Almighty Allah is the Grantor of success.

IMAM ALI 'S HIGH VALUES JUST BEYOND COMPARISON

It is evident that I cannot find myself in the right position to discuss the sublime values and the outstanding qualities of the Commander of the Faithful Imam Ali Ibn Abi Taleb (A. S.) who rightly deserved to be the right inheritor of the blessed Prophet Mohammed، and it is Imam Ali who reported this Hadith regarding people's stance towards him.

-The verse: If any one disputes in this matter with thee، now after (full) knowledge hath come to thee، say: "Come! Let us gather together، our sons and your sons، our women and your women، ourselves and yourselves: Then let us earnestly pray، and invoke the curse of Allah on those who lie!" (21)

(21) Surat Al Imran –Verse61.

The Shafi'i commentator Nizam al-Din al-Naysaburi narrated in his interpretation that when this verse was revealed، the Prophet، may God bless him and his family and grant them peace، came out، embracing al-Husain and taking al-Hassan's hand، and Fatima was walking behind him and Ali behind them، and he was saying، "When I call، then say 'Amen،' then the Bishop of Najran said، "O group of Christians، I see faces that if they called upon God to remove a mountain from its place، he would remove it for them، Do not engage in mutual insults، lest you perish and no Christian will remain on the face of the earth until the Day of Resurrection."(22).

(22) Nizam al-Din al-Naysaburi & Interpretation of the strange things in the Qur'an and the desires of the Furqan in the margin of the Tafsir al-Tabari، Vol. 3، p. 213، Tafsir al-Jalalain، Vol. 1، p. 283

in the margin of Al-Futuhat al-Ilahiyyah، and dozens of sources mentioned the interpretation of this verse with different words and the same meaning، which is that the Messenger of God، may God bless him and his family and grant them peace،

Then I looked again and chose Ali and split a name for him from my names، so I am the Most High and he is Ali، O Mohammed I created you and created Ali and Al-Hassan and Al-Husain and the Imams from his descendants from my light and I presented your guardianship to the people of the heavens and the earth، so whoever accepts it is among the believers of me، and whoever denies it is among the disbelievers of me، O Mohammed if one of my servants worships Me until he breaks، or becomes like an old wineskin، then comes to me denying your guardianship، I will not forgive him until he acknowledges your guardianship.

"O Mohammed، do you want to see them? I said، Yes، O Lord. He said، Look to the right of the Throne، I turned، and there were Ali، Fatima، Al-Hassan، Al-Hussein، Ali bin Al-Hussein، Mohammed Ibn Ali، Jafar Ibn Mohammed، Musa Ibn Jafar، Ali Ibn Musa، Mohammed Ibn Ali، Ali Ibn Mohammed، Al-Hassan Ibn Ali، and Al-Mahdi standing in a shallow place of light praying، he meaning Al-Mahdi was in their midst as if he were a shining star، he said، O Mohammed، these are the proofs and this is the rebel from your progeny. By my glory and majesty، he is the obligatory proof for my friends and the avenger of my enemies (20).

(20) Yanabi' al-Mawadda، p. 486، by al-Hafiz Sulayman al-Qunduzi al-Hanafi، and Maqtal al-Husayn، by al-Khwarizmi، vol. 1، p. 95، and Fara'id al-Simtayn، by Abu Ishaq Ibrahim al-Hamwini al-Shafi'i.

(18) Ubaidullah Basmal narrated in his book Manaqib Amir al-Hominine.

-The verse: The Messenger believeth in what hath been revealed to him from his Lord، as do the men of faith، each one (of them) believeth in Allah، His angels، His books، and His messengers. "We make no distinction (they say) between one and another of His messengers." And they say: "We hear، and we obey: (We seek) Thy forgiveness، our Lord، and to Thee is the end of all journeys." (19)

(19) Surat Al Baqara –Verse 285.

The Hanafi jurist Muwaqq ibn Ahmad al-Khwarizmi (Maqtal al-Husayn by al-Khwarizmi: vol. 1، p. 95) and the Shafi'i scholar Muhammad ibn Ibrahim al-Hamwini (Fara'id al-Simtayn، vol. 2، end of the volume) narrated with their aforementioned chains of transmission

On the authority of Abu Salma who said: I heard the Messenger of God، may God bless him and grant him peace، say: On the night I was taken up to heaven، the Majestic، Most Glorious، said to me: The Messenger has believed in what was revealed to him from his Lord. I said: And the believers? He said: You have spoken the truth. He said: O Mohammed، I looked down upon the earth and chose you from it، and I split for you a name from My names، and you are mentioned in any place whenever I am mentioned. I am the Praised One and you are Mohammed.

(17) Surat Al Baqara –Verse 207.

The most important thing here is to point out that the Indian scholar Ubaidullah Basmal narrated in his book Manaqib Amir al-Mouminine Ali ibn Abi Talib on the authority of Hujjat al-Islam Muhammad al-Ghazali and al-Thaalabi in his interpretation and dozens of others from the books of the mothers of interpretations and history mentioned that this verse was revealed concerning Ali on the night of the migration of the Noble Prophet، when the Messenger of Allah wanted to migrate، he left Ali behind in Mecca to pay off his debts and return the deposits that were with him and to sleep in his bed and he said to him:

"O Ali، cover yourself with my Hadrami cloak and sleep in my bed، Ali (A. S.) did that، so Allah the Almighty revealed to Gabriel and Michael: I have made you brothers and made the life of one of you longer than the other، which of you will prefer life to the other? They both chose life، so Allah the Almighty revealed to them: "Were you not like Ali ibn Abi Talib? I made him a brother to Mohammed، so he slept in his bed، sacrificing himself for him and preferring life to him، Go down to the earth and protect him، so they went down and Gabriel was at his head and Michael at his feet، Gabriel said: "Blessed، Blessed! Who is like you، O son of Abi Talib، for Allah to brag about among the Angels"(18).

(13)Tirmidhi al-Hanafi، al-Muhaddith al-Hanbali، Ibn Mardawayh، and al-Naqib by al-Kashfi، Chapter One.

- The verse: Rather، seek help from God through patience and prayer. Indeed، it is difficult except for the humble. (14).

(14) Surat Al Baqara –Verse 45.

On the authority of Ibn Abbas، he said: The humble and submissive in his prayer is towards it، meaning the Messenger of Allah and Ali.

-The verse: And remember that Abraham was tried by his Lord with certain commands، which he fulfilled: He said: "I will make thee an Imam to the Nations." He pleaded: "And also (Imams) from my offspring!" He answered: "But My Promise is not within the reach of evil-doers." (15)

(15) Surat Al Baqara –Verse 125.

On the authority of Abdullah bin Masoud، he said، the Messenger of Allah said، "The call ended with me and with Ali، none of us has ever prostrated to an idol، so take me as a prophet and take Ali as a successor".(16)

(16) Manaqib Ali bin Abi Talib، p. 276، by Ibn Al-Maghazili Al-Shafi'i .

-The verse: And there is the type of man who gives his life to earn the pleasure of Allah: And Allah is full of kindness to his devotees. (17)

he avoided polytheism and the worship of idols.

-The verse: Then learnt Adam from his Lord words of inspiration and his Lord turned towards him; for He is Oft-Returning، Most Merciful. (10)

(10) Surat Al Baqara –Verse 37.

On the authority of Ibn Abbas، he said: The Prophet، peace and blessings be upon him and his family، was asked about the words that Adam received from his Lord، so he accepted his repentance، he، peace be upon him، said: He asked him by the right of Mohammed، Ali، Fatima، Hassan، and Hussein، except for what I accepted، so he accepted his repentance. (11).

(11) Manaqib Ali Ibn Abi Talib، p. 63، by Ibn al-Maghazili al-Shafi'i، and al-Durr al-Manthur by al-Suyuti al-Shafi'i، vol. 1، p. 60.

- The verse: And be steadfast in prayer; practice regular charity; and bow down your heads with those who bow down (in worship). (12)

(12) Surat Al Baqara –Verse 43.

On the authority of Ibn Abbas، he said: It was revealed about the Messenger of Allah، may Allah bless him and his family and grant them peace، and about Ali Ibn Abi Talib in particular، and they were the first to pray and bow.(13)

(07) Al-Hafiz Sulayman Ibrahim Al-Qunduzi Al-Hanafi narrated in his book Yanabi' Al-Mawadda .

In the book of Al-Durr Al-Munazzam by Ibn Talha Al-Halabi Al-Shafi'I it is reported:

"I know that all the secrets of the heavenly books are in the Holy Quran، and all that is in the Holy Quran is in the Fatiha، and all that is in the Fatiha is in the Basmalah، and all that is in the Basmalah is in the Ba' of the Basmalah، and all that is in the Ba of the Basmalah is in the dot that is under the Ba' ، then Imam Ali، may God be pleased with him، said: I am the dot that is under the Ba'... (08)

(08) Shawahid al-Tanzil، Vol. 1، p. 42 (15).

In view of the enormous number of verses، which، as we mentioned previously، exceed one hundred and which were revealed about our master Imam Ali (A. S.)، we will suffice with some verses in order to preserve the balance of the research:

-The verse: This is the Book; in it is guidance sure، without doubt، to those who fear Allah. (09)

(09) Surat Al Baqara –Verse 02.

On the authority of Ibn Abbas in the words of God Almighty، this is the Book about which there is no doubt، meaning there is no doubt that it is from Almighty God، revealed as guidance، i.e.، clarification and light for the righteous. Ali bin Abi Talib، who did not associate anything with God for the blink of an eye،

When they came back from this war، this issue concerning the compilation of the Holy Quran was brought to the forefront، the real concern that was raised was that the generation which was present at the time of revelation were gradually departing from this world، indeed these were the people who were in contact with the Blessed Prophet recorded the Wahy or the Revelation memorized the Quran، and wrote the Holy Quran، in fact the battle of Yamama took a big number of them away، as they were martyred during this event. So forth، the risk was raised regarding the future of the Holy Quran as these people were gradually expiring from this world، and something therefore needed to be done to protect the Holy Quran، indeed this is where this project was formally launched، to compile the Holy Quran in book form.

Imam Ali (A.S.) in the Holy Quran between explicit and implicit indication

It would be important to recall from the narrations of the blessed Prophet Mohammed (PBUH) "the Holy Quran is four quarters، a quarter is about us، the people of the house، in particular، and God revealed the noblest verses of the Quran about Ali.

Abdullah Ibn Abbas said، "More than three hundred verses were revealed about Imam Ali (07).

In this context، Imam Ali (A. S) also recorded "the reasons of the Revelation " Asbabu Al Nuzul " as well ، some of the early Sahabah (companions) noted that Imam Ali (A. S) even included the place of Revelation of the verses، in his compilation، and some of other Sahabah (companions) say that Imam Ali (A. S) also added to his compilation the different explanations which the Blessed Prophet gave at that particular time along with the verses of the Holy Quran.

Moreover، the names of the people for whom the verses were revealed، in their praise or in their condemnation، was also mentioned in the compilation of Imam Ali (A. S)، still Imam Ali retreated، and basically did not make his compilation of the Holy Quran to be public، after it was ignored when he presented it، instead، this became a very special and private version for himself and his descendants as the holy Imams of Ahl Ul-Bait (A.S.).

Furthermore، it is true that the battle of "Yamama" speeded up the great concern about having the Holy Quran in book form; it is evident that the battle of Yamama took place in the second year of the Caliphate of the first Caliph، Abu Bakr، this battle was against "Musaylimah Al Kadhab "or the liar، who falsely claimed that he was a Prophet، as such the first Caliph، Abu Bakr، sent a large army of circa 4،000 to fight this battle and extinguish this deception، and it was quite a serious battle، which resulted in a large number of Sahabah or companions being killed.

and then said: The second is the members of my household. I remind you of your duties to the members of my family.

He (Husain) said to Zayd who are the members of his household? Aren't his wives the members of his family? Thereupon he said: His wives are the members of his family (but here) the members of his family are those for whom acceptance of Zakat is forbidden. And he said: Who are they? Thereupon he said: Ali and the offspring of 'Ali، Aqil and the offspring of 'Aqil and the offspring of Jafar and the offspring of 'Abbas. Husain said: These are those for whom the acceptance of Zakat is forbidden. Zayd said: Yes…. (06)

(06) Sahih Muslim 2408، In-book reference: Book 44، Hadith 55

One can wonder what was special about the compilation of Imam Ali (A. S) in this context? It is an evidence of history that a number of early Sahabah (companions) explained that the compilation of Imam Ali (A. S) was in the order of the Revelation، i.e.، Imam Ali (A. S) placed the Surahs or the Chapters in the same sequence in which they were revealed، starting from Surah Al Alaq، Surah Al Qalam، Surah Al Muzzammil، Surah Al Muddathir، and so on، as such was the special hallmark of this compilation of Imam Ali (A.S.) while the second special feature of that compilation from Imam Ali (A. S) is that he also compiled the background of these Surahs and Ayah، in addition to the actual compilation of the verses and chapters.

parted until they return to the pool of abundance in paradise".

(05) Musnad Ahmad Ibn Hanbal

In another authentic source، Yazid Ibn Hayyan reported، I went along with Husain Ibn Sabra and Umar Ibn Muslim to Zayd Ibn Al Arqam and، as we sat by his side، Husain said to him:

"O Zayd you have been able to acquire a great virtue that you saw Allah's Messenger and listened to his talk، fought by his side in different battles، offered prayer behind me، Zayd you have in fact earned a great virtue. Zayd narrate to us what you heard from Allah's Messenger، he said: I have grown old and have almost spent my age and I have forgotten some of the things which I remembered in connection with Allah's Messenger، so accept whatever I narrate to you، and what I do not narrate to you، do not assign me for it، he then said: One day Allah's Messenger stood up to deliver sermon at a watering place known as Khum situated between Mecca and Medina.

The Prophet of Allah (PBUH) praised Almighty God ، extolled Him and delivered the sermon and exhorted us and said: Now to our purpose، O people، I am a human being، I am about to receive a messenger (the angel of death) from my Lord and I، in response to Allah's call، but I am leaving among you two weighty things: the one being the Book of Allah in which there is right guidance and light، so hold fast to the Book of Allah and adhere to it، he exhorted us to hold fast to the Book of Allah

(04)The Shaqshaqiyyah Sermon of Imam Ali- شقشقة هدرت ثم قرت- A chirp roared and then settled –Majma Al-Amthal by al-Maydani

where he said: "A roaring noise that then settled، a noise is something like a lung that a camel expels from its mouth، Imam Ali (A.S.) had a sermon known as Al-Shaqshaqiya because Ibn Abbas said to him when he cut off his speech: If you had continued your speech from where you left off، Imam Ali (A.S.) responded "Far from it، O Ibn Abbas، that is a noise that roared then settled".

In this modest paper we may ask the following relevant question about the fate of the compilation of the Holy Quran by Imam Ali (A.S.)، and history narrates that after he completed his compilation، he presented it to the people، saying the well-known Hadith of our beloved Prophet (PBUH):

"I leave behind me two precious things، the book of Allah and my Ahl Ul Bait ". (05)

There exist several versions of this hadith in different Sunni sources، while the version that appears in the Musnad Ahmad Ibn Hanbal، a canonical Sunni hadith collection، reads،

"I Mohammed left among you two treasures which، if you cling to them، you shall not be led into fault after me، one of them is greater than the other: The Holy Quran book of Allah، which is a rope stretched from Heaven to Earth، and the second one is my progeny، my Ahl al-Bayt. These two shall not be

Imam Ali (A.S.) dedicated himself to this project for six months after the demise of the blessed Prophet this following narration is directly from Imam Ali (A.S.):

"When the Blessed Prophet Mohammed (PBUH) passed away، I took an oath not to leave home، except for Jumuah، until I complete the compilation of the Holy Quran." Now، there is of course the historical and political background to this، in all terms of true objectivity and genuine historical approach، Imam Ali (A.S.) was sidelined during this early period of Islam after the passing away of the blessed Prophet Mohammed (PBUH)، and no wonder that he was concealed from the social and political matters of the Ummah at that time.

Imam Ali (A.S.) explains in Nahjul Balagha (The Peak of Eloquence) that he also decided upon himself to make "Sabr " or persevere for the greater interest of Islam and at the same time، he took benefit of this period to complete this crucial project of compiling the Holy Quran in book form، and thereby protect it from fizzling away nevertheless، even when people came to him complaining about why they no longer see him، he would make excuses by saying there is nothing better than this crucial job ، as such the first person to have compiled the Holy Quran in book form، after collecting all the pieces، was Imam Ali (A.S.)، such position is shared by a number of renowned Sunni scholars.(04)

knowledge of both." **(03)**

(03) Sahih Ibn Hibban Vol.1، Page 276; Imam Suyuti Al-Itqan Fi Ulum al-Quran، Page 130.

IMAM ALI (A.S.) WAS THE FIRST TO COMPILE THE HOLY QURAN IN BOOK FORM

It is quite true that the compilation of the Holy Quran in book form did not take place during the lifetime of the blessed Prophet Mohammed (PBUH)، it is believed that the person who assumed this responsibility to compile the Holy Quran in book form was Imam Ali Ibn Abu Talib (A.S.)، it is reported that Imam Jafar Sadiq (A.S.)، narrated that the blessed Prophet (PBUH) said the following to Imam Ali (A.S.) before departing this world:

"O Ali، behind me is the book and papers. Please take them and compile the Quran and do not let it be wasted like the Jews wasted the Torah." Therefore، and based upon this narration of our beloved the blessed Prophet of Islam as narrated by Imam Jafar Sadiq، the responsibility of compiling the Holy Quran in book form was bestowed upon Imam Ali (A.S.) and therefore many Sunni scholars and narrators share the same view and consequently have also recorded similarly، that Imam Ali (A.S.) was very much dedicated and focused on the compilation of the Holy Quran in book form.

According to the great companion Abdullah Ibn Abbas،

"I am the city of knowledge and Ali is its gate." (01)

(01)Hakim Al-Mustadrak، Hadith #4637; Graded as Sahih by Imam al-Hakim.

However، it is clear that Imam Ali (A.S.) learned the Quran directly from the Messenger of Allah، and many traditions depict his in-depth understanding of the Holy Quran، it is well known that even in the earliest times of Islam، Imam Ali loved the Quran and he never missed a class in regard to the Quran and its meaning. These classes during the first few years of revelation were held within the house of Al-Arqam and during these times mostly Chapters calling towards the faith and warning of the Day of Judgment were being revealed.

It was reported by Hadrat Abu Tufail who said: "I was present when Imam Ali said in a sermon، "By Allah، ask me about anything، for I am certainly able to answer all your questions، ask me about the Book of Allah for I am most knowledgeable about every single verse therein، I know when it was revealed، at night or during the day، and where، on the mountains or the plains.". (02)

(02)Ibn Abd al-Barr Jame'al-Bayan Vol.1 Page 252-Ibn Saad Al-Tabaqat Al-Kubra Vol-2 Page 338.

The great Companion Sayiduna Ibn Masoud (RA): "The Holy Quran was revealed in seven dialects each of which has an open as well as a hidden meaning، and Imam Ali (A.S.) had full

Recognizing the very modest and God-rewarding attempt of this composition of mine، therefore if it is found to attain even a small part of what I want to achieve then the credit of its Goodness and achievements goes to the day which is always inspiring me in the Hereafter while quenching my thirst from the "Hawdh" - i.e.، water spring - by the Blessed Hands of his Grandfather and my 32nd Grand Grand-Father the Beloved Prophet Mohamed (PBUH) and Intercessor (Shafi'i) on the day whereon neither wealth nor sons will avail.

It would be important to recall that Imam Ali (A.S.) is the spiritual brother of the Holy Prophet، his son-in-law، a man of chivalry، warrior، poet، grammarian، mathematician، law expert and chief judge among the companions، hence after studying with the blessed Prophet، he became the repository of knowledge in regard to explanation of Quran and Sunnah among all his companions. Undoubtedly، he was the paramount figure in the Prophet's household and the interpreter of the Holy Quran and Hadith، indeed his blessed life is marked by the lessons of guidance، wisdom and enlightenment. His knowledge and wisdom are beyond comparison.

It goes without saying that the title of our paper was duly quoted from the Holy Prophet's Hadith or saying:

Imam Ali، peace be upon him، the Gate to the city of knowledge of God's Messenger peace and blessings be upon him and his family

MR. SYED MOHAMMED BOKRETA

Position: Writer & Researcher

Algiers- Algeria-الجزائر

INTRODUCTION

Truly speaking I have never found myself in such a difficult and dilemmatic stance as in this case، while trying to compile this paper regarding the sixth Annual Imam Hussein International Conference about "Imam Ali (A.S.)، the Gate to the city of knowledge of God's Messenger peace and blessings be upon him and his family" November 11 and 12، 2024.

Genuinely speaking I feel both incapable and hesitating in trying to choose the right and accurate material to this paper as well as to the mentioned topic، still and despite the wealthy references and other sources at hand، my humble aim in this paper has reached the conclusion of describing and narrating some of the noble stances of Imam Ali such as the causes and the goals of his lofty credentials.

by Sharif Razi ((الشريف الرضيin the ١٠th century. This is the most widely used and recognized collection of Imam Ali's sermons، letters، and sayings.

Other Editions and Commentaries: Scholars have written numerous commentaries on Nahj al-Balaghah، which help analyze the linguistic and rhetorical elements in Imam Ali's sermons. Some important commentaries include:

Ibn Abi Al-Hadid's Commentary شرح ابن أبي الحديد

Muhaqqiq al-Hilli's Commentary شرح المحقق الحلي

Indeed، God loves those who fight in His cause، standing together as if they are a solid structure. Know that jihad for the sake of truth is justice، while jihad for the sake of self is destruction. So، make your intentions solely for God، and seek only His pleasure، for what is with God is better and everlasting. And remember His words: ‹Do not think of those who were killed in the way of God as dead; rather، they are alive with their Lord، receiving provision«‹.

D.The Sermon on the World

In the name of God، the Most Compassionate، the Most Merciful

»O people، this world is the abode of deception، and it passes away like the leaves of autumn. Do not be deceived by its adornments، nor be misled by its wealth، for it is but a fleeting enjoyment، and what is with God is better and everlasting.

This world moves on like passing clouds، and everything in it is destined to perish. So work for the Hereafter، and know that the best provision is piety. You are like travelers in this world، and you will not find rest except in the abode of the Hereafter. Know that every pleasure in this world is an illusion، and every strength in it is weakness، and what is with God is better and everlasting. So do not rely on it، for it deceives its people«.

References to Nahj al-Balaghah

Primary Source: Nahj al–Balaghah ((نهج البلاغةcompiled

B. The Sermon of Leadership

In the name of God، the Most Compassionate، the Most Merciful

»Now then، O people، I am the one most deserving of leadership، and I have no partner in this right، but the people have taken precedence over me. I am the one born in Mecca and raised by Islam. I stood by the Prophet (peace and blessings be upon him and his family) in every battle and every position، yet they chose others، wronging me and making a mistake.

As for you، by God، I am not saying this out of arrogance or for a fleeting worldly gain، but because it is a right I was commanded to convey. Let them see how they turned the caliphate away from its rightful people and placed it where it does not belong! By God، the world will question them about their deeds on the Day of Judgment. O people، the judgment is God›s، and I am but a servant of God and His caliph on His earth«.

C. The Sermon of Jihad

In the name of God، the Most Compassionate، the Most Merciful

»O believers، know that jihad is your greatest obligation، and it is the only way to ward off tribulations and achieve justice. Strive in the way of God with true striving، and know that jihad is not only through the sword but also through the struggle of the self against sins.

خير الزاد التقوى. أنتم في الدنيا كمسافرين، ولا تستقرّون إلا في دار الآخرة. فاعلموا أنَّ كل نعيم في الدنيا وهم، وكل قوة فيها ضعف، وأن ما عند الله خيرٌ وأبقى. فلا تركنوا إليها، فإنها خادعةٌ بأهلها.»

2. Imam Ali's Sermons in English

A. The Sermon of Al-Shaqshaqiyah

In the name of God، the Most Compassionate، the Most Merciful

»O people، by God، I did not wrest the caliphate by force، nor did I seek it out of desire، but you took it from me and gave it to others. I endured hardships patiently until innovation suddenly struck، and I appeared as though I had fallen into it. As for you، if you wish to do so now، then act in the best manner.

The Messenger of God (peace and blessings be upon him and his family) entrusted you with a responsibility، but you betrayed it، preferring others over me. When Abdullah، son of Abi Quhafa (Abu Bakr)، was killed، I was thrown towards Uthman، and I found myself amidst the harshness of monotheism. I realized that I was not fighting for superiority، for people are slaves to the world، death is inevitable، and God is the one most deserving of worship. By God، I did not know this، and I seek only God's guidance، for I have met you. So، are you reformers? Is this seriousness real? Or was there ignorance other than mere deception? This is the position. If seeking truth is truly right، then judge between me and those who have wronged me«.

وأخطأوا. أما أنتم، فوالله لستُ أقول ذلك غرورًا ولا طلبًا لدنيا زائلة، وإنما هو حقٌّ أُمِرتُ أن أبلّغه. أَلا فليُروا كيف صرَفوا الخلافة عن أهلها، وجعلوها في غير موضعها! والله لتسألنّهم الدنيا عما اقترفوا يوم الحساب. أيها الناس، إنّ الحكم حكم الله، وما أنا إلا عبد الله وخليفته على أرضه.»

ت. خطبة الجهاد

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

«أيها المؤمنون، اعلموا أن الجهاد فريضتكم الكبرى، وأنه السبيل الوحيد لدرء الفتن وتحقيق العدل. جاهدوا في سبيل الله حق جهاده، واعلموا أن الجهاد ليس بالسيف وحده، بل هو أيضًا جهاد النفس عن المعاصي. إن الله يحب المجاهدين الذين يقاتلون في سبيله صفًا كأنهم بنيان مرصوص. واعلموا أن الجهاد في سبيل الحقّ عدلٌ، والجهاد في سبيل النفس هلاكٌ. فاجعلوا نواياكم لله، ولا تسعوا إلا لتحقيق مرضاته، فما عند الله خير وأبقى. وتذكروا قوله تعالى: «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يُرزَقون».

ث. خطبة الدنيا

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

«يا أيها الناس، إن الدنيا دار الغرور، وهي زائلةٌ كأوراق الخريف. فلا تغرنكم زينتها ولا تخدعكم أموالها، فإنها متاعٌ قليل، وما عند الله خيرٌ وأبقى. إن هذه الدنيا لتمضي كما يمضي السحاب، وكل ما فيها إلى زوال. فاعملوا للآخرة واعلموا أنَّ

Appendix

1. Imam Ali's Sermons in Arabic

أ. خطبة الشقشقية

بسم الله الرحمن الرحيم

«يا أيها الناس، والله ما استلبتُ منه (الخلافة) عضاً، ولا طلبتُه رغبةً، ولكنكم أخذتموها مني، ورفضتموه إلى غيري. قد كنتُ صبراً على المكاره، ثم فاجأني ببدعةٍ، فتظاهرتُ أنني فيها وقعتُ، فأما وأنتم -إذا - فأحسنوا الوَجْهَ.

لقد أودعكم رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمانةً، فخنتموها، وفضلتم عليه - حتى إذا قُتل عبد الله بن أبي قحافة (أبو بكر) رُميَ بي إلى عثمان، وأخذتني هُوَّةُ حُدَّةُ التوحيد. وقرَّرتُ بأنني لم أكن أكافح للتفاضل، فإن الناس عبيد دنيا، والموت واحد، وإن الله هو الأحق في العبادة. فوالله، لم أعلم بذلك، وما أطلب إلا توفيق الله، فقد لقيتكم. فهل أنتم مصلحون؟ وهذا الجِدّ جدٌّ؟ أو هل كان فيهم جهلٌ غير شَفَاقٍ؟ وهذا هو الموقف. إن كان طلب الحق حقاً فاحكموا بيني وبين من ظلموني.»

ب. خطبة الإمامة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

«أما بعد، أيها الناس، فإني أنا الأحقُّ بالإمامة، ولم يكن لي شريك في حقّي، غير أن القوم قد سبقوني إليها، وأنا الذي ولدتني مكةُ وربّاني الإسلامُ، وقُمتُ بجانب النبيّ صلى الله عليه وآله في كلّ معركةٍ وموقفٍ، ولكنهم اختاروا غيري، فَظَلَمُوا

11. - Ibn Jinni، A. (1993). Al-Khasā'is. Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.

12. - Ibn Kathir، I. (2003). Al-Bidaya wa'l-Nihaya. Dar al-Ma'arif.

13. - Irvine، J. T.، & Gal، S. (2000). Language Ideologies and Language Power. In Kroskrity، P. V. (Ed.)، Regimes of Language (pp. 35–84).

14. - Kristeva، J. (1980). Desire in Language: A Semiotic Approach to Literature and Art. Columbia University Press.

15. - Larkin، M. (2008). The Rhetoric of Imam Ali: Authority، Eloquence، and Divine Guidance. Islamic Rhetoric Studies Journal.

16. - Leech، G.، & Short، M. (2007). Style in Fiction: A Linguistic Introduction to English Fictional Prose. Pearson Longman.

17. - Rahman، F. (1980). Major Themes of the Quran. University of Chicago Press.

18. - Sells، M. (2000). Approaching the Qur'an: The Early Revelations. White Cloud Press.

19. - Al-Suyuti، J. (1979). Al-Itqān fi `Ulūm al-Qur'an. Dar al-Fikr.

20. - Zadeh، T. (2011). The Vernacular Qur'an: Translation and the Rise of Persian Exegesis. Oxford University Press.

References

1. - Al-Jurjani، A. Q. (2001). Dala'il al-I'jaz. Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.

2. - Creswell، J. W. (2013). Qualitative Inquiry and Research Design: Choosing Among Five Approaches. SAGE Publications.

3. - Ibn al-Athir، D. A. (1999). Al-Mathal al-Sa'ir fi Adab al-Katib wa al-Sha'ir. Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.

4. - Kristeva، J. (1980). Desire in Language: A Semiotic Approach to Literature and Art. Columbia University Press.

5. - Abdul-Raof، H. (2010). Theological Approaches to Quranic Exegesis. Routledge.

6. - Al-Jurjani، A. Q. (2001). Dala'il al-I'jaz. Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.

7. - Al-Zamakhshari، A. M. (2008). Al-Kashshaf. Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.

8. - Gumperz، J. J. (1982). Discourse Strategies. Cambridge University Press.

9. - Hamza، F. (2009). Ethos، Pathos، Logos in Islamic Rhetoric. Islamic Studies Journal.

10. - Hymes، D. (1974). Foundations in Sociolinguistics: An Ethnographic Approach. University of Pennsylvania Press.

Conclusion

The research demonstrates that Imam Ali's sermons exemplify a masterful integration of Quranic language، classical Arabic rhetoric، and profound spiritual insight· By employing various rhetorical devices such as repetition، metaphor، parallelism، and antithesis، Imam Ali effectively conveys complex religious، ethical، and political messages· His ability to weave Quranic allusions seamlessly into his speeches not only reinforces the divine authority of his words but also enhances their emotional and intellectual resonance with his audience· The frequent use of Quranic references، both in direct quotations and subtle allusions، reveals the deep intertextual relationship between the sermons and the Quran، establishing Imam Ali's speeches as powerful tools for spiritual guidance and political leadership· Moreover، the study highlights how Imam Ali's rhetorical strategies are carefully adapted to the specific contexts in which his sermons were delivered· Whether addressing issues of political strife، social justice، or religious ethics، his use of language and rhetoric is consistently aligned with the needs of the moment، demonstrating his astute understanding of audience dynamics· The research concludes that Imam Ali's sermons not only serve as exemplary models of Arabic oratory but also offer timeless insights into the art of persuasion in religious discourse، where language functions not only as a medium for communication but as a tool for shaping thought، emotion، and action·

contrasts that highlight moral dilemmas or ethical choices. Overall, these rhetorical strategies serve to engage the audience emotionally while guiding them intellectually toward ethical reflection. The thematic analysis reveals that Imam Ali's sermons consistently address key topics such as justice and fairness, piety and faith, leadership and authority, and social responsibility. Among these, divine wisdom and guidance appears most frequently, suggesting that Imam Ali's sermons aim primarily to offer spiritual direction, rooted in Quranic teachings. The frequent discussion of justice and fairness reflects the sociopolitical context in which Imam Ali delivered many of his sermons, particularly during times of political turmoil. His emphasis on leadership and social responsibility demonstrates his commitment to ethical governance and the well-being of the community, presenting himself as both a religious and political leader. Lastly, the research highlights the significance of the context in which Imam Ali delivered his sermons. Sermons given during periods of political strife exhibit a more authoritative tone, with a focus on themes of leadership and justice, while those addressing religious audiences emphasize spiritual growth, piety, and ethical behavior. This ability to adapt his rhetorical strategies to different circumstances illustrates Imam Ali's exceptional oratorical skill, allowing him to address the needs of his audience effectively, regardless of the social or political climate. This context-sensitive approach, combined with his deep Quranic knowledge and rhetorical artistry, solidifies Imam Ali's enduring influence on Islamic oratory and thought.

the highest number of Quranic references، demonstrating a particularly strong intertextual link with the Quran·

Results

The research reveals that Quranic eloquence is a central feature in Imam Ali›s sermons، significantly shaping their linguistic and rhetorical structure· Through detailed content and intertextual analysis، it becomes clear that Imam Ali masterfully integrates Quranic language، including direct quotations، paraphrases، and subtle allusions، to reinforce the spiritual authority of his messages· This strategic use of Quranic references is not only a reflection of his deep connection to the divine text but also a means of engaging his audience on both intellectual and emotional levels· The frequency of Quranic allusions across the sermons underscores their importance in linking religious teachings to everyday ethical and social issues، providing listeners with a framework rooted in sacred authority· The analysis of rhetorical techniques—including metaphor، repetition، parallelism، and antithesis—demonstrates Imam Ali's ability to craft speeches that are both powerful and persuasive· Repetition emerges as the most frequently used device، highlighting Imam Ali's emphasis on reinforcing key ideas to ensure they resonate with his audience· Metaphors play a crucial role in conveying complex spiritual meanings، offering the audience vivid imagery that deepens their understanding of abstract concepts· Parallelism and antithesis contribute to the structural and rhythmic balance of his sermons، creating

intertextual analysis aims to uncover the deeper layers of meaning embedded in his speeches· Based on the method outlined by Kristeva (1980)· The analysis identifies and examines the Quranic references found in Imam Ali's sermons، focusing on their types and significance in enhancing the persuasive power of the speeches·

Table (4): Types of Quranic References in Imam Ali's Sermons

Quranic reference type	*Sermon 1*	*Sermon 2*	*Sermon 3*	*Sermon 4*
Direct quotations	*4*	*6*	*7*	*3*
Paraphrasing	*3*	*4*	*5*	*2*
Subtle allusions	*5*	*5*	*6*	*5*
Total	*12*	*15*	*18*	*10*

The table shows that subtle allusions are the most frequently used Quranic reference type، appearing consistently across all sermons، with 21 occurrences in total· This suggests that Imam Ali often integrates Quranic language in an implicit manner، allowing for a more fluid and nuanced connection to the Quran· Direct quotations (20 occurrences) are also frequently employed، particularly in Sermons 2 and 3، which rely more heavily on direct scripture to reinforce religious authority· Paraphrasing is used less frequently (14 occurrences)، indicating that Imam Ali occasionally rephrases Quranic verses to align with the thematic and rhetorical needs of his speeches· Overall، Sermon 3 contains

reflecting Imam Ali's strong reliance on scriptural references to strengthen his messages· Repetition follows closely with 47 occurrences (11·75 per sermon)، highlighting its importance in reinforcing key ideas· Metaphors (30 occurrences، 7·5 average) are also commonly used، adding depth and figurative meaning· Parallelism (22 occurrences، 5·5 average) helps create rhythm and structure، while rhetorical questions are used more sparingly (15 occurrences، 3·75 average)، serving to provoke thought· Overall، the analysis shows a strategic balance of rhetorical devices، with a strong emphasis on Quranic references and repetition to enhance persuasion·

٣,٤,٢ Intertextual Analysis

Intertextual analysis، as developed by Kristeva (1980)، focuses on the relationship between Imam Ali's sermons and the Quran· This method examines how Quranic language is integrated into the sermons، whether through direct quotations، paraphrasing، or subtle allusions· Intertextuality is a key component of Imam Ali's rhetorical style، as his speeches frequently draw on Quranic themes and linguistic structures to reinforce their religious and ethical authority· The analysis involves identifying Quranic references in the sermons and exploring their significance within the context of Islamic discourse· This includes examining the theological and ethical implications of these references، as well as how they enhance the persuasive impact of the sermons· By investigating the interplay between Imam Ali's language and the Quran، the

recurring theme across the four sermons، with 38 occurrences، indicating Imam Ali's emphasis on spiritual and moral direction. Justice and fairness (27 occurrences) and Piety and faith (26 occurrences) are also prominent، reflecting a focus on ethical governance and personal devotion. Leadership and authority (23 occurrences) and Social responsibility (22 occurrences) are slightly less frequent but still significant، highlighting the importance of societal roles and governance. Sermon 3 shows a balanced emphasis on all themes، while Sermon 1 strongly features divine wisdom. This distribution suggests that Imam Ali's sermons aim to balance spiritual guidance with practical leadership and social ethics.

Table (3) Comparative Analysis of Rhetorical Strategies

Rhetorical devices	*Sermon 1*	*Sermon 2*	*Sermon 3*	*Sermon 4*	*Total occurrences*	*Average per sermon*
Metaphor	*8*	*7*	*10*	*5*	*30*	*7.5*
Parallelism	*5*	*6*	*7*	*4*	*22*	*5.5*
Repetition	*10*	*12*	*14*	*11*	*47*	*11.75*
Quranic allusions	*12*	*15*	*18*	*10*	*55*	*13.75*
Rhetorical Questions	*3*	*4*	*5*	*3*	*15*	*3.75*

Quranic allusions are the most frequently used rhetorical device، with 55 occurrences and an average of 13.75 per sermon،

are also consistently used، adding depth and complexity to his language· Parallelism (22 occurrences) and rhetorical questions (15 occurrences) are employed more sparingly but still serve crucial roles in creating rhythm، engagement، and emphasis· Sermon 3 consistently shows the highest use of most rhetorical devices، indicating its rhetorical richness and emphasis on persuasion and engagement· Overall، the results demonstrate Imam Ali's mastery in blending Quranic language with classical Arabic rhetorical techniques·

Table (2) Thematic elements derived from Quranic references and rhetorical strategies across the sermons

Theme	*Sermon 1*	*Sermon 2*	*Sermon 3*	*Sermon 4*	*Total occur-rences*
Justice and fairness	*7*	*6*	*9*	*5*	*27*
Piety and Faith	*5*	*8*	*7*	*6*	*26*
Leadership and authority	*6*	*7*	*6*	*4*	*23*
Social Responsi-bility	*4*	*5*	*6*	*7*	*22*
Divine wisdom and guidance	*11*	*9*	*8*	*10*	*38*

The table shows that Divine wisdom and guidance is the most

frequently referenced texts in Islamic literature. The sermons contain rich linguistic and rhetorical artistry, many of which include Quranic allusions and thematic elements such as justice, piety, and leadership. Here are a few key sermons that are widely cited in research and Islamic studies:

Table (1) the frequency of each rhetorical device or Quranic reference found across four sermons

Features	*Sermon 1*	*Sermon 2*	*Sermon 3*	*Sermon 4*	*Total occurrences*
Quranic illusions	*12*	*15*	*18*	*10*	*55*
Metaphors	*8*	*7*	*10*	*5*	*30*
Syntactic Structures	*6*	*9*	*8*	*7*	*30*
Rhetorical Questions	*3*	*4*	*5*	*3*	*15*
Parallelism	*5*	*6*	*7*	*4*	*22*
Repetition	*10*	*12*	*14*	*11*	*47*

The table reveals that Quranic allusions (55 occurrences) are the most frequently used rhetorical feature across all four sermons, highlighting Imam Ali's reliance on scriptural references to connect his messages to divine authority. Repetition (47 occurrences) follows closely, emphasizing its role in reinforcing key ideas and ensuring they resonate with the audience. Metaphors and syntactic structures (30 each)

parallelism، metaphor، and other literary devices·

3· Thematic relevance: Sermons that address key theological and ethical themes central to Islamic thought، such as justice، faith، and piety·

3.4 Data Analysis

The analysis of the selected sermons involves two key methods: content analysis، intertextual analysis.

3.4.1 Content Analysis

Content analysis is used to systematically identify and analyze Quranic references، rhetorical devices، and thematic elements within the sermons· This method allows for the classification of various linguistic and rhetorical features، providing a detailed breakdown of how Quranic language is employed· The process involves coding the texts according to specific categories، such as Quranic allusions، metaphors، and syntactic structures· The frequency and distribution of these features are then analyzed to uncover patterns in Imam Ali's use of language· Content analysis also facilitates a comparative examination of the sermons، highlighting how certain rhetorical strategies are consistently employed across different speeches· This method allows for the identification of recurring themes and motifs that connect the sermons to the Quranic tradition·

Imam Ali's sermons، also known as Nahj al-Balaghah (The Peak of Eloquence)، are among the most renowned and

religious contexts (Creswell، 2013)· This approach enables a deep exploration of the linguistic artistry and rhetorical devices used in the sermons، and how these elements contribute to the overall message and impact of the speeches·

3.3 Data Collection

The data for this research consists of a selection of Imam Ali's sermons، particularly those found in Nahj al-Balāgh ("The Path of Eloquence")، which is the most widely recognized collection of his speeches، letters، and sayings· Nahj al-Balāgha، compiled by Sharif Razi in the 10th century، is regarded as a critical source for understanding Imam Ali's eloquence and rhetorical style· The selection of sermons for analysis is based on their rich use of Quranic language، rhetorical devices، and thematic relevance to the research questions· In addition to Nahj al-Balāgha، other sources، such as commentaries and historical records، are utilized to provide context and supplementary insights into the sermons· These include classical Arabic rhetorical texts، Quranic exegesis (tafsir) and historical analyses that shed light on the social and political contexts in which the sermons were delivered· The specific criteria for selecting sermons include:

1· Quranic references: Sermons that explicitly or implicitly reference Quranic verses·

2· Rhetorical features: Sermons that demonstrate a high degree of rhetorical sophistication، including the use of

Methodology

3.1 Introduction

The study utilizes a qualitative research design، focusing on textual analysis to explore the linguistic and rhetorical features of Imam Ali's sermons· The methodology involves content analysis، intertextual analysis، and rhetorical analysis to examine the intricate ways in which Imam Ali incorporates Quranic eloquence into his speeches· By analyzing the sermons within their historical and linguistic context، this study aims to provide insights into how Quranic language influences Islamic rhetorical traditions·

3.2 Research Design

This research adopts a qualitative approach، focusing on the interpretation of textual data· Given the nature of the research questions، which explore the linguistic and rhetorical features of Imam Ali's sermons، qualitative methods are best suited to provide a nuanced analysis of language، structure، and meaning· The primary method of analysis is content analysis، supported by intertextual and rhetorical analysis· These methods are used to investigate the relationship between Quranic language and Imam Ali's eloquence، offering a detailed examination of how his speeches reflect and enhance Quranic discourse· The qualitative nature of this research emphasizes the subjective interpretation of language، where meaning is derived from examining the texts within their cultural، historical، and

and spiritual concerns of the early Islamic period. As Zadeh (2011) argues, the rhetorical power of Islamic sermons lies in their ability to intertwine personal oratory with divine guidance. By exploring these influences, the research will highlight how Imam Ali's sermons operate within a broader Prophetic and Quranic tradition of eloquence.

2.7 Sociolinguistic Considerations: Audience and Context

Imam Ali's sermons were delivered during a period of intense political and religious turmoil, which necessitated a rhetorical style that was both authoritative and responsive to diverse audiences. Sociolinguistic theories, such as those outlined by Gumperz (1982) and Hymes (1974), suggest that language is adapted according to social contexts and the relationship between speaker and audience. In the case of Imam Ali's sermons, his use of language varied depending on the occasion, the audience's social status, and the political context. This research will utilize sociolinguistic frameworks to explore how Imam Ali adapted his rhetorical strategies in different settings. For instance, his sermons to the elite often employed more sophisticated linguistic techniques, while his addresses to the general public relied on clarity and emotional appeal. Drawing on Irvine and Gal's (2000) theory of language and power, the study will investigate how Imam Ali's sermons functioned as tools of both spiritual guidance and political authority.

interact· Imam Ali›s sermons are rich in Quranic intertextuality‹ with both direct citations and implicit allusions to the Quran· As observed by Larkin (2008)‹ these Quranic references not only reinforce the sermon›s message but also imbue it with divine authority· Imam Ali does not merely cite the Quran; he weaves Quranic phrases into his own language‹ creating a rhetorical flow that reflects both his eloquence and the Quran›s linguistic artistry· This study will employ intertextual analysis to explore how Imam Ali's sermons engage with Quranic language‹ and how these interactions enhance their religious and rhetorical power· The analysis will consider how his sermons echo Quranic themes‹ drawing on Rahman's (1980) discussion of thematic coherence in the Quran·

2.6 Quranic and Prophetic Influences on Imam Ali's Rhetorical Style

Imam Ali's sermons were deeply influenced by his close relationship with the Prophet Muhammad (PBUH) and his exposure to Quranic revelation· Al-Suyuti (1979) and Ibn Kathir (2003) note that Imam Ali›s rhetoric echoes both the Quran and the Prophet's own speeches‹ particularly in their emphasis on justice‹ ethics‹ and devotion· The parallels between the Prophet's hadith and Imam Ali's sermons highlight the shared rhetorical techniques‹ such as the use of parables‹ metaphors‹ and vivid imagery· This study will analyze the influence of Quranic and Prophetic traditions on Imam Ali›s rhetorical style‹ particularly focusing on how his language reflects the ethical

2.4 Theoretical Perspectives on Linguistic Artistry in Arabic

Arabic linguistic theories، particularly those concerning eloquence، emphasize the significance of word choice، syntax، and phonology in creating meaning and beauty. Ibn Jinni (1993) and Al-Jurjani (2001) stress that eloquence is achieved through the precise arrangement of words and sentences، which imbue the text with aesthetic and emotional power. Imam Ali's sermons reflect these principles through the use of parallelism، metaphor، and antithesis، as well as a rhythmic، Quranic-inspired style. The present study applies linguistic theories from Arabic philology and modern stylistics، such as those of Leech and Short (2007)، to explore the structural and functional elements of Imam Ali's language. His sermons utilize linguistic features like tibaq (antithesis) and muwazanah (balance)، enhancing both the aesthetic and rhetorical impact of his words. By drawing on these linguistic theories، the analysis will highlight the eloquence of Imam Ali›s sermons and their resonance with Quranic language.

2.5 Quranic Intertextuality in Imam Ali's Sermons (Peace be upon him)

Intertextuality، as discussed by Kristeva (1980)، involves the dialogue between texts، where meanings are shaped by their relationship to other texts. In the case of Islamic discourse، the Quran is often the central text with which other forms of speech

use of language reflects the Quran's ability to evoke spiritual and emotional depth· His sermons resonate with Quranic cadences‹ metaphors‹ and rhetorical devices‹ creating a distinct fusion of sacred and personal eloquence· This study defines Quranic eloquence in his sermons as a deliberate and artful reflection of the Quran›s linguistic features and themes·

2.2 Rhetoric (Al-Bayān) and Its Role in Sermonic Discourse

The art of rhetoric‹ known as al-bayān plays a critical role in Islamic sermonic discourse‹ where clarity‹ persuasion‹ and aesthetic beauty are essential in conveying theological ideas· Islamic rhetoric aligns with Aristotelian concepts of ethos‹ pathos‹ and logos‹ as discussed by Hamza (2009)· These rhetorical tools are crucial in delivering a message that appeals to the audience emotionally and intellectually‹ while the speaker›s ethical character enhances the message›s credibility· In Imam Ali's sermons‹ these elements of rhetoric are infused with Quranic citations and allusions‹ amplifying their persuasive impact· For instance‹ Imam Ali's use of ethos is closely tied to his status as a companion of the Prophet and his deep knowledge of the Quran· His sermons also employ pathos through vivid imagery and emotional appeal‹ often using Quranic references to invoke divine authority and elicit a spiritual response from his audience (Abdul-Raof‹ 2010)· This research will examine how Imam Ali's use of al-bayān integrates Quranic rhetoric to enhance the sermon›s ethical‹ emotional‹ and logical dimensions·

not only deepens appreciation for Imam Ali's contributions to Islamic discourse but also enriches the broader study of Quranic influence on Arabic literature and rhetoric. Additionally, the research highlights the enduring relevance of Quranic principles in shaping Islamic thought and provides a framework for analyzing other Islamic texts and speeches. Ultimately, this study bridges gaps in scholarly literature and fosters a greater appreciation of the rhetorical artistry that defines Imam Ali's legacy.

Theoretical Framework

2.1 Defining Quranic Eloquence (Balāgha Qur'āniyya)

Quranic eloquence is rooted in al-balāgha, the classical Arabic tradition of eloquence, clarity, and effective communication. This tradition finds its pinnacle in the Quran, which is regarded as the ultimate example of inimitable eloquence (i›jaz), a concept extensively discussed by classical scholars such as Al-Jurjani (2001) and Al-Zamakhshari (2008). Al-Jurjani›s theory of nazm (the arrangement of words) emphasizes that the beauty of the Quran lies in the organization and harmony of its linguistic elements. Quranic eloquence is characterized by precision, conciseness, and the profound depth of meaning conveyed in a few words, principles that are mirrored in Imam Ali's sermons. Imam Ali's sermons exhibit this same Quranic eloquence, intertwining Quranic references and stylistic patterns. As Sells (2000) highlights, Imam Ali's

3· Exploring the integration of Quranic themes in Imam Ali's sermons·

4· Evaluating the impact of Quranic eloquence on the effectiveness of Imam Ali's sermons·

Research Questions

The research seeks to answer the following questions :

1· What Quranic linguistic features are present in Imam Ali's sermons?

2· How does Imam Ali (Peace be upon him)use Quran-inspired rhetorical strategies in his sermons?

3· How are Quranic themes integrated into Imam Ali's sermons?

4· How does Quranic eloquence influence the effectiveness and reception of Imam Ali's sermons?

Research Importance

The importance of this research lies in its contribution to understanding the intersection of Quranic eloquence and classical Arabic rhetoric through the lens of Imam Ali's sermons· By elucidating how Imam Ali (Peace be upon him) employs Quranic linguistic and rhetorical elements، this study offers valuable insights into the sophisticated techniques that enhance the effectiveness of his oratory· This understanding

Research Problem

The research problem addressed in this study is the need for a comprehensive understanding of how Imam Ali's sermons incorporate and exemplify Quranic eloquence، particularly in terms of linguistic and rhetorical artistry. While much has been written about the spiritual and theological significance of Imam Ali's oratory، there remains a gap in the scholarly literature regarding the specific ways in which his sermons reflect and utilize Quranic language، themes، and rhetorical structures. This study seeks to fill that gap by analyzing the sermons of Imam Ali (Peace be upon him) through the lens of Quranic eloquence، exploring how his use of Quranic elements not only enhances the effectiveness of his communication but also contributes to the broader tradition of Arabic rhetoric and Islamic discourse. The research problem، therefore، centers on identifying and explicating the linguistic and rhetorical techniques derived from the Quran that Imam Ali (Peace be upon him) employs in his sermons، and understanding their impact on both his immediate audience and subsequent generations of Islamic scholars and thinkers.

Research Aims

The research aims at:

1. Identifying Quranic linguistic elements in the sermons of Imam Ali(Peace be upon him).

2. Analysing the rhetorical strategies in Imam Ali's sermons inspired by the Quran.

in the collection Nahj al-Balaghah، are celebrated for their rhetorical and linguistic artistry· These sermons not only convey deep spiritual and ethical teachings but also reflect a sophisticated engagement with classical Arabic rhetorical traditions and Quranic discourse (Al-Sharif al-Radi، 2004)· One of the most compelling features of Imam Ali's sermons is his frequent use of Quranic language· His speeches are replete with Quranic allusions، direct quotations، and paraphrases، which serve to reinforce the religious and ethical authority of his words· Imam Ali's ability to seamlessly integrate Quranic themes into his sermons has been widely acknowledged in Islamic scholarship· Scholars like Ibn Abi al-Hadid (1965) and Al-Jurjani (2001) have long noted the profound intertextual relationship between his speeches and the Quran، highlighting how this connection enhances the emotional and intellectual impact of his oratory·Furthermore، Imam Ali's speeches reflect a deep understanding of the principles of classical Arabic rhetoric، as expounded by theorists such as Al-Jurjani and Ibn al-Athir (1999)· He employs various rhetorical devices such as metaphor، antithesis، parallelism، and repetition to effectively convey his messages and persuade his audience· These techniques not only serve to clarify complex ideas but also evoke strong emotional responses، making his speeches both intellectually stimulating and spiritually moving·

him) sermons not only mirror the structural and thematic features of Quranic discourse but also enhance the persuasive impact of his messages through strategic rhetorical devices. These devices include metaphor, which conveys deep spiritual and moral meanings; parallelism, which creates rhythm and balance; and antithesis, used to emphasize moral contrasts. Repetition is frequently employed to reinforce key ideas, while allusions to Quranic verses draw on the authority of the divine text. Imam Ali (Peace be upon him) also utilizes rhetorical questions to provoke thought and hyperbole to magnify emotional impact. His mastery in integrating these rhetorical devices with Quranic language and classical Arabic rhetoric creates a powerful synergy that resonates both emotionally and intellectually with his audience. Additionally, the analysis demonstrates that his use of Quranic eloquence served as a tool for spiritual guidance, political leadership, and religious education, further solidifying his influence in Islamic oratory.

Keywords :Eloquence, Sermons, linguistic, Rhetorical Artistry

Introduction

Imam Ali ibn Abi Talib (Peace be upon him) , the cousin and son-in-law of Prophet Muhammad, is revered not only for his spiritual and political leadership but also for his profound mastery of the Arabic language and his eloquent oratory. His sermons, letters, and sayings, many of which are preserved

Quranic Eloquence in the Sermons of Imam Ali (Peace be upon him) : A Study in Linguistic and Rhetorical Artistry

Pro .Dr.Fatima Raheem Abdul Hussein

Asst. Lect. Narjis Audah Rashk

Abstract

This research explores the profound eloquence found in the sermons of Imam Ali (Peace be upon him) ، with a specific focus on the linguistic and rhetorical artistry inspired by the Quran· Imam Ali (Peace be upon him) ، renowned for his mastery of the Arabic language and his deep spiritual insight، frequently incorporated Quranic elements into his sermons، imbuing his speech with a unique blend of divine guidance and human eloquence· The study examines selected sermons، analyzing how Imam Ali (Peace be upon him) skillfully integrates Quranic vocabulary، themes، and syntactical structures to construct powerful، persuasive messages· This study also situates Imam Ali's sermons within the broader context of classical Arabic rhetoric، demonstrating how his oratory exemplifies the highest standards of linguistic precision and artistic expression· The results of the research reveal that Imam Ali›s (Peace be upon

الأمانة العامة
العتبة الحسينية
المقدسة

دار القرآن الكريم